

**قيم الحوار والتعايش الديني بين المسلمين والمسيحيين
في بعض دول أفريقيا
(جنوب الصحراء الكبرى)
دراسة تحليلية مقارنة
أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية**

تحت إشرافه الدكتور: محمد الناصر أوقسو

إعداد الطالب: عمر حزامون حورما

السنة الجامعية: 2020-2021م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى الروح الغالية والطاهرة، روح والدي العزيز كارامون كورما رحمه الله تعالى، الله أسأل أن يغفر له

ويرحمه

إلى والدتي العزيزة: فاطمة جاباطي، عمرها الله وبقاها بصحة والعافية

إلى عمي الكريم: لاي كورما، وعمتي الكريمة: نارايوما كيتا

إلى زوجتي الكريمة: ماجيغي ندياي، وأولادي: محمد كورما ونارايوما كورما

إلى إخواني وأخواتي وأحبائي

إلى كل من يساهم للأمن والسلام والاستقرار بين الأديان في كل أنحاء العالم

وإلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل الموضع

والله المستعان.

كلمة شكر وتقدير

انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾¹ وعملاً بقول النبي عليه الصلاة والسلام: (من صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم كافأتموه).² فإني أشكر الله سبحانه وتعالى على ما أنعم به علي من نعمه الظاهرة والباطنة، أحمدته حمداً يليق بجلاله على حسن توفيقه لي في الحياة، وأسأله المزيد والفوز في الدنيا والآخرة.

ثم أقدم بجزيل الشكر والاحترام لسعادة الأستاذ الدكتور/ عبد الناصر أوقسو، الذي أسعدني بالإشراف علي في إنجاز هذه الأطروحة وأفادني بعلمه الغزير، وهذبني بقيمه ومثله النبيلة، وزودني مما يملكه من خبرة عالية في مجال مقارنة الأديان حتى خرجت الأطروحة في هذا الشكل، فجزاه الله عني خيراً ما يجزي به عبده الصالح.

وأخص من تفضل بمناقشة هذه الأطروحة من الأساتذة الأفاضل وتحملوا مشاق قراءته وإبداء ملاحظاتهم العلمية القيمة عليها، بالشكر العظيم والدعاء لهم بالثبوة والأجر.

وأشكر كذلك القائمين على هذا الصرح العلمي المبارك "كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة السلطان مولاي سليمان بني ملال" من إداريين، وأعضاء هيئة التدريس كافة لحسن رعايتهم إيانا وكریم تعاونهم معنا. وأخص بالذكر أستاذنا المبجل الدكتور/ عبد الرحمان العضاوي "مدير مركز دراسات الدكتوراه - تكوين: الحوار الديني والثقافي في الحضارة الإسلامية" الذي يرجع إليه الفضل بعد الله سبحانه في تسجيل هذه الأطروحة، واهتم بتقديم التوجيه والإرشادات من أجل الوصول إلى الغاية المقصودة من هذا العمل.

والشكر موجه كذلك للمملكة المغربية الشريفة، وللوكالة المغربية للتعاون الدولي على حسن الضيافة وكرم العناية، فالله نسأل أن يحفظ هذا البلد وسائر بلاد المسلمين إنه ولي ذلك وقادر عيله.

¹ سورة إبراهيم، الآية: 7.

² أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج 2 ص: 68، المكتب الإسلامي بيروت. وصححه الشيخ/ محمد ناصر الدين الألباني في إرواء الغليل ج 6 ص 60، ط 2، المكتب الإسلامي في بيروت.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى روح الغالية والطاهرة، روح والدي العزيز كارامون كورما رحمه الله تعالى، الله أسأل أن يغفر له ويرحمه ويدخله فسيح جناته

إلى والدتي العزيزة: فاطمة جاباطي، عمرها الله وبقاها بصحة والعافية

إلى عمي الكريم: لاي كورما، وعمتي الكريمة: ناربيوما كيتا

إلى زوجتي الكريمة: ماجيغي ندياي، وأولادي: محمد كورما وناربيوما كورما

إلى إخواني وأخواتي وأحبائي

إلى كل من يساهم للأمن والسلام والاستقرار بين الأديان في كل أنحاء العالم

وإلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل الموضع

والله المستعان.

كلمة شكر وتقدير

انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾¹ وعملاً بقول النبي عليه الصلاة والسلام: (من صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم كافأتموه).² فإني أشكر الله سبحانه وتعالى على ما أنعم به علي من نعمه الظاهرة والباطنة، أحمده يليق بجلاله على حسن توفيقه لي في الحياة، وأسأله المزيد والفوز في الدنيا والآخرة.

ثم أقدم بجزيل الشكر والاحترام لسعادة الأستاذ الدكتور/ عبد الناصر أوقسو، الذي أسعدني بالإشراف علي في إنجاز هذه الأطروحة وأفادني بعلمه الغزير، وهذبني بقيمه ومثله النبيلة، وزودني مما يملكه من خبرة عالية في مجال مقارنة الأديان حتى خرجت الأطروحة في هذا الشكل، فجزاه الله عني خير ما يجزي به عبده الصالح.

وأخص من تفضل بمناقشة هذه الأطروحة من الأساتذة الأفاضل وتحملوا مشاق قراءته وإبداء ملاحظاتهم العلمية القيمة عليها بالشكر العظيم والدعاء لهم بالمشوبة والأجر.

وأشكر كذلك القائمين على هذا الصرح العلمي المبارك "كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة السلطان مولاي سليمان بني ملال" من إداريين، وأعضاء هيئة التدريس كافة لحسن رعايتهم إيانا وكريم تعاونهم معنا. وأخص بالذكر أستاذنا المبجل الدكتور/ عبد الرحمان العضاوي "مدير مركز دراسات الدكتوراه - تكوين: الحوار الديني والثقافي في الحضارة الإسلامية" الذي يرجع إليه الفضل بعد الله سبحانه في تسجيل هذه الأطروحة، واهتم بتقديم التوجيه والإرشادات من أجل الوصول إلى الغاية المقصودة من هذا العمل.

والشكر موجه كذلك للمملكة المغربية الشريفة، وللوكالة المغربية للتعاون الدولي على حسن الضيافة وكرم العناية، فالله نسأل أن يحفظ هذا البلد وسائر بلاد المسلمين إنه ولي ذلك وقادر عيله.

¹ سورة إبراهيم، الآية: 7.

² أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج 2 ص: 68، المكتب الإسلامي بيروت. وصححه الشيخ/ محمد ناصر الدين الألباني في إرواء الغليل ج 6 ص 60، ط 2، المكتب الإسلامي في بيروت.

مقدمة:

باسمك اللهم أبدأ هذا العمل، وبحمدك والثناء عليك أتقدم بين يديك إلى ما تفتح لي من الصواب،
والصلاة والسلام على نبينا المصطفى وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

لقد عقدت العزم بعد الاستعانة بك والتكylan عليك أن أدون التاريخ الإسلامي والمسيحي لأفريقيا
جنوب الصحراء الكبرى وأعالج قضايا المسلمين والمسيحيين في بعض دول من خلال هذه
الصفحات؛ فيسر لي المضي فيه وذل لي كل الصعاب وأضي لي المسالك.

اللهم اجعل عملي هذا خالصا لجلال وجهك وعظيم سلطانك ونافعا لأمتك المسلمة، واكتب له
خاصة ولبقية بحوثي عامة من اسمك الأعظم الذي إذا سئلت به أجبت، وإذا دعيت به أعطيت،
فائدة الذكر والبقاء، واجعل له من حمدك معنى القبول والثناء، وألق عليه من أثر الحكمة بركة المنفعة
والنماء والخلود. أما بعد:

فلقد عمل الإسلام منذ اللحظة الأولى على خط منهج واضح تجاه مخالفه، مبناه الحوار والتعايش
والتسامح بسلام جنباً إلى جنب، فقد حض القرآن الكريم المسلمين الحوار والدعوة بالتي هي أحسن،
وتبيين الحقائق، ودحض الانحرافات والأخطاء التي يقع فيها المخالفون، يقول الله عز وجل: ﴿ادْعُ
إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ
ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾³. وهذا هو المبدأ الأسمى والمنهج الأقوم في التعامل مع
الآخر.

³ سورة النحل، الآية: 125.

ومن جهة أخرى دعا الإسلام أهل الكتاب بمد أيديهم إليه، كما فعل هو من أجل أن يسلكوا طريق الهداية والحق، وينكبوا طريق الغواية والشر، وذلك بالرجوع إلى كلمة موحدة ومتفق عليها بين الأديان السماوية، ألا وهي عبادة الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.⁴

وإذا كان هذا هو المنهج الإسلامي الواضح في التعامل مع الآخر، فإن المسلمين طبقوه في حياتهم العملية، فاستمروا في مقارعة أعدائهم بالحجة والبرهان، وموضحين الحائق، ومفندين للأخطاء والانحرافات في الأديان والعقائد، كما أن الإسلام كفل للمخالفين له الذين يعيشون في دولته، حقوقاً ثابتة ومستقرة أصطلح على تسميتها بحقوق أهل الذمة، وهي تكفل للذمي الحرية الدينية وتحفظ ماله وعرضه ودمه، وتدافع عنه متى تعرض لأي خطر انطلاقاً من الأخوة الإنسانية، فالإسلام دين الإنسانية جمعاء.

ولنا الفخر نحن المسلمون أن كنا وما زلنا وسنبقى رواداً وحملة لمشعل الحوار والتسامح والتعايش سواء في علاقتنا الداخلية - كإخوة متحابين - تجمعنا عقيدة واحدة وهوية مشتركة، أو في علاقاتنا مع الآخرين على اختلاف دياناتهم باعتبارنا أسرة بشرية واحدة، وتنحدر من أصل واحد آدم وحواء عليهما أفضل الصلاة والسلام ولهما رب واحد جل وعلا لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.⁵

وهناك الكثير من الشواهد التي تدل على أن الإسلام هو دين التعايش السلمي والتسامح بين الشعوب، وهو الذي يحث على حفظ كرامة الإنسان، وأن يكرم أبناء الإنسانية بعضهم بعضاً، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الناس بنو آدم وآدم من تراب".⁶

⁴ سورة آل عمران، الآية: 64.

⁵ سورة الحجرات، الآية: 13.

⁶ أخرجه أحمد 361/2، والترمذي 735/5، وهو حديث حسن.

وفي أصل الفطرة أن الشعوب ليس بينها عداوة، وأن فطرة الناس السوية التي خلقوا عليها لا تخلق المشاكل أو التباعد بين الشعوب، لأنها نداء الوجدان إلى المحبة، والراحة والسعادة التي لا تتم إلا بالتعايش والتسامح السلمي بين الشعوب، إنما تأتي العداوة من طغيان الهوى. قال تعالى: ﴿يَا دَاوُودَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾.⁷

أما إذا بقي الإنسان على الفطرة فهو يحب التعايش السلمي، والفطرة في أصلها خير: لذلك يقول الحق سبحانه: ﴿فَطَرَهُ اللَّهُ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمَ وَلَكِن أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.⁸

ويفسر الرسول عليه الصلاة والسلام هذه الفطرة بقوله: (كل مولود يولد على الفطرة)⁹، أي دين الإسلام الذي هو دين البشر كافة منذ أن خلق الله آدم عليه السلام حتى قيام الساعة.

ولهذا الحديث دلالة عظيمة، وحقيقة واقعة موجودة في أصل الإنسان، ألا وهي أن الإنسان إذا ترك لفطرته دون مؤثرات خارجية وثقافات تملأ عليه فإنه سيختار الطريق الذي يوصله إلى الله الذي خلقه وأوجده وأمره أن يعيش بسلام مع غيره من الناس دون فوارق أو تعديات، ولذلك علم النبي الكريم صلى الله عليه وسلم الأمة من هو المسلم الحق، ومن هو المؤمن بالله تعالى، فقال: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم).¹⁰ ويمكن الإشارة هنا أن التسامح لا يعني التنازل أو التساهل تجاه الغير، بل هو الاعتراف بالآخر والاحترام بالحقوق العالمية للشخص وبالحرية الأساسية للآخرين، وهو وحده الكفيل بتحقيق العيش المشترك بين الشعوب.

⁷ سورة ص، الآية: 26.

⁸ سورة الروم، الآية: 30.

⁹ أخرجه البخاري 1319، ومسلم 1926.

¹⁰ أخرجه البخاري 13/1، ومسلم 65/1، والترمذي 16/5.

لذلك فقد بات من المؤكد ما للتسامح والتعايش والحوار من دور كبير ومكان بارز بين الشعوب الإسلامية والمسيحية، حيث أصبح العالم ينادي في كل وقت بالتسامح والتعايش والحوار بين الأديان وبين الشعوب المختلفة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.¹¹

هذه المعاملة الطيبة التي كفلها الإسلام لكل المخالفين له وخاصة أصحاب الديانات السماوية من اليهود والنصارى، وذلك لقرهم من الإسلام واشتراكهم معه في الوحي، ومن هنا ركز عليهم، وأعطاهم عناية خاصة، فتسامح وتعايش وتجاوز معهم في المدينة و في أماكن أخرى، وكان الحظ الوافر من هذا التسامح والتعايش للمسيحيين بحكم قرب رسالتهم زمنيا من الإسلام وعلاقتهم الوثيقة والتميز مع الإسلام:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.¹²

فعرفوا تعايشا عميقا في كثير من البلدان ولعل السبب في ذلك يعود إلى روح الإسلام السمحة وتعاليمه الحقة، وتطبيق أتباعه المخلصة، وفي هذا الإطار لا نجد تعاملًا يرقى إلى تعامل الإسلام مع غيره عند اليهود أو النصارى، مع تأكيد كل الشرائع السماوية على ذلك.

وإن التعايش السلمي بين الإسلام وغيره من الديانات الأخرى لم تنشئه اجتهادات فقهية بل قرره نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية واستمد مشروعيتها منهما، وقد عرفه الإسلام قبل أربعة عشر قرنا من الزمان منذ نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم في عام 610 ميلادية.

¹¹ سورة الحج، الآية: 17.

¹² سورة المائدة، الآية: 82.

وخير دليل على ذلك قصة أهل الذمة قديما وتحديد طوائف غير المسلمين على أساس ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.¹³ وهذا ما يؤكد أن الأصل في الإسلام دائما وفي كل العهود أنه دين سلام في كل زمان ومكان لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾.¹⁴

ومن قول الرسول عليه السلام: (إن الله جعل السلام تحية لأمتنا وأمانا لأهل ذمتنا).¹⁵ وهذا هو ما يكشف عن الدعوة للمساواة . وأن الإسلام لا يعرف التفرقة بين الناس . وكذلك الإسلام لا ينهى عن التعاون مع كافة أهل الديانات الأخرى على البر والتقوى، واستخدام الحوار الحضاري طبقا للحقائق التي تقوم علي معرفة صحيح الدين الإسلامي في كثير من المسائل.

أهمية البحث وأهدافه:

وتتحلى أهمية هذا البحث في كونه موضوع الحوار والتعايش والتسامح بين الأديان ولا سيما بين المسلمين والمسيحيين في بعض دول أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، نظرا لما تعرفه هذه الدول منذ عقود خلت من صراعات دينية وعرقية وسياسية، باتت تفرض على الباحثين في الفكر ومقارنة الأديان القيام بدراسات علمية جادة وموضوعية لمعرفة أسباب هذه الصراعات، وطرح الحلول الهادفة للحد منها أو تقليل أثرها. كي تعيش هذه الدول في أمن وسلام، ويتحقق التعايش الديني بينها.

أما عن أهداف هذا البحث فتتلخص في هدف كلي، وهو السعي المعرفي لإبراز المنهج الإسلامي في معاملة المسلمين لغيرهم في كل مجالات الحياة، وفي الوقت ذاته تصحيح مفهوم خاطئة حول التسامح الدين والعلاقات السلمية بين المسلمين وغيرهم، كذلك إبراز مزايا الدين الإسلامي على سائر الديانات والنظم في ضمان الحياة الكريمة الآمنة المطمئنة للبشرية جمعاء، وكيف أن سيادة الإسلام هو السبيل للخلاص مما عليه المسلمون من تقهقر وفقدان العزة ومما عليه البشرية من شقاء وتعااسة.

¹³ سورة العنكبوت، الآية: 46.

¹⁴ سورة البقرة، الآية: 208.

¹⁵ فتح الباري - ابن حجر - ج 11 - الصفحة: 33.

إشكالية البحث:

يحاول هذا البحث أن يقدم إجابات عن بعض الأسئلة التي هي في صلب موضوع التسامح والتعايش والحوار بين المسلمين والمسيحيين، منها على سبيل المثال لا على الحصر:

- متى وصل كل من المسيحية والإسلام إلى أفريقيا (جنوب الصحراء الكبرى)؟
- ما هي أسباب انتشار المسيحية والإسلام في جنوب الصحراء الكبرى؟
- هل هناك ممالك مسيحية وإسلامية قامت في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى؟
- ما هي الصورة التي رسمها الإسلام حول الآخر "المسيحي"؟ ما هي أبعاد مبدأ الحوار والتسامح والتعايش الديني والحرية الدينية التي نادى بها الإسلام؟
- ماذا كان عليه التعايش في العهد الإسلامي والمسيحي؟
- ما هي أبهى صورة التعايش وتحليلاته وانعكاساته وأهم تأثيراته على الفرد والمجتمع؟
- كيف جرت في القرآن الكريم محاولة أتباع أديان أخرى، وفق أية منهجية تم ذلك؟
- كيف حاور القرآن المشركين والمنافقين؟
- ما هي خصائص الحوار مع أهل الكتاب، وما أهميته، وما هي مجمل القضايا التي شكلت موضوع ذلك الحوار؟
- ما هي أسباب وتحليلات وانعكاسات التعايش واللاعيش بين المسلمين والمسيحيين في بعض دول أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى.

هذه هي الإشكاليات التي سنحاول الإجابة عنها خلال هذا البحث.

دوافع البحث:

أولاً: دوافع الذاتية: هذا الموضوع من الموضوعات التي طالما فكرت في البحث فيها منذ قبلت في مختبر حوار الحضارات ومقارنة الأديان، وقد نويت أن تكون سلسلة حلقات من الدروس والمحاضرات بمرحلة الكلية، وهي المرحلة التي تزكي جذوة الحماس في نفوس الطلبة تحفيزاً لهم على المشاركة في حقل البحث العلمي وتشجيعاً لأعمالهم نحو المزيد من العطاء والنماء والإنتاج في رحاب الدراسات الإسلامية ولا سيما ما يتعلق بتاريخ الأديان منهجاً وأسلوباً، دراسة وتحليلاً، ونقداً وتعليقاً، وقد غمرتني الفرحة والسرور، حين أتيحت لي فرصة البحث فيه.

ثانياً: دوافع الموضوعية: هي مجموعة من الدوافع إجمالاً فيما يلي:

- محاولة بيان لكثير من المحاولات الخاطئة التي كانت هدفها تشويه صورة الإسلام والمسلمين ونعتهم بالتعصب والعنف والإرهاب.

- بيان حقيقة الدعوة التي أرسل الله بها الأنبياء والرسل، وهي الدعوة إلى توحيد الله ونبذ الشرك والدعوة إلى الأخوة والمحبة والإحسان وهذا ما جاءت به كل الأديان السماوية، وخصوصاً الإسلام، وهذا ما يتضح من خلال نصوصه الدينية.

- بيان حقيقة التسامح والتعايش وواقعتهما في الإسلام والمسيحية، وكذلك ليبين لنا مدى حاجة العالم اليوم إلى مثل هذا الموضوع في هذا الوقت بالذات الذي أصبح العالم فيه ينادي بالحوار والتسامح والتعايش من خلال وسائل الإعلام والمؤتمرات والندوات، في هذا الزمن الذي اتهم الدين بالإرهاب والعنف والتطرف في بعض المجتمعات.

- إبراز صورة ناصعة وواضحة للإسلام، ونظرتة المتميزة للتعايش.

- كون التسامح والتعايش أصلاً من أصول الأخلاق التي نادى بها كل الأديان السماوية وفي مقدمتها الإسلام والمسيحية التي جاءت بتعاليم ووصايا تدعو إلى المحبة والتسامح والتعايش مع

الآخرين في عدد كبير من نصوصها الدينية وكذلك من خلال بعض الكتب المتعلقة بالأخلاق في الإسلام والمسيحية.

- ارتباط الموضوع بمجال التخصص، وهو مقارنة الأديان.

الدراسات السابقة:

من الدراسات السابقة التي تناولت موضوع التعايش الدراسة التي أعدها أ. د/ مدثر عبد الرحيم بعنوان "الإسلام والتجانس الاجتماعي في إفريقيا"، ونشرتها مجلة دراسات إفريقية التي يصدرها مركز البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة إفريقيا العالمية العدد 1 عام 1985م، وهي دراسة جامعة، وملمة بكثير من القضايا والحقائق العلمية، أكدت نجاح الإسلام في تحقيق التعايش والتجانس في المجتمعات الإفريقية على الرغم من تباين سكانها.

وأشارت الدراسة . أيضا . إلى أن التجانس الاجتماعي بين المسلمين في إفريقيا يعد من أعظم إنجازات الحضارة الإسلامية في إفريقيا، وأن التزاوج الذي تم بين العرب والأفارقة في صدر الإسلام، كان له أثر كبير في تعزيز، وزيادة عمليات التعايش.

وأما الدراسة الثانية في موضوع التعايش هي الدراسة التي أعدها د/ المرتضى الزين أحمد بعنوان "التعايش بين المسلمين وغير المسلمين في إفريقيا من منظور شرعي" مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 9، 2009م. حاول في هذه الدراسة إيضاح مرجعية التعايش بين المسلمين وغير المسلمين، وإيضاح أن التعايش بالمنظور الشرعي عبادة من أجل العبادات، وأنه من أعظم أسباب تطوير المجتمعات، وتنميتها تنمية شاملة.

إلى جانب ذلك فقد حاول أيضا إبراز غايات التعايش، وثمراته، وأوضح صوره المشروعة والممنوعة، وبين أن فهم التعايش من منطلق العادات والتقاليد، أو من منطلق الثقافات الوافدة يقضي على كثير من أصول العقيدة، وحاول كذلك إيضاح خصائص التعايش، ومقوماته.

وأورد المؤلف في ختام دراسته بعض النتائج التي توصل إليها، وأشار لبعض التوصيات والمقترحات المتعلقة بقضية التعايش.

وأما الدراسة الثالثة في موضوع التعايش فهي الدراسة التي أعدها د/ عباس الجراري، وعنوانها: "مفهوم التعايش في الإسلام"، نشرتها مجلة الإسلام اليوم العدد 14 عام 1417هـ، وهي دراسة حاولت معالجة العديد من المسائل العلمية المهمة، وأشارت إلى أن التعايش قيمة كبرى في الإسلام، وأن الإسلام يدعو للتعايش والتقارب، ويدين التعصب، والغلو، والتطرف، والعنف، والإرهاب سواء مع الذات، أو مع الآخرين. وأن مظاهر التعايش والتسامح بين المسلمين وغير المسلمين كثيرة، وأن الإسلام ضمن لغير المسلمين حرية ممارسة عقائدهم، وعباداتهم، وأطلق على بعضهم أهل الكتاب، وهو إطلاق يتضمن اعتراف المسلمين بالكتب السماوية السابقة، وأنهم يؤمنون بالرسول الذين أرسلوا بها.

وأشارت الدراسة إلى أن الإسلام أتاح لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي الظروف المناسبة لحياتهم، وحافظ على جميع مكوناتهم الشخصية، وفي طليعتها المكون الديني، وأن العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين في السلم تقوم على أساس المعاملة بالمثل، والمحافظة على المصالح المشتركة، والتعاون من أجل استمرارها. وأن المسلمين استطاعوا التعايش مع مخالفيهم في الدين.

وأشارت الدراسة أيضا إلى أن التعايش والتسامح مع الآخرين لا يعني التفريط، والتحليل، والذوبان، والتنازل عن القيم، والمبادئ العقدية، التي قررتها الشريعة الإسلامية.

إلى جانب ذلك فقد عاجلت الدراسة بعض المسائل التي قد يساء فهمها، وقد يستدل بها على أن الإسلام يرفض التعايش مع الآخرين، ومن هذه القضايا دعوة الإسلام للجهاد في سبيل الله، وأشارت الدراسة إلى أن القواعد والضوابط والتشريعات المتعلقة بالجهاد في سبيل الله مثالية وإنسانية ودينية، وأن الجهاد شرع للحاجة إليه؛ لإزالة العقبات التي تقف أمام انتشار الإسلام، ولدفع الظلم لقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَانْتِهَامٍ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ سورة الحج الآية 39.

أما الدراسة الرابعة في نفس الموضوع فهي الدراسة التي أعدها الدكتور/ يوسف القرضاوي، وعنوانها: "غير المسلمين في المجتمع الإسلامي" نشرتها مكتبة وهبة بالقاهرة ط 1 1977م، أشارت الدراسة إلى حقوق أهل الذمة، وواجباتهم في المجتمع الإسلامي، و شرحت الأسس الفكرية لتسامح المسلمين مع غير المسلمين، وأوضحت أن غير المسلمين يسمون في المجتمع الإسلامي أهل الذمة، ومعنى الذمة العهد، والضمان، والأمان، وهي تسمية تدل على أن غير المسلمين يعيشون في

المجتمع المسلم آمنين مطمئنين، وأن الإسلام يوجب على الحاكم المسلم حماية أهل الذمة من الظلم الخارجي والداخلي.

وأشارت الدراسة إلى أن من حقوق غير المسلمين في المجتمع الإسلامي حق مزاوله ما يختارون من المهن الحرة، وما يريدون من ألوان النشاط الاقتصادي شأنهم في ذلك شأن المسلمين، و أن لهم حق تولي الوظائف إلا ما غلبت عليه الصبغة الدينية كالإمامة، ورئاسة الدولة، والقضاء بين المسلمين.

وأشارت الدراسة أيضا إلى أن المسلمين تسامحوا مع غير المسلمين تسامحا فريدا لم تعرفه الإنسانية، وهو ما اعترف به بعض المفكرين الغربيين الذين أشاروا إلى أن التسامح الذي وجده غير المسلمين في المجتمعات الإسلامية لا نظير له.

وأجاب الأستاذ الدكتور/ القرضاوي في دراسته عن بعض الشبهات المثارة حول تعامل المسلمين مع غير المسلمين، وأشار إلى أنها شبهات واهية، وأن الإسلام يرى من اضطهاد غير المسلمين، كما أجاب عن بعض النصوص التي فهمت على غير وجهها. ثم عقد بعض المقارنات بين واقع غير المسلمين في المجتمعات الإسلامية، وبين ما تعانيه الأقليات المسلمة قديما وحديثا في ظل بعض الحكومات النصرانية المتعصبة، أو الشيوعية الملحدة، أو الهندوسية المتزمتة، حيث أشار إلى أن المسلمين في هذه البلاد غالبا ما يعانون من الاضطهاد، وإهدار الحقوق، والتعذيب، والتنكيل.

وحذر الدكتور/ القرضاوي في نهاية دراسته من الذين يريدون استغلال فكرة التسامح لتميع الأديان، وإطفاء حرارة الإيمان في النفوس، مستخدمين في ذلك شعارات التسامح، والوطنية، والقومية.

دراسات أخرى في التعايش:

ومن الدراسات في موضوع التعايش أيضا . التي لم أطلع عليها . الدراسة

التي أعدها الأستاذ/ هاني المبارك بعنوان "الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب" ونشرت عام 1997م ضمن سلسلة هذا هو الإسلام.

ومنها دراسة بعنوان "التنوع والتعايش بحث في تأصيل الوحدة الاجتماعية والوطنية"،
أعدها الشيخ/ حسن موسى الصفار، ونشرتها دار التآخي للطباعة والنشر والتوزيع . بدمشق . ط 3
عام 2004م.

ومنها دراسة بعنوان "الحوار من أجل التعايش" أعدها: أ.د. عبد العزيز بن عثمان التويجري،
ط 1 عام 1998م دار الشروق القاهرة.

ومنها دراسة بعنوان "مفهوم التعايش وضروراته ومبادئه بين المسلمين وغيرهم" لدكتور
محمد الحسن البغا، عميد كلية الشريعة - جامعة دمشق.

لكن هذه الدراسات على كثرتها وتعدد موضوعاتها فإنها لم تغطي بشكل كبير جانب البحث في
(التعايش الديني بين المسلمين والمسيحيين في بعض دول أفريقيا)، إنه بقي هذا الجانب -
بحسب علمي واستقرائي - غير مكتمل نظريا، ولا مبحوث أكاديميا بدقة وموضوعية .. ومن هنا انبرى
هذا البحث ليسد خصاص هذا الجانب، ويقدم إضافة معرفية فيه.

منهج البحث:

وفقا لطبيعة هذا البحث آثرت اعتماد مناهج بحثية عديدة منها المنهج الاستقرائي والاستنباطي.

أما المنهج الأول: ففي جمع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في موضوع الدراسة، والقيام
بتصنيفها حسب موضوعات البحث وتقديم ما يناسب مع موضوع التسامح والتعايش والحوار،
وكذلك الشأن بالنسبة للمسيحية، عمدت إلى جمع النصوص التي لها علاقة بالموضوع وتصنيفها على
حسب موضوعات البحث.

وأما المنهج الثاني: ففي استنباط الضوابط والحدود والأخلاقيات والأحكام من النصوص الدينية
سواء تعلق الأمر بالإسلام أو بالمسيحية.

الصعوبات التي واجهتها في إعداد الأطروحة:

واجهتني بعض الصعوبات والمشاكل أثناء إنجاز هذا البحث، أهمها:

قلة المصادر التي تطرقت لهذا الموضوع المتعلق بالحوار والتعايش والتسامح بين المسلمين والمسيحيين في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى بشكل مباشر مما قادني إلى الاعتماد على مراجع أخرى لها علاقة غير مباشرة بموضوع التسامح والتعايش والحوار في المنطقة، كالكتب التي تتحدث عن الأخلاق وحقوق الإنسان، باعتبار التسامح جزء من حقوق الإنسان وغيرها، فحاولت الاستفادة من مثل هذه الكتب، كذلك واجهتني صعوبات قلة المراجع المتعلقة بالفصل الثالث، وخاصة ما يتعلق بأسباب وتحليلات وانعكاسات التعايش والالتعايش في بعض دول أفريقيا، مثل: غينيا والسنغال ومالي، وليبيريا وأفريقيا الوسطى، وأنغولا، وأرجو من الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت فهذا المجال إنه ولي ذلك وجدير به.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة هذا البحث تقسيمه إلى تمهيد ومقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

التمهيد: تناولت فيه تعريف المصطلحات الواردة في موضوع الأطروحة.

المقدمة: وخصصتها للتعريف بالموضوع وأهميته وأهدافه ودوافع اختياره وإشكاليته والمنهج المستعان بها و صعوباته وأخيرا الخطة المعتمدة في إنجازه.

الفصل الأول: وخصصته لدراسة الإسلام والمسلمين في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: في دراسة تاريخ دخول الإسلام إلى أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. وفيه مطلبان:
المطلب الأول: في دراسة دخول الإسلام إلى شرق أفريقيا: وفيه جانبين: **الجانب الأول:** في دراسة هجرة صحابة إلى الحبشة رضي الله عنهم. **الجانب الثاني:** في دراسة إسلام سيدنا النجاشي ملك الحبشة رضي الله عنه. **المطلب الثاني:** في دراسة انتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى.

وفيه مرحلتان: **المرحلة الأولى**: في دراسة انتشار الإسلام في شرق أفريقيا. **المرحلة الثانية**: في دراسة انتشار الإسلام في غرب أفريقيا.

المبحث الثاني: في تناول الممالك الإسلامية التي قامت في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. وفيه ثلاثة مطالب: **المطلب الأول**: تناول الممالك الإسلامية التي قامت في ساحل شرق أفريقيا. فيه ثلاثة ممالك: **الأولى**: مملكة شوا أو (شوة) Chawa الإسلامية 283 - 688 هـ / 896 - 1289 م. **الثانية**: مملكة أوفات Awfate الإسلامية 648 - 805 هـ / 1250 - 1402 م. **الثالثة**: مملكة كلوة Kalwat الإسلامية 365 - 902 هـ / 975 - 1499 م. **المطلب الثاني**: تناول الممالك الإسلامية التي قامت في وسط أفريقيا: فيه ثلاثة ممالك أيضا: **الأولى**: مملكة كانم أو برنو الإسلامية 183 - 1317 هـ / 800 - 1900 م. **الثانية**: مملكة البولالا أو (البلالة) Boullala الإسلامية 766 - 1318 هـ / 1365 - 1900 م. **الثالثة**: مملكة الهوسا Hawssa الإسلامية 750 - 1231 هـ / 1349 - 1816 م. **المطلب الثالث**: تناول الممالك الإسلامية التي قامت في غرب أفريقيا: وفيه ثلاثة ممالك كذلك: **الأولى**: مملكة غانا Ghana الإسلامية 468 - 599 هـ / 1076 - 1203 م. **الثانية**: مملكة مالي Mali الإسلامية 596 - 1315 هـ / 1200 - 1898 م. **الثالثة**: مملكة سنغاي Songaye أو "سنغاي" الإسلامية 776 - 999 هـ / 1375 - 1591 م.

المبحث الثالث: خصصته لدراسة بعض الشخصيات الإسلامية في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى:
فيه ثلاثة مطالب: **المطلب الأول:** في دراسة حول الشيخ عثمان دان فوديو الفولاني 1167-
1232هـ / 1754-1817م. **المطلب الثاني:** في دراسة عن الحاج عمر التكروري 1209-
1280هـ / 1795-1864م. **المطلب الثالث:** عبارة عن الإمام ساموري توري المانديغي 1250-
1317هـ / 1835-1900م.

المبحث الرابع: تناول أهم المراكز الإسلامية في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى: يتكون من مطلبين:
المطلب الأول: تناول بعض المراكز الإسلامية في ساحل شرق أفريقيا. فيه ثلاث مراكز: **المركز الأول:** مدينة مقديشو Mogadichou في جمهورية الصومال. **المركز الثاني:** مدينة زنجبار Zanzibar بجمهورية تنزانيا. **المركز الثالث:** جزيرة مدغشقر Madagascar وهي جمهورية مدغشقر الحالية. **المطلب الثاني:** تناول بعض المراكز الإسلامية في غرب أفريقيا: فيه ثلاث مراكز أيضا: **المركز الأول:** مدينة تمبكتو Toumbouktou في جمهورية مالي. **المركز الثاني:** مدينة جيني Djené بجمهورية مالي. **المركز الثالث:** مدينة أغاديس Agades بجمهورية النيجر.

الفصل الثاني: خصصته لدراسة المسيحية والمسيحيين في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى: وقسمناه إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول: في دراسة تاريخ المسيحية في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى: وفيه مطلبان: **المطلب الأول:** في دراسة تاريخ دخول المسيحية إلى ساحل شرق أفريقيا: وفيه جانبين: **الجانب الأول:** في دراسة دخول المسيحية إلى ساحل شرق أفريقيا. **والجانب الثاني:** في دراسة الممالك المسيحية التي قامت في شرق أفريقيا. وفيه ثلاثة ممالك: **الأولى:** مملكة مروى 270 Marwi ق م - 350 م. **الثانية:** مملكة مقرة 500 Makoura - 1420 م. **الثالثة:** مملكة علوة Alouwa 500 - 1500 م. **المطلب الثاني:** في دراسة دخول المسيحية إلى غرب أفريقيا: وفيه جانبين كذلك: **الجانب الأول:** الاستكشاف الأوروبي. **الجانب الثاني:** الاستعمار العسكري والتنصير في غرب أفريقيا.

المبحث الثاني: في دراسة المسلمون والحركة التنصيرية في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى: فيه مطلبان: **المطلب الأول:** دعوى النصارى تحول أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى إلى النصرانية. **والمطلب الثاني:** في دراسة مراكز التنصير وجمعياته في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى.

المبحث الثالث: تناول أهداف ووسائل التنصير وأسباب نجاحه وسبل مواجهته في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى: وفيه مطلبان: **المطلب الأول:** تناول أهداف ووسائل التنصير في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. وفيه جانبين: **الجانب الأول:** أهداف التنصير في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. **الجانب الثاني:** وسائل التنصير في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. **المطلب الثاني:** تناول أسباب نجاح التنصير وسبل مواجهته في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى: وفيه جانبين أيضا: **الجانب الأول:** أسباب نجاح التنصير في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. **والجانب الثاني:** سبل مواجهة التنصير في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى.

المبحث الرابع: تناول بعض المراكز المسيحية في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى: وفيه مطلبان:
المطلب الأول: بعض المراكز المسيحية في شرق أفريقيا: فيه ثلاثة مراكز: **المركز الأول:** مدينة دنقلا
العجوز. **المركز الثاني:** مدينة سوبا. **المركز الثالث:** جزيرة صاي. **المطلب الثاني:** تناول بعض
المراكز المسيحية في غرب أفريقيا: وفيه مركزان: **المركز الأول:** بعض أماكن في السنغال. **المركز**
الثاني: مدينة ياموسوكرو Yamoussoukro.

الفصل الثالث: خصصته لدراسة نماذج التعايش واللا تعايش بين المسلمين والمسيحيين والأسباب
والتحليلات والانعكاسات على الفرد والمجتمع في بعض دول أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى: وفيه
مبحثان:

المبحث الأول: في دراسة عن نماذج التعايش بين المسلمين والمسيحيين في بعض دول أفريقيا جنوب
الصحراء الكبرى: ينقسمناه إلى ثلاثة مطالب: **المطلب الأول:** في دراسة أسباب وتحليلات
وانعكاسات تعايش بين المسلمين والمسيحيين في غينيا. **المطلب الثاني:** في دراسة أسباب وتحليلات
وانعكاسات تعايش بين المسلمين والمسيحيين في السنغال. **المطلب الثالث:** في دراسة أسباب
وتحليلات وانعكاسات تعايش بين المسلمين والمسيحيين في مالي.

المبحث الثاني: في دراسة عن نماذج التعايش بين المسلمين والمسيحيين في بعض دول أفريقيا
جنوب الصحراء الكبرى: ينقسمناه إلى ثلاثة مطالب أيضا: **المطلب الأول:** في دراسة أسباب
وتحليلات وانعكاسات التعايش بين المسلمين والمسيحيين في ليبيريا. **المطلب الثاني:** في دراسة
أسباب وتحليلات وانعكاسات التعايش بين المسلمين والمسيحيين في أفريقيا الوسطى. **المطلب**
الثالث: في دراسة أسباب وتحليلات وانعكاسات التعايش بين المسلمين والمسيحيين في أنغولا.

أما الخاتمة: فقد سجلت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

الفصل التمهيدي: تعريف المصطلحات الواردة في العنوان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا، أما بعد:

فإن اختلاف الناس في أديانهم وعقائدهم سنة قدرها وقضاها رب العالمين، لحكمة عظيمة وغاية جليلة، وهي الابتلاء والاختيار، يقول تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} 17. والمراد بالاختلاف هنا: الاختلاف في الدين 18.

والعالم يعيش مرحلة من مراحل التاريخ البشري، استأسد فيها الجنون ليطال البشر والحيوان معا، إلا أن جنون البشر أشد غرابة، حيث بلغ الجنون بالإنسان أن جعل من نفسه الجزر والضحية في الوقت نفسه، فعمت الصراعات والخلافات، واختلت المعايير والموازنات، وظهر أثر ذلك على ذات الفرد الواحد، وعلى العلاقة بين الأفراد والجماعات والأحزاب والتيارات والطوائف والمذاهب والحضارات والدول.

فإن السبيل لتجاوز الكثير من هذه المشكلات، لن يكون قطعاً الإكراه والعنف والإرهاب، وإن كانت النفوس الضعيفة، والعقول الخاوية، تستعذب هذا النهج السيئ وتركن إليه.

لذلك كان وسيظل الحوار الهادئ الرصين، هو وسيل العقلاء في كل زمان ومكان، لتحرير النزاعات والصراعات، وتذليل الخلافات، مهما تعقدت وتشابكت خيوطها.

وإذا كان للحوار تلك الأهمية، فإن عقل المسلم يتحرك في دوائره وإطاراته المختلفة: الحوار السني والشيعي، حوار العلماني الإسلامي، حوار الأديان، حوار الحضارات ... لا يمكن أن يحالفه التوفيق ما لم يستلهم، أولا وقبل كل شيء، يجب أن يتعرف بالحوار، ويتذوق حقيقته، ويتفاعل وجدانيا معه، ويستلزم عمليا به.

17- هود، الآية: 118 - 119.

18 انظر : تفسير الجلالين، ص: 482.

فما مفهوم الحوار ؟ وهل هو مفارق أو مطابق لمفاهيم أخرى من بني عمومته كالجِدال والنقاش والمناظرة ؟. وما معنى التعايش ؟، وما هي المصطلحات المغايرة للتعايش ؟، وقبل أن نصل إلى مفهوم الحوار نعرّف أولاً بالقيم وتصنيفاته.

المبحث الأول: مفهوم القيم وتصنيفاته:

المطلب الأول: تعريف القيم في اللغة:

القيم: جمع قيمة. 19 "وأصل القيمة الواو، ومنه: قومت الشيء تقويماً، وأصله أنك تقيم هذا مكان ذلك". 20.

فأصلها قَوَمَ قال ابن فارس: "القاف والواو والمقيم صحيحان، يدل أحدهما على جماعة ناس - قوم وأقوام - وربما استعير في غيرهم، والآخر على انتصاب أو عزم - قام قياماً". 21.

جاء في القاموس المحيط: "القيمة بالكسر: واحدة القيم، وماله قيمة إذا لم يدم على الشيء، والقوام: العدل وما يعاش به، والقوام: نظام الأمر وعماده وملاكه". 22.

وقال الراغب في المفردات: "القيام والقوام: اسم لما يقوم به الشيء ويثبت كالعماد والسناد، لما يعتمد ويسند به". 23 كقوله تعالى: {وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا}. 24.

19 القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ج 3، ط 3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979م، ص: 215.

20 معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، ج 5، ط 2، 1392 هجري، ص: 165.

21 المرجع نفسه، ص: 165.

22 القاموس المحيط، الفيروز آبادي، المرجع السابق، ص: 215.

23 المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت، ص: 416.

24 سورة النساء، الآية: 5.

المطلب الثاني: تعريف القيم في الاصطلاح:

أصبح مفهوم القيمة يعد من المفاهيم التي يشوبها نوع من الغموض والخلط في استخدامها؛ وهذا نتيجة لأنها حظيت باهتمام كبير من الباحثين في تخصصات مختلفة، ولهذا اختلف الباحثون في وضع تعريف محدد لها ومرد ذلك الاختلاف يعزى إلى المنطلقات النظرية التخصصية لهم، فمنهم علماء الدين وعلماء الفلسفة وعلماء الاقتصاد الخ، فلكل منهم مفهومه الخاص الذي يتفق مع تخصصه.

✓ **القيم في الإسلام:** "جاء استعمال لفظ القيمة في الفكر الإسلامي في حدود مدلولاته في

اللغة، معبرا به عن قدر الشيء وأهميته، سواء في الماديات أو المعنويات، فقيمة الشيء: قدره،

وقيمة المتاع: ثمنه، ويقال: ما لفلان قيمة: أي ماله ثبات ودوام على الأمر".²⁵

ومن أمثلة استعمالها، قول الله تعالى: {وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ} ²⁶ أي الدين المستقيم.

✓ **القيم في الفلسفة:** "يطلق لفظ القيمة من الناحية الموضوعية على ما يتميز به الشيء من

صفات تجعله مستحقا للتقدير كثيرا أو قليلا، فإن كان مستحقا للتقدير بذاته، كانت قيمته

مطلقة، وإن كان مستحقا للتقدير من أجل غرض معين كانت قيمته إضافية".²⁷

✓ **القيم في الاقتصاد:** "معناها الاقتصادي هو الثمن، فنقول: هذا الشيء ثمنه كذا أو سعره

كذا فنعرف قيمته الاقتصادية".²⁸

25 مفهوم القيم والأخلاق في الإسلام، محمد الحسيني، مجلة مصر اوي، المصدر: شبكة السنة النبوية وعلومها، القاهرة، 2011، ص: 2.

26 سورة البينة، الآية: 5.

27 مفهوم القيم والأخلاق في الإسلام، المرجع السابق، ص: 2.

28 المرجع نفسه، ص: 3.

المطلب الثالث: تصنيف القيم:

للقيم أنواع عديدة، منها القيمة الدينية والنظرية و السياسية و الاقتصادية و الجمالية و الاجتماعية.

1- **القيم الدينية:** يعبر عن اهتمام الفرد و ميله إلى معرفة ما وراء العالم الظاهري فهو يرغب في معرفة أصله و مصيره و يرى أن هناك قوة تسيطر على العالم الذي يعيش فيه و يحاول أن يصل نفسه بهذه القوة، و يتميز الأشخاص الذين تسود عندهم هذه القيمة في طلب الرزق و السعي وراء الحياة الدنيا على اعتبار أن ذلك عمل ديني .. فالعمل بكل أنواعه المباحة يعتبر قيمة دينية يسعى الفرد للقيام به لرضا ربه و لرضا نفسه لحياة كريمة سعيدة.²⁹

2- **القيم النظرية:** هي عبارة عن أفكار و مبادئ فلسفية معرفية ليفهم الفرد ما حوله من القوانين التي تحكم هذه الأشياء بقصد معرفتها .. و في العادة الفلاسفة و المفكرين هم الذين يبحثون فيها .. كبحث الفرد حول ماهية الأرض و الكواكب و الشمس و الليل و النهار فيإيمانه بهذه القيم تعتبر نظرية.

3- **القيم السياسية:** حيث يعبر عن اهتمام الفرد و ميوله و نشاطه السياسي و العمل السياسي و حل مشكلات الجماهير .. و يتميز الأشخاص الذين تسود عندهم هذه القيمة بالقيادة في نواحي الحياة المختلفة، و يتصفون بقدرتهم على توجيه غيرهم .. مثل النواب في البرلمان و رؤساء الأحزاب السياسية.

4- **القيم الاقتصادية:** يعبر عنها الفرد و ميله إلى ما هو نافع و يتخذ من العالم المحيط به وسيلة للحصول على الثروة و زيادتها عن طريق الإنتاج و التسويق و الاستهلاك و استثمار الأموال

29 مفهوم القيم وتصنيفاته، المكتب التعاوني للدعوة وتوعية الجاليات بالربوة بمنطقة الرياض، الحلقة 3، 2014م، ص:

..يتميز الأشخاص الذين تسود عندهم هذه القيمة بنظرة عملية .. و يكونون عادة من

رجال المال و الأعمال.30

5- القيم الجمالية: ويعبر عنها اهتمام الفرد و ميله إلى ما هو جميل من ناحية الشكل و التوافق و التنسيق، و يتميز الأشخاص الذين تسود عندهم هذه القيمة بالفن و الابتكار و ذوق و الجمال و الإبداع الغني و نتائجه.

6- القيم الاجتماعية: ويعبر عنها اهتمام الفرد و ميله إلى غيره من الناس فهو يحبهم و يميل إلى مساعدتهم، و يجد في ذلك إشباعا له يتميز الأشخاص الذين تسود عندهم هذه القيمة بالعطف و الحنان و خدمة الغير.31

المطلب الرابع: أقسام القيم:

تنقسم القيم إلى قسمين: قيم الغايات، وقيم الوسائل:

1- قيم الغايات: هي القيم التي تطلب لذاتها، وهي قيم مطلقة لا تختلف باختلاف الزمان لا المكان ولا الأحوال، ومن أمثلتها: قيم الخير والجمال والحق، ونحمد الله أن ديننا الإسلامي يدعو إلى هذه القيم على أحسن صورة وأرفع نموذج.32

2- قيم الوسائل: هي التي تكون وسيلة لتحقيق قيمة أعلى منها، وهذه تكون نسبية وتتغير في الزمان والمكان وحسب الأحوال، ومن أمثلتها: المعرفة والصحة والثروة، فقد يسعى الإنسان لجمع المال لا لمجرد الجمع ولكن لأنه يريد اتخاذه وسيلة لهدف آخر.33

30 المرجع نفسه، ص: 3.

31 مفهوم القيم وتصنيفاته، ص: 3.

32 المرجع نفسه، ص: 4.

33 المرجع نفسه، ص: 4.

المبحث الثاني: مفهوم الحوار والمصطلحات ذات صلة به، كالجدال، النقاش، والمناظرة:

المطلب الأول: تعريف الحوار في اللغة:

كلمة الحوار كما جاءت في قواميس اللغة العربية ومفردات القرآن الكريم تعني: مراجعة الكلام، والمجابهة، والمجادلة في الحديث.

ورد في لسان العرب: "المحاورة: مراجعة الكلام والمنطق في المخاطبة".³⁴

وجاء في المعجم الوسيط: "حاوره ومحاوره وحوارا: أي جاء به وجادله"، وفي التنزيل العزيز: {قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ}.³⁵

وأورد الفيروز آبادي في قاموسه المحيط أن الحوار بفتح الحاء أو كسرهما يعني: "مراجعة النطق، وتجاوزوا: تراجعوا الكلام، والتجاوز هو التجاوب".³⁶

يتضح من استقراء المعنى اللغوي لكلمة "الحوار" في المعاجم اللغوية السالفة الذكر أنه يتمحور حول معنى: التجاوب والتبادل والمراجعة في الكلام.

وعملية التجاوب أو التبادل أو المراجعة في الكلام قد تكون بين شخصين وقد تكون بين جماعتين وقد تكون بين شخص وجماعة.

34 لسان العرب لابن منظور، ج 2 / طبعة جديدة، دار المعارف، بيروت، 2011، ص: 206 .

35 سورة الكهف، الآية: 37.

36 القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ج 2 / ط الرسالة، 2009، ص: 15.

المطلب الثاني: الحوار في الاصطلاح القرآني:

استعمل "الحوار" في القرآن الكريم في ثلاث آيات:

- {فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا} 37.
 - {قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا} 38.
 - {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} 39.
- ذهب ابن عاشور في تفسير الآية الأولى إلى القول: "والجملة -وهو يحاوره- حال ضمير "قال"، والمحاورة: مراجعة الكلام بين متكلمين" 40.
- وفي تفسير الآية الثانية قال: "حكي كلام صاحبه بفعل القول بدون عطف للدلالة على أنه واقع موقع المحاورة والمحاوبة" 41.
- وفي تفسير الآية الثالثة (سورة المجادلة): "والتحاور تفاعل من حار إذا أجاب، فالتحاور حصول الجواب بين جانبين فاقتضت مراجعة بين شخصين" 42.

37 سورة الكهف، الآية: 32.

38 سورة الكهف، الآية: 37.

39 سورة المجادلة، الآية، 1.

40 التحرير والتنوير لابن عاشور، ج 15، الدار التونسية للنشر، 2007م، ص: 319-320.

41 المرجع نفسه، ص: 321.

42 المرجع نفسه، ج 28 / ص: 9.

يتبين من خلال الآيات السالفة، أن الحوار في القرآن عبارة عن مجاوبة أو مراجعة في الكلام بين شخصين أو أكثر، إلا أننا إذا تأملنا المشاهد الحوارية في الآيات السالفة الذكر وجدنا خطاب المتحاورين فيها هادئا بصرف النظر عن التوافق أو الاختلاف في القناعة والتصور، فالآية الأولى من سورة المجادلة تضعنا أمام مشهدين اثنين:

المشهد الأول: شديد ومتوتر، عندما جاءت خولة بنت ثعلبة تجادل الرسول صلى الله عليه وسلم في زوجها، وهي غاضبة متوترة، على إثر الظهار الذي أقسم به زوجها - أوس بن الصامت - عليها.

المشهد الثاني: هادئ، وذلك عندما تحدث إليها الرسول صلى الله عليه وسلم، وهدأ من روعها، وسكن من غضبها، فتحول الجدل إلى حوار "والله يسمع تحاوركما" الآية، فالقارئ السياقية في الآية تدل على أن التحاور أو الحوار يكون في جو هادئ بعيدا عن أجواء الشدة والحدة والعنف.43

ملاحظة: يلاحظ أن المصطلح الحوار لا يطلق عليه هذه الكلمة إلا إذا كان بين طرفين أو أكثر، وقد يكون حوارا داخليا حول قضية داخلية تختلف الرؤى والتصور حولها، وقد يكون بين ديانيتين مختلفتين، ولا بد من موضوع محدد مطروح للتحاور، وكذا لا بد من آداب وضوابط يلتزم بها الطرفان، ويحاول كل طرف عرض ما عنده ومناقشة ما لدى خصومه، بقصد البحث عن الحق والحقيقة.

43 الحوار: مفهومه، شروطه، قواعده، ضوابطه، مقاصده، د/ إدريس وهناء، المطبعة: طوب بريس 22، زنقة كلكتة - المحيط - الرباط، 2008م، ص: 9.

المطلب الثالث: تعريف الجدل في اللغة:

في بيان الفرق بين الجدل والحوار في الطريقة والأسلوب، حيث ارتفاع الأصوات وحدتها في الأول، وهدوء الخطاب في الثاني، نقف عند مفهوم الجدل لغة واصطلاحاً.

- الجدل كما جاء في لسان العرب هو "اللد في الخصومة، ويقال جادلت الرجل فجدلته جدلاً أي غلبته، وجادله: أي خاصمه بمجادلة وجدالاً ... والاسم الجدل وهو شدة الخصومة، والمجادلة المناظرة والمخاصمة".⁴⁴

- وقال القرطبي: "والجدل في كلام العرب المبالغة في الخصومة، مشتق من الجدل وهو شدة الفتل، ويقال للصقر أيضاً جدل لشدة في الطير".⁴⁵

فالجدل في اللغة إذا يتمحور حول معنى: الشدة والقوة والغلبة والمخاصمة والمنازعة.

المطلب الرابع: الجدل في الاصطلاح القرآني:

أفضل نص يمكن أن نقف عنده لنبين مفهوم الجدل في الاصطلاح القرآني، والفرق بينه وبين الحوار هو قوله تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۖ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}⁴⁶

فنحن في هذه الآية: "أمام حقيقة وصفت أول الأمر بأنها جدال، ووصفت في الآخر بأنها حوار، وذلك هو الأمر الذي لا غرابة فيه، لقد جاءت المرأة تشكو زوجها، وجاءت منفعة من الظهار الذي أقسم به عليها ... لكن هذا الموقف قد تغير وهدأت نفسها قليلاً بالحديث مع النبي صلى الله عليه وسلم، واطمأنت إلى قوله، فتحول الجدل إلى حوار".⁴⁷

44 لسان العرب لابن منظور، باب الجيم، ج 1/ دار المعارف، 2011، ص: 420.

45 الجامع لأحكام القرآن، أبي بكر القرطبي، ج 9/ ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2006م، ص: 31.

46 سورة المجادلة، الآية: 1.

47 الحوار: مفهومه، شروطه، قواعده، ضوابطه، مقاصده، د/ إدريس وهنا، المرجع السابق، ص: 14.

فالجدال إذا في الآية وكما يدل عليه سياقها بوضوح لم يخرج عن معناه اللغوي وهو الشدة والخصومة.

أنواع الجدال:

الأول: الجدال الممدوح: من أنواع الجدال الجاز، الجدال لتثبيت الحق ودحض الشبهات كجدال النبي صلى الله عليه وسلم لقومه لبيان سبيل الحق وكشف ما عندهم من الشبهات، قال الله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} 48.

وهذا النوع من الجدال أحيانا يكون واجبا، وأحيانا يكون مستحبا، فيكون واجبا إذا أثرت الشبهات في وجه الإسلام، وقام بعض الناس بتزييف الحقائق لطمس معالم الإسلام، أو لتشويه صورته، فهنا تجب المجادلة لتبيين حقائق الإسلام، وكشف زيف خصومه، ومع ذلك فإن المجادلة والحال هكذا يجب أن تكون بالتي هي أحسن كما أمر ربنا تبارك وتعالى، فليس فيها شيء من السب والشتم والعنف، بل ليس فيها إلا إظهار الحق وتبينه للناس.

وقد يكون الجدال مستحبا لدعوة غير المسلمين للإسلام، وذلك ببيان ما هم عليه من سوء الديانة وفساد المعتقد، وتحريف ما بين أيديهم من الكتاب إذا كانوا من أهل كتاب، مع بيان دين الله تعالى وذلك أيضا لا يكون إلا بالتي هي أحسن كما أمر الله عز وجل، قال تعالى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} 49.

48 سورة النحل، الآية: 125.

49 سورة العنكبوت، الآية: 46.

الثاني: الجدل المذموم: هو ما لم يدعوه إليه الحق وإنما العصبية والغلبة، وقد أشار القرآن الكريم إليه في قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ} 50.

خلاصة: يتبين لنا خلال ما سبق أن الجدل هو التنازع الفكري اللفظي حول قضية من القضايا في أجواء من الشدة والخصومة، إما لإظهار الحق فيكون محموداً، أو لإظهار الباطل في صورة الحق فيكون مذموماً.

المطلب الخامس: تعريف النقاش أو المناقشة:

أصل المناقشة كما جاء في لسان العرب لابن منظور: "أي من نقش الشوكة إذا استخرجها من جسمه، والمناقشة كذلك الاستقصاء في الحساب حتى لا يترك منه شيئاً" 51.

أما النقاش فهو مصدر الفعل الرباعي ناقش: "وناقشه الحساب مناقشة ونقاشاً، استقصاه، وفي الحديث: (من نوقش الحساب هلك)، 52 أي من استقصي في محاسبته وحقق.

فالنقاش أو المناقشة إذا تعتمد على استخراج أخطاء الآخر وتعريفها وإحصائها عليه، فمفهومها بالتالي مفهوم خاص، والحوار أعم، بل إنها تتعارض مع مفهوم الحوار السليم والمحمود، الذي يعتني بإظهار الحق، كون القصد منها استخراج أخطاء الآخر، وتتبع عيوبه، والمحاسبة الشديدة له عليها.

50 سورة الحج، الآية: 8.

51 ينظر لسان العرب، لابن منظور، مادة نقش، ج 14 / 2011، ص: 338.

52 صحيح البخاري - ج 6 - ص: 167.

المطلب السادس: تعريف المناظرة:

المناظرة: هي وإن اشتركت مع الحوار السليم المحمود في تجرد القصد للوصول إلى الحقيقة والصواب، فإنها تختلف عنه في الأسلوب، كونها تركز على المقابلة والمواجهة والتضاد، ومنه في اللغة: " تناظرت الداران أي تقابلتا "53، فهي أقرب في أسلوبها إلى المجادلة منها إلى الحوار، وإن كانت تتميز عن الجدال في إظهار الحق ليس غير، بينما الجدال قد يقصد منه إظهار الباطل في صورة الحق، ولذلك قال عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني في كتابه "ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة": " المناظرة هي المحاورة بين فريقين حول موضوع لكل منهما وجهة نظر فيه تخالف وجهة نظر الفريق الآخر فهو يحاول إثبات وجهة نظره وإبطال وجهة نظر خصمه مع رغبته الصادقة بظهور الحق والاعتراف به لدى ظهوره"54.

ملاحظة: يتضح من خلال هذا التعريف، أن المناظرة تقوم على شروط أهمها:

- أ- وجود خصمين بينهما خلاف وتضاد.
 - ب- سعي كل منهما لإعلاء وجهة نظره بالحق ودحض وجهة نظر الآخر مستعينا بجميع الحجج والبراهين الممكنة، مع لطف ولين في الخطاب.
 - ت- الاستعداد لدى الطرفين للاعتراف بالحق عند ظهوره.
- فالحوار يتميز عن المناظرة في كونه لا يشترط التضاد والتقابل بين المتحاورين، وسعي كل منهما لإعلاء مقامه فوق مقام خصمه.

53 لسان العرب، لابن منظور، مادة نظر، ج 14 / 2011، ص: 292.

54 ضوابط المعرفة أصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن الميداني، ط 4، دار القلم دمشق، 1993 م، ص: 405.

المبحث الثالث: مفهوم التعايش والمصطلحات ذات صلة به، كالتسامح، التعارف، والتعاون:

إن التعايش بين الأديان، الذي هو في الوقت نفسه تعايش بين الثقافات والحضارات، يهدف إلى خدمة الأهداف السامية التي يسعى إليها الإنسان، وإن لم يكن كذلك ضاع المعنى الإيجابي منه، وصار إلى الدعاية والحاجة، أقرب منه إلى الصدق والتأثير في حياة الإنسان المعاصر.

وليس التعايش بين الأديان هو تعايش على مبدأ الدين فقط؛ بل هو تعايش ثقافي، وحضاري، كما أنه يسعى إلى خدمة الأهداف، والأمور السامية التي يهدف إليها الإنسان، كما إن للتعايش بين الأديان عدة مبادئ لا يمكن التفريط بها مثل: الاتفاق على استبعاد كل كلمة تمس عظمة الله، إضافة إلى أنه لا يسمح بتلقيب الله أو السخرية منه سبحانه وتعالى، ومن مبادئ التعايش أيضا: التفاهم بين جميع الاتجاهات الدينية والتي يربطها تعايش حول المفاهيم، والغايات، والتعاون المشترك في العمل؛ من أجل تحقيق الأهداف المنصوص عليها، وكذلك المحافظة على التعايش عن طريق الاحترام المتبادل، والثقة المتبادلة.

المطلب الأول: تعريف التعايش Coexistence في اللغة:

التعايش: "بفتح الياء" فعل رباعي مشتق من الفعل عاش ينصرف معناه إلى فعل الاجتماع بين اثنين أو أكثر بألفة ومودة كقولك: تعايش زميلان، تعايشت كائنات حية، تعايشت الرأسمالية والشيوعية. أما تعايش "بضم الياء" فيشير إلى تبادل أسباب الحياة والعيش بمودة وألفة بين الأفراد والجماعات المختلفة ومنها الدول، فضلا عن الأفكار والأيدولوجيات سواء أكان مصدرها إلهي أم وضعي. 55.

55 المنجد في اللغة العربية المعاصرة، أنطوان نعمة وآخرون، ط3، دار المشرق، بيروت، 2000 م، ص: 1039.

إن المعنى اللغوي للتعايش يجعل من المفردة مبدأً أساسياً يقوم عليه التواجد السلمي المشترك للأفراد والجماعات بما تحمله من اختلافات حضارية وثقافية وقومية، سواء على مستوى الدولة الواحدة أم على مستوى الوجود الإنساني في هذا الكوكب، والبديل المغاير للتعايش هو الصراع الصفري "بقاء الذات يتوقف على زوال الآخر"، الفردي والجماعي بكل ما ينطوي عليه من تعصب، واستعلاء، واستبداد، وضيق أفق، واحتراب أهلي، وما ينتج عنها من انقسام حاد، وفوضى، وألم، وكراهية متبادلة بين البشر.

المطلب الثاني: تعريف التعايش في الاصطلاح:

يعد التعايش من المصطلحات الحديثة التي انشغلت بها العلوم الدينية والسياسية والاجتماعية، ولم يحض باهتمام ملحوظ إلا في الفترة الأخيرة، لاسيما في عالمنا العربي والإسلامي. لذا عند تعريف المصطلح ستواجه الباحث مشكلة لقلة الكتابات المنشورة باللغة العربية، ومنها:

تعريف سبينجيمان الذي يقول: "إن التعايش يمثل نموذجاً لاستئناف حياة منتجة آمنة، ونظاماً اجتماعياً يمكن للأفراد الذين انخرطوا في أعمال عدائية سابقة ضد بعضهم البعض أن يعيشوا ويعملوا معا دون أن يدمر أحدهم الآخر".⁵⁶

56 ثمن الحرية الخفي: تأطير عراقيل التعايش الاقتصادي، سفين م. سبينجيمان، بحث منشور في كتاب تخيل التعايش معا، تحرير أنطونيا تشايز ومارثا ميناو، ترجمة فؤاد السروجي، ط 3، دار الأهلوية للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2006، ص 38.

كما يعرف التعايش: "بأنه مصطلح عريض يستخدم لوصف فكرة عامة واحدة ولكن على درجات مختلفة من الحدة، تستهدف إيجاد مجتمعات متكاملة تماما يعيش فيها الناس من مختلف الأعراق، والأجناس، والأديان منسجمين مع بعضهم البعض دون أن يقتل أحدهم الآخر، ودون أن ينفرد عقد التعايش داخل هذه المجتمعات بفعل العنف المتبادل".⁵⁷

وهناك من يعرف التعايش بأنه: "نوع من التعاون والتعارف في المشترك الحضاري والإنساني، وتبادل الخبرات التي تعين الإنسان على عمارة الأرض، ونشر قيم الخير التي يتفق الناس على الاعتراف بها، ولا يعني العمل بمبدأ التعايش تخلي أي طرف عن رأيه الشخصي أو عن عقيدته ودينه ...، فالرأي الذاتي هو جزء من شخصية المرء، ولا يملك أحد أن يطالب الآخرين بتغييره أو مخالفته، إلا أنه يبقى في النهاية مجرد رأي شخصي، والمطلوب هو التخلي عن التعصب المحتقن، والانفعال الجاري في غير قناته، وإحلال الحوار والدعوة بالتي هي أحسن محله، فالتعايش ترك التعصب للرأي والإكراه عليه، لا ترك الرأي نفسه أو المساومة عليه".⁵⁸

مما سبق نجد أن التعايش يمثل نموذجاً لاستئناف حياة منتجة، وأن التعايش يستهدف إيجاد مجتمعات متكاملة تماماً يعيش فيها الناس من مختلف الأعراق والأجناس داخل هذه المجتمعات لتحقيق الاحترام المتبادل، وللتعاون والتعارف.

57 بناء التعايش: مسح لمشاريع التعايش في مناطق النزاعات العرقية، أنيله أفضالي ولورا كوليتون، بحث منشور في كتاب تخيل التعايش معاً، تحرير أنطونيا تشايز ومارثا ميناو، ترجمة فؤاد السروجي، ط3، دار الأهلية للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2006 م، ص29.

58 مفهوم التعايش بين المسلمين وغير المسلمين، سلمان العودة، مقال منشور في الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت) على الموقع الإلكتروني: www.al3nabi.com.

المطلب الثالث: تعريف التسامح **Tolérance** في اللغة:

تدور مادة التسامح في اللغة العربية حول معنيين أساسيين:

1- التسامح بمعنى الجود و الكرم: يقول ابن منظور: "سمح السماح، والمسامحة، والتسميح وتعني

لغة: الجود، وأسمح إذا جاد وأعطى بكرم وسخاء. والمساميح جمع مسماح وهو الكثير السماحة " 59.

وفي مختار الصحاح: "سمح له أعطاه، وسمح من باب ظروف صار سمحا بسكون الميم، وقوم سمحاء،

وامرأة سمحة ونسوة سماح" 60.

والمعروف في هذا الفعل "سمح" أنه ككرم، ومعناه: "صار من أهل السماحة، ورجل سمح وامرأة

سمحة من رجال ونساء سماحا" 61.

خلاصة: فيما سبق يتبين لنا أن مفهوم التسامح لا يخلو من السماحة، الجود، الإعطاء، والكرم.

59 - لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، ط 1، ج 2، دار صادر بيروت، ص: 489.

60 - مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار الفكر بيروت، 1986م، ص: 312.

61 - لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، المرجع السابق، ص: 489.

2 - التسامح بمعنى التساهل:

يقول ابن فارس: "السين والميم والحاء أصل يدل على سلاسة وسهولة".⁶²

وفي الحديث: (أحب الدين إلى الله الحنفية السمحة).⁶³

والمسامحة: المساهلة وفي الحديث: "السماح رباح" أي المساهلة في الأشياء تريح صاحبها، وسئل

بن عباس رضي الله عنه عن رجل شرب لبنا مخضاً أيتوضأ؟ قال: "اسمح يسمع لك".⁶⁴ ومعناه:

"سهل يسهل عليك ولك، وقولهم الحنفية السمحة، أي: ليس فيها ضيق ولا شدة".⁶⁵

جاء في كتاب: "سؤال التسامح": "إن معاني التسامح اللغوية تدور حول العفو، والصفح، والتعاون،

والتشاور، والتآزر، والتراحم، والمغفرة".⁶⁶

فالجزر اللغوي للفظ التسامح المستخدمة كما يتضح في المعاجم اللغوية لا يحيل على المعاني

الحديثة للتسامح، ما دامت تعني مجرد الكرم والسخاء والجود والمساهلة، والتسامح في دلالاته هذه لا

ينطلق من مبدأ المساواة الذي يعتبر شرطاً في الدلالة الحديثة للتسامح.

62 - مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ، تحقيق عبد السلام محمد ، ط 1 ، ج 3 ، 1387 هجري، ص: 99.

61- صحيح البخاري، إسماعيل البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، دار ابن كثير دمشق سوريا ، 1414 ، ط 5، ج 1، رقم 38.

64 - النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن الأثير الجزري، ج 2 ، دون النشر، ص: 99.

65 - لسان العرب، ابن منظور، المرجع السابق، ص: 489.

64- سؤال التسامح ، نظام عساف، مركز عمان لدراسات حقوق الإنسان، مطبعة الشعب، اريد، الأردن، 2002م، ص: 19، دون طبعة.

وفي ضوء كل هذه المعاني، يغدو التسامح نوعاً من الكرم والتفضل والجود، وليس حقاً يستحقه الآخر وإنما هو مجرد سخاء من موقع استعلائي، لا مساواة فيه بين المتكرم والمتكرم عليه، إذ التسامح متفوق دائماً، أما التسامح معه ففي مستوى أدنى، ولهذا نجد بأن العديد من المفكرين يرون بأن اللغة العربية لا تنطوي على مفهوم واضح للتسامح بالمعنى المعاصر للكلمة، وإنما تقتصر المعاجم العربية في تعريفها للتسامح على معنيين: التفضل والكرم أو الجود.⁶⁷

وهذا بخلاف ما نجده في المعاجم الغربية والتي توسعت في تعريفها لمصطلح التسامح:

ففي المعجم الفرنسي: "لاروس" نجد أن التسامح "Tolérance": "يعني احترام حرية الآخر وطرق تفكيره وسلوكه، وآرائه السياسية والدينية".⁶⁸

وجاء في المعجم الانجليزي: أن مفهوم التسامح "Tolerance": "يعني قبول واحترام آراء الآخرين وسلوكهم بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية، وهو يتعارض مع مفهوم التسلط والقهر والعنف".⁶⁹

65- التسامح في الإسلام والمسيحية ، بوشرة البصري ، المرجع السابق ، ص: 8.

68- Grand Larousse Lexique de sciences sociales, Madlein Griwitz Dalloz, Paris, 1983, P : 10.

69 -Oxford. Word power. Oxford University Press 2006, database right .

خلاصة للتعريف اللغوي: يتضح لنا في هذه المعاني اللغويات، أن التسامح نوع من الكرم والجود والمساهلة، وليس حقا يستحقه الآخر، وإنما هو مجرد سخاء من موقع استعلائي، والتسامح في دلالته هذه لا ينطلق من مبدأ المساواة الذي يعتبر شرطا في الدلالة الحديثة للتسامح التي هي المساواة بين الطرفين.

المطلب الرابع: التسامح في الاصطلاح:

يعد مصطلح التسامح من المصطلحات المتداولة اليوم، والتي تحتاج إلى تحديد دقيق لمعانيها ومدا ليلها وذلك لأن استخدام هذا المصطلح دون ضبط المعنى الحقيقي له يساهم في تشويه هذا المصطلح على مستوى المضمون، كما أنه يجعله عرضة للتوظيف المتعسف؛ لذلك فإن تحديد معنى المصطلحات والمفردات المتداولة اليوم يساهم في خلق الوعي الاجتماعي السليم، ولذلك فإن إصرار مختلف المواقع على استخدام هذا المصطلح دليل على غياب مضمونه.

ولقد انطلق العلماء في تعريف التسامح منطلقات شتى تبعا لمذاهبهم الفكرية على النحو التالي:

قال صاحب كتاب: "تهافت التهافت": "هو احترام الحق في الاختلاف، وأن يجهد النفس في الطلب الحجج في الخصومة كما يجهد نفسه في طلب الحجج لمذهبه وأيضا موقف فكري وعملي قوامه تقبل المواقف الفكرية والعملية التي تصدر من الغير، سواء كانت موافقة أو مخالفة لموقفنا". 70 أي: هو احترام الموقف المخالف، سواء كان ذلك الغير مشاركا لنا في الملة أو غير مشارك.

70 - تهافت التهافت ، محمد بن أحمد بن رشد ، تحقيق سلمان دنيا، دار المعارف القاهرة ، ط 3، 1980م ، ص: 329.

يقول الجرجاني: التسامح: "هو استعمال اللفظ في غير الحقيقة بلا قصد علاقته المعنوية، ويعني

التساهل في العبارة أي أداء اللفظ بحيث لا يدل على المراد دلالة صريحة". 71.

ويقول محمد أركون: "أن التسامح ليس فضيلة أساسية تمليها التعاليم الدينية والفلسفية العظيمة،

ولكنه بالأحرى يمثل استجابة للمتطلبات الاجتماعية، والسياسية في أوقات الاضطرابات الإيديولوجية

الكبيرة". 72.

الخلاصة: من خلال ما سبق يتبين لنا أن التسامح كلفظ لغوي ومصطلح علمي، ورد في كثير من

النصوص الإسلامية وغيرها مع مفردات مقارنة له مثل: الرفق والرحمة والعفو...، وهذا المصطلح يقود

إلى السماحة التي هي أعلى مرتبة، وأرقى لفظ، حيث جاء في الحديث: (بعثت بالحنفية

السمحة)، 73 لأن الإسلام سمح في تعامله، سمح في مبادئه، سمح في أخلاقه، وهكذا اقتبست

الديانات الأخرى من الإسلام، حيث جاء في الحديث الشريف: (رحم الله رجلا سمحا إذا باع،

وسمحا إذا اشترى، وسمحا إذا اقتضى). 74.

71- كتاب التعريفات ، علي بن محمد الجرجاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط 1، 1983م، ص: 15.

72 - الإسلام واختلاف النماذج، محمد أركون، رسالة اليونسكو، يونيو، 1992م، ص: 30.

73- رواه الإمام أحمد، برقم 22345، ج 5، ص: 266، قال الألباني: حديث حسن لغيره في السلسلة الصحيحة، قال شعيب الأرنؤوط: سنده حسن، وحديث قوي، وجاء بلفظ: ولكنني بعثت بالحنفية السمحة، وباللفظ: إني أرسلت بحنفية سمحة، أخرجه الطبراني في المعجم الكبرى، برقم 7715.

74 - أخرجه البخاري، كتاب البيع، باب: السهولة والسماحة في البيع والشراء، برقم 2087، ج 1، ص: 108.

المطلب الخامس: تعريف التعارف في اللغة:

لقد خلق الله الإنسان من أب واحد وأم واحدة، وقدر أن تختلف ألوانهم ولغاتهم ومعتقداتهم، ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة ولكن شاء أن يختلفوا، فهل أوجد الله تعالى هذا الاختلاف لأجل التصارع والتقاطع، أم جعله للتعارف والتواصل؟

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} 75.

فمصدر تعارف القوم أي عرف بعضهم بعضا، وهو من مادة "ع ر ف" التي تدل على السكون والطمأنينة، يقول ابن فارس: "العين والراء والفاء أصلان صحيحان يدل أحدهما على تتابع الشيء متصلا بعضه ببعض، والآخر على السكون والطمأنينة .. ومن هذه المعرفة والعرفان تقول: عرف فلان فلانا عرفانا ومعرفة، وهذا أمر معروف، وهذا يدل على ما قلناه من سكونه إليه؛ لأن من أنكر شيئا توحش منه ونبا عنه" 76.

وفي لسان العرب: "العرفان العلم، عرفه يعرفه عرفة وعرفانا ومعرفة، وتعارف القوم عرف بعضهم بعضا" 77.

75 سورة الحجرات، الآية: 13.

76 مقاييس اللغة لأحمد بن فارس، المرجع السابق، ص: 281.

77 لسان العرب لابن منظور، المرجع السابق، ص: 236.

المطلب السادس: التعارف في الاصطلاح:

هو أن يعرف الناس بعضهم بعضا بحسب انتسابهم جميعا إلى أب واحد أو أم واحدة ثم بحسب الدين والشعوب والقبائل، بحيث يكون ذلك مدعاة للشفقة والألفة والوئام لا إلى التنافر والعصبية.⁷⁸

المطلب السابع: تعريف الصفح في اللغة:

الصفح: يأتي بمعنى العفو والكرم، يقول ابن منظور: "صفح صفحا يعني أعرض عن ذنبه وهو صفوح أي عفو والصفوح والكرم لأنه يفصح عمن جني عليه".⁷⁹

المطلب الثامن: الصفح في الاصطلاح: "هو عدم مواجهة المذنب بذنبه وعدم لومه وتثريبه عليه وهو أبلغ من العفو".⁸⁰

المبحث الرابع: المصطلحات المغايرة للتعایش كالتعصب، والغلو، والعنف، والإرهاب:

إن الحديث عن المصطلحات المغايرة يعني: المصطلحات التي تؤدي معنى مضاد للتعایش، وإذا كنا قد ذكرنا أن المصطلحات المقاربة جاءت لتوافق معنى التعایش؛ فإن المصطلحات المغايرة تأتي لتدل على معنى لا يتناسب مع لفظ التعایش، و من أهم هذه المصطلحات ما تأتي: التعصب، العنف، الغلو، والإرهاب.

78 موسوعة الأخلاق الإسلامية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net ، 2005م، ص: 5.

79 لسان العرب، ابن منظور، ج 2، مادة "صفح"، المرجع السابق، ص: 58.

80 التعريفات، الشريف الجرجاني، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م، ص: 42.

المطلب الأول: تعريف التعصب:

التعصب: "مأخوذ من عصب، ويتفرع منها معاني كثيرة، فيقال: عصبه أي جماعة من الرجال وسميت

عصبه لأنها عصبت أي: ربطت بعضها، وعصبت رأسه بالعصا والسيف تعصيباً".⁸¹

وقد تكلم صاحب كتاب "أخلاقنا الاجتماعية" حول التعصب، وبين أن منه المحمود والمذموم، فقال:

"من حق الفرد أن يدافع عن حياته، ويتعصب لهذا الحق، ومن أراد العدوان على حياتك، فدفعته

بكل ما تملك من وسيلة كنت معذورا في نظر الشريعة والقانون، ولا يفكر بأن يعيبك على ذلك و

أن ينعتك بالتعصب إلا رجل مخبول لا عقل له، وقل مثل ذلك في الحق والحرية والعمل والكسب،

وهكذا يكون تعصب الإنسان لحقوقه الأساسية، ودفاعه عنها فضيلة يحمده عليها، وتسامحه فيها

نقيصة يذمه عليها، ويلام من أجلها، وكذلك حقوق الجماعة كحق الكرامة، والسعادة فهي حقوق

مقدسة، لذلك فتعصب الفرد لحقوقه الضرورية وتعصبه لحقوق أمته وبلاده خلق كريم، يعود على

المجتمع بالخير وتفريطه بذلك وتسامحه فيه خلق ذميم ينشأ عنه كل فوضى في المجتمع، والمثال عليه:

موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه من مانعي الزكاة".⁸²

81 معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة "عصب" ج 4، مرجع سابق، ص: 336.

82 التسامح بين القرآن والعهد الجديد، عبد الله محمد أحمد رابعة، جامعة آل البيت، كلية الدراسات الفقهية والقانونية، قسم أصول الدين، عام 2006م، ص: 70.

أما التعصب الذميمة: فهو أن تضطهد مخالفيك في العقيدة، وتحقد عليهم وتسيء معاملتهم، وتبذل أموالهم، وتهين كرامتهم، فهذا هو سبيل الشقاء والخراب في الحياة، وهذا ما نهى عنه كل دين وحق، وهذا هو ما جاء الإسلام للقضاء عليه، قال تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} 83. هذا هو الخلق الذي يكشف عن سماحة الدين ويسره.

المطلب الثاني تعريف الغلو في اللغة:

الغلو لغة: يقال: "غال في الأمر غلوا، أي: جاوز الحد، أو مجاوزة حد الاعتدال أو عدم التوسط". 84. وفي لسان العرب: "غلا في الدين و الأمر يغلو غلوا: جاوز حده، والغلو في الدين: التشدد فيه ومجاوزة الحد، والغالي إنما اشتقت من الغلو الذي هو التجاوز لقدر ما يجب، ويقال: غلوت بالسهم غلوا إذا رميت به أبعد مما تقدر عليه". 85.

83 سورة الممتحنة، الآية: 8.

84 المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ط 2، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1982، ص: 555.

85 لسان العرب، ابن منظور، ج 10، مادة " غلا " ص: 112.

المطلب الثالث: تعريف الغلو في الاصطلاح:

وأما الغلو في الاصطلاح: "تجاوز الحد الشرعي المشروع في المعتقد والسلوك"، ومن ذلك قوله تعالى:

{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} 86.

وجاء في تفسير هذه الآية الكريمة ما يلي: أي: "يا معشر اليهود والنصارى لا تتجاوزوا الحد في دينكم

وتفرطوا كما أفرط أسلافكم فتفرقوا عن عيسى عليه السلام، أنه إله أو ابن إله، قال القرطبي: غلو

اليهود قولهم في عيسى إنه ليس ولد راشدة - أي هو ابن زنى - وغلو النصارى قولهم إنه إله". 87.

ويأتي من الغلو التطرف والتنطع عن الوسطية التي تميز هذا الدين، وعن السماحة التي وصفت بها

هذه الملة الحنيفة، وعن اليسر التي اتسمت بها التكاليف في هذه الشريعة، إنه الغلو الذي هلك به من

كان قبلنا، ممن غلا في العقيدة وغلا في العبادة، وغلا في السلوك.

جاء في الحديث: (إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من قبلكم الغلو في الدين). 88.

86 سورة المائدة، الآية: 77.

87 صفوة التفاسير، محمد بن علي الصابوني، ط 1، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1997م، ص: 331.

88 أخرجه النسائي في المناسك، باب التقاط الحصى، وابن حبان عن ابن عباس كما في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم 2680.

المطلب الرابع: تعريف العنف:

العنف: "مفهوم سلبي ومرفوض في الأديان، ومرفوض في القيم الإنسانية، وفي الحضارات الراقية، ذلك أن العنف بما هو استعمال سلبي للقوة يحولها من طاقة ضرورية للإنسان، لبناء ذاته وبناء حضارته، إلى طاقة تدمير".⁸⁹

وأول حالة عنف حصلت في تاريخ البشرية، كما يسجلها القرآن الكريم، أدت إلى إزهاق الروح المقدسة، التي هي من روح الله، هي قتل قابيل، أحد أبناء آدم عليه السلام، لأخيه هابيل، وقد سجل القرآن هذا الحدث وبسطه في عدة مقاطع متكررة ليبين أهمية ومركزيته في فهم ظاهرة العنف ونشئها في التاريخ الإنساني من منظور الإسلام، وركز القرآن الكريم على وصف حالة قابيل المتردية نفسيا وروحيا بعد أن لجأ إلى استعمال العنف، أي إلى الأداء السلبي للقوة والانحراف بها، كما نزل القرآن الكريم لكي يربط ويعلل، فقال تعالى: {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا} ⁹⁰.

89 الديانات السماوية وموقفها من العنف، محمد سبيلا، منشورات الزمن، ط 2، الرباط، 2011م، ص: 54.

90 سورة المائدة، الآية: 32.

والقرآن الكريم في هذا السياق يتكلم دائماً عن العنف المستعمل بطريقة سلبية ويدينه إدانة شديدة، ويتكلم عن مآلاته الرعناء في ذروتها وهي إزهاق الأرواح، أو إلحاق الأذى بالناس أو فساد الطبيعة " إحراق الحرث والنسل "91.

المطلب الخامس: تعريف الإرهاب في اللغة:

"المعاجم العربية القديمة لم تذكر كلمة إرهاب،⁹² ولكنها عرفت الفعل "رهب - يرهب - رهبة ورهبا، أي خاف، ورهبة ورهبا أخافه"، والرهبة هي الخوف والفرع"⁹³.

- **الإرهاب:** هو مصدر من أرهب: "يعني الأخذ بالسف والتهديد، والإرهابي: هو من يلجأ إلى العنف لإقامة سلطة - والحكم الإرهابي نوع من الحكم يقوم على الإرهاب والعنف، تعتمد إليه حكومات وجماعات ثورية لتحقيق أهداف سياسية، فالإرهاب إذن هو استخدام العنف - غير القانوني - أو التهديد به لتحقيق أهداف سياسية سواء من الحكومة أو الأفراد أو الجماعات الثورية والمعارضة"⁹⁴.

91 الديانات السماوية وموقفها من العنف، محمد سبيلا، المرجع السابق، ص: 55.

92 لسان العرب المحيط، المجلد الثاني، يوسف الخياط، دار الجبل، بيروت، 1998، ص: 1237.

93 المعجم الكافي عربي، محمد الباشاء، ط 2، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت - لبنان، 1992م، ص: 67.

94 موسوعة السياسة، عبد الوهاب الكيالي، ط 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1925م، ص: 153.

- "وفي المعاجم المترجمة إلى الإنجليزية والفرنسية، ورد لفظ الإرهاب بما يفيد أنه وسيلة لنشر

الذعر والتخويف باستعمال وسائل عنيفة لتحقيق الأهداف سياسية". 95.

- "الإرهاب هو الاستخدام المنظم للعنف والترهيب والتخويف لتحقيق هدف ما، والإرهابي

"terroriste" هو الذي يقوم بهذه الأعمال والتصرفات". 96.

ويتضح لنا من المعاجم والقواميس العربية والمترجمة أن جوهر الإرهاب هو الرعب، فأصل كلمة إرهاب

هو أرعب ولكن المعاجم أقرت كلمة إرهاب والتي تفيد الرهبة.

المطلب السادس: الإرهاب في اصطلاح القرآني:

وردت كلمة الرهبة في القرآن الكريم بعدة معان وفي عدد من الآيات مثال:

قوله تعالى: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ

وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}. 97.

وقوله تعالى: {وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضُّ أَخَذَ الْأَلْوَحَ وَفِي نُسخِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ

لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ}. 98.

95 المغني الأكبر (إنجليزي - عربي)، حسن سعيد الكرعي، مكتبة لبنان، 1987م، ص: 1448. قاموس المنهل، (فرنسي - عربي)، سهيل إدريس، ط 13، دار الآداب/ بيروت، 1994م، ص: 1015.

96 الإرهاب باستخدام المتفجرات، عبد الرحمن أبوبكر ياسين، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1412 هجري، ص: 106.

97 سورة البقرة، الآية: 40.

98 سورة الأعراف، الآية: 154.

وقوله عز وجل: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا} 99.

ووردت بمعنى الردع المعروف في موازين القوى العسكرية في الفترة الحالية التي نعيشها:

قال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ
وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ} 100.

يتبين لنا من خلال هذه الآيات القرآنية أن الإرهاب لا يخلو عن معنى الرهبة التي تعني (التقوى)،
ومعنى الردع الذي يعني (التخويف)، الذي لا علاقة له بالإرهاب الذي نعيشه اليوم من قبل بعض
أبناء المسلمين الجهلة الذين يسيئون على الإسلام، لذلك لا بد من أن نوضح الفرق بين الإرهاب
الوارد في القرآن الكريم والإرهاب في اصطلاح بعض الناس في هذا الزمن، والله المستعان.

99 سورة الأنبياء، الآية: 90.

100 سورة الأنفال، الآية: 60.

الفرق بين الإرهاب الوارد في القرآن الكريم والإرهاب في اصطلاح بعض الناس في هذا الزمن:

الإرهاب في القرآن الكريم موجه إلى المعتدين وهم الجموع الحاملون للسلح ضد المسلمين، بإخافتهم بالقوة اللازمة التي تمنعهم من شن حرب إبادة عليهم، فهو يصون السلام ويحمي الحرية والدين، والعرض وممتلكات الناس ويعظم حرمة الدماء وحرمة الأبرياء، ويحمي المستضعفين من النساء والولدان والشيوخ. 101

أما الإرهاب في اصطلاح بعض الناس، فهو يسعر الحرب ويقتل الأبرياء بالتفجير والتدمير، قتلا عشوائيا ويدمر العمران وممتلكات الناس، ولا يحترم العهود والمواثيق، وهو إما من بعض أبناء المسلمين الجهلة المحسوبين على الإسلام والمسلمين، أخذوا على أنفسهم تكفير الناس، حتى يستبيحوا دماءهم، ولو أن هؤلاء الفتية ردوا أمرهم إلى أهل العلم كما أمرهم الله بذلك لما دخلوا هذا النفق المظلم، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} 102. وإما أن تكون دوافعه من الأعداء الحاسدين المتآمرين على الإسلام فيخترق هؤلاء أولئك فتتم الجريمة بوسيلة أو بأخرى لتلصق بالإسلام فيتهم بالإرهاب وبذلك يخلق أعداؤه الذرائع لمحاربة دين الرحمة والسلام، وفي كلتا الحالتين، فالإسلام منه بريء، فهو من الجرائم المنكرة:

101 الإيمان الصحيح بعيسى عليه السلام والتعرف بالإسلام، محمد أعراب، ط 4، الرباط - المغرب، 2005م، ص: 216.

102 سورة النحل، الآية: 43.

قال تعالى: {مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا}،¹⁰³ وقتل الناس جميعا يكون من حيث أنه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه، أو من حيث أن قتل الواحد وقتل الجميع سواء في استجلاب غضب الله والعذاب العظيم، {وَمَنْ أَحْيَاهَا} أي تسبب لبقاء حياتها بعفو أو منع عن القتل أو استنقاذ من بعض أسباب الهلاك، والمطلوب منه تعظيمها إحيائها في القلوب، ترهيبا من التعرض لها، كما قال تعالى: {وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ}،¹⁰⁴

وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فقال: (أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا بلغت، اللهم فاشهد، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه).¹⁰⁵

103 سورة المائدة، الآية: 33.

104 سورة الحج، الآية: 30.

105 رواه الإمام مسلم في صحيحه.

المبحث الخامس: تعريف الدين:

المطلب الأول: المعنى اللغوي لكلمة الدين:

الأديان: "جمع دين، والدين في اللغة مشتق من الفعل الثلاثي: "دان"، وهو تارة يتعدى بنفسه، وتارة باللام، وتارة بالياء، ويختلف المعنى باختلاف ما يتعدى به، فإذا تعدى بنفسه يكون "دانه"، بمعنى ملكه، وساسه، وقهره وحاسبه، وجازاه. وإذا تعدى باللام يكون "دان له"، بمعنى خضع له، وأطاعه. وإذا تعدى بالياء يكون "دان به"، بمعنى اتخذ دينا ومذهبا واعتاده، وتخلق به، واعتقده".¹⁰⁶

وهذه المعاني اللغوية للدين موجودة في "الدين" لأن الدين يقهر أتباعه ويسوسهم وفق تعاليمه وشرائعه، كما يتضمن خضوع العابد للمعبود وذلته له، والعابد يفعل ذلك بدوافع نفسية، ويلتزم به بدون إكراه أو إجبار.

المطلب الثاني: الدين في الاصطلاح:

اختلف في تعريف الدين اصطلاحاً اختلافاً واسعاً حيث عرفه كل إنسان حسب مشربه، وما يرى أنه من أهم مميزات الدين.

أما الإسلاميون فقد اشتهر عندهم تعريف الدين بأنه: "وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل".¹⁰⁷

106 تعريف الأديان، الدرر السنية- موسوعة الأديان- المشرف العام/ علوي بن عبد القادر السقاف، 2015م، ص: 1.

107 كتاب الدين، محمد عبد الله درار، ط 3، دار القلم للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010م، ص: 63.

ومنهم من يعرفه بأنه: "الشرع الإلهي المتلقي عن طريق الوحي".¹⁰⁸

ويلاحظ على هذا التعريف قصر الدين على الدين السماوي فقط، مع أن الصحيح أن كل ما يتخذه الناس ويتعبدون له يصح أن يسمى ديناً، سواء كان صحيحاً، أو باطل، بدليل قوله عز وجل {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}¹⁰⁹، فسمى الله ما عليه مشركو العرب من الوثنية ديناً.

أما الغربيون فلهم في ذلك تعبيرات شتى منها:

يقول كانت: "الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية".¹¹⁰

ويقول سيسرون: "الدين هو الرباط الذي يصل الإنسان بالله".¹¹¹

ويقول ماكس ميلر: "الدين هو محاولة تصور ما لا يمكن تصوره، والتعبير عما لا يمكن التعبير عنه، هو المتطلع إلى اللانهائي".¹¹²

هذه التعريفات تشمل العبادات التي يتعبد الناس بها لمعبوداتهم، سواء كانت سماوية كالإسلام، والمسيحية، واليهودية، أو كانت وضعية غير سماوية الأصل كالهندوكية، والبوذية، والفوضوية، وعموم الوثنيات.

108 المرجع نفسه، ص: 64.

109 سورة الكافرون، الآية: 6.

110 كتاب الدين، محمد عبد الله درار، المرجع السابق، ص: 64.

111 المرجع نفسه، ص: 64.

112 نفسه: ص: 64.

المبحث السادس: تحديد مفهوم المسلمون والمسيحيون:

المطلب الأول: المسلمون:

المسلمون: جمع المسلم، وهو من دان واعتقد بالإسلام، ونطق بالشهادتين، يقال أسلم الشخص:

دخل في دين الإسلام وأصبح مسلماً {فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا} 113. وقيل أخلص الدين لله وانقاد

وخضع له حيث يقول تعالى: {وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} 114.

والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، جاء في الحديث عن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله أي الإسلام أفضل؟ قال: (من سلم المسلمون من لسانه ويده) 115.

❖ سلم المسلمون من لسانه فلا يسبهم ، ولا يلعنهم ، ولا يغتابهم، ولا ينم بينهم ، ولا يسعى بينهم بأي نوع من أنواع الشر والفساد، فهو قد كف لسانه ، وكف اللسان من أشد ما يكون على الإنسان ، وهو من الأمور التي تصعب على المرء وربما يستسهل إطلاق لسانه.

❖ من سلم المسلمون من يده، فلا يعتدي عليهم بالضرب، أو الجرح، أو أخذ المال، أو ما أشبه ذلك ، قد كف يده لا يأخذ إلا ما يستحقه شرعا، ولا يعتدي على أحد، فإذا اجتمع للإنسان سلامة الناس من يده ومن لسانه، فهذا هو المسلم.

113 سورة آل عمران، الآية: 20.

114 سورة غافر، الآية: 66.

115 أخرجه البخاري برقم 11، باب أي الإسلام أفضل، وأخرجه مسلم في الإيمان برقم 42، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل .

والإسلام: هو الاستسلام لله، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك وأهله.

يتضح لنا مما سبق أن المسلمين هم المنقادون لتعليم الدين الإسلامي الحنيف الناطقين بالشهادتين المنقادين لتعاليمه قولاً وعملاً، كما وضع الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل، (فقال: يا رسول الله، حدثني ما الإسلام؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإسلام أن تسلم وجهك لله وتشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله قال: فإذا فعلت ذلك فقد أسلمت ...)116.

المطلب الثاني: المسيحيون:

المسيحيون: "هم أتباع الديانة المسيحية، الجذر اللغوي لكلمة مسيحيون ومسيحية تأتي من كلمة مسيح. "117.

والمسيحية: "هي الديانة التي يمارسها المسيحيون تعتبر إحدى الديانات الإبراهيمية والتي يُعتبر يسوع المسيح الشخصية الأساسية فيها والمؤسس لها، و جذور المسيحية تأتي من اليهودية، التي تتشارك معها في الإيمان بكتاب اليهودية المقدس التوراة، الذي يدعى في المسيحية العهد القديم، يشكل العهد القديم القسم الأول من الكتاب المقدس لدى المسيحيين في حين يعتبر العهد الجديد القسم الثاني

116 رواه أحمد في المسند، ج 5، حديث رقم 2924، ص: 94.

117 يسوع المسيح بالإنجليزية ، الموسوعة البريطانية 27، كانون الأول، 2010م، ص: 3.

والعهد الجديد هو مجموعة التعاليم التي أتى بها يسوع المسيح ونشرها بين أتباعه، ثم قام رسل المسيح الإثنا عشر وتلاميذ المسيح بكتابة هذه التعاليم ونشرها في الأصقاع".¹¹⁸

المبحث السابع: تعريف بالدول الواردة في عنوان الأطروحة:

قسمنا هذا المبحث إلى ثلاث مطالب، حيث تحدثت في المطلب الأول عن أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، وفي المطلب الثاني عن بعض بلدان التي تتم فيها التعايش بين المسلمين والمسيحيين، وأخيرا تكلمت عن بعض بلدان التي لا تتم فيها التعايش بين المسيحيين والمسلمين.

المطلب الأول: تحديد مكاني جغرافي لجنوب الصحراء الكبرى:

أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى أو أفريقيا السوداء: هو المصطلح المستخدم لوصف المنطقة من القارة الأفريقية التي تقع جنوب الصحراء الكبرى، وتعد جغرافيا الحد الفاصل من الحافة الجنوبية من الصحراء الكبرى، ويعود سبب تسمية الصحراء الكبرى بهذا الاسم إلى كونها أكبر صحراء في العالم، وتتكون من جميع البلدان الأفريقية التي تقع كليا أو جزئيا جنوب الصحراء.

وتتناقض مع شمال أفريقيا، التي تعتبر جزءا من العالم العربي، "الصومال وجيبوتي وجزر القمر وموريتانيا"، هي جغرافيا جزءا من أفريقيا جنوب الصحراء، ولكن أيضا جزءا من العالم العربي.

118. يسوع المسيح بالإنجليزية، الموسوعة البريطانية 27، كانون الأول، 2010، ص: 3.

وقد قسمت هذه المنطقة سياسيا على يدي الاستعمار إلى أربعة مناطق كبرى: شرق أفريقيا
Afrique de L'est، أفريقيا جنوبية Afrique du sud، وسط أفريقيا Afrique
centrale، وغرب أفريقيا Afrique de L'ouest.

وعلى هذا سنكتفي بالدراسة ست دول، ثلاث تتم فيهن التعايش بين المسلمين والمسيحيين وهي:
(غينيا والسنغال ومالي)، وثلاث لا تتم فيهن التعايش بين المسلمين والمسيحيين وهي: (ليبيريا وأفريقيا
الوسطى وأنغولا).

المطلب الثاني: دراسة دول التي تتم فيها التعايش بين المسلمين والمسيحيين:

1- جمهورية غينيا Guinée :

المدخل: قبل الدخول في تفصيل محاور هذا المطلب، أرى أنه من المفيد أولا تسليط الضوء على
كلمة غينيا من أجل تحديد مفهومها وبيان المعنى الحقيقي منها توضيحا لها وترسيخا، ولتحقيق أقصى
الفائدة، يجب التعريف بهذا البلد الذي هو من محور هذا المطلب، وهذا ما سيسمح لنا بحول الله
تعالى فهم غينيا بمكوناتها الجغرافية والبشرية وثرواتها الطبيعية المميزة فهما حقيقيا، إلى غير ذلك من
أمر لا شك في أن القارئ بحاجة إلى معرفتها عن هذا البلد، ومن هذا المنظور، جاء تخصيصي لهذا
المدخل.

فأقول أن الآراء حول أصل كلمة "غينيا" ومعناها الحقيقي متضاربة، ومؤدى ذلك إلى أن معظم الذين عنوا بدراسة غينيا سواء من الناحية الإسلامية والاجتماعية أو السياسية، حاولوا -متكلفين طبعا- معرفة مصدر اشتقاق هذه الكلمة "غينيا"؛ فظهرت أقوال وآراء كثيرة، وكل واحدة منها تناقض الأخرى.

فمن قائل: "إن غينيا كانت قبل قدوم المستعمر تعرف باسم نهر الشمال لكثرة فروع الأنهار بها، ولما احتلت؛ سماها المستعمر بغينيا الفرنسية تمييزا لها عن غيرها من دول أخرى تحمل الاسم نفسه، كغينيا بيساو، وغينيا الاستوائية، وغينيا الجديدة".¹¹⁹

ومن قائل: "أيضا إن البرتغاليين هم الذين وضعوا لها هذه التسمية، وأنهم اشتقوا ذلك من لسان الأمازيغ مراكش، بينما يذهب آخرون إلى أن الكلمة تعني النصف الجنوبي لغرب أفريقيا، ويرى البعض الآخر أنها منسوبة إلى مدينة جني، إحدى المدن الإسلامية القديمة الواقعة من الجنوب الغربي لمدينة تمبوكتو بمالي، إلى غير ذلك من أقوال".¹²⁰

119 الإسلام والمسلمون في غينيا، د/ موسى كونايطي، بحث لنيل الشهادة الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الانسانية، شعبة الدراسات الاسلامية، تطوان، المغرب، 2006م-2007م، ص: 22.

120 - موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية والدولة الإسلامية جنوب الصحراء أفريقيا، أحمد شبلي، القاهرة- 1972م، 543/6 ، ص: 56.

وتجدر الإشارة إلى أن الرواية الشعبية الأكثر شيوعاً بخصوص هذه التسمية، ترجح كون الكلمة مشتقة من لهجة سوسوية "جينه" والسوسو هي إحدى القبائل الغينية، وتوطن في العاصمة كوناكري والضواحي، وأنها تعني لديهم: المرأة، وعلى هذا؛ فالاسم سوسوي المصدر. 121

وخلاصة القول: إن اسم غينيا يندرج ضمن الأسماء التي لا تعلل، وعلاوة على ذلك، فإننا لسنا بحاجة إلى البحث عن المعنى الحقيقي للكلمة لعدم جدواها، ثم إن ذلك لا ينبغي أن يأخذ من وقتنا وتفكيرنا الشيء الكثير، ويكفي أن نعلم أنها تسمى هذا الاسم وتعرف به، فلا حاجة لنا إلى معرفة واضع الاسم، لأن معرفة ذلك أو عدمه لا يتعلق به كبير فائدة، فلو أردنا أن نقف على حقيقة الكلمة وأصلها واشتقاقها، فلا شك في أننا سنحتاج إلى تحقيقات سوف تتسلل إلى غير نهاية.

دراسة جغرافية مقتضية: تقع غينيا على الساحل الغربي لأفريقيا بين دائرتي عرض 35-12 شمالاً، وبين خطي طول 1598 شرقاً فوق مساحة تقدر بحوالي 245857 كيلو متر مربع، ويمتد ساحلها على المحيط الأطلسي نحو 274 كم، وتتركز في حدودها مع ست دول هي: مالي، والسنغال، وساحل العاج، وغينيا بساو، وسرا ليون، وليبيريا. 122

وتحتل في القارة الأفريقية موقعا مميزا وخصوصا فيما يتعلق بالثروة المائية، لهذا تسمى بخزينة مياه أفريقيا الغربية لكون معظم الأنهار بأفريقيا تنبع منها مثل نهر النيجر ثالث أطول نهر في هذه القارة، وحسب المتخصصين فإن طول هذا النهر يبلغ 4299 كيلو مترا، و550 منه يجري على أرض غينيا،

121 الإسلام والمسلمون في غينيا، د/ موسى كوناطي، المرجع السابق، ص: 22.

122 نفسه، ص: 26.

ويعتبر جنوب مدينة فارانا الواقعة في ضاحية غينيا العليا منبعاً له، ومنه يتجه نحو الشمال الشرقي مجتازاً جمهورية مالي ليصل إلى الجهة الجنوبية الشرقية لكل من دولة النيجر ونيجيريا الفيدرالية وواصلاً إلى الخليج الغيني، بالإضافة إلى هذا النهر الكبير، فإن غينيا تتوفر على أنهار أخرى كثيرة تتسع من مرتفعات فوتا جلون وأماكن أخرى عبر البلاد.¹²³

تنقسم بلد غينيا إلى أربعة أقاليم:

- 1 - الساحل: ويعرف باسم غينيا السفلى، عاصمتها " كينديا Kindia ": وله خصائصه الواضحة، فهو سهل ساحلي يتراوح عرضه بين 50 و60 كم، وفي هذه المنطقة تقع جزيرة "تمبو" وبها توجد مدن أخرى مهمة، ولهذا الإقليم سماته مناخية ونباتية خاصة، وكان لهذه الطبيعة الجغرافية المميزة دور هام في التقسيم الإداري، وكذلك في تقسيم الدولة إلى مناطق سكانية عند إجراء التعداد.
- 2 - غينيا الوسطى: أو إقليم " فوتوجالون " وعاصمتها " لابي Labé ": وهو إقليم جغرافي مميز أيضاً، ذو طبيعة جبلية، وتحترقها الوديان العميقة، وبها مقاسم أنهار تتجه شمالاً وشرقاً وغرباً وجنوباً، ولهذا الإقليم خصائصه مناخية، ويعتبر منطقة سكانية مهمة في التعداد السكاني بالبلاد.
- 3 - غينيا العليا: وعاصمتها " كانكا Kankan ": ويقع شمال شرقي غينيا، ويتميز بانخفاض سطحه التدريجي في أعالي النيجر وهو إقليم له أهمية كبيرة اقتصادياً وعمرانياً وإدارياً.

123 - نبذة عن الثروات الطبيعية في غينيا والخطوط العريضة للتنمية الاقتصادية في جمهورية غينيا، جعفر جالو، ص: 4، نقلاً عن واقع الدعوة الإسلامية في غينيا للأستاذ عثمان حسن كانه ص: 18 بتصرف.

4 - إقليم غينيا الغابية: وعاصمتها " أنزريكوري N'zerekore ": وهو منطقة مرتفعة

تضاريسيا، وتمتد جنوبا في مناطق مدارية، وتقرب أكثر من البحر مما يؤدي إلى سقوط أمطار غزيرة وساعد ذلك مع عوامل بيئية أخرى على نمو الغابات.124

أهم صادراتها: تصدر مجموعة من المواد، سأذكر منها هنا بعضا على سبيل المثال، وأهم ما تصدره هو الألمنيوم الذي يتصدر قائمة الصادرات، وتأتي بعده مجموعة أخرى من السلع الزراعية كالأناناس، والموز، والبن، ومنتجات نخيل الزيت، وخام الحديد، وهذه القائمة من الصادرات هي من نوعية قوائم صادرات الدول النامية، أي أنها تعتمد على المواد الخام من الموارد الزراعية والمعدنية، وتتوفر كذلك على ثروات هائلة في مجال التربية الحيوانية والصيد البحري...125

وتوجد مادة البوكسيت في مناطق متفرقة من البلاد مثل: بوكي Boké، وفريا Fria، وكنديا Kindia، ودابولا Dabola، وتوغي Tougué، وكان للتصدير يتم من جزيرة كاسا Kassa وذلك ما بين عامي: 1952-1966، وبعد عام 1968م، أصبح التصدير يتم من جزيرة تامارا Tamara، وقد منح حق استخراج هذه المادة لعدد من الشركات الأجنبية منذ عام 1962م، منها مجرية، وأمريكية، وفرنسية، وبريطانية، وسويسرية، وألمانية وغيرها، ويعتبر هذا المعدن من أهم الصادرات الغينية وأكثرها حيوية، ويعتمد على ميزان المدفوعات واقتصاد غينيا بدرجة كبيرة.126

124 الاسلام والمسلمون في غينيا، د/ موسى كوناطي، المرجع السابق، ص: 30.

125 الاسلام والمسلمون في غينيا، د/ موسى كوناطي، المرجع السابق، ص: 32.

126 نفسه، ص: 33.

ويقدر احتياطي خام الحديد بين 3000 و6000 مليون طن على جوانب جبل مونمبا في ضواحي مدينة لولا Lola، ونحو 500 مليون طن في جبل سيمانندو إلى الغرب مباشرة من مدينة بيلا Beyla، وقد جذب وجود هذه الإمكانيات الهائلة المستقبلية للحديد الغيني اهتمام دول مختلفة تحتاج إلى خام الحديد وترغب في استثمار أموالها بها، ولذلك كانت هناك اهتمامات بريطانية، وبلجيكية، وإيطالية، وإسبانية، وهولندية، وسويسرية، ويوغسلافية، وأمريكية، وأسترالية، ويابانية، وروسية، وفرنسية، باستغلال هذين المصدرين المهمين للاحتياطي من الحديد.127

السكان: تقع غينيا في منطقة التقاء سلالات ومجموعات عرقية بين السنغال شمالا وسيراليون جنوبا، وقد أدى هذا الموقع الجغرافي مع قيام إمبراطورية إسلامية في تلك المنطقة في الفترة السابقة للاستعمار إلى انتشار المجموعات البشرية المختلفة على أرضها، غير أن أكثر قبائلها عددا وأهمها في التشكيلة السكانية هي:

- الفولانيون Peul: ويقطنون في وسط البلاد بمنطقة هضبية فوتا جالون.
- المالينك أو المندنكو Malenké : ويسكن هؤلاء بغينيا العليا.
- السوسو Sousou : وتتفرع عنه قبائل شتي، كقبيلة باغا Baga ، وجاكانكي Djakanké، ويقطنون في غينيا الساحلية وهي كوناكري والضواحي.

127 الاسلام والمسلمون في غينيا، د/ موسى كوناطي، المرجع السابق، ص: 35.

● إضافة إلى هذه القبائل، فهناك قبائل أخرى كثيرة تسكن في المنطقة المسماة بغينيا الغابية،

ومنها على سبيل المثال وليس الحصر: الكيس Kissi ، والغريسة Guerzé ، والكونو

Kono ، والطاما Toma ، والكونياك Koniaké ، والمانو Mano. 128.

وفيما يتعلق بعدد سكان البلاد، في الحقيقة، إن الباحث يجد صعوبة كبيرة في معرفة النسبة السكانية المضبوطة للعدد الحقيقي، ومؤدى ذلك إلى جملة من أمور أهمها نقص المادة الإحصائية اللازمة للتحليل، وأعتقد أن بقية البلدان الأفريقية تشترك مع غينيا في هذا الشكل، وما يتم نشره يفتقر أحيانا إلى مقومات التعداد الفنية، بل وإنه لا يكاد يفي أيضا بحاجات الدراسة الإحصائية الحديثة، فهذا من جهة.

ومن جهة أخرى، فإن الظروف الاجتماعية والاقتصادية غير الملائمة للدولة، لا تساعد على إجراء الإحصاء السكاني الدقيق، فالمواصلات قليلة وورديئة، يصعب بها الوصول إلى أجزاء الدولة كلها، ويضاف إلى هذا، شبه انعدام نظام التسجيل في مستشفيات البلاد، حيث ليس هناك مثلا إلزام من طرف السلطات بتسجيل الولادات. 129.

128 الاسلام والمسلمون في غينيا، د/ موسى كوناطي، ص: 36.

129 نفسه، ص: 36.

استعمارها: تعد غينيا واحدة من البلدان الأفريقية التي خضعت لظاهرة الاحتلال المسماة تاريخيا بالاستعمار، لقد قضت في الاحتلال سنوات طوال يقدرها بعض المؤرخين بنصف قرن، ويقال إن البرتغاليين كانوا من الأوائل وصولا إلى ساحلها في إطار حركتهم الملاحية في المنطقة خلال القرن الخامس عشر. 130

ومع المدة، أصبحت البلاد الأفريقية قصعة كبيرة تداعت عليها القوى الاستعمارية الغاشمة لاقتسامها، فأدت بهم الجشاعة المفرطة إلى نشوب الخلافات البينية حول الثروات الأفريقية المنهوبة، وتمخض عن ذلك وقوع المصادمة بين فرنسا وبريطانيا من جهة، وبين هذه الأخيرة والألمان من جهة أخرى، مما سبب توترا في العلاقات بصفوف المحتلين، وللحد من هذه النزاعات البينية وخيمة العواقب، مما اقتضى من لدن القيادة الاستعمارية عقد مؤتمر من أجل تدارس الموقف وللحيلولة دون تكرار هذه التراجعات الجانبية. 131

ومن هذا المنظور الاستعماري، جاء ذلك المؤتمر الذي اشتهر في التاريخ الاستعماري بأفريقيا بمؤتمر برلين المنعقد في نوفمبر من عام 1884 - 1885، ولم يكن الهدف منه القضاء على تلك الخلافات فحسب، وإنما لتكريس الوجود الاستعماري في أفريقيا، حيث خول لهم التوسع فيها أكثر من أي وقت مضى.

130 نفسه، ص: 39.

131 - الإسلام والمسلمون في غينيا، الدكتور: موسى عمر كوناظي، المرجع السابق، ص: 39.

وفي عام 1895، ضمت غينيا إلى الحكومة العامة لأفريقيا الغربية الفرنسية، واستكملت فرنسا احتلال الأراضي الغينية واستعمار شعبها بشكل كامل ما بين العامين: 1898-1900، وهي الفترة التي سقطت فيها إمبراطورية الإمام ساموري توري رحمه الله تعالى الذي نفوه ظلما إلى غابون، وقد ظلت البلاد مستعمرة حتى عام 1958، وهو عام الاستقلال.

دخول الإسلام إلى غينيا: تعد أفريقيا قطرا إسلاميا مهما، لقد دخل إليها الإسلام في وقت مبكر جدا، فهي القارة التي فتحت أبوابها واسعة الإسلام، في وقت أرض الوحي المباركة بدعاة الإسلام، فهاجروا بأمر من الموحى إليه عليه وآله الصلاة والسلام إلى أفريقيا، ومنذ ذلك ترسخ الإسلام في القارة، غير أن دخوله إلى البلدان الأفريقية تم في فترات مختلفة مع كون المنافذ التي انتشر عبرها واحدة، وبخصوصه دخوله إلى غينيا، فقد تم عبر عدة قنوات دعوية مختلفة.

وتجدر الإشارة إلى أن حركات الفتح والجهاد التي شهدتها غينيا خلال القرنين الثامن والتاسع عشر الميلاديين، كانت ذات أثر ضئيل في نشر الإسلام وترسيخ العقيدة على أوسع النطاق، مما يؤكد على أن انتشار الإسلام عبر قنوات التجارة والتعليم والهجرة، كان الأكثر أثرا.¹³²

وإلى جانب هذا، نلاحظ أن الحج شكل مكان كبير في انتشار الإسلام أيضا، هذا الموسم الإسلامي الكبير الذي تجتمع فيه الأمة الإسلامية على اختلافها، ومن أقطار مختلفة بغية أداء شعائر الله العظيمة وخلالها يتعارفون ويتحابون لله وفي الله، وعلى غير معرفة سابقة بينهم.¹³³

132 الإسلام والمسلمون في غينيا، د/ موسى كوناطي، المرجع السابق، ص: 41.

133 نفسه، ص: 45.

وقد عرف تاريخيا عن ملوك أفريقيا الغربية عموما أداؤهم المتكرر لفريضة الحج، ويتجلى ذلك وضوحا أكثر حينما أقرأ تاريخ كل من مملكة غانا القديمة ومملكة مالي الإسلامية، الشيء نفسه عرف به ملوك الممالك الأخرى كصنغاي الإسلامية، والشيخ الفوتي، فهؤلاء كلهم أدوا فريضة الحج والتقوا خلاله بشخصيات إسلامية مهمة في وقتهم.

ومثلت هجرات القبائل في نشر الإسلام بغينيا دورا عظيما، لأن القبائل الغينية التي أسلمت، ثم عملت على نشره كانت تنتقل من مناطقها انتقالا فصليا، هاجرة هذه المناطق لأسباب اقتصادية، كنزوح جموع كثيرة من قبائل المادنكو، من غينيا العليا الجافة، إلى غينيا الغابية الخصبة، وهكذا كانت أحوال القبائل الأخرى في غينيا.¹³⁴

وإذا كان الإسلام قد انتشر سواء بأفريقيا، وبغينيا بصفة خاصة عبر الحركة التجارية، والتعليمية والدولية، فإنه قد انتشر كذلك عبر الهجرات التي أسهمت في هذا المجال إسهاما ملموسا لاسيما هجرات القبائل التي كانت تفد إلى المناطق الأفريقية من شمال أفريقيا، وهذا ما جعل تاريخ الإسلام بغرب القارة مرتبطا إلى حد كبير في كافة معطياته ووقائعه بالكمال الأفريقي الذي لا يمكن لنا الحيد عنه في دراستنا للقضايا الإسلامية بأفريقيا بأسرها.

134 الاسلام والمسلمون في غينيا، د/ موسى كوناطي، المرجع السابق، ص: 47.

والجدير بالبيان في هذا السياق هو أن الإسلام انتشر بغينيا بطرق سلمية، متحدة في هذه المسالك المذكورة، فالقبائل الغينية التي دانت بالإسلام، لم تسأل على رقبتها سيوف لتسلم كما هو مروج له في بعض الكتابات الأجنبية، وإنما آمنت بالله ربا وبالنبي رسولا عن اختيارها وقناعتها الشخصية، فحركات الجهاد التي عرفتها البلاد في تاريخها ولاسيما في القرنين الثامن والتاسع عشر الميلاديين، إنما استهدفت القوى الأجنبية وبالأحرى المستعمرين الذين بغوا على الشعب، فلم تكن هناك مندوحة غير الجهاد والدفاع عن الأرض، ومن هنا جاءت فكرة الجهاد ضد أولئك المحتلين، مما أسفرت عن انتفاضة عارمة عمت أفريقيا واستمر أعواما ثم إن معظم الوثنيين أسلموا بدون قطع، وهذا راجع بعد هداية الله تعالى إلى حسن المعاملة التي كانوا يلقونها من جيرانهم المسلمين، ولقد كان ذلك عاملا إيجابيا حول بسياقات زمنية مختلفة العديدة من القبائل الروحانية إلى حظيرة الإسلام، وهذه الظاهرة ما تزال ملحوظة في حياة القبائل بأفريقيا بشكل عام.135

وصول المسيحية إلى غينيا: المسيحية نسبة إلى دين المسيح، وأول ما دعي النصارى بالمسيحيين كان في أنطاكية سنة 42م، وأن من ابتدع التسمية هو بولس.136

التنصير والاستعمار هي إحدى المراحل المظلمة التي عاشها العالم الإسلامي في المشرق والمغرب على حد سواء، وتمثل كذلك أخطر المراحل التي مرت على تاريخ التنصير والديانة النصرانية.

135 الاسلام والمسلمون في غينيا، د/ موسى كوناطي، المرجع السابق، ص: 47.

136 قاموس الكتاب المقدس، مجموعة باحثين من نخبة النصارى، دار الثقافة المسيحية، عام 1984م، ص 20.

فبعد ما تمت الدراسات المسيحية إبان الاستكشافات جاءت مرحلة الحصار والاستعمار العسكري، فكان ضمن الجيش الأوربي مئات المنصرين، وتزاحمت مع الزحف الصليبي الجديد الجمعيات والإرساليات التنصيرية، فكان الاستعمار والتنصير وجهان لعملة واحدة، فقد " اتجه المستعمرون إلى استعباد جسد الأفريقي أما المنصرون فقد استهدفوا روحه " 137.

وغينيا التي لم تكن تسمع شيئا عن الكنائس ولا تسمع عن المسيح والإنجيل والصليب والحركات التبشيرية قد استطاع الثالوث المسيحي أن يجد له رأسه قدم في تلك المناطق وأن ينشر كنائسه في العاصمة "كوناكري" وفي المدن الكبرى والموانئ الهامة بل إنه استطاع أن يقيم كنائسه في المدن والقرى الصغيرة من أجل السعي إلى كسب بعض القبائل للدخول في دين المسيحية. 138

ولقد كان فرض الحكم الاستعماري عوناً كبيراً للمنصرين، ويعتبر من العوامل المهمة التي ساعدت على ذلك ما يلي:

أولاً: وحدة العقيدة الثالوثية، للمستعمرين الأوروبيين ومن ضمنهم رجال الكنائس، فاشتراكهم في العقيدة وانتمائهم للثقافة القمعية المتغترسة أدى إلى اشتراكهم في النظرة نفسها إلى العالم غير

المسيحي. 139

137 - Cristianity in Africa Missionnaires and change Published by the African society sciences, Tripoli p: 31.

138 - حركة المد الإسلامي في غربي أفريقيا د: عبد الفتاح مقلد الغنيمي، الناشر مكتبة نهضة الشرق، جامعة الأزهر، القاهرة، ص: 12.

139 الإسلام بين تحديات التنصير ومخاطر الغزو الفكري في غرب أفريقيا (مالي نموذجاً)، أطروحة مقدمة لنيل الدكتوراه في الآداب، الدكتور: عبد العزيز محمد عبد الله ميغا، جامعة محمد الخامس، أكادال، كلية الآداب والعلوم

ثانيا: العلاقة الوثيقة بين الإدارتين العسكرية والروحية، فكون الأخيرة هي التي مهدت الطريق للأولى جعل من الواجب عليها وهي تحقق هدفها الأسمى للاحتلال أن تتخذ موقفا إيجابيا من المنتمين للكنيسة وتدعمهم في كافة المجالات لوحدة المقاصد.

ثالثا: السيطرة الاستعمارية كفلت الأمن المطلق والحماية للكنيسة وبالتالي اطمئن حامل الصليب في الماضي قدما لنشر أفكاره الثالوثية تحت ظل الهيمنة العسكرية الأوروبية.

رابعا: إدخال وسائل المواصلات والاتصال الفعالة وإقامة اقتصاد نقدي ساهمت في تعزيز مقدرات الكنيسة المالية ومن ثم ساعد على توفير مشاعر وظيفة لكل من يدخل في شرك العدو. 140
وإذا كانت هذه الفقرات تمثل العوامل المؤدية لمساعدة الكنيسة في طريق عملها، فإن ثمة وسائل أخرى كانت محل اهتمام الكنيسة وهي تمضي قدما لكسب أصوات جديدة لعبادة الصليب، ومن هذه الوسائل ما يلي:

أولا: التعليم المجالي: إن النصرانية -باعتبارها ديانة الغزاة- ينظر إلى لغتها بكونها توفر إمكانية الانتفاع بالتعليم والسلطة والنفوذ في عالم الإنسان الأبيض، وهذا ما جعلت المنصرين يجعلون من مهام الكنيسة تعليم الناشئين في المرحل الأساسية، وعلاوة على ذلك، فقد كان لإيجاد صور مكتوبة لكثير من اللغات المحلية بالحرف الاستعماري سبيلا لإدخال القراءة والكتابة الاستعمارية إلى أجزاء

الإنسانية، شعبة الدراسات الإسلامية، وحدة المناظرات الدينية في الفكر الإسلامي، عام الجامعي: 2006-2007م، ص: 276.

140 - الإسلام بين تحديات التنصير ومخاطر الغزو الفكري في غرب أفريقيا (مالي نموذجا)، د: عبد العزيز محمد عبد الله ميغا، ص: 276.

العالم الإسلامي، ثم العمل على تغيير لغة الإدارة التي كانت خلال قرون مضت لغة الإدارة، وظهر

بذلك الأدب المكتوب بلغات محلية عديدة إلى جانب لغة الاستعمار إلى الوجود.¹⁴¹

ولا شك أن الارتباط الوثيق بين النصرانية والتعليم أمر لا يمكن المبالغة في أهميته، حيث إن مدارس

المنصرين لا تقع تحت حصر، وهي التي كانت سبيل تعليم الكثير من المسلمين وغيرهم، وبالتالي أدت

إلى الاحتكاك بالنصرانية.

ثانيا: الخدمات الطبية المجانية: اعتبرت الخدمات الطبية أهم الوسائل التي قدمتها الكنيسة كي

يكسبوا من يعتنق بالديانة الجديدة، فكان مع كل بعثة تنصيرية أطباء يعالجون المرضى بالمجان ويصرفون

لهم الأدوية مع شرح مبادئهم وأن السقيم يشفي بإذن يسوع المسيح.¹⁴²

ثالثا: الدعوة الجهوية: كان الاتجاه الرئيس لدعوة النصارى يدور خصوصية النصرانية وبالطريقة التي

يفهمها ويفسر بها المنصرون، واستخدم هؤلاء المنصرون الكلمة المنطوقة أو التبشير الصريح للملأ،

وكان أبرز ما قاموا به هو نشر العديد من الأفكار الجديدة لإظهار موقفهم السلبي تجاه الديانة

الإسلامية والثقافات الأخرى الوثنية في آن واحد دون تفرقة بين ديانة مساوية تدعو لتوحيد الخالق

وبين ما تعبد الشجرة والجن، لقد أكد المنصر في حملته أن إلهه هو الحق وهو الذي ورد الكشف عن

طبيعته وصفته في الكتاب المقدس، وأن من عداه مجرد وهم مسطور، وأن ابن إلههم هو يسوع المسيح

141 الإسلام بين تحديات التنصير ومخاطر الغزو الفكري في غرب أفريقيا (مالي نموذجاً)، د: عبد العزيز محمد عبد الله ميغا، ص: 277.

142 نفسه، ص: 278.

— الوحي الأخير والمخلص الوحيد للبشرية، وأن الكنيسة هي السبيل الأوحيد للحصول على النعمة الإلهية ولا يوجد خلاص في غيرها. 143

هذا، وقد عبر رد فعل العالم غير النصراني تجاه هذه المحاولة التنصيرية عن نفسه بحسب طبيعة البلد المستهدف وأوضاع الجماعة المستهدفة، ومدى اعتناقها لديانة سماوية أو اعترازها بما هو عليه من عقائد وثنية، ومدى تغلغل النفوذ النصراني الديني والسياسي إليها في وقت مبكر، وقد تباينت الأوضاع واختلفت الحالات من بلد لآخر ومن مجتمع لآخر، وحيث إن المقام لا يسع لمزيد من الاتساع — نظرا لكون الدراسات المتخصصة بالاستعمار قد قدمت ما يغنيها — فسأقتصر على حالة دول غرب أفريقيا. 144

لقد عبر رد الفعل الأفريقي تجاه محاولة التنصير عن نفسه بثلاث طرق متميزة هي: الراضون رفض التام للتنصير والاحتلال، والموافقون على دخول النصرانية، والمتعاطفون مع الكنيسة.

في ضوء ما سبق يتبين لنا جغرافية جمهورية غينيا، من حيث الموقع والمسافة والبلدان المجاورة لها، وثروتها الطبيعية من المواد الأولية، والسكان البلاد، كما تبين لنا كيفية دخول الإسلام إلى غينيا، وصلتها بالممالك الإسلامية التي قامت في جنوب الصحراء الكبرى، وكيفية انتشار الإسلام في غينيا، ثم انتقلنا إلى وصول المسيحية إلى غينيا، وكيف تام رد الفعل الغيني تجاه محاولة التنصير الغينيين، حيث

143 - الدين في أفريقيا (تاريخ أفريقيا العام)، / أساري ط 2، دار النشر لتوزيع القاهرة، 1999م، ص: 552.

144 الإسلام بين تحديات التنصير ومخاطر الغزو الفكري في غرب أفريقيا (مالي نموذجاً)، د: عبد العزيز محمد عبد الله ميغا، ص: 279.

انقسموا إلى ثلاث طرق متميزة الراضون للتنصير "المسلمون" والموافقون على دخول النصرانية من بعض قبائل الوثنية، وأخيرا المتعاطفون مع الكنيسة من الوثنيين.

2- جمهورية السنغال :Sénégal

تقع السنغال في الشمال الغربي من أفريقيا، ويحدها من الغرب المحيط الأطلسي، ومن الجنوب غينيا كوناكري وغينيا بيساو، ومن الشمال موريتانيا التي تحد السنغال مع مالي من الشرق، وتحتل البلاد في الجنوب دولة غامبيا على شكل أصبع من المحيط الأطلسي شرقا حتى وسط البلاد وبطول 325 كلم، ومتوسط عرض حوالي 50 كلم، تبلغ مساحة السنغال حوالي 196722 كم تقريبا، ويزيد طول الساحل على 600 كلم، تمتد البلاد بين خطي عرض 12، 12 - 20، 16 فهي ضمن نطاق المناخ المداري، وتكون الحرارة مرتفعة على مدار السنة، وتحتل الأمطار في فصل الصيف على حين يكون الشتاء جافا، وتتناقص الأمطار من الجنوب إلى الشمال ومن الغرب إلى الشرق، فهي 2000 مم في الجنوب و500 مم في الشمال. 145.

أهم المدن: داکار Dakar: تقع جنوب الرأس الأخضر، وهي العاصمة وأكبر مدينة في البلاد من حيث عدد السكان الذي يبلغ حوالي 1,770,068 نسمة، 146 أسسها الفرنسيون عام 1857م وهي الآن مركز صناعي وميناء مهم وعقدة مواصلات جوية خاصة مع أميركا الجنوبية، وبها جامعة

145 المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريديه، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1971م، ص: 239.

146 المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريديه، المرجع السابق، ص: 239.

عريقة هي جامعة: " الشيخ أنشاء ديوب Cheikh Anta Diop " أنشئت عام 1937م والتي
تعد أقدم جامعة في غربي أفريقيا.

تيس Thiès : ثاني كبريات المدن السنغالية عدد سكانها حوالي 228,017 نسمة بها صناعات
خفيفة ويستخرج بالقرب منها فوسفات الألمنيوم، تقع على بعد 60 كلم شرقي العاصمة.

سان لويس St. Louis: تقع وسط جزيرة في نهر السنغال وعلى مقربة من مصبه في شمالي البلاد
على الحدود مع موريتانيا وتبعد 320 كلم من العاصمة، أسسها الفرنسيون عام 1659م تخليدا
ملكهم لويس الرابع عشر، عدد سكانها حوالي 132,425 نسمة.

ومن المدن المهمة أيضا: زيغينكور Ziguinchor، ومبور Mbour، وبودور Podor.¹⁴⁷

السكان: قدر عدد سكان السنغال عام 2003م بحوالي 10,095,000 نسمة، الكثافة 51.3
شخصا في الكيلومتر المربع الواحد، وأشهر القبائل هي: " الولوف Wolof، والسرر Serere،
وبول Peul، والديولا Dayola، والساركوليه Sarakore، والتكولور Toukoulor،
والماندينغ Mandengue.

147 المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة، المرجع السابق، ص: 240.

تبلغ نسبة المسلمين في السنغال 95% من مجموع السكان والباقي كاثوليك وأديان وثنية، وتعد لغة الولوف هي السائدة ولغة التجار، أما باقي المجموعات فلكل لغتها، واللغة الرسمية هي الفرنسية مع انتشار لا بأس به للغة العربية.148

الاقتصاد: يعمل بالزراعة في السنغال حوالي 70% من السكان و12% في الصناعة و15% في الخدمات و3% في المناجم، مما ينتج في السنغال : الفستق والذرة والقطن، والأرز، والصمغ العربي، وتربي الحيوانات، كما أنها تنتج الفوسفات والألمنيوم، ويأتي صيد الأسماك في المرتبة الثانية بعد إنتاج الفستق، إذ تشتهر السواحل المواجهة للسنغال وموريتانيا بأنها من أكبر المناطق التي تتكاثر فيها الأسماك بل من الواقع المشهورة بالصيد في العالم، ثم تأتي السياحة كركيزة ثالثة للاقتصاد وتعد سواحل السنغال وغاباتها أمكنة مناسبة للاصطياف وخاصة للأوروبيين، أما أهم الصادرات في الأسماك والفوسفات، والعملة المستعملة في السنغال هي: الفرنك الإفريقي، وحصصة الفرد من الناتج المحلي الإجمالي هي 1580 دولار أميركي ونسبة الذين يعرفون القراءة والكتابة هي 39.149.

148 المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة، المرجع السابق، ص: 241.

149 نفسه، ص: 244.

دخول الإسلام إلى السنغال: بدأ الإسلام ينتشر في بلاد السنغال منذ أن أقبلت عليه قبائل تلك الديار وخاصة قبيلة صنهاجة التي انتشر فيها الإسلام منذ أيام عقبة بن نافع وكانت هذه القبائل تنتقل نحو الجنوب، وينتقل معها الإسلام، وزاد هذا الانتشار أيام دولة الأدارسة التي قامت عام 788م، إذ انضمت ديار الملتين 150 تحت ظلها وأصبحت جزءا من أملاكها، وعندما تحالفت قبائل الملتين البربرية مع بعضها بزعامة قبيلة " ملتونة " 151 بدأت هذه القبائل تتجه نحو الجنوب وساعدها في ذلك ضعف مملكة غانة آنذاك، كما انتشر الإسلام نحو الغرب حيث كانت عدة ممالك في المنطقة أشهرها: مملكة بامبوك ومملكة التكرور، وهذه الأخيرة اعتنق ملكها الإسلام حوالي عام 1025م، انطلقت دولة المرابطين من جزيرة عند مصب نهر السنغال في القرن 11م. 152

ظهور الإسلام في السنغال: الإسلام هو الدين السائد في السنغال، تشير التقديرات 2002م 153 أن 95% من سكان البلاد مسلمون معظم المسلمين ينتمون إلى طائفة صوفية واحدة، دخل الإسلام إلى السنغال قبل حوالي 1000 سنة، أولى القبائل التي اعتنقت الإسلام كانت قبائل مملكة توكوليور في القرن الحادي عشر الميلادي وبحلول القرن العشرين أصبح غالبية السنغاليين مسلمين.

150 عرفوا بالملتين لأنهم كانوا يضعون اللثام ليلا ونهارا حضرا وبدا ولعلمهم اتخذوه إما اتقاء من البرد والحر ورمال الصحراء أو خدعة وتذكرا في الحروب.

151 تعتبر قبيلة ملتونة من أشهر قبائل الملتين التي هي فرع من الصنهاجة البربر.

152 المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة، المرجع السابق، ص: 248.

153 نفسه، ص: 250.

العوامل التي ساعدت على انتشار الإسلام في السنغال:

تضافرت عدة عوامل فساعدت على انتشار الإسلام سليما في القطر السنغالي، وكان بعضها عائدا إلى طبيعة الدين الإسلامي نفسه، وبعضها الآخر راجعا إلى عوامل استجدت في الساحة السنغالية، ونتعرض فيما يلي بعض تلك العوامل:

الرقى الاجتماعي الذي يخوله الإسلام لأتباعه: علاوة على هذه الوحدة الروحية فإن الإسلام يهيئ للفرد المسلم نوعا من التفتح على العالم يكفل له استعدادا فكريا يوفر له عوامل تساعد على الرقى الاجتماعي، ويدفعه إلى التطلع إلى حياة أفضل، ويخرجه من وضع اجتماعي وثقافي واقتصادي متدن إلى وضع أعلى وأرقى: يبدأ أولا من المظهر الخارجي؛ ملابس بيضاء ناصعة نظيفة جميلة تروق ناظرها، وجسم نزيه يفوح بالعطر يتعهدده المسلم على مدى اليوم بالوضوء، ومساكن راقية - بالقياس إلى مساكن الأرواحي - ينبعث منها من حين لآخر أريج البخور ... ويتعاطى المسلم النشاط التجاري مما سمح له أن يكون مركزا اجتماعيا بفضل ثروته، نضف إلى ذلك أن المجتمع الإسلامي مهما كانت بساطته يتوفر على مؤسسات عمومية يتعهددها جميع أعضاء الجماعة دون تمييز: مساجد وجوامع ومدارس ومجالس العلم مما لا نظير له في المجتمع الأرواحي، ولا يحسن إهمال دور معرفة القراءة والكتابة التي يتمتع بها أفراد المسلمين، فهما لغران طالما حيرا عقل الأرواحي الذي ظل يتطلع إلى كشف كنههما لأنهما الطريق الموصل إلى مصاف الإنسان المتطور.¹⁵⁴

154 المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة، المرجع السابق، ص: 252.

دور التجار المنتقلين: لا يقل دور التجار شأنًا في هذا المجال عن غيرهم؛ فهؤلاء وإن لم يكونوا دعاة متخصصين فهم أثناء عرض بضائعهم على الأرواحيين كانوا يقومون بالدعوة إلى الإسلام حيث يتعرف غير المسلم إلى الإسلام عن طريق الحوار أثناء المساومات الطويلة والاحتكاك، إن "جولا" 155 لايعزفون عن الزواج بنات زبائنهم الأرواحيين، وبالمصاهرة يتحول الأصهار إلى دين أزواج بناتهم. فهكذا استطاع التجار المسلمون " جولا " النقلون تبليغ الدعوة إلى المناطق النائية والغابوية من مجاهل أفريقيا، مما يفند المزاعم القائلة: إن الإسلام وقف على تخوم الغابات الكثيفة حيث لا تتجاسر أفراس العرب على التوغل فيها؛ زد على ذلك أن هذه الأفراس — إن وردت في بعض مناطق القارة الأفريقية — لم تقم بأدنى دور في نشر الإسلام بغربي أفريقيا. 156

وكان جولا ولا يزالون يجوبون أرجاء غربي أفريقيا كلها، ويتصلون بشعوبها، وكانوا متخصصين في تجارة ثمرة " كولا Kola " وهي ثمرة شجرة ينبت في المناطق الغابوية، ومن المسلم به أن أشعاع الإسلام بدأ في المناطق الحضرية حيث كانت المراكز التجارية وطرق القوافل والمدن الهامة يروج فيها التبادل التجاري.

155 " جولا " يعني التجار في اللغة المانديكية.

156 المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة، المرجع السابق، ص: 253.

وصول المسيحية إلى السنغال: التنصير حركة دينية سياسية استعمارية ... ظهرت إثر انهزامات الصليبيين.. . وتهدف إلى نشر الديانة النصرانية بين الأمم والشعوب .. وبخاصة المسلمين لإحكام السيطرة عليهم، وكانت الحملات التنصيرية مركزة في بدايتها على مناطق النفوذ الإسلامي في الشرق ... ثم امتدت إلى مختلف أقطار العالم. . أما منطقة غرب أفريقيا بوجه عام والسنغال بوجه خاص فقد دخلتها الحملات التنصيرية في القرن الخامس عشر الميلادي إبان الاكتشافات البرتغالية ... فهو الوقت الذي وصل فيه المنصرون الكاثوليك إلى سواحل أفريقيا الغربية وبدؤوا يحتكون بسكان المنطقة من المسلمين والوثنيين.¹⁵⁷

وقد ظهر من خلال هذا الاستعراض السريع ارتباط التنصير بالاستعمار الأوروبي، ذلك أن الأوروبيين قد خبروا من تجاربهم المريرة أن محاولات السيطرة الاستعمارية لا تنجح إلا بالقضاء على المقومات الروحية والمعنوية للأمم المستهدفة، ولا أدل على ذلك من أن أعضاء بعثات التنصير هم خليط من الدول الاستعمارية، كما أن أقدم الكنائس في السنغال قد بنيت في عهد الاستعمار الفرنسي وفي المدن التي ترسخت فيها قدم الاستعمار مثل سان لويس وغوري وذاكار وبارنيه، وهذا هو ما يؤكد المنصرون أنفسهم، فيقول المنصر " إيليكيا أمبوكولو ": " من الصعب التحدث عن الاكتشاف مع نسيان أخيه التنصير ".¹⁵⁸

157 التنصير في إفريقيا السنغال أنموذجا، سيدي غالي لو، دار الكتب بيروت، دون ط، 2005م، ص: 1.

158 نفسه، ص: 2.

المنظمات والمؤسسات التنصيرية في السنغال:

توجد عشرات المنظمات المزعومة بأنها خيرية ترعى التنصير في السنغال، ومن هذه المنظمات:

- شبيبة العمال الكاثوليك، وتعمل في السنغال منذ سنة 1939 م.
- هيئة الإغاثة العالمية الكاثوليكية، وتعمل في السنغال منذ سنة 1947 م.
- مجلس الكنائس لمجالس الإله "عالمية" دخلت السنغال سنة 1972 م.

بناء الكنائس: ويرتبط تاريخ الكنيسة في السنغال بالاحتلال الأجنبي للبلاد، حيث كانت الكنيسة ضمن أسلحة المستعمر، وعلى الرغم من عدم توافر إحصاءات دقيقة لدينا عن عدد الكنائس التي بنيت في السنغال حتى الآن فإن الدلائل تدل على كثرتها، ومن الملفت للنظر أن النصارى في السنغال لا يراعون في بناء كنائسهم حاجة المسيحيين إليها بل يقيمون بعض الكنائس في مناطق لا وجود لهم فيها سعياً منهم لإظهار الوجود المسيحي في بلد تقل نسبتهم الحقيقية فيه عن 4% وقد تم بناء أول كنيسة في السنغال في غوري سنة 1482 م، وفي سنة 1821 م تم تشييد كنيسة في مدينة سين لوي، وفي سنة 1846 م بدؤوا ببناء صومعة في دكار، ومن أقدم الكنائس في السنغال كنائس غوري وسين لوي ودكار وغازوبيل وفاتك وجنغولور وجروب وكولخ وزينغشور ومورولاند وتياس وجوال. 159

159 التنصير في إفريقيا السنغال أنموذجاً، سيدي غالي لو، المرجع السابق، ص: 4.

3- جمهورية مالي Mali:

تعتبر جمهورية مالي من الدول العريقة التي لها تاريخ حضاري قبل الإسلام، كما أنها تعد من بين الدول التي دخلها الإسلام في فجره الأول، وقامت على أديمها العديد من الممالك والإمبراطوريات قبل وتحت ظل الإسلام، فكان لها ماض مجيد قبل الإسلام وبعده.

الموقع الجغرافي: تقع جمهورية مالي في غرب أفريقيا، بين خطي عرض 11 و 25 شمالا وبين طول 12 غربا و 4 شرقا، وتحدها سبع دول هي: الجزائر من الشمال، وغينيا من الجنوب الغربي، وكوتديفوار من الجنوب، والنيجر من الشرق، وبوركينا فاسو من الجنوب الشرقي، والسنغال من الغرب، وموريتانيا من الشمال الغربي. 160

وتنقسم أرض جمهورية مالي إلى ثلاث مناطق:

1- المنطقة السودانية: وتكثر فيها الأشجار وترتبطها زراعية، ويبلغ كمية الأمطار ما بين 750 – 1400 ملي متر في السنة، وتقع في هذه المنطقة المدن الجنوبية والغربية من مالي وهي: سيكاسو وسيغو وكوليكورو وكاي وموبتي والعاصمة باماكو.

160 الإسلام بين تحديات التنصير ومخاطر الغزو الف كري في غرب إفريقيا (مالي أنموذجا)، عبد العزيز ميغا، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، 2007، ص: 57.

2- المنطقة الساحلية المتاخمة للصحراء: وتتميز بشدة الحرارة والتقلبات الجوية والرياح وبقلة

الأمطار حيث لا يزيد متوسطها عن 250 – 750 ملي متر في السنة، وتقع في هذه

المنطقة أقاليم: تمبكتو وغاوو.

3- المنطقة الصحراوية: وهي التي تكثر فيها الكثبان ومناخها يابس حار، وتقل فيها الأمطار،

وتقع هذه المنطقة في الشمال الشرق من مالي وفيها مدينة كيدال وبلدة تيساليت وتوديدني

حيث توجد مناجم الملح.

هذا؛ ويعبر أرض مالي نهران هما: نهر السنغال في الغرب وطوله 1700 كلم منها 850 كلم

داخل مالي، ونهر النيجر وطوله 2400 كلم منها 1600 كلم داخل مالي، ويمتد من أقصى

الجنوب الغربي إلى أقصى الشمال ويقع على حافته خمس مدن رئيسية، وللنهرين عدة فروع، لها

أهمية في مجال الري والزراعة.¹⁶¹

التقسيم الإداري: وتنقسم أرضها إداريا إلى ثمان محافظات وهي: كاي Kayes، كوليكورو

Koulikoro، سيكاسو Sikasso، سيغو Seguo، موبتي Moupti، تمبكتو

Toumbouctou، غاوو Gao، كيدال Kidal، بالإضافة إلى العاصمة باماكو

161 الإسلام بين تحديات التنصير ومخاطر الغزو الفكري في غرب إفريقيا (مالي أنموذجا)، عبد العزيز ميغا، المرجع السابق، ص: 58.

Bamako، وقد أدت سياسة اللامركزية إلى ظهور عدد 701 بلدية، تسعة عشر منها تعتبر

بلدية حضرية، وعدد 682 دائرة تعتبر بلدية ريفية.¹⁶²

السكان: يقدر عدد السكان في مالي ب: 11.4 مليون نسمة، ونسمة النمو السكاني تقدر ب

2.9% وعدد الوفيات ب: 1000/13.9، ويمثل الرجال 48.10% والنساء 51.10%

ويعتبر سكان المدن من المجموع الكلي 30.02% والباقي من سكان القرى، والكثافة السكانية

تقدر ب: 7 أشخاص للكيلو متر المربع.

والتركيبة السكانية في مالي من حيث الأصول القومية يتفرع إلى شعوب سودانية هم: الماندينغ -

البمرا - السنغاي - السونيكبي - السراكولي - والفولان، وشعوب من أصول عربية وأمازيغية

هم: العرب والحسان والطوارق، وكل من القسمين يتفرع إلى قبائل عديدة مختلفة اللهجات

ومتباينة العوائد والطبائع.

دخول الإسلام إلى مالي: لا يختلف دخول الإسلام وانتشاره في جمهورية مالي عن دخوله

وانتشاره في بقية بلدان السودان الغربي، حيث أن دخول الإسلام إلى السودان الغربي كان في

القرن الأول الهجري، على يد الصحابي الجليل القائد عقبة بن نافع رضي الله عنه، وقد انتشر

الإسلام عن طريق التجارة، وهجرات الجماعات، وعن طريق الدعوة.

162 الإسلام بين تحديات التنصير ومخاطر الغزو الف كاري في غرب إفريقيا (مالي أنموذجا)، عبد العزيز ميغا، المرجع السابق، ص: 59.

وصول المسيحية إلى مالي: لا أحد يستطيع تجاهل تداعيات مقررات مؤتمر "كولورادو" التنصيري الذي عقد بالولايات المتحدة الأمريكية عام 1978م، وقراراته برصد ما يقرب من ثلاث مليارات دولار أمريكي؛ كي تتحول القارة الأفريقية إلى قارة مسيحية خالصة، بحلول منتصف القرن الحالي، وهي القرارات التي ترجمت ترجمة حقيقية على أرض الواقع، حيث انتشرت منظمات التنصير في شتى بقاع القارة السمراء، وحققت عددا من النجاحات في بعض البلدان، وعلى رأسها الكونغو الديمقراطية، التي تراجعت أعداد المسلمين بها من حوالي 22 مليوناً، إلى أقل من 10 ملايين، في التعداد الأخير للبلاد، مستغلة الأوضاع السياسية والاقتصادية والأمنية ومعاونة البلاد، من حرب أهلية ضروس، استمرت لما يقرب من 35 عاماً تقريباً.¹⁶³

ولم تكن الكونغو الديمقراطية وحدها في هذا المعترك، حيث تكرر نفس السيناريو بصورة كربونية، وإن كانت أقل وطأة في عدد من البلدان الأفريقية، منها: النيجر وغينيا وكوديفوار، وغيرها من البلدان، وبل أخذ الأمر صورة أكثر بشاعة في جمهورية مالي؛ حيث استهدفت بشكل قاس من قبل المنظمات التنصيرية، رغم أغليبتها المسلمة الساحقة، حيث تتجاوز نسبة المسلمين إلى عدد سكان البلاد ما يقرب من 95%، ونشرت المنظمات التنصيرية كوادرها ونشاطها في عدد من المدن المالية، وتحولت العاصمة "باماكو" من مراكز التنصير المهمة في الغرب الأفريقي، والقارة السمراء بشكل عام.¹⁶⁴

163 جمهورية مالي، مجلة زاد المسافر، أبو عبد العزيز مراقب عام، عمان، 2010م، ص: 2.

164 نفسه، ص: 4.

انتشار النصرانية في مالي: وتقدر مصادر متطابقة ومؤسسات إسلامية داخل مالي وخارجها أعداد منظمات التنصير في البلاد بما يتجاوز 350 منظمة تنصيرية، منتشرة في البلاد، لاسيما في مدنها الرئيسية وفي مقدمتها العاصمة "باماكو، وسيغو، وسيكاسو، وغيرها من مدن البلاد.

وتلجأ منظمات التنصير لحيل خبيثة؛ منها استغلال غياب الرجال عن منازلهم لمدن طويلة، في إطار السعي لكسب الرزق أو العمل في مزارعهم، والتودد إلى الأمهات وربات البيوت؛ لإقناعهن بأن اعتناق النصرانية هو السبيل الوحيد للخروج من نفق الفقر المظلم، المحاصر للأغلبية الساحقة من الشعب، وتقديم مساعدات مالية وغذائية، وتوعدهن بمساعدة أبنائهن في الحصول على منح مجانية للدراسة في المدارس التابعة لهذه الإرساليات، بل تسهيل حصول الشباب منهم على فرص عمل في حالة انتظامهن في زيارة الكنائس، ومكاتب المنظمات التنصيرية خلال أيام الآحاد، وهي إستراتيجية حققت بعض النجاحات في ظل ارتفاع الأمية الدينية في مالي، وعدم إدراك أعداد كبيرة من المالمين بتعاليم الإسلام، والله المستعان.¹⁶⁵

165 جمهورية مالي، مجلة زاد المسافر، المرجع السابق، ص: 6.

المطلب الثالث: دراسة دول التي لا تتم فيها التعايش بين المسيحيين والمسلمين:

1- جمهورية ليبيريا Liberia:

الاسم ليبيريا: مشتق من لفظة لاتينية تعني "الأرض الحرة" والاسم الرسمي الكامل: "جمهورية

ليبيريا"، ونظام الحكم جمهوري، ودين الدولة علماني، وفرق التوقيت: صفر؛ طبقا لتوقيت

جرينتش.166

موقعها: تقع جمهورية ليبيريا على الساحل الغربي للقارة الإفريقية، عند انحناء الجنوب الغربي شمالي

خط الاستواء المسمى "ساحل غينيا العليا" تحدها من الشرق: كوت ديفوار ساحل العاجل، ومن

الشمال: جمهورية غينيا كوناكري، ومن الغرب: جمهورية سيراليون، ومن الجنوب: المحيط

الأطلسي.

الاستقلال: تعد جمهورية ليبيريا ثانية أقدم دولة مستقلة يسكنها السود في العالم؛ إذ تقدمها فقط

دولة هاييتي، تم إعلانها جمهورية مستقلة عام 26/07/1847م، ولم تكن دولة مستعرة.167

التقسيمات الإدارية: تنقسم ليبيريا إلى "15" خمسة عشر مقاطعة إدارية، ومدينة منروفيا

Monrovia هي العاصمة الإدارية والاقتصادية والسياسية لجمهورية ليبيريا.

166 تاريخ الإسلام والنصرانية في جمهورية ليبيريا، إبراهيم كوني، 2014م، ص: 1.

167 نفسه، ص: 2.

دخول الإسلام إلى ليبيريا: يعود وجود الإسلام في جمهورية ليبيريا إلى عهد قديم، ولم نقف - حتى الآن - على دليل وثائقي يحدد لنا بداية وفد المسلمين إليها.

وقد بلغنا أن أول مسجد جامع شيد على أرض جمهورية ليبيريا يرجع تاريخها إلى أواخر القرن التاسع الهجري، وبالتحديد "885هـ الموافق 1481م" وذلك بمدينة "باكيدو" شمالي البلاد - علما بأن دخول الإسلام إلى المنطقة تم على يد بعض السكان الأصليين "قبيلة مادنغو" وفروعها الذين نزحوا إلى المنطقة من الشمال.

والمعلوم أن سكان ليبيريا يتكونون من ست عشرة قبيلة، كل منها لها لغتها الخاصة بها ومعظم هذه القبائل جاءت أصولها من الشمال منطقة السفانا حيث الممالك السودانية القديمة - مملكة غانا ومملكة مالي القديمتان - وذلك لأسباب مختلفة، إما للحاجة الملحة لتحسين الوضع الزراعي، وإما للبحث عن مصادر الملح الخارج من المحيط، وإما للاعتقاد بأن الغابات الكثيفة كعملة في ضمان الأمن وحرية الزراعة بعيد عن النزاعات والحروب بخلاف مناطق الصحراء، وإما للتبادل التجاري مع البحار الأوربيين، وإما لهذه الأسباب مجموعة.

فقبيلة مادنغو هي التي قامت بنشر الدعوة الإسلامية في جمهورية ليبيريا، وقد أسسوا ممالك لهم في شمال البلاد ممتدة نحو الجنوب، وكانت السواحل أكثر سكان السواحل وثنون مع اعترافهم بزعامة ملوك مادنغو عليهم، وكانوا يتحاكمون إليهم فيما يحدث بينهم من خلافات، ويطلبون الحماية

من ملوك المسلمين "مادنغو" إذا أراد زعيم وثني آخر ظلمهم، أو أراد غزوهم أحد من الخارج،
هكذا كان حال الوثنيين مع القبيلة المسلمة قبل دخول النصرانية.168

وهكذا نجد أن الإسلام دخل إلى المنطقة على يد تجار المسلمين من أبناء البلد الأصليين الذين
استطاعوا أن يجمعوا بين التجارة والدعوة وينالوا أعجاب الوثنيين المجاورين لهم بسبب معاملاتهم
الحسنة.

وصول المسيحية إلى ليبيريا: بعد وصول وفود المستوطنين المحررين الأوائل من الأمريكان عام
1821م، واستيطانهم بأرض ليبيريا، وتأسيس دولة ليبيريا؛ إذ سرعان ما استحوذوا على السياسة
وعلى خيارات الدولة مبعدين السكان المحليين من المسلمين والوثنيين، على رغم من أنهم أقلية لا
تتجاوز "2%" من إجمالي السكان حينذاك.

وأسست الكنيسة الأولى في البلاد " كنيسة المعمودية" عام 1821م وكان اسمها وقتذاك كنيسة
سبعة أعضاء، ومؤسسها: " لوت كيري Lott Carey" ولد في مدينة ريشمان بولاية فرجينيا
عام 1780م.169

168 تاريخ الإسلام والنصرانية في جمهورية ليبيريا، إبراهيم كوني، المرجع السابق، ص: 4.

169 نفسه: ص: 5.

2- جمهورية أفريقيا الوسطى Centrafrique:

تعد جمهورية أفريقيا الوسطى دولة حبيسة، تقع وسط القارة السمراء، تحدها تشاد من الشمال، والسودان من الشرق، والكونغو الديمقراطية من الجنوب، والكاميرون من الغرب، كانت ضمن المستعمرات الفرنسية في قارة أفريقيا، إلى أن نالت استقلالها التام عام 1960م، أثناء موجة الاستقلال التي شهدتها أفريقيا خلال خمسينيات وستينيات القرن الماضي.¹⁷⁰

تبلغ مساحة جمهورية أفريقيا الوسطى 622.984 كيلو مترا مربعا، وتتألف من هضبة قليلة الارتفاع يبلغ معدل ارتفاعها حوالي 600 م فوق مستوى سطح البحر، ويسودها المناخ المداري، تغطي الغابات المدارية الأجزاء الجنوبية، وحشائش السافانا الأجزاء الشمالية، وتتكلف الغابات على طول مجاري الأنهار.

أفريقيا الوسطى دولة حبيسة، لا تطل على أي بحار أو محيطات ولا تمتلك أي موانئ، تعتمد في اقتصادها على الزراعة، تنتج القطن والبن والكاكاو، وهي غنية بالثروة الخشبية، واكتشف فيها الماس في الجنوب الغربي قرب بربراتي وفي الشمال الشرقي قرب بيراو، وأهم الصناعات بها المناجم ونشر الخشب والماس والنسيج. وتعتبر الأنهار هي أهم سبل المواصلات، ورغم ما تتمتع به أفريقيا الوسطى من موارد اقتصادية غنية جدا، واحتياطات من الماس والذهب، إلا أنها تعد من أفقر الدول.¹⁷¹

170 المسلمون في أفريقيا الوسطى، ثروت البطاوي، موقع English website for Muslim، مكة المكرمة، 2013م، ص: 1.

171 أفريقيا الوسطى حرب على الإسلام، موقع قصة الإسلام، إشراف راغب السرجاني، إعداد أحمد عبد الحافظ، 2014م، ص: 5.

التقسيم الإداري: تنقسم جمهورية أفريقيا الوسطى إلى 16 ولاية، 71 محافظات، وإقليم واحد هو إقليم بانغي العاصمة.

أكبر مدنها: أكبر مدن جمهورية أفريقيا الوسطى: بانغي Bangui، بيمبو Bimbo، بيريراتي Berbiraty، كارن Karno، بامبري Bambari، بوار Bouar، بوسانغوا Boussangoi، بريا Preya، بنغسو Bangasso، نولا Nola.¹⁷²

السكان: ينتمي السكان إلى شعب البانتو Bantou، وأهم قبائل هذا الشعب (الباندا Banda)، ويشكلون ثلث السكان، والبايا Gbaya في الغرب، والمانجا Mandja في الوسط، واللندا Langda في الشرق، والزاندي Zande في الجنوب الشرقي، وفي الشمال الشرقي يوجد قبائل سودانية مستعربة، كما تعيش قبائل البيل Bille والبورورو Bourourou في المرتفعات الغربية، ولا تزال في غاباتها ترتع مجموعات الأقزام التي تحيا حياة بدائية، والظاهرة الأكثر لفتا للأنظار في أفريقيا الوسطى هي تعدد القبائل، فهناك 80 قبيلة مختلفة، وأما اللغات السائدة فهي الأوبانغي Oubangui، وسانفو Sanfo، والعربية Arabe، والسواحلية Souweyly، واللغة الرسمية هي الفرنسية.¹⁷³

172 Division des statistiques : population des principales ville centrafricaines, <http://www.stat>, 2008, p : 12.

173 تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، محمود شاكر، ج 2، دار المريخ للنشر، 1993م، ص: 220.

الاقتصاد: اقتصاد البلاد يعتمد على الزراعة كحرفة السكان الأولى، ويعمل بها حوالي 65 % من القوة العاملة، ورغم هذا لا يزرع من أرضها سوى " 2 "، وتنتج الذرة الرفيعة والأرز والبقول السوداني، وتقوم الشركات الأجنبية باستغلال زراعة القطن والبن والتبغ والمطاط ونخيل الزيت، وتلي حرفة الزراعة حرفة الرعي، غير أن ذبابة " تسي تسي " تحد من تربية الماشية في الجنوب، ويستخرج الماس والقليل من الذهب، وتوجد خامات اليورانيوم، والخشب، وتعتبر الأنهار أهم سبل المواصلات لا سيما نهر أوبانجي الذي يصلها بالعالم الخارجي عن طريق نهر الكونغو، وأفريقيا الوسطى من أفقر الدول، ويعتمد معظم اقتصادها على المعونات.174

دخول الإسلام: جمهورية أفريقيا الوسطى لها مع الإسلام تاريخ قديم، فقد تأثرت أفريقيا الوسطى بالممالك الإسلامية المجاورة لها، مثل مملكة " كانم Kanme " التي قامت في شمال شرق بحيرة تشاد، وقد بلغت هذه المملكة أوج ازدهارها في القرن الخامس الهجري، ونشرت الإسلام في الجنوب؛ حيث الأطراف الشمالية لأفريقيا الوسطى.175

وكذلك أسهمت في نشر الإسلام في أفريقيا الوسطى مملكة " بورنو الإسلامية Bournou "، التي قامت في غربي بحيرة تشاد، وأيضا مملكة " باجرمي Badjeri "، وقامت في القرن العاشر الهجري في منطقة نهر شاري جنوب شرقي بحيرة تشاد.

174 تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، محمود شاكر، المرجع السابق، ص: 222.

175 المسلمون في أفريقيا الوسطى، ثروت البطاوي، المرجع السابق، 2.

وهناك محور آخر عبرته الدعوة الإسلامية إلى أفريقيا الوسطى، يتمثل في محور سوداني، امتد من دارفور وكردفان إليها، حيث انتشر الإسلام في المناطق المجاورة لحدود السودان، وأثر في القسم الشرقي من أفريقيا الوسطى، وأدخل الإسلام إلى جماعات اللاندا، والزاندي، والجماعات السودانية التي تعيش في شرقي البلاد.

وينتشر الإسلام حاليا في أفريقيا الوسطى بين الجماعات المستعربة، كما ينتشر بين الجماعات التي تعيش في الشرق والوسط، ويكسب الإسلام حاليا أنصارا جددًا بين الجماعات الوثنية، جعلت منه الديانة الثانية بعد المسيحية في البلاد.¹⁷⁶

المساجد: معظم المساجد في جمهورية أفريقيا الوسطى متواضعة البناء، تبنى من الخامات المحلية، والكثير منها في حاجة إلى إصلاح أو إعادة البناء، وتنتشر المساجد رغم بساطتها في معظم المدن، ولكن أكثرها في العاصمة، ومعظمها ألحقت بها المدارس القرآنية، وتوجد المساجد في معظم المدن الكبرى.¹⁷⁷

الرئيس المسلم: وصل المسلمون لأول مرة إلى الرئاسة في جمهورية أفريقيا الوسطى، وذلك بوصول الرئيس ميشال جوتوديا إلى الحكم في شهر مارس الماضي، وقد حرص الرئيس المسلم الجديد لأفريقيا الوسطى على طمأنة الجميع، وقال: "إن أفريقيا الوسطى دولة علمانية، يعيش المسيحيون والمسلمون

176 المسلمون في أفريقيا الوسطى، ثروت البطاوي، المرجع السابق، ص: 2.

177 نفسه، ص: 4.

في دولة علمانية، صحيح أنني مسلم لكن من واجبي خدمة وطني، جميع مواطني أفريقيا الوسطى"، لكنه أقر بأن بعض الأشخاص من أصحاب النيات السيئة أرادوا جر البلاد إلى نزاع ديني "178.

وصول المسيحية: المسيحية في أفريقيا الوسطى لها تاريخ فريد مقارنة بدول أفريقيا جنوب الصحراء، إذ أن الوجود المسيحي سبق التدافع على أفريقيا، وصلت المسيحية لأول مرة في مملكة الكونغو عام 1491م، التي كانت السائدة في منطقة وسط أفريقيا، وقد وصلت مع المستكشفين البرتغاليين، اعتنق المسيحية ملك مملكة الكونغو: " نزينغا مبمبا Nazinga Mbamba " مما أدى إلى حملة التحديث وكانت نتيجتها تحول سكان المملكة إلى المسيحية.179

من المنظمات التنصيرية في أفريقيا الوسطى:

- جمعية الأخوات المبشرات الدومينكية في أفريقيا.
- جمعية الصداقة الفرنسي - أفريقي الوسطي لتنمية الاقتصادية والاجتماعية.
- جمعية التضامن لمرض سيذا في أفريقيا الوسطى.180

178 نفسه، ص: 3.

179 Christianisme en Afrique centrale, Adam Hochild, Bangui, 2005 - p : 6.

180 Christianisme en Afrique centrale, Adam Hochild, Bangui, 2005 - p : 8.

3- جمهورية أنغولا Angola:

أنغولا إحدى دول وسط غرب أفريقيا، تحدها من الشمال والشمال الشرقي زائير، وزامبيا من الجنوب الشرقي، وناميبيا من الجنوب، والمحيط الأطلسي من الغرب، وتبلغ مساحتها 1,246,000 كيلو متر، والعاصمة لواندا Luanda ، وسكان العاصمة حوالي مليون نسمة، وجملة سكان أنغولا في سنة 1988 م حوالي 9,458,000 نسمة، واللغة الرسمية هي البرتغالية، وإلى جانبها لهجات محلية عديدة، والديانات هي: الوثنية، والمسيحية، والإسلام.¹⁸¹

خضعت دولة أنغولا للاستعمار البرتغالي لمدة خمسة قرون (500 عام) ولم تحصل على الاستقلال إلا سنة 1975 م، وبعد حصولها على الاستقلال مباشرة تورطت في الحرب الأهلية التي من أهم أسبابها تحريش الدول المتقدمة وكثرة الثروات الطبيعية كالبتروول والماس والذهب وغيرها، واستمرت الحروب مدة 28 عاما وانتهت سنة 2003 م بموت زعيم المعارضة جوناس سافيمي jonas

savimbe.¹⁸²

181 المسلمون بدول وسط أفريقيا، الأقلية المسلمة في أنغولا، عدد من الباحثين، الحلقة 104، السعودية، 1433 هجري، ص: 1.

182 مجلة البيان، الدعوة الإسلامية في أنغولا، فهد بن سعيد، العدد 11، الرياض، 2013م، ص: 1.

أهم مدنها: لواندا Luanda، مانغي Mangui، يوغني Yougui، زائير Zaire، كابندا

Kabenda، مكيكو Mkikou، بنحويلا Benhiwila، كاوتزا Kawenza.183

السكان: يتكون السكان من عدد كبير من القبائل الأفريقية (بانتو Bantou) و منها قبيلة

أوفيمبوندو Ofimbondou ، والباكو Bako والكييمبوندو Kimbodou وعدة قبائل

أخرى، ويشكل المسلمون حوالي 1% من جملة السكان.184

الاقتصاد: يتمثل في الزراعة وأهم الحاصلات الذرة، والكسافا، وقصب السكر، ونخيل الزيت،

والسيسال، وتمثل الزراعة % 42 من الدخل، ويستخرج من أنغولا البترول، والماس، والذهب،

والنحاس، وبها ثروة حيوانية لا بأس بها من الأبقار والأغنام والماعز، وهناك بعض الصناعات

الخفيفة، مثل المنسوجات وبعض الصناعات الغذائية، ورغم هذه الموارد فالدخول متدنية إلى درجة

كبيرة.185

دخول الإسلام إلى أنغولا: لا يعرف بشكل دقيق، تاريخ دخول الإسلام إلى أنغولا، إلا أن المؤكد؛

أن راية التوحيد لم تدخل تلك البلاد، إلا في زمن متأخر، وتحديدًا في النصف الثاني من القرن

العشرين، ويرجع ذلك إلى أن أنغولا ظلت مستعمرة برتغالية طيلة 5 قرون، وعزلتها البرتغال عن العالم

الخارجي، طيلة هذه المدة، وسيطرت الكنيسة الكاثوليكية على مقاليد الأمور الدينية في أنغولا،

183 موقع - wikipedia 2014.

184 المسلمون بدول وسط أفريقيا، الأقلية المسلمة في أنغولا، عدد من الباحثين، المرجع السابق، ص: 3.

185 مجلة البيان، الدعوة الإسلامية في أنغولا، فهد بن سعيد، المرجع السابق، ص: 1.

فكانت لا تسمح بدخول أي دين مخالف، كما إن البطاقات الشخصية أو العائلية لا تمنح إلا لمن

يعتقدون المسيحية، وكان من الصعب وصول الدعاة إلى أنغولا.¹⁸⁶

وبدا دخول الإسلام إلى أنغولا مع ثورة الأنغوليين ضد الاستعمار البرتغالي، حيث لجأ بعض

الأنغوليين إلى زائير، وهناك اعتنق البعض من هؤلاء الإسلام، وعادوا إلى البلاد بعد استقلالها وتلقى

هؤلاء المسلمون مبادئ الإسلام وبعض التعليم الإسلامي في زائير.

وأغلبية مسلمي أنغولا تجار من أصول أجنبية، ساهموا في تنمية البلاد اقتصاديا والمسلمون من أهل

البلاد، الذين دخلوا الإسلام يعملون في الزراعة، يعيشون في فقر شديد، خاصة في شرق البلاد، كما

أن سكان المدن المسلمين، كثير منهم فقراء تعرضوا للتشرد، بسبب الحرب التي وقعت في أنغولا.¹⁸⁷

المساجد والمدارس: أدى عدم اعتراف الدولة رسميا بالإسلام، إلى عدم وجود مساجد جامع في

أنغولا وإلى رفض الحكومة لإقامة مدارس إسلامية، كما لا توجد مراكز أو أماكن كافية لتحفيظ

القران الكريم، ويقتصر الأمر على مساجد صغيرة ومتواضعة، يتم بناؤها بالجهود الذاتية والفردية، ويمثل

الأقلية المسلمة لدى الدولة، المجلس الإسلامي في أنغولا، الذي يقوم بجهود لنشر الإسلام، ودعم

الوجود الإسلامي في أنغولا.¹⁸⁸

186 المسلمون في أنغولا – معانات في طي النسيان، مجلة رسالة الإسلام، مكة المكرمة، 2013م، ص: 2.

187 نفسه، ص: 3.

188 نفسه، ص: 4.

ورغم الاضطهاد، إلا أن بعض مناطق أنغولا تشهد نشاطا إسلاميا ملحوظا منها بناء مساجد ومراكز إسلامية ومدارس قرآنية، والمسجد الأول الذي افتتح في أنغولا عام 1989 م، في العاصمة لواندا باسم مسجد الفتاح، واليوم في أنغولا 32 مسجد منها تسعة في العاصمة. 189

التحديات:

- عزل المسلمين في أنغولا عن العالم الإسلامي.
- عدم اعتراف حكومة البلاد بالمسلمين والإسلام كدين في البلاد.
- عدم وجود المدارس الإسلامية وكذلك الكتب الإسلامية باللغة الفرنسية أو البرتغالية.
- الفقر وتدهور المستوى الاقتصادي.
- التحديات النصرانية. 190

189 نفسه، ص: 4.

190 المسلمون بدول وسط أفريقيا، الأقلية المسلمة في أنغولا، عدد من الباحثين، المرجع السابق، ص: 4.

متطلبات:

- الحاجة إلى دعاة يجيدون اللغة الفرنسية أو البرتغالية.
- الحاجة إلى بناء بعض المساجد والمدارس الإسلامية.
- إرسال بعض المبعوثين لدراسة العلوم الإسلامية في الجامعات الإسلامية.
- الحاجة إلى الكتب الإسلامية باللغة الفرنسية أو البرتغالية، الخ.¹⁹¹

الهيئات الإسلامية: توجد جمعية إسلامية وحيدة في عاصمة أنغولا وغير معترف بها من قبل الحكومة، ولقد تأسست هذه الجمعية في سنة 1398 هـ - 1978م، وكانت في منزل عبد الله سلفادور، ثم انتقلت إلى منزل كيويو مالك، وهكذا لا مقر لهذه الجمعية، ولا تريد الحكومة الأنغولية الاعتراف بها.¹⁹²

191 المسلمون بدول وسط أفريقيا، الأقلية المسلمة في أنغولا، عدد من الباحثين، المرجع السابق، ص: 4.

190 موقع الإسلام- المسلمون بدول وسط أفريقيا- الأقلية المسلمة في أنغولا، عدد من الباحثين، الحلقة 104، المملكة العربية السعودية، 1433 هجري، ص: 4.

وصول المسيحية إلى أنغولا: المسيحية في أنغولا هي الديانة السائدة، وقد وصلت البلاد لأول مرة منذ عام 1491، اليوم أكثر من 75% من سكان أنغولا ينتمون إلى شكل من أشكال المسيحية، بدأ الوجود المسيحي في أنغولا عام 1491 مع وصول البعثة الكاثوليكية البرتغالية إلى منطقة ساو سلفادور، مرت المسيحية في أنغولا مرحلة مهمة مع تحل الملك جواو الأول إلى المسيحية ما تبعه تحول مملكة الكونغو إلى المسيحية ، وأصبح ابنه أفونسو الأول أيضا مسيحيا وهو شخصية معروفة، حكم البلاد بين الأعوام 1509-1543، في عام 1878 وصل البلاد أوائل المبشرين البروتستانت، وكانوا من المعمدانين البريطانيين. في عام 1897 تم تأسيس البعثة الإنجيلية في كابيندا، لعب التفسير الحرفي للتوراة عند مسيحيين أنغولا دورا هاما في تثبيت ختان الذكور في هذا البلد.193

المنظمات المسيحية في أنغولا:

المنظمات الميسسجية في أنغولا كثيرة، منها:

- جمعية الكاثوليكية للدول الناطقين بالبرتغالية.
- الجمعية المسيحية للمديرين والقادة.
- الجمعية المسيحية الخيرية الأنغولية.

193 See fatima viegas, panorama das religioes em Angola independent, Luanda, 2008 – p : 6.

● جمعية مساعدة الأطفال المحرومين في أنغولا. 194

في ضوء ما سبق يتضح أن الإسلام دخل أنغولا متأخرا، وأن جل مسلمي أنغولا هم الأجانب من الذين جاءوا من غرب أفريقيا، ومن لبنان، هو بلد يحتج إلى الدعاة الذين يجيدون اللغات الأجنبية كلغة: البرتغالية والفرنسية والإنجليزية، والله والمستعان.

194 المسلمون بدول وسط أفريقيا، الأقلية المسلمة في أنغولا، عدد من الباحثين، المرجع السابق، ص: 5.

الفصل الأول: الإسلام والمسلمون في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى:

إن الدين الإسلامي، دين متكامل في خصائصه وأهدافه السماوية الربانية، وهو غني عن التعريف به. لقد تولى الله تعالى بحفظه على مر العصور والأزمان، وهياً له رجالاً دعوا إليه، ونافحوا عنه في كل زمان ومكان. فهو الدين الذي أكمل به تعالى الأديان السماوية، ورضيه لهذه الأمة المحمدية دينا هاديا، وأتم به نعمته عليهم، قال تعالى: {الْيَوْمَ يَنْسَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}.¹⁹⁵

وعالمية الإسلام لا شك فيها ولا اختلاف، قال الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى: "إن الذي يدين به المسلمون، أن محمدا صلى الله عليه وسلم بعث رسولا إلى الثقلين، الإنس والجن، أهل الكتاب وغيرهم".¹⁹⁶

وطبيعة الإسلام عالمية يساوي بين الناس، ليس فيه عنصرية الجنس دون جنس، كما هو الحال عند اليهود، شعب الله المختار، وليس فيه طبقية كما عند الهنود، وليس فيه رهينة يقوم بها البعض دون الآخر كما هو عند النصارى، وإنما ساوى بين الناس، وكانت تعاليمه للناس جميعا، ساوى بينهم إلا بالتقوى كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}.¹⁹⁷ وليس هناك أحد أفضل من أحد إلا بطاعة الله، وهذا ما يميزه.¹⁹⁸

ولقد تمكن الإسلام بفضل هذه الخصائص التي خصها بها سبحانه وتعالى من الانتشار خارج حدود الوحي حتى وصل إلى أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، وفي هذا الفصل سنعرض قضية الإسلام والمسلمون في هذه المنطقة، وقسمناه إلى ثلاثة مباحث:

¹⁹⁵ سورة المائدة، الآية: 3.

¹⁹⁶ الشيخ ابن تيمية: الجواب الصحيح 126/1.

¹⁹⁷ سورة الحجرات، الآية: 13.

¹⁹⁸ الشيخ ابن تيمية: الجواب الصحيح 126/1.

المبحث الأول: تاريخ دخول الإسلام إلى أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى:

إن مما لا شك فيه أن أفريقيا هي أول القارات ترحيبا بالإسلام، وهي أول قارة خطوتها أقدام المهاجرين، حيث أن هجرة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة التي وقعت سنة الخامسة للبعثة، أي بعد الجهر بالدعوة بسنتين تقريبا، أذن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد إذن الله له في أن يأذن لأصحابه بأن يهاجروا إلى مكان ما، يأمنون فيه على دينهم، ويأمنون على أنفسهم وأموالهم، ووقع اختياره عليه الصلاة والسلام بتسديد ربه عز وجل على الحبشة، لأن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، فهاجر عدد من الصحابة إلى تلك البلاد.

المطلب الأول: دخول الإسلام إلى شرق أفريقيا:

وقسمنا هذا المطلب إلى جانبين: الجانب الأول: حول هجرة صحابة إلى الحبشة، والجانب الثاني: عن إسلام سيدنا النجاشي ملك الحبشة رضي الله عنه.

الجانب الأول: هجرة صحابة إلى الحبشة رضي الله عنهم:

كانت الهجرة إلى بلاد الحبشة أول اتصال بين المسلمين وأفريقيا، فقد أحدث ظهور الإسلام انقلابا خطيرا في مجتمع مكة الجاهلي، بدعوته إلى وحدانية الله وترك عبادة الأصنام والأوثان والشرك بالله، والأخذ بتعاليم السماء الجديدة التي جاء بها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. 199

فحينما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم بدين الإسلام بدأ بدعوة أهل بيته وعشيرته، ثم أمره الله تعالى بتبليغ الرسالة آمرا إياه بذلك فقال في كتابه العزيز: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} * وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بريء مِمَّا تَعْمَلُونَ}. 200

199 انتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء، أ: عبد الله سالم بازينة، ط 1، دار الكتب الوطنية، بنغازي ليبيا، 2010م، ص: 69.

وبعد أن أُنذر عشيرته وكلفه الله تعالى بتبليغ رسالته للناس كافة يقول تعالى في كتابه الكريم: {يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} 201.

وعند ذلك واجه الرسول صلى الله عليه وسلم مصاعب كثيرة، وثورة كبار المشركين، وأشراف مكة ضد دين الإسلام ورسول الإسلام، فقد أمر بالقضاء على دين الآباء المنحرف والشرك والكفر الذي كانوا يعيشون فيه، كما أنه ساوى بين الطبقات، ولم يبق أي تمييز بين إنسان وآخر، سواء أكان حراً أم عبداً إلا بالتقوى والعمل الصالح. 202.

وكان معظم من آمن بالرسول صلى الله عليه وسلم عدا أهل بيته الطاهرين، من الضعفاء والعبيد في مكة، 203 فنالوا أنواع من التعذيب كافة من المشركين، وكان التعذيب بالضرب والجوع والعطش والحبس، كذلك طرحوا في رمضاء مكة حين يشتد الحر ليفتنوهم عن دينهم وبذلك تعدد البلاء عليهم، فمنهم من فتن من شدة البلاء ومنهم من صمد على دينه وعصمه الله منهم. 204.

لقد استمر المشركون في تعذيب من يدخل الإسلام ممن لم يكن لهم عشيرة تمنعهم، وكان الاستمرار في هذا الوضع غير ممكن، فقد كان وأصبح لا بد لهؤلاء المعذبين من البحث عن موضع أمل لهم، يساعدهم على تحمل المشاق، ويجعلهم أقدر على مقاومة الضغوط التي يتعرضون لها من قبل من رفضوا أن يعترفوا بالوهمية وحاكمية من فوق ألوهيتهم وحاكميتهم، وآثروا الاستكبار على الانقياد. 205.

201 سورة المائدة، الآية: 69.

202 انتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء، أ: عبد الله سالم بازينة، المرجع السابق، ص: 69.

203 من الصحابة الذين عذبوا بلال بن رباح، وعمار بن ياسر وأبيه وأمه من بني مخزوم، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يمر عليهم ويقول لهم: " صبرا يا آل ياسر صبرا يا آل ياسر فإن موعدكم الجنة"، رواه عبد الله بن جعفر، عن ابن حجر، الرقم: 3/648، وغيرهم من الصحابة.

204 انتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء، المرجع السابق، ص: 70.

205 أسباب هجرة المسلمين إلى الحبشة، مقالة مركز الإشعاع الإسلامي، إشراف: الشيخ صالح الكرباسي، القاهرة، 2009م، ص: 1.

ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب أصحابه من البلاء والعذاب، وما هو فيه من العافية لمكانه من الله عز وجل ودفاع لأبي طالب عنه، وأنه لا يقدر أن يمنعهم، قال لهم: (لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه)،²⁰⁶ وكانت الهجرة إلى الحبشة هجرتين:

الهجرة الأولى: كانت في رجب سنة خمس من البعثة 615م وكان الذين خرجوا اثني عشر رجلا، قليل عشر وقليل إحدى عشر رجلا وأربع نسوة، حتى انتهوا إلى ميناء الشعبية، ومنهم الراكب والماشي،²⁰⁷ ووفق الله المسلمين ساعة وصولهم الميناء سفينتين للتجار، فاستجاروهما بنصف دينار للحبشة وهم: عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو حذيفة بن عتبة وامرأته سهلة بنت سهيل، أبو سلمة بن عبد الأسد وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية، عامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت أبي هيثمة، مصعب بن عمير، الزبير بن العوام، عبد الرحمن بن العوف، عثمان بن مظعون، عبد الله بن مسعود، أبو سبرة، حاطب بن عمرو، وأخيرا سهيل ابن وهب،²⁰⁸ كان رحيل هؤلاء تسلا في ظلمة الليل حتى لا تفتن لهم قريش، وكان رئيسهم عثمان بن عفان، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم وفي زوجته: (إنهما أول بيت هاجر في سبيل الله بعد إبراهيم ولوط عليهما السلام).²⁰⁹

وقد أدرك صحابة رضوان الله عليهم حسن استقبال وأحسن جوار في الحبشة، وهذا ما وعدهم النبي صلى الله عليه وسلم في شأن ملك الأحباش، بأنه ملك لا يظلم عنده أحد، وأمرهم بأن يهاجروا إليه كي يأمّنوا على دينهم وأنفسهم وأموالهم وأولادهم، وهذه الهجرة دلت على النبوة الرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، علمه شديد القوى.

206 المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي جمال الدين أبي الفرج، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ج 2، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م، ص: 374.

207 الكامل في التاريخ، ابن الأثير أبو الحسن علي، ط 2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1980م، ص: 51.

208 انتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء، أ: عبد الله سالم بازينة، المرجع السابق، ص: 72.

209 الرحيق المختوم، الشيخ صفي الرحمن المباركفوري، نشر من قبل وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية، دولة قطر، تاريخ النشر 2007م، ص: 93.

الهجرة الثانية: وفي رمضان من نفس السنة "سنة خمس من البعثة" خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحرم، وفيه جمع كبير من قريش، فيهم ساداتهم وكبرائهم، فقام فيهم، وفاجأهم بتلاوة سورة النجم، ولم يكن أولئك الكفار سمعوا كلام الله من قبل؛ لأنهم كانوا مستمرين على ما تواصى به بعضهم بعضاً، من قولهم: **{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ}** 210 فلما باغتهم بتلاوة هذه السورة، وقرع آذانهم كلام إلهي خلاب، وكان أروع كلام سمعوه قط، أخذ مشاعرهم، ونسوا ما كانوا فيه فما من أحد إلا وهو مصغ إليه، لا يخطر بباله شيء سواه، حتى إذا تلا في خواتيم هذه السورة قوارع تطير لها القلوب، ثم قرأ: **{فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا}** 211 ثم سجد، لم يتمالك أحد نفسه حتى خر ساجداً، وفي الحقيقة كانت روعة الحق قد صدعت العناد في نفوس المستكبرين والمستهزئين، فما تمالكوا أن يخروا لله ساجدين. 212

وسقط في أيديهم لما أحسوا أن جلال كلام الله لوى زمامهم، فارتكبوا عين ما كانوا يبذلون قصارى جهدهم في محوه وإفناؤه، وقد توالى عليهم اللوم والعتاب من كل جانب، ممن لم يحضر هذا المشهد من المشركين، وعند ذلك كذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وافتروا عليه أنه عطف على أصنامهم بكلمة تقدير، وأنه قال عنها ما كانوا يرددونه هم دائماً من قولهم: "تلك الغرائق العلى، وإن شفاعتهم لترتجي"، جاءوا بهذا الإفك المبين ليعتذروا عن سجودهم مع النبي صلى الله عليه وسلم، وليس يستغرب هذا من قوم كانوا يألفون الكذب، ويطيّلون الدس والافتراء.

وبلغ هذا الخبر إلى مهاجرين الحبشة، ولكن في صورة تختلف تماماً عن صورته الحقيقية، بلغهم أن قريشاً أسلمت، فرجعوا إلى مكة في شوال من نفس السنة، فلما كانوا دون مكة ساعة من نهار وعرفوا جليلة الأمر رجع منهم من رجع إلى الحبشة، ولم يدخل في مكة من سائرهم أحد إلا مستخفياً، أو في جوار رجل من قريش، ثم اشتد عليهم وعلى المسلمين البلاء والعذاب من قريش، وسطت بهم عشائهم، فقد كان صعب على قريش ما بلغها عن النجاشي من حسن الجوار، ولم ير رسول الله

210 سورة فصلت، الآية: 26.

211 سورة النجم، الآية الأخيرة.

212 الرحيق المختوم، الشيخ صفي الرحمن المباركفوري، المرجع السابق، ص: 93.

صلى الله عليه وسلم بدا من أن يشير على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة مرة أخرى. 213 واستعد المسلمون للهجرة مرة أخرى، وعلى نطاق أوسع، ولكن كانت هذه الهجرة الثانية أشق من سابقتها، فقد تيقظت لها قريش وقررت إحباطها، بيد أن المسلمين كانوا أسرع، ويسر الله لهم السفر، فانحازوا إلى نجاشي الحبشة قبل أن يدركوا، وفي هذه المرة هاجر من الرجال ثلاثة وثمانون رجلا إن كان فيهم عمار بن ياسر، فإنه شك فيه، وثمانى عشرة أو تسع عشرة امرأة. 214

إذا تأملنا فيما سبق يتبادر في أذهاننا طرح سؤال: لماذا اختار النبي صلى الله عليه وسلم الحبشة مرتين مهاجرا للمسلمين، ولم يرسلهم إلى مكان آخر كاليمن والشام والفرس الروم وغيرهم؟ سنحاول جواب هذا السؤال فيما يلي:

1- اختار الرسول صلى الله عليه وسلم الحبشة لأصحابه لأن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وأنه يحسن الجوار، فأذن بعد إذن الله له في أن يرسل أصحابه إلى الحبشة، كي يأمنون بها على دينهم، ويأمنون على أنفسهم وأموالهم.

2- ويستفاد أيضا من قول النبي صلى الله عليه وسلم أن الحبشة أرض صدق: أنه قد كان فيها شعب يعيش على الفطرة، ويتعامل بالصدق والصفاء، وربما كان الناس في تلك المنطقة أقرب من غيرهم إلى الالتزام بما تبقى لديهم من تعاليم السيد المسيح عليه السلام، فيمكن لهؤلاء الثلة من المسلمين المهاجرين أن يعيشوا مع هؤلاء الناس وأن يتعاملوا معهم، ويشعروا بقرىبتهم منهم حيث إنهم أهل كتاب (النصارى) ويؤكد ذلك قوله تعالى: {وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى} 215.

213 نفسه، ص: 94.

214 الرحيق المختوم، المرجع السابق، ص: 94.

215 سورة المائدة، الآية: 82.

3- من سر اختيار الحبشة أنه كان لا بد لقريش من أن تبذل محاولاتها لاسترجاع المسلمين، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يرسلهم إلى مكان بعيد من القريش، ومع كل ذلك أرسلوا وفدا لاسترجاع المسلمين لولا أن النجاشي قام على دفاع المسلمين، حيث أبى أن يرجعهم للقريش.

4- لقد كان لقريش نفوذ في بلاد الشام والروم، لما كان من علاقات تجارية واقتصادية معها، فلهجرة إلى هذه البلاد إذن سوف تسهل استرجاع المهاجرين، أو على الأقل إلحاق الأذى بهم، ولا سيما إذا كان ملوك تلك البلاد لا يلتزمون بأي من الأصول الأخلاقية والإنسانية، ولم يكن لديهم مانع من ممارسة أي نوع من أنواع الظلم، ولكل ذلك لم يرسل النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى تلك البلاد.

5- وأما بلاد اليمن، وبعض المناطق العربية الأخرى فقد كانت تحت نفوذ النظام الفارسي المتجبر، وكان لقريش نفوذ قوي في مختلف هذه القبائل العربية حتى ما كان تحت نفوذ الفرس، فقد تسهل على قريش استرجاع المسلمين من هذه المناطق، هذه بعض ما يستفاد من هذه الهجرة المباركة إلى الحبشة، والله المستعان.

الجانب الثاني: إسلام سيدنا النجاشي ملك الحبشة رضي الله عنه:

عز على المشركين أن يجد المهاجرون مأمنا لأنفسهم ودينهم، فاختاروا رجلين لبييين، وهما: عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة قبل أن يسلموا، وأرسلوا معهما الهدايا المستطرفة للنجاشي ولبطارقتة، وبعد أن ساق الرجلان تلك الهدايا إلى البطارقة، وزوداهم بالحجج التي يطرد بها أولئك المسلمون، وبعد أن اتفقت البطارقة أن يسيروا على النجاشي بإقصائهم، حضرا إلى النجاشي، وقدا له الهدايا ثم كلماه فقالا له: أيها الملك، إنه قد ضوى إلى بلدك غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائهم؛ لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم، وعاتبوهم فيه.

وقالت البطارقة: صدقا أيها الملك، فأسلمهم إليهما، فليرداهم إلى قومهم وبلادهم، ولكن رأى النجاشي أنه لا بد من تمحيص القضية، وسماع أطرافها جميعا، فأرسل إلى المسلمين، ودعاهم، فحضرُوا، وكانوا قد أجمعوا على الصدق كائناً ما كان؛ فقال لهم النجاشي: 216 ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا به في ديني ولا دين أحد من هذه الملل؟

قال جعفر بن أبي طالب وكان هو المتكلم عن المسلمين: أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية؛ نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل منا القوي الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافته، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبدَه، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام - فعدد عليه أمور الإسلام - فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه على ما جاءنا به من دين الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك.

فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي: فاقراءه علي، فقرأ عليه صدرا من: {كهيعص} 217 فبكى النجاشي حتى أخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال لهم النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يكادون، فلما خرجا قال عمرو بن العاص لعبد الله بن أبي ربيعة: والله لآتينه غداً عنهم بما أستأصل به خضراءهم، فقال له عبد الله بن أبي ربيعة: لا تفعل، فإن لهم أرحاما وإن كانوا قد خالفونا، ولكن أصر عمرو على رأيه. 218

216 اسمه: أصمحة بن أبجر (ت 632م) والنجاشي لقب لمن ملك الحبشة، تولى الحكم وهو ابن 9 سنوات بعد وفاة عمه الذي تولى الملك بعد أخوه أبجر، وبعد سنوات م ملكه انتشر عدله وذهبت سيرته الطيبة إلى كل مكان.

217 سورة مريم، الآية: 1.

218 الرحيق المختوم، الشيخ صفى الرحمن المباركفوري، ص: 100.

فلما كان الغد قال للنجاشي: أيها الملك! إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً، فأرسل إليهم النجاشي يسألهم عن قولهم في المسيح ففرعوا، ولكن أجمعوا على الصدق، كائناً ما كان، فلما دخلوا عليه وسألهم، قال له جعفر: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا صلى الله عليه وسلم: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فأخذ النجاشي عوداً من الأرض ثم قال: والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود، فتناخرت بطارقتة، فقال: وإن نخرتم والله؛ ثم قال للمسلمين: اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي، والشيوم: الآمنون بلسان الحبشة، من سبكم غرم، من سبكم غرم، من سبكم غرم، ما أحب أن ليدبراً من ذهب وإني آذيت رجلاً منكم، والدبر: الجبل بلسان الحبشة؛ ثم قال لحاشيته: ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، فأخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه. 219

قالت أم سلمة رضي الله عنها التي تروي هذه القصة: "فخرجنا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاء به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار". 220

وحين أعلن النجاشي حمايته للمهاجرين ورفضه تسليمهم لقريش وتصديقه لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم وببشرية عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وأنه عبد الله ونبيه ورسوله، وليس ابن الله، خرجت عليه الحبشة وهم على دين النصرانية وقالوا: "إنك فارقت ديننا"، فأرسل النجاشي إلى جعفر والمهاجرين المسلمين، وأعدّ لهم سفناً وقال: "اركبوا فيها وكونوا فيها كما أنتم، فإن هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وإن ظفرت فاثبتوا"، ثم أخذ كتاباً وكتب فيه يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد عبده ورسوله، ويشهد أن عيسى ابن مريم عبده ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم، ثم جعل الكتاب في قبائه عند المنكب الأيمن وخرج إلى الحبشة وقد اصطفوا له، فقال لهم: "يا معشر الحبشة، أليست أحق الناس بكم؟ قالوا بلى، قال: فكيف رأيتم سيرتي فيكم؟ فقالوا: خير سيرة، قال: فما بالكم؟ قالوا: فارقت ديننا وزعمت أن عيسى عبد، قال: فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا: نقول هو ابن الله، فقال النجاشي: ووضع يده على صدره عن قبائه وهو يشهد أن عيسى لم يزد على هذا

219 نفسه، ص: 100.

220 الرحيق المختوم، الشيخ صفي الرحمن المباركفوري، ص: 111. وهذه من رواية ابن إسحاق، وذكر غيره أن وفادة عمرو إلى النجاشي كانت بعد بدر، وجمع بعضهم بأن الوفادة كانت مرتين، لكن الأسئلة والأجوبة التي ذكروا أنها دار بين النجاشي وبين جعفر بن أبي طالب في الوفادة الثانية هي نفس الأسئلة والأجوبة التي ذكرها ابن إسحاق هنا.

شيئاً"، وإنما يعني ما كتب، فرضوا وانصرفوا، فبلغ ذلك على الرسول صلى الله عليه وسلم، فلما مات النجاشي صلى الله عليه واستغفر له. 221

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، وخرج بهم إلى المصلى، فصَفَّ بهم وكبر أربع تكبيرات). 222

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أحاكم قد مات فقوموا فصلوا عليه) قال: "فقمنا فصَفَّنا صفين". 223

يتبين لنا مما سبق من هذه القصة وهذان الحديثين وأحاديث أخرى دليل واضح على إسلام سيدنا أضحمة ابن أبجر النجاشي ملك الحبشة، حيث صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الغائب في اليوم الذي مات، ويتجلى لنا أنه كان رجلاً صالحاً المحب لعيسى ابن مريم عليه السلام والمتبع لتعاليمه ولبشارته برسول يأتي من بعده اسمه أحمد، وآمن بالرسول صلى الله عليه وسلم، وكان بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم الصلات الودية والعلاقات الحسنة، يروى أنه حينما بلغه انتصار الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين في بدر على أعدائهم من قريش، لبس خلعان ثياب بيض، وجلس على التراب وبعث إلى جعفر بن أبي طالب والمهاجرين، وبشرهم بانتصار المسلمين على المشركين، ثم قال: "إنا نجد فيما أنزل الله على عيسى عليه السلام أن حقاً على عباد الله أن يحدثوا تواضعاً عندما يحدث لهم نعمة"، فلما أحدث الله نصر النبي عليه الصلاة والسلام أحدث له هذا التواضع حيث جلس على التراب وهو في ثوب أبيض، يقول الشيخ عبد الرحمن الجبرتي: "أنه رضي الله عنه أول من آمن بالرسول صلى الله عليه وسلم من الملوك ولم يره"، 224 ولحسن استقباله للمهاجرين قال الله تعالى فيه وفي من آمن معه من أصحابه: {وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ

221 انتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء، أ: عبد الله سالم بازينة، المرجع السابق، ص: 76.

222 الموطأ مالك، تحقيق: محمود بن الجميل، مكتبة الصفا، القاهرة، 2001م، ص: 140.

223 صحيح مسلم، بشرح النووي، تحقيق: محمد بن عبادي، ط 1، مكتبة الصفا، القاهرة، 2003م، ص: 36.

224 عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الجبرتي، ط 1، دار الجيل بيروت، بدون تاريخ، ص: 442.

تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ * فَأَنَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ { 225.

روى الإمام النسائي عن عمرو بن علي الفلاس، عن عمر بن علي بن مقدم، عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية في النجاشي وفي أصحابه: {وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ} 226. والله أعلم.

المطلب الثاني: انتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى:

لقد مرت منطقة جنوب الصحراء الكبرى بمراحل تاريخية قبل الإسلام كغيرها من المناطق، غير أن الكتابات المتعلقة بتاريخها لا تعطينا تصورا واضحا لواقع وأطوار المجتمعات التي كانت تعيش في جنوب الصحراء، وذلك مما يجعل من الصعوبة بمكان معرفة الأصول وأنواع الديانات السائدة آنذاك.

غير أن الواقع التاريخي يؤكد بأن كافة الناس والمجتمعات على وجه الأرض كانت لهم عقائد وثنية، وتفسيرات لتساؤلاتهم حول مظاهر الكون، استجابة للفلسفة الخيالية التي كانت سائدة آنذاك، وكان يحكم ثقافتها قبل الإسلام فكر وثني بنيت مقولاته على مسلمات ديانات وضعية خالية من القيم العقلانية أو المادية المؤثرة في تفسير ظواهر الكون وفق رؤية الإنسان البدائي. 227.

وإذا أردنا أن نقدم تصورا واضحا لانتشار الإسلام في جنوب الصحراء يجب أن ندرس تاريخ وصول الإسلام في مناطق أفريقيا (جنوب الصحراء الكبرى)، لنعلم كيف تم انتشار الإسلام في هذه المناطق، فهل وصل الإسلام إلى غرب أفريقيا في نفس الوقت الذي وصل فيه إلى شرق أفريقيا؟ وما هي طرق انتشار الإسلام في جنوب الصحراء؟

225 سورة المائدة، الآية: 82.

226 سورة المائدة، الآية: 83.

227 التعليم الإسلامي في غرب إفريقيا، د/ عبدالله الخاتم، مجلة الدراسات الإفريقية نشر المركز الإسلامي بالخرطوم، العدد 3، رجب 1414 هجري، ص: 120.

ولإجابة هذه الأسئلة يمكننا أن نقسم هذا المطلب إلى مرحلتين أساسيتين، المرحلة الأولى: هي تلك المرحلة التي تخص انتشار الإسلام في شرق أفريقيا، والمرحلة الثانية: هي انتشار الإسلام في غرب أفريقيا، ونسأل الله التوفيق.

المرحلة الأولى: انتشار الإسلام في شرق أفريقيا:

شرق أفريقيا حاليا تشمل دول التي تقع بساحل شرق أفريقيا المطل على المحيط الهندي، وبخاصة المنطقة الممتدة من الشمال إلى سفالة في الجنوب، ومنطقة الساحل هي التي أوصلت الحضارة الإسلامية والروابط التجارية الثقافية إلى داخل الهضبة في شرق أفريقيا.

ارتبطت شرق أفريقيا ارتباطا وثيقا ببلاد العرب، وأقدم اتصال عرفته شرق أفريقيا ببلاد العرب كان اتصال شعبيوادي الرافدين في عهد سيرجون الأكادي الذي حكم العراق في عام 1709 ق م. 228

ويظهر الإسلام في القرن السابع الميلادي أخذ الصلات مع ساحل شرق أفريقيا طابعا يختلف عن فترة ما قبل الإسلام؛ إذ إن العرب المسلمين سيطروا على الساحل، وبسطوا نفوذهم، وشيدوا مدنا على طول الساحل بالرغم من عدم وجود وحدة سياسية تجمع كل هذه المدن. 229

وليس من المعقول أن يمر العرب المسلمون بأرض أفريقيا وخاصة الصومال عند هجرتهم إلى الحبشة في الذهاب والعودة، دون أن يعرف أحد من الصوماليين شيئا عن الإسلام، مع أن المهاجرين لم يأتوا إلى هذه البقعة لتجارة أو سياسة، ولكن قدموا ومعهم دينهم الذي أودوا بسببه، وهو دين توحيد ومساواة، فلا بد من أنهم تحدثوا مع أهل هذه البلاد عندما مروا بها، عن هذا الدين، وبذلك يكونون قد عرفوا الإسلام منذ فجره الأول. 230

228 هجرة العرب المسلمين إلى شرق إفريقيا، محمد حسن الزيدي، مجلة المؤرخ العربي، العدد 23، الرياض، 1983م، ص: 96.

229 مظاهر الحضارة الإسلامية في الممالك الإفريقية، الشيخ الفاتح يوسف، مجلة قراءات إفريقيا، 2013م، ص: 4.

230 انتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء، أ: عبد الله سالم بازينة، المرجع السابق، ص: 85.

ولقد انتشر الإسلام في شرق أفريقيا انتشارا واضحا وسريعا دون ضغط أو قهر على الشعوب هذه المنطقة من القارة السوداء، ومما يؤكد ذلك ما كان من وفد النجاشي الذي بعثه للرسول صلى الله عليه وسلم في سنة التي وقعت غزوة أحد.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: (قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعون رجلا من الحبشة، فشهدوا معه غزوة أحد، فكانت فيهم جراحات ولم يقتل أحد)؛ فلما رأوا ما بالمسلمين من الحاجة قالوا يا رسول الله: إنا أهل ميسرة فأذن لنا نجيء بأموالنا لنواسي بها إخواننا فأذن لهم، فجاءوا بأموالهم وواسوا بها فقراء الصحابة رضوان الله عليهم، فنزل في حقهم قوله تعالى: {وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ * أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} 231، وقد قام الرسول صلى الله عليه وسلم بخدمتهم بنفسه، وعندما قال له أصحابه: نحن نكفيك يا رسول الله قال: (إنهم كانوا لأصحابي مكرمين، فأحب أن أكافئهم بنفسي). 232.

وروت أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما، عندما أخذت الدنانير لتعطيها للجارية التي بشرتها بخطبة النبي صلى الله عليه وسلم، وطلبه من النجاشي أن يخطبها له، إلا أن الجارية والتي كانت اسمها "أبرهة" ردّها إليها وقالت: "قد أمرني الملك ألاّ أخذ منك شيئا، وأن أرد إليك الذي أخذت منك، فرددته، وأنا صاحبة دهن الملك وثيابه، وقد صدّقت محمدا رسول الله وآمنت به، وحاجتي إليك أن تقرئيه السلام". 233.

كل هذا مما يدل على انتشار الإسلام في الحبشة منذ عصر النبوة، وكانت الحبشة في ذلك الوقت تضم كل منطقة القرن الأفريقي التي نسميها اليوم بـ شرق أفريقيا؛ وبعض أجزاء وسط أفريقيا وجنوب أفريقيا، ومع هذا؛ لقد ساهمت بعض هجرات العربية على انتشار الإسلام في ساحل شرق أفريقيا، وفيما يلي سنحاول بيان بعض هذه الهجرات إن شاء الله.

231 سورة القصص، الآية: 53 – 54.

232 البداية والنهاية، ابن كثير، ج4، تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط 1، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر، 1997م، ص: 194.

233 انتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء، أ: عبد الله سالم بازينة، المرجع السابق، ص: 83.

من أهم هجرات العربية الإسلامية إلى ساحل شرق أفريقيا:

شكّل الإسلام حقبة جديدة من الانتشار العربي في شرق أفريقيا، فبدأت تتجه إلى الساحل الأفريقي أمواج جديدة من العرب المسلمين؛ لأسباب ودوافع عديدة، في مقدمتها نشر الإسلام، والتوسع في التجارة ثانياً، إلى جانب البحث عن الرخاء ثالثاً، وبعد أن اضطرب الحال بسبب الخلافات التي نشأت بين الأمويين ثم العباسيين وخصومهم ومنافسيهم، فإن كثيراً من العرب المسلمين لاذوا بأنفسهم وأفكارهم، متجهين إلى الشواطئ القارة الأفريقية.

ولقد استجذبت على الساحة العربية جملة من الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، كان لها الدور الفعّال في تدفق المزيد من الهجرات العربية إلى البلاد الأفريقية، فبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ برزت العديد من المنافسات والصراعات، من حروب الردّة الطاحنة التي شهدتها بلاد العرب، يقول ابن الأثير: " لما مات النبي صلى الله عليه وسلم؛ وسيّر أبوبكر جيش أسامة، ارتدت العرب وارتدت كل قبيلة عامّة أو خاصّة إلا قريشا وثقيفا" 234، كذلك الفتنة الكبرى في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه "23 - 35هـ / 644 - 656م"، وما تلاها من موقعة الجمل سنة "36هـ / 657م" وظهور الخوارج واضطهاد أهل البيت على أيام الدولة الأموية. 235

وعندما حلت سنة "132هـ / 749م" جاء دور بني أمية فعصفت بركائز حكمهم الثورة العباسية التي مزّقت شملهم وشرّدتهم في الآفاق فتوغلوا إلى القارة الأفريقية، وأعطوا بذلك وجهاً جديداً للهجرات الإسلامية لأفريقيا. 236

234 الكامل في التاريخ، ابن الأثير الجزري، المحقق: أبو الفداء عبد الله القاضي، ط 1، دار الكتب العلمية، 1987م، ص: 231.

235 انتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء، أ: عبد الله سالم بازينة، المرجع السابق، ص: 85.

236 الإسلام وأثره على التطورات السياسية والفكرية في أفريقيا جنوب الصحراء، عبد المولى الحرير، مجلة البحوث التاريخية، العدد 2، مركز جهاد الليبيين، طرابلس، 1989م، ص: 106.

وما أن استقر الأمر للعباسيين حتى اتسعت الهوة بينهم وبين أنصارهم من العلويين، فقام العلويون بثورات متكررة ضد العباسيين، كما ثار الخوارج بفرقهم المتعددة المذاهب ضد النظام العباسي، وأشهرها ثورة الخوارج في الحجاز أيام المنصور سنة "158هـ/ 774م".²³⁷

ثم إن اعتماد الدولة العباسية على الجند الخراساني، قلل من اعتمادها على العرب، الذين فقدوا كثيرا من امتيازاتهم ووظائفهم تدريجيا، وما تم في عهد الخليفة المعتصم سنة "218- 227هـ/ 833- 842م" واعتماده على الجنود الأتراك، فلم يعجب العرب ذلك، فبدأت الهجرات الواسعة إلى أطراف الدولة الإسلامية، حيث تحرك العرب بأعداد كبيرة صوب الجنوب، حيث أرض البجة والنوبة وحيث السودان الأوسط.²³⁸

ثم ما كان من انقسام المسلمين إلى شيع وفرق، مما اضطر بعض هذه الجماعات العربية إلى الفرار من مواطنهم إلى أفريقيا بعيدا عن متناول أعدائهم ومنافسيهم، وما كان من انقسام العالم الإسلامي إلى سنة وشيعة، وما تبع ذلك من قلاقل ومنازعات خاصة في الجزء الغربي من آسيا، أدى إلى هجرة العديد من المسلمين إلى أوطان بعيدة عن مسرح الأحداث، بحثا عن الأمن والسلام، وكان من أبرز تلك الأوطان ساحل شرق أفريقيا، لسهولة الوصول إليه، ولما كان عليه من ثروات ومحاصيل أغرت الوافدين عليه.²³⁹

237 نفسه، ص: 107.

238 الإسلام والعروبة في السودان، عبد الفتاح مقلد، دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1986م، ص: 55.

239 ساحل شرق أفريقيا منذ فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالي، محمود محمد الحويدي، ط 1، دار المعارف، القاهرة، 1986م، ص: 19.

إن هذه الثورات المتواترة كانت موردا لا ينضب معينه من المهاجرين المسلمين الفارّين بأرواحهم إلى أفريقيا، ومما ساعد على انتشار الإسلام وتقبّله هناك ظهور مصر الإسلامية المجاورة لهم،²⁴⁰ وأصبح نشر الدين الإسلامي من أسباب استقرار العرب في شرق أفريقيا، وإقامتهم كيانات سياسية عربية بعد أن ازدادت هجرة العرب إليها في عهد الدولتين الأموية والعباسية، وفي إثر المنازعات الدينية والسياسية.²⁴¹

وسنذكر من أهم هذه الهجرات العربية الإسلامية التي كان لها الدور البارز في انتشار الإسلام في ساحل شرق أفريقيا وبعض أجوار المجاورة في دراسة التالية:

1- هجرة بني مخزوم: أراد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ نشر الدعوة الإسلامية في الحبشة، فوجّه إليها سرية من المسلمين في عام 20هـ / 641م برئاسة علقمة بن محرز المدلجي، ولكن الحملة لم توفق ونالها الأذى وعاد من بقي منها.²⁴²

وأما أول هجرة للمسلمين إلى أفريقيا وخاصة شرقها بعد هجرة صحابة رسول صلى الله عليه وسلم؛ هي هجرة بني مخزوم، حيث كان أول مسلم سمع عنه مهاجرا، واستقر في بلاد الحبشة هو ودّ بن هشام المخزومي، وكان ذلك في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ حيث خرج مهاجرا من الحجاز مع قبيلته.²⁴³

²⁴⁰ الإسلام وأثره على التطورات السياسية والفكرية في أفريقيا جنوب الصحراء، عبد المولى الحرير، المرجع السابق، ص: 107.

²⁴¹ انتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء، أ: عبد الله سالم بازينة، المرجع السابق، ص: 87.

²⁴² نفسه، ص: 88.

²⁴³ نفسه، ص: 88.

ويذكر أنه كانت لبني مخزوم في القرن السادس الميلادي علاقات تجارية مع اليمن والحبشة، وفي الحبشة كان تجار بني مخزوم في مقدمة تجار مكة، وقد أسس بنو مخزوم السلطنة المخزومية في شرق مقاطعة شوا، 244 في منطقة من أمتع المعازل فوق مرتفعات الهضبة الحبشية، حيث تقع مدينة أديس أبابا الحالية، 245 تمثلت بمملكة شوا الإسلامية في المدة من عام 283هـ / 896م، وقد استمرت حتى عام 688هـ / 1289م، إذ سقطت على يد مملكة أوفات الإسلامية. 246

ولم تتعرض أسرة الأجوبيين في أكسوم لهؤلاء المهاجرين بسوء نظرا لضعفها في معظم فترات تاريخها، ومن ثم تمتع هؤلاء المهاجرين بحياة الاستقرار، وقامت بينهم وبين الأهالي علاقات الود والصداقة، لأن هؤلاء المهاجرين لم يطمعوا في شيء مما في أيديهم، ووجد الأهالي فيهم ما يساعدهم على صد غزوات تجار الرقيق، فازداد التقارب والاندماج بين الفريقين، ومن ثم أخذ عدد المسلمين يكثر طورا بالمهاجرين الذين يتوالون على القدوم إليهم، وطورا بالأحباش الذين ارتبطوا معهم برباط المصاهرة، ووجدوا في اعتناق الإسلام حماية لهم، وجاء نتاج هذه المصاهرة جيل إسلامي جديد أخذ يكثر بتوالي الزمن، وينضم إليه من يعتنق الإسلام عن رضا واقتناع لما يبيحه لهم هذا الدين من الاحتفاظ ببعض عاداتهم الاجتماعية؛ مثل: تعدد الزوجات على سبيل المثال، ومن ثم تكاثرت أعداد المسلمين بطريقة كبيرة، هيأت الفرصة لقيام سلطنة إسلامية على يد أسرة عربية. 247

ولقد اشتغل هؤلاء المهاجرين بالتجارة، حتى أصبحوا أثرياء القوم وأغنياءهم الكبار، ولما ارتفع شأنهم وارتفع قدرهم صاهروا أمراء شوا، ومن ثم انتقل الحكم إليهم وكونوا أسرة حاکمة كانت أولى الأسر العربية التي أنشأت دولة إسلامية في شرق أفريقيا استمرت في الوجود أربعة قرون تقريبا، تمتعت معظمها بالأمن والاستقرار، وازدهار العمران وكثرة المدن والقرى، 248 وكان في هذه المملكة حياة

244 شوا: هي أقدم مملكة إسلامية قامت بالحبشة سنة 283هـ / 896م.

245 انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ومناهضة الغرب له، محمد عبد الله النقيير، ط 1، دار المريخ، الرياض، 1982م، ص: 65.

246 التحولات التي أحدثتها الإسلام في المجتمع الأفريقي، بشار أكرم الملاح، ط 1، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، 2013م، ص: 111.

247 انتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء، أ: عبد الله سالم بازينة، المرجع السابق، ص: 90.

248 انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ومناهضة الغرب له، محمد عبد الله النقيير، المرجع السابق، ص: 197.

علمية ودينية مزدهرة وبنيت المساجد والمدارس ووجد بها العلماء والفقهاء وطلاب العلم، حيث عاشت عصرا زاهرا كبيرا، ومستقلة عن جيرانها سواء أكانوا مسلمين أم مسيحيين. 249

ومن نتاج عرب الشوا أو بني مخزوم الذين انتقلوا إلى منطقة بحيرة تشاد شرق برنو ومصاهرتهم الوطنيين الزنوج نتج شعب البولالا الذين أنشأوا سلطنة البولالا الإسلامية فيما بعد في وسط أفريقيا. 250

2- هجرة الشيعة الزيدية: بعد موقعة كربلاء سنة 61هـ / 680م، والتي قتل فيها سيدنا

الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما؛ تعددت ثورات آل البيت ضد الأمويين الذين كانوا يقابلونها بالشدة والبطش، وكانت آخرها الثورة التي قام بها الزيدية، وهم أتباع الإمام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم؛ ضد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك سنة 121هـ / 739م الذي خرج من الحجاز إلى الكوفة بالعراق حيث طلب منه شيعته مساعدتهم، وكان زيد وأتباعه يرون الظهور والخروج على الخليفة الأموي بالسيف لأخذ حقهم بالإمامة وعلى إثر ذلك حدث الصدام بين زيد وأتباعه وبين هشام بن عبد الملك الذي أمر واليه على العراق بالتصدي لهم. 251

واستطاع الأمويون القضاء على ثورة الزيديين وقتل قائدهم وأمامهم زيد في عام 122هـ / 740م بعد أن تخلّى عنه معظم أهل الكوفة، وفرّ أتباعه بعد مقتله، ولقي الزيدية الاضطهاد على أيدي الأمويين بعد انكسارهم في واقعة الكوفة. 252

249 انتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء، أ: عبد الله سالم بازينة، المرجع السابق، ص: 90.

250 الإسلام وحضارته في وسط أفريقيا سلطنة البولالا، عبد الفتاح الغنيمي، ط 1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996م، ص: 19.

251 العروبة والإسلام في دارفور في العصور الوسطى، د/ رجب محمد عبد الحليم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991م، ص: 51.

252 انتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء، أ: عبد الله سالم بازينة، السابق، ص: 93.

ونتيجة للاضطهاد الذي تعرّض له الزيدية هاجرت جماعة منهم قاصدة شواطئ أفريقيا الشرقية حيث استقروا على ساحل بنادر، ثم وسّع الزيدون رقعة أرضهم بفضل ما يتوالى عليهم من هجرات الزيديين الأخرى من شبه الجزيرة العربية، واستطاعوا السيطرة على منافذ البحر الأحمر التجارية، واستقطبوا الفارين من بني أمية، فقوي أمرهم واشتد ساعدتهم وتحكّموا في التجارة، وازداد اتساع الإسلام بفضل دعوتهم وتبشيرهم ونفوذهم الاقتصادي والتجاري، ليس في الحبشة فحسب بل في الطرف الشرقي من القارة الأفريقية. 253

وظلّ الزيدون مسيطرون على هذه المنطقة مدة تقرب من 200 سنة حتى اضطرتهم هجرات عربية من قبيلة الحارث (الإخوة السبعة) إلى النزوح الداخل، لأن الزيديين رفضوا الخضوع للمهاجرين الجدد السنّيين لأنهم شيعة، فاستقروا حول أودية نهري جوبا والوبيي شيلي، واختلطوا بالأهالي وتزوجوا منهم مما أدى إلى نشر الإسلام بينهم، وعرفوا باسم أموزيديج التي تعني أمة زيدية. 254

3- هجرة الإخوة السبعة: من أهم الهجرات العربية التي وفدت على ساحل شرق أفريقيا هجرة الإخوة السبعة من قبيلة الحارث العربية في منطقة الأحساء على ساحل الخليج العربي، وسبب هذه الهجرة؛ الصراع الذي نشب واشتد بين الخلافة العباسية وبين القرامطة حكام البحرين ومنطقة الأحساء منذ أواخر القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد، وكان بنو الحارث مؤيدين للخلافة العباسية وموالين لها لأنهم سنّة، بينما كان القرامطة شيعة، ولذلك اضطهدوا بني الحارث وأخبروهم على النزوح من بلادهم. 255

253 نفسه، ص: 94.

254 العروبة والإسلام في دارفور في العصور الوسطى، د/ رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص: 52.

255 نفسه، ص: 52.

فخرج إخوة سبعة من قبيلة الحارث ومعهم عشيرتهم، وصحبهم الكثير من سكان الشاطئ الغربي للخليج العربي في ثلاث سفن، سنة 273هـ / 887م هاربين من اضطهاد ملك الأحساء لهم، ونزلوا في الساحل الشرقي عند شاطئ بنادر، وامتد نفوذهم حتى جنوبي ممباسا وتحالفوا مع الصوماليين أصحاب البلاد الأصليين، وشيّدوا مدينتي مقديشو وبراوة،²⁵⁶ سيأتي تفصيل فيما بعد حول هذين المدينتين وغيرهما من المدن عند الكلام عن المراكز الإسلامية في جنوب الصحراء الكبرى إن شاء الله.

وواجهت جماعة الإخوة السبعة العربية في بداية أمرهم على الساحل بعض الصعوبات أهمها أن الزيدية الشيعة الذين كانوا قد سبقوهم، واستولوا على أجزاء من ساحل صومال واستوطنوا حول أرخبيل قد بدأوا في نشر مبادئهم وأفكارهم، ولا سيما وأنهم كانوا من الشيعة المتعصبين لهذا المذهب، بينما كان الإخوة السبعة على المذهب السني الشافعي، وقد دافع الزيود عن عقيدتهم دفاع المستميت، وحاربوا جماعة الإخوة السبعة بكل ضراوة إلا أنهم غلبوا على أمرهم في النهاية وهُزموا أمام الإخوة السبعة أخيرا عام 330هـ / 948م.²⁵⁷

خلاصة هذه المرحلة: إن هذه الهجرات وغيرها من الهجرات العربية الإسلامية؛ كهجرة آل الجلندي وهجرات الأموية والعلوية، وتحركات الشعوب الأفريقية كان لها الفضل الأول والأكبر في نشر الإسلام في أفريقية الشرقية والوسطى منها، وكذلك وجد الإسلام منتشرا في جنوب أفريقيا، عن طريق جماعات من أهل أندونيسيا وشبه القارة الهندية، فما إن حطوا رحالهم في جنوب أفريقيا حتى انطلقوا يدعون إلى الإسلام، واستجاب لهم الكثيرون وتألّف من هؤلاء المهاجرين والذين استجابوا لهم وحدة إسلامية واحدة متناسية الوطن الأصلي واللون والجنس.

ويتضح لنا أيضا مما تقدم أن سواحل أفريقية الشرقية قد كانت وما زالت جزءا هاما من دار الإسلام، متميزا في إطارها نابضا بكل ما نبضت به الحضارة الإسلامية أثناء العصور الوسطى من ألوان الحياة الفكرية والعلمية، ونظمها السياسية والاجتماعية، وما حد ثمن الاندماج والتزاوج وتعدد العلاقات الاجتماعية، التي أدت إلى وجود العنصر السواحيلي في حضارته وثقافته ولغته، متفاعلة معطيائها في

256 انتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء، أ: عبد الله سالم بازينه، السابق، ص: 98.

257 العرب وأثرهم في الأوضاع السياسية والثقافية في مقديشو في العصور الوسطى الإسلامية، د/ غيثان بن علي، مجلة العرب، العدد: 3، إشراف: د/ سعد بن عبد الله الحميد، المكتبة المركزية الناطقة، الرياض، 2007م، ص: 2.

كل تلك الأبواب مع معطيات رفقاءها من الشعوب الإسلامية وغير الإسلامية، وتمتعت هذه البلاد بحضارة إسلامية راقية، ونظام إسلامي للحكم سليم، لأنها كانت قريبة من ينبوع الحضارة والثقافة، وعلى صلة وثيقة بموطن أرقى الحضارات الإنسانية وهي الحضارة الإسلامية.

المرحلة الثانية: انتشار الإسلام في غرب أفريقيا:

اهتم المؤرخون ورجال الفكر الإسلامي قديما وحديثا بالحديث عن انتشار الإسلام؛ وعن وصوله إلى غرب أفريقيا، ذلك الحدث العظيم الذي ألغى عبادة العباد بعبادة رب العباد، والانقياد له والخلوص من الشرك، وإن أعظم ما يمكن أن يفتخر به رجال الفكر الإسلامي في كل زمان ومكان هو ذلك الدور البارز الذي قام به حملة راية التوحيد ومشعل الهداية من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؛ الذين قدموا أرواحهم ودماءهم رخيصة لوجه الله كي تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى، فهدى الله على أيديهم أمة من الناس، وزاد الله بجهادهم ودعوتهم المباركة، فدخل الناس في دين الله أفواجا، وكان أكبر عامل لذلك تلك الفتوحات التي قادها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؛ في جميع أنحاء المعمورة ومن بينهم عقبة نافع للمغرب الأقصى عام 60 من الهجرة، وكان قبل ذلك فتح مصر في العهد الراشدي. 258

ويعتبر المؤرخون المناطق الواقعة جنوب الصحراء من السودان الغربي مدخلا لنور الهدى ومنطلقات للدعاة إلى شتى أرجاء المنطقة؛ هذا ما نريد معالجته في النطاق التالية بعون الله عز وجل، حيث قد نتج عن اعتناء العلماء بهذا الحدث اختلافهم في التحديد الزمني لدخول الإسلام إلى السودان الغربي؛ وفيه روايتان:

الرواية الأولى: أن دخول الإسلام إلى السودان الغربي كان في القرن الأول الهجري، حيث وصل الإسلام إلى بعض أجزاء شرق أفريقيا (الحبشة) كما رأينا في المرحلة السابقة في القرن الأول الهجري، ومصر التي فتحت في العهد الراشدي والمغرب الأقصى المفتوح على يد الصحابي الجليل القائد عقبة بن نافع رضي الله عنه، وعقب فتح المغرب تحركات طارق بن زياد مع عدد كبير من الدعاة وكان

258 الإسلام بين تحديات التنصير ومخاطر الغزو الفكري في غرب أفريقيا - مالي أنموذجا- عبد العزيز محمد ميغا، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في الآداب، تحت إشراف: د/ أحمد شحلان، كلية الآداب -أكدال- الرباط، 2007م، ص:

هدفهم الوحيد هو عرض الإسلام على البربر والملثمين والسودان المجاورين لهم، وكان ذلك في الربع الأخير من القرن الأول الهجري. 259

الرواية الثانية: يرى البعض أنه في القرن الرابع الهجري على يد المرابطين. 260

الجمع بين الروايتين: للجمع بين الروايتين يمكن القول بأن القرن الأول هو تاريخ وصول مشعل الهداية إلى هذه الديار على أيدي التجار والدعاة المسلمين منذ فتح شمال القارة، إلا أنهم لم يحولوا منطقة غرب أفريقيا إلى دولة إسلامية، وإنما يرجع الفضل بعد الله في ذلك إلى المرابطين في القرن الرابع الهجري الذين دخلوا غانة وعاصمتها كومي صالح، وعملوا على نشر الإسلام بين مختلف شعوب غرب أفريقيا بحماسة، وشهد تاريخ السودان الغربي قيام إمارات دول إسلامية بعد ذلك. 261

وهذا الجمع يوضح لنا الجانب الأقوى للجمع بين هذين الروايتين الذي هو اعتبار القرن الأول تاريخاً لدخول الإسلام إلى السودان والقرن الرابع تاريخاً لانتشاره، وذلك لدلالة الآثار عليه، ولنقله عن طريق عدد كبير من علماء السودان وملوكه الأوائل.

يقول ابن خلدون: "إن أهل غانة أسلموا أول الفتح الإسلامي". 262

وقد أشار العلامة أحمد بابا التمبكتي إلى وجود اثني عشر مسجداً في مدينة كومي صالح - عاصمة إمبراطورية غانة الإسلامية - عام 60 الهجري، وفي المسالك والممالك ما يفيد أن الإسلام دخل إلى منطقة غاوو - عاصمة مملكة سنغاي الإسلامية - في وقت مبكر، وأن عقبة بن نافع - فاتح المغرب - وصل إلى مكان يسمى (ماء الفرس) في جبال صومو على حدود ليبيا والنيجر الحاليين. 263

259 الإسلام بين تحديات التنصير ومخاطر الغزو الفكري في غرب أفريقيا - مالي أنموذجاً - عبد العزيز محمد ميغا، المرجع السابق، ص: 76.

260 نفسه، ص: 76.

261 تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي، د/ حسن إبراهيم حسن، ج 1، ط 7، مطبعة النهضة الإسلامية المصرية، القاهرة، 2010م، ص: 80.

262 التأثير الإسلامي في غرب أفريقية، عبد الله محمد النقيرة، ط 1، دار المريخ للنشر، الرياض، 1988م، ص: 116.

263 مملكة سنغاي على عهد الأسقيين، عبد القادر زبادية، ط 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971م، ص: 134.

ومن أسباب ترجيح هذه الرواية إضافة إلى ما ذكرنا ما يلي:

أولاً: لا يختلف المؤرخون في أن الإسلام دخل إلى السودان الغربي عن طريق التجار المسلمين، وأن العلاقات التجارية كانت قائمة بين الشعوب قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وبعد مبعثه، فتأخر دخول الإسلام إلى السودان الغربي بعد فتح المغرب الأقصى ومصر حتى القرن الرابع الهجري من البعيد بمكان، ويستبعد أن يكون بعض السودانيين لم يؤمنوا بالله وهم يتعاملون مع تجار أغلبهم مسلمون ويدعون إلى الإسلام طيلة أربعة قرون.

ثانياً: لا نستبعد وصول الفكر الإسلامي إلى هذه المناطق في وقت مبكر، لا سيما الأطراف الصحراوية منها قبل الفتح الإسلامي للمغرب ومصر ولو عن طريق الآحاد في زمن تكثر فيه هجرات الشعوب، ومن المعلوم أن الإسلام وصل إلى أفريقيا قبل أن يصل إلى المدينة المنورة إبان هجري بعض الصحابة إلى الحبشة في فجر الإسلام الأول وإن لم ينتشر فيها.

ثالثاً: أن من يعد القرن الرابع الهجري زمن دخول الإسلام يخلط بين انتشار الإسلام في أرجاء المنطقة وبين وصوله، فدخوله كان في القرن الأول كما سبق بيانه وانتشاره كان في القرن الرابع الهجري.

وإضافة إلى ما سبق يستحسن أن نوضح طرق انتشار الإسلام وأسبابه إتماماً للفائدة.

طرق انتشار الإسلام ووسائله في السودان الغربي:

ذكر الأستاذ محمود شاکر في كتابه (التاريخ الإسلامي) أربعة طرق بواسطتها انتشر الإسلام في السودان الغربي؛ وهي:

- 1- طريق التجارة.
- 2- طريق هجرات وانتقال الجماعات.
- 3- طريق الدعوة.
- 4- طريق السلطات. 264

264 التاريخ الإسلامي، محمود شاکر، ط 8، المكتب الإسلامي، بيروت، 2000م، ص: 8.

وسنحاول بيان هذه الطرق الأربعة فيما يلي بإذن الله سبحانه وتعالى:

فالنظر في أسباب انتشار الإسلام في السودان الغربي يدرك أن كلا من الطرق السابقة الذكر له دوره، وساهم مساهمة بارزة في نشر الإسلام، فالتجار المسلمون كانوا يترددون على المراكز التجارية في السودان، ويحتكمون بالسودانيين فيعرضون الدين الإسلامي عليهم؛ وذلك مما أدى إلى إسلام من أراد الله هدايته.

كذلك فإن هجرات وانتقال الجماعات لأسباب طبيعة معرفة منذ زمن قدم في أفريقيا، أدى إلى اتصالهم بغيرهم من الوثنيين، وذلك مما يؤدي أحيانا إلى التأثير بالإسلام ومبادئه، لكونه دين لناس كافة، فيشرح الله قلب من أراده النجاة بسببهم.

وتعتبر الدعوة من أهم الطرق التي انتشر بها الإسلام في هذه المنطقة، حيث قد اصطفى الخالق جل جلاله لهذا الدين رجالا ينشرون نور الإسلام بإبلاغ رسالة التوحيد، والأخذ بأيدي الناس إلى صراط الله المستقيم، يتسابقون في ذلك طلبا لمرضاة الله وامثالاً لأوامره {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}،²⁶⁵ يجوبون البلاد لعرض مبادئ الإسلام على المجتمعات الجاهلية فهدى الله بسببهم أمة كثيرة، فجزاهم الله عنا وعن الإسلام خير الجزاء.

هذا؛ ومن أهم طرق أيضا لانتشار الإسلام في السودان الغربي انتشاره عن طريق دعوة أصحاب السلطات من الملوك والحكام لقومهم، فكان الشعب يسلمون غالبا بإسلام زعيمهم، فالناس على دين ملوكهم؛ وعادة كانوا يعرضون الإسلام على جيرانهم من الدول، ويحاربون من يقف في وجه الإسلام ويستمر في الكفر، فيفتحون بذلك بلدانا يتوسع بسببها رقعة البلاد وينتشر الإسلام مع اتساعها، وخير دليل على ذلك دور ملوك الإمبراطوريات الإسلامية التي قامت في السودان الغربي، وسيأتي الكلام فيما بعد على هذه الإمبراطوريات الإسلامية إن شاء الله تعالى.

265 سورة النحل، الآية: 125.

وإضافة إلى ما سبق الإشارة إليه من الطرق انتشار الإسلام في السودان الغربي، يجب أن نقف على آثار التي أحدثها الإسلام بعد انتشاره في المجتمع السوداني الغربي.

أثر دخول الإسلام في السودان الغربي:

للقوف على ما أحدثه الإسلام في السودان الغربي من تطور وازدهار وحضارة راقية، يجب أن نقف على الآثار التي أحدثها الإسلام وقفات تظهر لنا العوامل التي ساعدت على أن يحكم شعب هذا الوطن بشريعة الله ويتخذونها منهج حياة، ولما دخل الإسلام إلى غرب أفريقيا أحدث تغيرات جذرية في الحياة المجتمعية والفكرية والثقافية والسياسية والاقتصادية، يمكن أن نقدم بعضها فيما يلي:

كانت اعتقادات شعب غرب أفريقيا قبل الإسلام اعتقادات تقليدية يحكمها فكر وثني بنيت اعتقاداته على مسلمات ديانات وضعية خالية من القيم العقلانية أو المادية المؤثرة في الظواهر الكون وفق رؤية الإنسان البدائي فيما يتعلق بالاعتقادات، وبعد انتشار الإسلام بين شعوب السودان الغربي، اعتقد المهتدون بأن الله هو خالق الكون مدبر الأمور بيده الخير وهو على كل شيء قدير، فامتنعوا بذلك عن عبادة الأرواح وتقديس الأشخاص، وأخلصوا لله تعالى أعمالهم فأقاموا الصلاة وصاموا رمضان وأتوا الزكاة وأدوا فريضة الحج. 266

هذا مما يدل على تغيير الاعتقادات الجاهلية التي كانت تحكمها أفكار وثنية في المجتمع السوداني الغربي خالية من القيم العقلانية أو المادية المؤثرة في تفسير الظواهر وفق رؤية بداية قاصرة إلى اعتقادات مبنية على التوحيد وإفراد الله بالعبادة والخلوص من الشرك فخرجوا بذلك من عبادة العباد إلى عبادة خالق العباد.

ولما كان الإسلام دين ثقافة وحضارة جعل من واجبات الحكومة الإسلامية العناية بعلوم الدين والدنيا التي يترتب عليها حفظ الشريعة السمحة، وصحة العمل بأحكامها، وأيضا تلك التي تؤدي إلى تطور الحياة وازدهار العمران، ومن هذا المنطلق فقد حصل تحول كبير في السودان الغربي بعد دخول الإسلام في الحياة الثقافية والحضارية، ولقد حرص سلاطين السودان الغربي على إرساء قواعد نهضة

266 التعليم الإسلامي في غرب أفريقيا، علي عبدالله الخاتم، مجلة دراسات أفريقية، العدد 3، نشر المركز الإسلامي الأفريقي بالخرطوم، 1414هـ، ص: 120.

ثقافية إسلامية مزدهرة في بلادهم، وذلك بإيفاد طلاب العلم إلى مصر والمغرب الأقصى والحجاز للتعلم في دراسة العلوم والثقافة، ثم يعودوا إلى بلادهم لنشر ما تلقوها من معارف. 267

لقد أثر الإسلام في إرساء قواعد الانطلاق نحو الحضارة العمرانية والتثقيف لدرجة أن بعض مناطق السودان الغربي وبالتحديد مدينة تمبكتو بلغت لا تقل عن القرويين في المغرب والأزهر في مصر والقيروان في تونس، ولقد أرسل سلاطين السودان الغربي طلاب العلم إلى هذه المراكز الإسلامية وغيرها من المراكز في العالم الإسلامي ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون.

لقد سادت تقاليد الجاهلية على شعب السودان الغربي قبل الإسلام كغيرهم من شعوب العالم، فلم يهدم الإسلام جميع الأعراف السائدة في المجتمعات، وإنما هذب البعض ليتفق مع مقاصد الشرع، وأقر البعض الآخر لموافقتها لفطرة الله التي فطر الناس عليها، وهدم كل ما فيه مفسدة ولا يترتب عليه مصلحة في العاجل والآجل دنيوية كانت أو أخروية، وعلى الرغم أن حياتهم الاجتماعية يتحكم فيها الأعراف السائدة في القبائل حسب اختلافها، فلم يهدمها الإسلام بعد انتشاره لموافقتها لفطرة الله التي فطر الناس عليها، فإننا ندرك أن الإسلام هدم بعضها وهذب البعض الآخر، فالزواج مثلا عادة معروفة قبل الإسلام غير أنه غير مقيد بالنظم التي دعت الشريعة إليها، حيث لم تكن الزيادة على أربع نسوة ممنوعة عندهم، والميراث في السودان قبل الإسلام يحكمه الأعراف القديمة بحيث كانوا يمنعون النساء من الميراث وكذلك الأبناء ولا يرث الرجل إلا أبناء أخته. 268

ونرى أن هذه العادات الاجتماعية قريبة إلى عادات قريش قبل الإسلام، فنظم شعب السودان كانت نظما مبنية على الأعراف والعادات، ولما جاء الإسلام أقر الصالحة منها ومنع ما فيها مضرة العباد، وبذلك أصبحت الحياة الاجتماعية في السودان حياة راقية في نظمها آمنة يرفرف عليها علم الرخاء والرفاهية ويسودها السوك الحسن والأخلاق الحميدة. 269

267 الإسلام بين تحديات التنصير ومخاطر الغزو الفكري في غرب أفريقيا - مالي أنموذجا - عبد العزيز محمد ميغا، المرجع السابق، ص: 81.

268 نفسه، ص: 82.

269 نفسه، ص: 83.

وقد تميزت الحكومات القائمة أو بالأحرى الإمبراطوريات التي قامت أو اتسعت بعد انتشار الإسلام باتباع منهج الدولة الإسلامية في السياسة الاقتصاد، ومن الناحية الاقتصادية كان السودان الغربي من أغنى مناطق أفريقيا بالثروات المعدنية في التاريخ، وكان اقتصاده قائما على تجارة الذهب والفضة والملح والرقيق قبل الإسلام، وتعد التجارة أهم مقومات الاقتصاد السوداني قبل وصول الإسلام وبعده، والعلاقات التجارية كانت قائمة بين غرب أفريقيا والدول المجاورة وغيرها قبل البعثة النبوية، وكان للسودانيين أعرافهم في البيع ونظمهم التي يخضعون لها في التعامل.

هذه العلاقات من العوامل التي ساعدت على ازدهار غرب أفريقيا في ظل الإسلام، وهي مما جعلهم يخضعون لحضارة الإسلام بلا ضغط، وأن يتقيدوا بنظم السياسة الشرعية، وقد أثر ذلك في تنظيم سياسات حكوماتها، فأخذت علاقاتهم مع غيرهم طرقا واسعة ومسارات جديدة، حيث بعد انتشار الإسلام في دياره تعرفوا على نظم وقواعد جديدة، جاءت بها الشريعة الإسلامية في البيوع والمعاملات المالية الأخرى، فحرمت الربا وأنواعه، ومنع الاعتداء على الأحرار وسائر المعاملات + التي فيها ظلم ومضرة للإنسان في العاجل والآجل، فاستجاب السودانيون للدعوة الربانية وابتعدوا عن كثير من المحرمات، وكان ذلك حافزا لهم على الازدهار حتى كان اقتصاد السودان اقتصادا قويا ضمن لهم الاكتفاء الذاتي، وساعدهم على مديد العون لغيرهم من الشعوب، وتوزيع الصدقات على المحتاجين في بعض الدول الخارجية، وجبس الأوقات ابتغاء لمرضات الله تعالى. 270

270 الإسلام بين تحديات التنصير ومخاطر الغزو الفكري في غرب أفريقيا - مالي أنموذجا- عبد العزيز محمد ميغا، المرجع السابق، ص: 83.

المبحث الثاني: الممالك الإسلامية التي قامت في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى:

يعرض هذا المبحث التاريخ السياسي للدولة الإسلامية التي قامت في أفريقيا (جنوب الصحراء الكبرى) حيث كون المسلمون ممالك إسلامية كثيرة في القارة السمراء، سواء في شرقها ووسطها وكذلك غربها، يحكمها مسلمون من العرب والأفريقيين من القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) إلى مجيء الاستعمار الأوروبي في القارة، وسوف نعرض بعض هذه الممالك في هذا المبحث، وفيه ثلاثة مطالب: **المطلب الأول:** يتحدث عن بعض ممالك الإسلامية في شرق أفريقيا، **والمطلب الثاني:** يتناول بعض ممالك الإسلامية في وسط أفريقيا، **والمطلب الثالث والأخير:** يتحدث كذلك عن بعض ممالك الإسلامية في غرب القارة.

المطلب الأول: بعض ممالك الإسلامية التي قامت في ساحل شرق أفريقيا:

كون المسلمون الذين هاجروا إلى شرقي أفريقية واستقروا فيها ممالك إسلامية على امتداد الساحل الشرقي وبالجزر المواجهة له؛ فأنشأوا ممالك إسلامية عديدة، واتسم تكوين تلك الممالك بالطابع السلمي التجاري أو الاقتصادي عموماً، إذ امتلك المسلمون ناصية التجارة الداخلية والخارجية، ولا يسعى لنا الوقت للوقوف على كل هذه الممالك لذلك سنتناول بعضها منها إن شاء الله تعالى.

الأولى: مملكة شوا أو(شوة) Chawa الإسلامية²⁷¹ 283 – 688هـ / 896 – 1289م:

هي أقدم مملكة إسلامية قامت بالحبشة أسسها المهاجرون من قبيلة بني مخزوم العربية القرشية، منذ سنة 283هـ / 896 م، في منطقة من أمنع المعازل، فوق مرتفعات الهضبة الحبشة، حيث تقع مدينة أديس أبابا الحالية.²⁷²

وقد هاجر أسلافهم بزعامة ود بن هشام المخزومي في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى الحبشة، اثر عزله فارسها الأشهر خالد بن الوليد - رضي الله عنه - من قيادة جيش المسلمين، كما ذكر ذلك ترمنجهام.²⁷³

ويبدو أن هؤلاء المهاجرين قد اشتغلوا بالتجارة، فأثروا منها ثراء عظيمًا، ولما نبه شأنهم تصاهروا مع الأسرة الحاكمة، فآل الحكم إليهم، أو أن ما وصلوا إليه من ثروة ونفوذ لدى الأسرة المترتبة على عرش الحبشة، دفعها إلى اسناد حكم مملكة شوة الإسلامية إلى أسرة بني مخزوم القرشية، وأيا كانت العوامل التي ساعدت تلك الأسرة المسلمة على اعتلاء عرش مملكة شوة الإسلامية فقد استمرت تحكمها قرابة أربعة قرون، تمتعت خلالها المملكة بالأمن والاستقرار وظلت خلالها في عزلة عن العالم، لما تيسر لها من عزة ورخاء، لاكتفائها الذاتي واشتغال رعاياها بالزراعة والرعي، مما يتيح حياة الاستقرار، ولقوة الأسرة الحاكمة وما تتمتع به من ثروة ونفوذ.

وظل أمر تلك المملكة الإسلامية المخزومية مجهولا إلى أن اكتشف المستشرق الإيطالي - الدكتور روسيني تشيروللي RussiniTashiruli - وثيقة عربية - سنة 1355هـ، تعرض للأحداث التي مرت بها تلك المملكة في أواخر عهدها سنة 628هـ إلى سنة 688هـ، حين دب فيها الضعف، ومزقت أوصالها المنازعات الداخلية على السلطة، والخارجية مع الإمارات الإسلامية المجاورة، التي كانت تبغي التخلص من سيطرة الحروب عليها، وقد كانت تلك المملكة الإسلامية مركزا لنشر

271 هذه المملكة التي قامت في الهضبة الوسطى للحبشة، والتي تقع بالقرب منها مدينة أديس أبابا الحالية (إيشوبيا) وللأسف الشديد أننا لا نعرف أشياء كثيرا عن تاريخ هذه المملكة إلا من خلال - وثيقة عربية - التي اكتشفها الإيطالي تشيروللي عام ومن أسف أيضا أن هذه الوثيقة تتحدث عن الفترة الأخيرة من عمر هذه المملكة الإسلامية.

272 انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ومناهضة الغرب له، محمد عبد الله النقيير، المرجع السابق، ص: 197.

273 نفسه، ص: 197.

الإسلام وثقافته في تلك المنطقة زما جاورها، وبذل سلاطينها جهودا كبيرا لنشر الإسلام صوب الداخل سنة 501هـ في بلاد أرغوبا وأضافوها إلى أملاكهم سنة 1118م كما تشير تلك الوثيقة السابقة، ومن شوة انتشر الإسلام فوق الهضبة. 274

وقد كثرة المدن والقرى والنواحي تحت سيطرة مملكة شوة، حتى إن وثيقة "تشيروولي" ذكرت أكثر من خمسين اسما لمواقع كانت موجودة.

ومن أمثلة هذه المدن أو النواحي مدينة "ولله" العاصمة، ومدينة هجلة Hadjela وجداية Djidaya، ودجن Dadjane، وأبتا Abta، ومورة Morat، وحدية Hedaya "لعلها مملكة هدية الإسلامية" والزناير Zanatire، والمحرة Moharara، وعدل Adla التي أصبحت عاصمة لمملكة إسلامية في القرن الخامس عشر الميلادي، مما يدل على أن هذه السلطنة اتسمت بسعة المكان وازدهار العمران وكثرة المدن والبلدان. 275

وهذا الازدهار العمراني الحضاري الذي تمتعت به سلطنة شوا الإسلامية كان نتيجة لما تملكه من أرض غاية في الخصوبة استغلها السكان وزرعوا فيها ما يكفي حاجتهم ويسد مطالبهم، خاصة أنه قد استمر توافد الجماعات الإسلامية المهاجرة في أعداد يسيرة، واستطاعت أن تتجمع وتدعم كيان هذه السلطنة الإسلامية بزعامة هذه الأسرة العربية التي اتخذت من "ولله" عاصمة لها، والتي يصعب تحديد موضعها الآن نتيجة لكثرة التغيرات التي تعرضت لها المنطقة.

ونتيجة لهذا الازدهار لم تكن الدولة المخزومية في "شوا" إمارة أو مملكة صغيرة، بل كانت سلطنة كبيرة، توالى على حكمها كثير من الحكام الذين اتخذوا لقب سلطان كما أشارت إلى ذلك وثيقة "تشيروولي".

274 Islam in sudan, RussiniTashiruli, Trimminghamlondres, 1965, p : 257.

275 سلطنة شوا الإسلامية، منشورات مجلة منارة الإسلام، العدد 198، القاهرة، 2010م، ص: 2.

هذا وقد ظهر في هذه السلطنة الوظائف السياسية والدينية المعروفة وقتذاك في بقية الدول الإسلامية مثل: الوزراء والقضاة، يتضح ذلك من الوثيقة المذكورة التي عني المؤرخ فيها بتسجيل وفاة الفقيه "إبراهيم بن الحسن" قاضي من قضاة شوا في رمضان (653هـ - أكتوبر 1255م)، مما يدل على وجود حياة علمية ودينية زاخرة، شأنها في ذلك شأن السلطنات الإسلامية الأخرى؛ مما يجعلنا نقول إن هذه السلطنة عاشت عصرا زاهرا كبيرا، وأنها عاشت مستقلة عن جيرانها سواء كانوا مسلمين أم مسيحيين، ولكن سيطرة "شوا" على جيرانها المسلمين لم تستمر طويلا أمام اضطراب أحوالها وكثرة الفتن الداخلية التي جعلتها تسير في طريق الضعف وخاصة في الخمسين عاما الأخيرة من عمرها، ولذلك انتهز حكام "أوفات" الإسلامية الفرصة وأغاروا عليها وأسقطوها وضموها إلى دولتهم. 276

أسباب سقوط مملكة شوة الإسلامية:

هناك أسباب وعوامل التي كانت سببا لسقوط مملكة شوة الإسلامية، من أهمها ما يلي:

أولا: العوامل الاقتصادية: وتتمثل في ظروف طبيعية جغرافية حدثت في الثلاثين عاما الأخيرة من عمر الدولة، وأدت إلى نقص مياه الأمطار بدرجة نتج عنها حدوث مجاعات، وطواعين فتكت بالناس فتكا ذريعا، وأضعفت الدولة وسكانها أمام أي هزات داخلية أو خارجية.

ثانيا: سوء الأحوال السياسية: ويتمثل في الصراع الداخلي بين أمراء الأسرة المخزومية على الحكم، وكثرة المتمردين والمغتصبين لعرش السلطنة، وكثرة الحروب الأهلية، وما كان ينتج عنها من إحراق المدن وتدميرها ونهبها وقتل كثير من سكانها. 277

وقد أشار المؤرخ الإيطالي "تشيروللي" في وثيقته بقوله: "ولم يظهر الصراع الداخلي بين أمراء هذه السلطنة إلا في المائة عام الأخيرة من عمرها وخاصة منذ عهد السلطان "حسين" عام 575هـ - 1179م، ثم تولى بعده السلطان عبدالله سنة 590هـ - 1194م، وكان مغتصبا للعرش، استطاع أن يزيحه ابن السلطان حسين في عام 632هـ - 1232م واستمر في الحكم 14 عاما، ثم أعقبه

276 سلطنة شوا الإسلامية، منشورات مجلة منارة الإسلام، العدد 198، القاهرة، 2010م، ص: 2.

277 نفسه، ص: 3.

عدد من المغتصبين، ثم عاد العرش إلى صاحبه الشرعي وهو السلطان "دلمارة بن والزرة" سنة 668هـ - 1269م، الذي صاهر "عمر ولشمع" سلطان مملكة أوفات الإسلامية كي يشد أزره بهذه المصاهرة، لكن الطامعين في العرش ازدادوا شراسة حتى انتهى الأمر بمقتل السلطان دلمارة بن والزرة في سنة 688هـ - 1289م، وقد أدت هذه الظروف السيئة إلى تدخل سلطان أوفات الإسلامية عمر ولشمع؛ فدخل شوا وانتقم من قتلة صهره السلطان "دلمارة" واستطاع أن يعيد الأمن والوحدة إلى شوا من جديد، وبهذا حافظ عمر ولشمع على سلطنة شوا من أن تقع في يد الأحباش وذلك بعد أن ضمها لدولته". 278

الثانية: مملكة أوفات Awfate الإسلامية 648 - 805هـ / 1250 - 1402م:

وقد كانت تسمى "وفات" أو "جبره" أو "جبرت"، وكانت العامة تطلق عليها لفظ "أوفات"، وهي أوسع الممالك التي قامت في الحبشة، إذ تبدأ من ساحل البحر الأحمر ممتدة إلى قلب الحبشة شاملة إقليم شوة الشرقي، كما كانت أقواها، لتحكمها في الطريق التجاري الذي يربط داخل الحبشة بميناء زيلع، ولسيطرتها على تجارة الحبشة. 279

وقد أسس مملكة وفات الإسلامية مهاجرون من قريش، من بني عبد الدار أو من بني هاشم، من ولد عقيل بن أبي طالب، قدم أسلافهم من الحجاز، واستوطنوا مدينة أوفات التي تقع غربي زيلع - وهي من أكبر مدن الحبشة، واشتهر قوم الملقب بـ "ولشمع"، أحد تجار أوفات الأقوياء، فولاه الحطّي 280 مدينة أوفات وأعمالها، لما نبه شأنه، فحكم بها مدة طويلة، وشكرت سيرته، وصارت له بها شوكة قوية، وذلك منذ منتصف القرن السابع الهجري. 281

278 Islam in sudan, RussiniTashiruli, Trimminghamlondres, 1965, p : 258.

279 انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ومناهضة الغرب له، محمد عبد الله النقيير، المرجع السابق، ص: 199.

280 الحطّي: ملك الحبشة كلها.

281 نفسه، ص: 202.

وكان سلطان وفات أقوى سلاطين الممالك الإسلامية بالحبشة، بل "كلهم متفقون على تعظيم صاحب أوفات منقادون إليه" 282 وكانت تتبعه إمارتان صغيرتان هما "عدل ومورا، وملك سكانها السفن فحملت متاجرهم عبر البحر الأحمر والمحيط الهندي والسلاح الوفير ليحموها من القراصنة، كما كان لديهم الرجال المدربون على استخدامه، وأثرى مسلمو وفات بالتجارة ثراء عظيمًا، وكان لتفوقهم المادي والحضاري على بقية السكان أن نبه شأنهم، فانتشر الإسلام بين السكان غير المسلمين.

وتمكن المسلمون هناك بما لديهم من مال و ثراء وسفن من إيفاد أبنائهم إلى مراكز العلم ومساجده في مصر والشام والحجاز واليمن يرتشفون من معين لا ينضب، ويتزودون بثقافة إسلامية متعددة الجوانب، وعاد بعضهم فقام بدور الداعية وتولى آخرون القضاء، وقام بعضهم بالزعامة الدينية والسياسية هناك وساهم هؤلاء وأولئك في نشر الإسلام وثقافته، ففتحوا الكتائب لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ الدين. 283

والظاهر أن تاريخ وفات لم يتضح إلا بعد أن مات ولشمع هذا، وترك أربعة أو خمسة أبناء، تولوا عرشها واحدا بعد آخر، إلى أن تولى آخرهم صبر الدين محمد بن عمر بن ولشمع عرشها في حدود سبعمائة من سني الهجرة وطالت مدته.

واستمر الملك في نسله من بعده تحت سلطان ملك الحبشة المسيحي وخضوعهم له إلا أن بعض الذين تولوا عرش وفات حاول الاستقلال بها والتمرد على سلطان ملك الحبشة وخلع طاعته بسبب عدوان الحبشة المسيحية على المسلمين، وأول هؤلاء "علي بن صبر الدين حفيد عمر بن ولشمع"، وقد اشتهر ذكره البلاد وخلع طاعة الخطي إلا أنه لم أنه لم يلبث أن عاد لطاعته إذ خذله البدو وعز ناصرته، فولى الخطي "سيف أرعد 745 - 773هـ" ابنه أحمد، ولكن أول من استبد من ملوك وفات المسلمين بالأمر وحارب ملك الحبشة وأسر الكثيرين من عساكره وغنم منهم مالا كثيرا - وهو حق الدين، فقد قوي أمر وجمع الناس حوله وهزم جيوش ملك الحبشة سيف أرعد، وهو أول من

282 نفسه، ص: 202.

283 العصر الأول من الأسرة السلিমانيّة، د/ زاهر رياض، رسالة الدكتوراه، بجامعة القاهرة، 1979م، ص: 7.

خرج على أهله وحاربه بالرغم من اشتهاره في بداية أمره بالصلاح واشتغال بطلب العلم، وسبب ذلك أن جده عليا كان قد أعرض عنه وكرهه عماه - وهما ملا أصفح وأبو بكر - كراهية شديدة، وأخرجته من مدينة وفات إلى بعض أعمالها وألزم واليها أن يهينه ويستخدمه، فأخرجته الوالي لجباية مال بعض النواحي فعمل على تدعيم مركزه وجمع الناس عليه حتى قوي أمره وأظهر الخلاف على ولّاه، فحاربه الوالي فانتصر عليه حق الدين وقتله وغنم ما كان معه وضمّ عسكره إليه بعد أن استمالهم بالمال الجزيل، فاستنجد عمه ملا أصفح بالخطي سيف أرعد، فأمدّه بعسكره كثير عدّتهم ثلاثون ألفا - على ما يقال - فانتصر حق الدين عليهم وغنم ما معهم فاستنجد عمه بالخطي ثانية فأمدّه بعسكر كثير فهزمهم وقتل عمه وقتل معظم العساكر الذين معه وغنم ما معهم، وسار إلى مدينة وفات فأقر جده عليها وأخرج أهلها بعيالاتهم إلى أرض شوة، وبنى عاصمة لمملكة هناك سماها "وحل"، ومنذئذ تلاشت مدينة وفات حتى خربت. 284

ومنذ ذلك الوقت صارت الحرب سجالا بين المسلمين بزعامه ملك وفات وبين الأحباش غير المسلمين، يتبادل فيها النصر والهزيمة، واستمرت الحرب حتى تزعم المسلمون الإمام "أحمد بن إبراهيم" سنة 932 - 949 هـ / 1526 - 1543م، الذي اكتسح الحبشة كلها تقريبا ونشر الإسلام بين الأحباش حتى لم يبق على مسيحيتها سوى العشر تقريبا. 285

وبعد هذه الفترة بدأت مملكة وفات تضعف فتخضع لسلطان ملك الحبشة المسيحي وتدفع له إتاوة، وتقوى أحيانا فتطرح تلك التبعية وتتحلل من قيودها وتستقل عن ملك الحبشة وتمتنع عن دفع الإتاوة له، وكان الإمام أحمد بن إبراهيم أشهر ملوك المسلمين في الحبشة جميعا، وهو الذي أعاد لحكام مسلمي الحبشة سيرة حكومة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ وبالرغم من انشغاله في الجهاد الإسلامي ورد عدوان الحبشة المسيحية وحليفها البرتغال على مسلمي الحبشة إلا أنه لم يدّخر وسعا في الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي والاقتصادي، والعمل على توفير حياة حرة كريمة لرعيته، مما جعل حكمه فريدا بين حكم الملوك السابقين له، وجعله أشهرهم وأقواهم على الإطلاق

284 الإمام عما بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، أحمد بن علي المقرئ، ط 1، المكتبة الأزهرية للتراث، 2008م، ص: 10 - 11.

285 انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ومناهضة الغرب له، محمد عبد الله النقيير، المرجع السابق، ص: 205.

وقد وحد ممالك المسلمين جميعا تحت سلطانه، بل تربع على عرش الحبشة كلها، وقهر الأحباش الذين كان المسلمون قبله يؤدون لهم الإتاوة وأدخلهم تحت سلطانه، وأدخلهم في الإسلام، ولولا تدخل البرتغاليين ومساعدتهم ملك الحبشة الطريد وفلول جيشه المهزوم - وقتلهم الإمام أحمد - لظلت الحبشة مسلمة جميعها إلى يومنا هذا. 286

وفي فترة الأخيرة لمملكة أوفات انتاب بعض الفتن الداخلية بسبب النزاع على العرش بين أفراد الأسرة الحاكمة، وانتهى النزاع بانفراد "حق الدين الثاني" وإعلان استقلاله عن الحبشة، واستطاع أن يهزمها ويردها عن إمارته فترة طويلة، والتف المسلمون للمرة الأخيرة حول خليفته وأخيه "سعد الدين"، واستأنفوا حركة الجهاد ودحروا الأحباش، وتوغلوا في أرض مملكة النجاشي لكن "سعد الدين" هزم في معارك الأخيرة، واضطر إلى الفرار إلى جزيرة زيلع حيث حوصر وقتل عام 805هـ - 1402م نتيجة لخيانة رجل دلهم على مكمنه. 287

يتضح لنا مما سبق أن مملكة أوفات كانت قوية في أول الأمر، واستمرت نفوذها حتى كان أحد ملوكها أشهر ملوك الحبشة كلها، إلا أنها ما كاد تكتمل نموها وتزداد قوتها حتى واجهت حربا صليبية ضروسا استنزفت مواردها وشغلته عن التفرغ للدعوة الإسلامية، ولذلك فإن الإنتاج الثقافي لتلك المملكة كان محدودا جدا، إذ إن الصراع مع الأحباش أخذ كل وقتها ولم يترك لها فرصة للإبداع والابتكار، ولم تنج سلطنة واحدة من الاشتباك مع هؤلاء الأحباش.

286 نفسه، ص: 207.

287 سلسلة ممالك الإسلامية في القارة الأفريقية، شبكة الألوكة، إشراف: سعد بن عبدالله الحميد، الموقع: www.alukah.net، 2016م، ص: 2.

الثالثة: مملكة كلوة Kalwat الإسلامية 365-902هـ / 975-1499م:

قامت هذه المملكة نتيجة هجرة قدمت من شيراز بفارس، كان على رأسها علي بن حسن بن علي وأبنائه الستة، حيث كانوا على متن سفنهم بما فيها من بضائع بقصد التجارة، ولما وصلوا إلى جزيرة كلوة التي تقع أمام الساحل الشرقي لأفريقيا، وهي ضمن دولة تنزانيا الآن، استقروا فيها منذ عام 365هـ - 975م، وقد اتخذوا مدينة كلوة عاصمة لدولتهم وبنوا بها القلاع والحصون، وكان أبناء علي بن الحسن الستة قد نزلوا على امتداد الساحل الشرقي لأفريقية والجزر المواجهة له، كل بموضع معين، واعترفوا بسيادة أبيهم عليهم، نزل أحدهم في جزيرة منبسا وبنى بها مدينة منبسا، ونزل الثاني في جزيرة زنجبار، والثالث في جزيرة شاكة، والرابع في جزيرة بمباه، والخامس في جزيرة مافيه. 288

ولما شعر علي بن الحسن بقوته وعزة جانبه أخذ يمد سلطانه على الأمم المجاورة فأرسل أحد أبنائه إلى الأمم المجاورة وأرسل أحد أبنائه إلى جزيرة انجوان من جزر القمر، وأرسل آخر إلى جزيرة منفية ولقب هذا الابن الشاب بالسلطان، واستطاع علي هذا أن يؤسس مملكة قوية سيطرت على جزء كبير جدا من ساحل شرقي أفريقية والجزر المواجهة، امتد قبل وفاته من سفالة جنوبا إلى منبسا شمالا، مما ساعد على انتشار الإسلام بتلك الأنحاء، واستمر حكمه أربعين عاما. 289

ولقد بسطت دولة كلوة سيطرتها على مناجم الذهب والحديد في روديسيا منذ عهد ثاني سلاطينها، وبلغت في عهده ذروة قوتها، فأخذت تمد نفوذها على المدن المجاورة وأخضعت لحكمها الجزر القريبة مثل: بمباه وزنجبار وما فيه؛ والبعيدة مثل: جزر القمر، وكان حكام المدن والإمارات والسلطنات العربية الممتدة على طول الساحل من مقديشو شمالا إلى سفالة وموزمبيق جنوبا يعترفون بسلطان كلوة على أنه أعظم مقاما ورفعة، 290 وباتت لمملكة كلوة صلات اقتصادية وثقافية بدول العالم الإسلامي الفسيح، فبنيت المساجد في كل مكان، واحد في كيزاماكي في زنجبار، كتب عليه بالخط الكوفي أسسه السيد أبو عمران موسى بن الحسن سنة 500هـ - 1107م. 291

288 انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ومناهضة الغرب له، محمد عبد الله النقيير، المرجع السابق، ص: 189.

289 نفسه، ص: 190.

290 أفريقيا الشرقية والاستعمار الأوروبي، السيد رجب حراز، دار النهضة العربية، القاهرة، 1968م، ص: 4.

291 انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ومناهضة الغرب له، محمد عبد الله النقيير، المرجع السابق، ص: 191.

واشتغل المسلمون هناك بالتجارة وأثروا منها ثراء واسعاً، وزاد اختلاطهم بالأفريقيين وتزواجهم معهم، وكانت نتيجة ذلك الاختلاط بروز الشعب السواحلي بلغته ومقوماته، وعلموا قبائل الداخل التي احتكت بهم حياة الأمن والاستقرار وحولهم إلى الإسلام، 292 غير أن الشيرازيين لم يتمكنوا انتشار مذهبهم في المنطقة؛ ولم يحاولوا فرضه على الأفريقيين، ويدل على ذلك أن المذهب المنتشر في كلوة هو المذهب السني، ومما يؤكد ذلك هو أن ابن بطوطة حين زار كلوة سنة 731هـ قال عن أهلها: "والغالب عليهم الدين والصلاح، وهم شافعية المذهب". 293.

وزادت دولة كلوة غنى وتنوعت مشروعاتها الاقتصادية لدرجة أذهلت ابن بطوطة حين زارها، فقد أدهشه الرخاء المادي الذي كان يرفل فيه أهلها والحضارة الياقة التي ازدانت بها، وصور الحياة فيها تصويراً يعيد مجد دولة الإسلام في ظل حكومة الخلفاء الراشدين، وكانت حكومة كلوة ذات نظم سياسية وإدارية راقيتين، تحكم وفق شريعة الإسلام. 294.

ولقد انفعل سلاطين هذه المملكة سواء أكانوا من الفرس أم من العرب بالحياة والتقاليد الإسلامية كل الانفعال، فأكثرُوا من بناء المساجد والمدارس، واهتموا بالعلوم الإسلامية، واستقدموا العلماء ورحبوا بالأشراف والصالحين، كما شاركوا في الجهاد ضد الوثنيين الذين كانوا يقيمون في الداخل، وقد أشار إلى ذلك ابن بطوطة وقال: "إن سلطانها كان كثير الغزو إلى أرض الزوج، يغير عليهم ويأخذ الغنائم فيخرج خمسها ويصرفه في مصارفه المعينة في كتاب الله تعالى، ويجعل نصيب ذوى القربى في خزانة على حدة، فإذا جاءه الشرفاء دفعه إليهم، وكان الشرفاء يقصدونه من العراق والحجاز وسواها، وكان هذا السلطان له تواضع شديد ويجلس مع الفقراء ويأكل معهم ويعظم أهل الدين والشرف". 295.

292 نفسه، ص: 191.

293 رحلة ابن بطوطة، أبو عبدالله ابن بطوطة، ط 1، دار إحياء العلوم، بيروت، 1987م، ص: 258.

294 رحلة ابن بطوطة، أبو عبدالله ابن بطوطة، ط 1، دار إحياء العلوم، بيروت، 1987م، ص: 258.

295 نفسه، ص: 260.

وتعاقب على حكمها قبل مجيء البرتغاليين ثلاثون سلطاناً، آخرهم الملك فضيل بن سليمان الذي تولى الحكم سنة 901هـ - 1496م، وقد انتقل الملك من بيت علي بن الحسن الشيرازي إلى بيت أبي المواهب، 296 فأخذ الحسن بن طالوت الملك قهراً، وكان مشهوراً بالشجاعة والرأي، واستمر في الحكم ثمانية عشر عاماً ثم مات، فتولى بعده أبو المواهب الحسن بن سليمان المطعون بن حسن بن طالوت المهدي، وكان قد حج إلى مكة، وتلقى العلوم في عدن، وكان عالماً فاضلاً موصوفاً بالكرم والشجاعة، وبلغ من شدة كرمه أن طلب أحد فقراء اليمن منه أن يخلع ثيابه التي عليه وهو خارج من المسجد، ليعطيها للفقير ففعل، فعظم شكر الناس للسلطان على تواضعه وكرمه، ولما توفي هذا السلطان الكريم الفاضل، تولى أخوه داود، فكان على الضد من ذلك، إذ كانت الوفود تقيم ببابه الشهور فيعطيهما القليل، فانقطع عن بابه الوافدون. 297

ولقد استولى الحسين بن سليمان المطعون على عرش كلوة وعزل داود، وبعد ست سنوات ونصف من حكمه خرج إلى قتال الكفار، وجاهد في سبيل الله ثم استشهد فتولى بعجه طالوت بن الحسين، وكانت مدة ولايته سنتين وأربعة أشهر، ثم استناب ولده الحسين بن سليمان، وسافر هو لأداء فريضة الحج، فلما وصل قريباً من نفسه وافته منيته، فدفن في قرية "تواك"، فأصبح نائبه سلطاناً على البلاد، ومكث في الحكم ثلاثاً وعشرين سنة، ثم تولى آخر سلاطين كلوة السلطان فضيل سنة 901هـ - 1496م، وبقي في السلطنة حتى قدم البرتغاليون كلوة سنة 902هـ - 1499م هو عام سقوط مملكة كلوة الإسلامية. 298

يلاحظ أن مملكة كلوة الإسلامية تعرضت لبعض الاضطرابات الداخلية في الفترة الأخيرة من سلطنتها، وضعف شخصية السلاطين، وقد أعطى كل هذا الفرصة للبرتغاليين للسيطرة على مقاليد الأمور في البلاد، وبالرغم من كل ذلك شاع الرخاء المادي أرجاء السلطنة وضربت في ميدان التقدم الحضاري بنصيب كبير.

296 أبو المواهب: هو الذي زار ابن بطوطة مملكة كلوة في عهده.

297 رحلة ابن بطوطة، أبو عبد الله ابن بطوطة، ص: 260.

298 انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ومناهضة الغرب له، محمد عبد الله النقيير، المرجع السابق، ص: 195.

ومما يلاحظ أيضا هو أن هذه الممالك الإسلامية التي قامت في ساحل شرق أفريقيا تختلف عما سنراه في أقطار أفريقية أخرى (وسط أفريقيا وغربها) من التطور؛ إذ لم تكن هذه الممالك أفريقية خالصة، أسستها أسرات من أهل البلاد الأصليين الذين أسلموا، كما حدث في مملكة غانا ومملكة مالي وسنغاي وغيرها، إنما أسستها أسرات عربية الأصل، فسلطين شوا وسلطين أوفات وكلوة وغيرها يمثلون أرستقراطية عربية مهاجرة، استقرت في هذه الجهات ونمت ثروتها وازداد نفوذها واستولت على حكم البلاد وكانت الرعية مسلمة ومن أهل البلاد الأصليين.

المطلب الثاني: بعض ممالك الإسلامية التي قامت في وسط أفريقيا:

لقد عرضنا الإسلام في ممالك الإسلامية "شوا وأوفات وكلوة" وهي ممالك التي قامت في شرق السودان الأفريقي، والحديث هنا هو عرض الممالك الإسلامية في السودان الأوسط أو ما يعرف بقلب القارة الأفريقية حيث قامت مملكة كانم التي انتقلت فيما بعد إلى منطقة برنو، وغيرها من الممالك الإسلامية كما سنرى فيما في هذا المطلب، وقد لعبت هذه الممالك دورا عظيما وفعالا في تاريخ وسط وغرب أفريقيا وفي تحضرهما، وساهمت مع غيرها من الممالك الإسلامية التي ظهرت جنوب الصحراء الكبرى في تقدم القارة الأفريقية وازدهار حضارة الإسلام فيها وانتشار سبيل النهضة الإسلامية التي ظهرت في تلك المنطقة.

الأولى: مملكة كانم أو برنو الإسلامية 183-1317هـ / 800-1900م:

تعتبر مملكة "كانم Kanim بكسر النون" أكبر دولة نشأت في منطقة المراعي بين نهري النيل والنيجر، وبالرغم من فقدانها لمناجم الذهب التي كانت موجودة في غانا ومالي فإن موقع كانم ضمن لها مصدرا من مصادر الثراء لسيطرتها على طرق التجارية للقوافل المتجهة شمالا إلى فزان في ليبيا ومن ثم إلى البحر الأبيض المتوسط وشرقا إلى حوض نهر النيل، وقد أمنت هذه التجارة كما كان الحال في مالي وسنغاي نمو مملكة كانم كدولة قوية ومركزية في تلك المنطقة، ويضاف إلى ذلك أن طبيعة المنطقة من حيث خلوها من العوائق الطبيعية كالصحراء أو الغابات أو المرتفعات أدت إلى تيسير النقلة منها

وعليها، وساعدت على استقرار كثير من المجموعات وإلى استغلالها بالزراعة بجانب المجموعات التي استمرت على ممارسة الرعي. 299

مملكة كانم قبل دخولها الإسلام: سكن هذه المملكة قبل مجيء الإسلام إليها مهاجرون من الشرق في أعقاب الحروب التي اندلعت في وادي النيل منذ عهد الهكسوس 300 إلى عهد الفتوحات العربية، وقد عرفت من هؤلاء المهاجرون باسم شعب "ساو"، والمعروف قليل عن أصول هذه الشعب، فالبعض يقول أن شعب "ساو" هو أحد فروع الفولاني، وآخرون ذكروا أن هذا الشعب جاء من فزان ويفسر كلمة "ساو" بمعنى "عمالق"، وحاول بعض الكتاب أن يرد أصول هذا الشعب إلى سلالة الهكسوس على أساس التشابه في الخلقة، كما وضع البعض احتمال أن يكون أصل هذا الشعب نيلوني أي من حوض نهر النيل لامتيازهم بطول القامة كغيرهم من سكان وادي النيل. 301

وتشير بعض المصادر إلى ظهور طبقة حاكمة في كانم عرفت باسم "دوغاوا" وامتد حكمها من القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر الميلاديين، ويرى البعض أن هذه الطبقة قد تكون شعب الزعامة، ولكن باسم آخر أو مجموعة أخرى استأصلت هذا الشعب وحلت مكانه. 302

دخول الإسلام إلى مملكة كانم: ومع بداية القرن الحادي عشر الميلادي دخل الإسلام إلى كانم ومن ثم تحولت الأسرة الحاكمة فيها إلى الإسلام، وبعد أن اعتنقت الأسرة الحاكمة الإسلام استطاع الدين الحنيف أن يكسب لنفسه جبهة ثابتة في المنطقة السودان الأوسط، وقد أشاع الإسلام علاقات حضارية وفكرية بين هذه المناطق وجيرانها المسلمين. 303

299 المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، محمد فاضل باري، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م، ص: 130.

300 الهكسوس: هم قبائل وجماعات استقرت في مصر القديمة في القرن الثامن عشر قبل الميلاد واستولت على السلطة فيها حتى عام 1570 قبل الميلاد.

301 إمبراطورية البرنو الإسلامية، إبراهيم طرхан، دار المعارف، القاهرة، 1975م، ص: 19.

302 المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، محمد فاضل باري، المرجع السابق، ص: 132.

303 نفسه، ص: 132.

ومن جهة أخرى أصبحت مملكة الكانم بعد اعتناق حكامها الإسلام دولة ذات أهمية كبيرة وضخمة وأكثر تنظيماً وكفاية في أساليب الحكم كما بسطت سلطاتها على قبائل السودان إلى حدود مصر وبلاد النوبة شرقاً، وقد استعان أهل كانم بالحفصيين حكام تونس، واستطاعوا أن يفتحوا الصحراء كلها في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي،³⁰⁴ وصولاً إلى صحراء فزان في ليبيا شمالاً والتي تمتاز بسيطرتها على طرق القوافل التجارية، وقد برع أهل كانم في التجارة وكانت لهم علاقات تجارية مع مصر وطرابلس والسودان وثور البحر الأحمر، بالإضافة إلى العلاقات الثقافية مع طرابلس ومصر، إذ اتبع الكانميون المذهب المالكي وأسس حكام هذه المملكة مدرسة مالكية في القاهرة عرفت باسم مدرسة "ابن رشيق" لتعليم الطلاب الوافدين إلى مصر كما كانت اللغة العربية لغة التعليم ولغة المملكة الرسمية فضلاً عن كونها لغة المعاملات التجارية³⁰⁵ إلى جانب اللغة المحلية التي كانت تعرف باسم "كانوري"، وكان أهل كانم يتعاملون بالقماش الذي ينسجونه في بلادهم ويطلقون عليه اسم دندي، كما يتعاملون بالودع والحرز وقطع النحاس والورق على أساس تسعيرها بالقماش، كما كان جندهم يتلثم وهم لا يرون ملكهم إلا في يوم العيد، ولا يكلمه أحد إلا من وراء حجاب.³⁰⁶

كانم في عهد الملوك المسلمين: كان أول ملك من ملوك مملكة كانم دخل الإسلام بعد الوثنية حسب Trimingham هو "محمد بن جبل بن عبدالله" 1086 – 1097م، وكان في وثنيته يعرف باسم "حمى"، وكان ملك كانم يتخذ لقب "ماي" وقد ظل هذا اللقب مستعملاً مع الملوك بعد إسلامهم.³⁰⁷

304 انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، حسن إبراهيم حسن، ط 2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1964م، ص: 130.

305 الغارة الصليبية على تشاد، محمد البشير، موقع: soutahan@hotmail.com - إشراف: مصطفى الطحان، 2003م.

306 انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، حسن إبراهيم حسن، ص: 132.

307 Islam in sudan, RussiniTashiruli, Triminghamlondres, 1965, p 115.

تولى الحكم بعد حمى ابنه "دوغما 1097-1150م"، وكان أول من حج من ملوك كانم، وهي ميزة اتبعها الحكام الزوج خلال المراحل الأولى لاعتناقهم الإسلام، حج دوغما مرتين وفي المرة الثالثة غرق بالقرب من المياه المصرية قرب السويس على البحر الأحمر، وكان له الإشراف المطلق على مسالك التجارة إلى الشمال حتى صحراء فزان، وفي أيامه تأزمت روابط الأسرة الحاكمة، وبدأ التفكك، فشبت حرب أهلية أشعلها أبناؤه، ولما توفي دوغما خلفه ابنه "بري الأول 1150-1176م"، وكان ضعيف الخلق فأودعته أمه السجن لأنه أمر بحبس بعض اللصوص ولم يقطع أيديهم كما نص الشرع الإسلامي، و كان آخر ملك مملكة كانم قبل انتقالها إلى مملكة برنو الملك "دوغما بن عبد الجليل عام 1220م"، تولى الحكم بعد والده، وكان ميالا إلى المشاحنات فكثرت المنازعات والحروب في أيامه، لكنه حافظ على الحلف القائم بين مملكته وبين الحفصيين في تونس الذين وقفوا معه في منازعاته، وقد رأوا في حروبه ضد جيرانه الوثنيين نوعا من الجهاد الإسلامي واعتبروا "دوغما بن عبد الجليل" أول حاكم ورع لمملكة كانم حيث قام بالإضافة إلى هذه الحملات العسكرية بإعادة الإسلام الصحيح إلى البلاد بعد فترة من التساهل مع معتقدات الوثنيين قام به الحكام الذين سبقوه، وكنت هذه القبائل الوثنية قد ألفت طبقة حاكمة في منطقة "فيتري" المجاورة لكانم من ناحية الشرق ووقفت في وجه الميول الإسلامية للعائلة الحاكمة التي ينتمي لها "دوغما بن عبد الجليل"، وقد كان ذلك سببا في نزاعه معهم. 308

انهيار الأسرة الحاكمة في كانم وانتقالها إلى برنو: حل الضعف والوهن في المملكة بعد وفاة "دوغما بن عبد الجليل" ويعود ذلك لعدة أسباب منها: انتشار الفقر في أوقات الحروب واندلاع الثورات التي كان يقوم بها رعايا المملكة الوثنيون وتزايد النزاعات على السلطة بين أولاد "دوغما"، إلا أن الخطر الأكبر أتى من قبائل "البولالا"، إذ تطرق الضعف إلى المملكة قبل نهاية القرن الرابع عشر الميلادي بعد أن أغارت عليها هذه القبائل، وبين عامي 1387م و1400م هاجمت تلك القبائل مملكة كانم وقتلت خمسة من ملوكها واحتلت فيما بعد العاصمة، وقد اضطر الملك عمر ابن إدريس إلى نقل

308 المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، محمد فاضل باري، المرجع السابق، ص: 135.

قاعدة بلاده بعد ذلك إلى غربي بحيرة تشاد وأقام في بلاد برنو، وقد أصبح اسم مملكة كانم معروفا بها منذ ذلك الحين. 309

ويعتبر علي غازي بن دونما 1476-1503م المؤسس الحقيقي للدولة الجديدة في برنو، فقد استطاع أن يقضي على الحروب الداخلية وأن ينشئ نظاما إداريا مستقلا كما شيد له عاصمة جديدة على نهر "Yo" غرب بحيرة تشاد وسماها "Ngazargamo" واستطاع بعد هذا الاستقرار أن يمد نفوذه إلى بعض دول الهوسا التي تقع الآن في شمال غربي نيجيريا وأخذ منها الجزية، وخلف علي غازي ابنه "إدريس" 1503-1526م، فزحف على كانم من جديد ولم تستطع قبائل البولالا أن تقف في وجهه فاستعاد كانم وتقهقر البولالا إلى الشرق وقبلوا أن يدفعوا الجزية إليه وقنع إدريس بذلك دون أن يتابع الهجوم عليهم. 310

خلف إدريس بن علي غازي إدريس آخر لكنه اشتهر باسم "إدريس علومه" حكم من عام 1526-1602م، وكان مهما من ناحية اتجاهاته الإسلامية أكثر كمؤسس للمملكة، ففي مملكة كانم كانت طبقة الحكام والفقهاء هي التي تدين فقط بالإسلام الحقيقي لذلك بذل جهدا كبيرا ليجعل الإسلام دين الدولة ولينشره في جميع ربوعها حتى أصبحت جميع طبقة الوجهاء في المملكة تدين بالإسلام، كما اتجه إلى اقتباس التشريع الإسلامي والعمل به وبنى مساجد ضخمة من الحجارة وأنشأ في مكة مقرا لحجاج برنو، وعمد إدريس إلى تنظيم حروبه لتتماشى مع نظام الجهاد الإسلامية فاتبع الفكر الإسلامي في نظام الأسرى وأصبحت حروبه لنشر الإسلام تابعة للفكر الإسلامي ولم يعد هناك إكراه لأي شخص ليدخل الإسلام وأصبح الدخول في الدين الخفيف طوعية. 311

309 انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص: 130.

310 المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، محمد فاضل باري، المرجع السابق، ص: 137.

311 نفسه، ص: 139.

وبعد وفاة إدريس علومه حكم خلفاؤه من عام 1602م إلى 1893م، حيث تولى الحكم "أبكر بن عمر" وهو آخر سلطنة مملكة برنو، وفي عهده دب الضعف في برنو لأنه اشتغل نفسه بالقصر والحريم ولم يعر اهتماما للإدارة والسلطنة، ففي نهاية القرن التاسع عشر الميلادي هاجم برنو زعيم سوداني يدعى "رابح الزيري" نسبة إلى الزير باشا الذي كان تاجرا واشتد نفوذه فنال مكانه سياسية هامة عن طريق ثروته وقوته ففتح منطقة "دارفور" باسم الحكومة المصرية، وكان رابح قائدا عنده، وفي عام 1893م قضى على سلطنة برنو فاسقط ابن عمر آخر ملوك برنو، وأصبح رابح حاكم هذه المملكة الفسيحة، وفي عام 1900م قتل رابح في معركة مع الفرنسيين الذين بدأوا بنشر استعمارهم في أفريقيا ودخلت فرنسا إلى المنطقة مع شريكها في الاستعمار بريطانيا، فتقاسم الاثنان أراضي برنو التي يعد فيها أي سلطنة إسلامية. 312

يلاحظ مما سبق أن مملكة كانم- برنو - دولة أفريقية إسلامية أصيلة، وكان لها شأن حضارة واستمرار تاريخي حتى مطلع القرن العشرين، وقد عمرت الدولة فترة طويلة من الزمان تحت اسم كانم حينما كانت شرق البحيرة، واسم برنو حينما انتقلت إلى غرب البحيرة، ومن الدول الأفريقية في وسط وغرب القارة التي قامت على أنقاض مملكة كانم أو برنو أو ضمت أجزاء منها هي: جمهورية تشاد، وجمهورية أفريقيا الوسطى، وجمهورية النيجر، وجمهورية نيجيريا، وأخيرا جمهورية الكاميرون.

الثانية: مملكة البولالا أو (البلالة) Boullala الإسلامية 766-1318هـ / 1365-1900م:

قامت هذه المملكة في حوض بحيرة تشاد "أي: في بلاد السودان الأوسط"، وبالتحديد في حوض بحيرة فتري، وإلى الشمال منها حتى بحيرة تشاد، وظهرت كدولة يمكن التحقق من تاريخها منذ عام 766هـ - 1365م، واستمرت حتى بداية القرن العشرين، عندما سقطت المنطقة كلها في يد الاستعمار الفرنسي.

وقد كان البلالة وثنين حتى القرن الثاني عشر الميلادي؛ حيث أسلموا عقب إسلام بني عمومهم الذين يتمثلون في الحاكمة في سلطنة كانم في القرن الحادي عشر الميلادي.

312 إمبراطورية البرنو الإسلامية، إبراهيم طرхан، المرجع السابق، ص: 145.

وكان أول زعيم البلالة هو عبد الجليل بن سيكوما الذي حكم في الفترة من 766-814هـ/1365-1411م، وكانت فترة ذلك الزعيم البولالا فترة ظهور قوة البولالا على مسرح الأحداث السياسية كقوة عسكرية سياسية في السودان الأوسط حيث بدأ نجمها يسطع في سماء المنطقة وتكونت دولة واسعة الأرجاء وتدخل في صراع طويل مع شعب الكانم وقد حكم ذلك الزعيم القوى ستة وأربعون عاما استطاع خلالها أن يوحد ويقوى نفوذ سلطنة البولالا على حساب أبناء عمومته أو أخوته من شعب الكانم ثم خلفه على عرش السلطنة البولالية السلطان محمد علوان الذي حكم لفترة تصل إلى ستة عشر عاما من عام 814-830هـ/1411-1427م، ثم خلفه على عرش البلاد السلطان محمد رشاد الذي حكم فترة تزيد قليلا على ثلاثة وعشرين عاما قضى معظمها في توسيع رقعة السلطنة والقيام بالهجوم على القبائل الوثنية في الجنوب الغربي، وكذلك الدخول في معارك حامية الوطيس مع سلطان الكانم وحكم في الفترة من 833-854هـ/1427-1450م، ثم جاء بعده السلطان محمد عال وقد قضى هذا على عرش السلطنة فترة قصيرة لم تزد عن ستة سنوات حيث حكم في الفترة من 854-861هـ/1450-1456م، ثم تلاه في قيادة السلطان محمد بن عبد الله الذي تطلق عليه المصادر محمد عادل الكبير حيث حكم فترة تزيد على إحدى وعشرين عاما وقد قتل هذا السلطان سلطان كانم بن تاجي بن مريم عام 1461م، وقد كانت فترة حكمه في الفترة من عام 861-880هـ/1456-1475م.³¹³

وجاء بعده السلطان محمد بياض وقد حكم هذا فترة قصيرة لم تزد عن أربعة أعوام حيث حكم من عام 880-884هـ/1475-1479م، وجاء بعده حاكم قوي استطاع أن يوحد دعائم سلطنة البولالا وأن تنعم البلاد في عهده بالرخاء والنمو الاقتصادي حيث حكم فترة تزيد عن ثلاثين عاما قليلا وكانت فترة توليه السلطة عام 884هـ-1479مواستمر في توليه الأمور حتى عام 914هـ-1508م ذلك هو السلطان محمد عمر، ثم آلت الأمور في البلاد بعد محمد عمر هذا إلى السلطان محمد جبل الصغير حيث حكم فترة تزيد عن ثلاث سنوات في أعوام 914-917هـ/1508-1511م، قد حرص سلاطين البولالا على أن يطلق على كل سلطان فيهم عبد الجليل وهو المؤسس القوي لهذه الأسرة المالكة التي ظلت تحكم منطقة فترى حتى القرن العشرين الميلادي، حيث كان آخر

313 الإسلام وحضارته في وسط أفريقيا سلطنة البولالا، عبد الفتاح الغنيمي، ط 1، مكتبة مدبولي- القاهرة، 1996م، ص:

السلطان البولالا هو السلطان كرومه الذي انتهى حكمه في عام 1341هـ - 1922م، وبذلك يكون ذلك السلطان هو خاتمة المطاف لأسرة البولالا التي ظهرت كقوة عسكرية وسياسية ذات نفوذ سياسي وعسكري واسع في ستة قرون متواصلة حيث كانت بداية قوتها في عام 766هـ - 1365م، ونهايتها في عام 1318هـ - 1900م. 314

يتضح لنا مما أن أسرة البولالا (البلالة) من أطول وأقوى أسرة تحكم تلك المنطقة الواقعة حول بحيرة فترى وجنوب شرق بحيرة تشاد حول كانم حيث كان ذلك الاستقرار السياسي دليل قوي على قوة هؤلاء السلاطين في قيادة شعبهم وتوجيه أموره السياسية والمحافظة على وضعه السياسي في تلك المنطقة من بلاد السودان حيث تقع في منطقة احتكاك سكاني بين السودان الشرقي والغربي والأوسط، وعلى الرغم من طول مدة بقاء هذه السلطنة، فإن المؤرخين لم يذكروها كثيرا ولم يهتموا بها؛ لأنها كانت تابعة لسلطنة الكانم والبرنو في كثير من فترات حياتها. أما من الناحية السياسية والعسكرية فقد ظهر خطر البلالة على سلاطين دولة كانم منذ وقت مبكر، رغم صلة القرابة التي تربط بينهما، ويعود ذلك إلى أن البلالة كانوا يحاولون التخلص من تبعيتهم لأقربائهم من حكام كانم، وقد ظهر هذا الخطر منذ عهد أول سلاطين كانم الإسلامية وهو الماي السلطان "محمد بن جبل بن عبدالله" الذي حاربهم وانتصر عليهم، فأعلنوا الطاعة والخضوع، وظلوا يتقلبون بين التبعية والتحرر من سلطان كانم حتى ظهر زعيمهم الموصوف بالقوة والشجاعة والدهاء وهو "عبدالجليل بنسيكوما" الذي حقق لهم الاستقلال التام والتوسع في حدود سلطنته في عام 766هـ - 1365م، عام تأسيس مملكة البولالا الإسلامية، واتخذ من مدينة "ماسيو" التي تقع بين بحيرة فترى وكانم عاصمة له.

الثالثة: مملكة الهوسا Hawssa الإسلامية 750-1231هـ/1349-1816م:

تقع بلاد الهوسا الآن في شمال دولة نيجيريا والقسم الجنوبي من دولة النيجر، وإذا أزلنا الحواجز السياسية تكون الحدود الطبيعية لهذه البلاد هي: سهول خصبة محصورة بين الصحراء الكبرى وجبال "Air" من الشمال وثنية نهر النيجر في الغرب وبحيرة تشاد مع جمهورية الكاميرون في الشرق والمناطق الساحلية لخليج غانا في الجنوب، وكانت بلاد الهوسا في الماضي تقع بين مملكتي سنغاي في الغرب وبرنو في الشرق وهذا الموقع جعلها مطمع هاتين المملكتين ولكنها لم تقع في قبضة النفوذ السياسي لأي منهما. 315

إنشاء مملكة الهوسا: بدأت نواة مملكة الهوسا بأسوار تدعى "بيرني"، وكان في كل بيرني اكتفاء ذاتي في التجارة والصناعة وحتى في الزراعة لاحتوائها على مساحة كبيرة من الأراضي الزراعية، لذلك كانت الزراعة هي العمل العادي لمعظم أفراد شعب الهوسا حتى أصبحوا يتمتعون بمستوى عال من المهارة في هذا الميدان، وكانت مدنها أيضا مراكز نشيطة للصناعات، فبالقرب من إمارتي "رانو Rano" وكانو "Kano" كانت تتم صناعة الحديد في سهولة عجيبة بل يقال أن مؤسسي كثير من مدن الهوسا من الحدادين، كما أن نسيج الأقمشة وصبغها كانت تعتبر من الصناعات الهامة في هذه المدن، كما أصبحت صناعة الجلد الهوسوي مشهورة في كل مناطق شمالي وغربي أفريقيا. 316

وكان شعب الهوسا من أكثر الرحالة والتجار مغامرة، فقد كانت مدنها تحتل موقعا جغرافيا ممتازا عند الطرف الجنوبي لأحد أهم طرق القوافل الصحراوية العظيمة الذي يصل شمالي أفريقيا بوسطها وغربها، وما أن انهارت مملكة سنغاي أمام الغزو المراكشي في نهاية القرن السادس عشر تحول المجرى الرئيسي للحركة التجارية مع شمالي أفريقيا شرقا إلى بلاد الهوسا، وقفزت إمارة كاتسينا بصفة خاصة إلى مكان الصدارة والشهرة وسرعان ما أصبح التجار الهوسيون يسيطرون على النشاط التجاري في جميع أنحاء

315 المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة، محمد فاضل علي باري، المرجع السابق، ص: 146.

316 نفسه، ص: 148.

أفريقيا الوسطى وتضخمت جالياتهم في كل المراكز التجارية المهمة، بل وأصبحت لغة الهوسا هي لغة التخاطب العامة في الأسواق. 317

دخول الإسلام إلى مملكة الهوسا: وقد دخل الإسلام بلاد الهوسا نهاية القرن الرابع عشر وأوائل الخامس عشر، بواسطة تجار النيجر وبعض قبائل الونقارة، وربما كانوا من الفلاتة من مالي؛ فاعتنق أهل كانوا الإسلام، وقيل أن الإسلام دخل بلاد الهوسا عن طريق علماء ينتمون إلى قبائل الماندينغ القاطنة في منطقة "وانغارا Wangara"،³¹⁸ ويقال: أن الزعيم الذي وصل في زمنه الإسلام إلى كانو اسمه: "علي ياجي 750-787هـ/1349-1385م" وفي أيامه ازداد عدد الذين اعتنقوا الإسلام وشيدت المساجد،³¹⁹ وفي حماسة شعب الهوسا العقيدية غزوا الجنوب ووصلوا إلى نهر النيجر ثم غزوا ولاية زاريا وقتلوا زعيمها، سرعان ما أخذ الإسلام ينساب في إمارات الهوسا وترسخ وجوده بفضل جهود الفولانيين وأهل سنغاي وبعض المصريين وبفضل تعاليم المرباط التواتي محمد بن عبد القادر المغيلي الذي أدخل الشريعة وبعض عناصر القانون الإسلامي إلى بلاد الهوسا. 320

وعلى هذا فإن دخول الإسلام لبلاد الهوسا لم يكن في وقت واحد ولا من جهة واحدة، فالولايات الغربية تلقت الإسلام من سنغاي ومن الدول الإسلامية في الغرب، والولايات الشرقية من السودان أما الولايات الوسطى فقد تأخر وصول الإسلام إليها، فولاية كاتسينا لم يدخلها الإسلام إلا في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي وذلك بفضل بعثة دعوية من مصر، وفي القرن السادس عشر استولى أسكيا محمد ملك سنغاي على أكثر إمارات الهوسا فساعد ذلك على انتشار الإسلام فيها، وعندما تعرض علماء تبكتو وجني للاضطهاد هاجروا إلى بلاد الهوسا ونشروا دعوتهم في أمن وطمأنينة؛ وعلى الرغم من كل هذه الجهود بقيت الوثنية منتشرة في بعض هذه الولايات مثل ولاية غوبر Goubere

317 المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة، محمد فاضل علي باري، المرجع السابق، ص: 148.

318 نفسه، ص: 149.

319 الغرابة الجماعات التي هاجرت من غرب إفريقيا واستوطنت السودان وادي النيل، عبد الله عبد الماجد، ط 1، دار الطباعة والنشر والتوزيع، عام 1998م، ص: 115.

320 المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة، ص: 149.

في أقصى الشمال ولم يدخلها الإسلام إلا في القرن التاسع عشر الميلادي حين استطاعت جحافل الفولانيين بقيادة "عثمان بن فودي" أن تسقط هذه الدولة وتدخل الإسلام إليها بشكل واسع. 321

نهاية مملكة الهوسا الإسلامية: منذ الشطر الثاني للقرن السابع عشر وحتى أوائل القرن التاسع عشر الميلاديين خضعت الأقاليم التي تعيش فيها قبائل الهوسا للسيطرة الإسمية لمملكة برنو وكانت هذه الأقاليم تتألف من إمارات كانو وكاتسينا وزاريا وزنفره وكبي أما غوبر فاحتفظت بسيادتها، وخلال هذه الفترة وبالتحديد في القرن الثامن عشر لمع نجم قبائل الفولاني المسلمة والتي كانت منتشرة في شتى أقاليم الهوسا وكانوا يكونون ما يمكن أن يسمى دولة داخل دولة، وفي نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاديين بدأ حكام ولايات الهوسا يخافون نفوذ قبائل الفولاني التي كانت تنشر الإسلام في تلك البلاد؛ فقام حاكم غوبر يتصدى لهذه القوة ويكبح سطوتها وعمد إلى اضطهاد أحد الرعايا المسلمين، فتدخل عثمان بن فودي الزعيم لقبائل الفولاني في الأمر لدفع هذا الأذى، فغضب ملك غوبر وبعث في طلب عثمان، فلما رفض الانصياع لأوامر الحاكم بعث الأخير الجند لإحضاره فاندلعت ثورة عارمة هبت في وجه هذا الحاكم قام بها أنصار الشيخ عثمان بن فودي وجاء أتباعه من الفولاني من كل فج يباركون حركته وينتظمون في سلك دعوة فأعلن الجهاد ونجح في إخضاع غوبر وسائر إمارات الهوسا الأخرى الوثنية والإسلامية، وكون منها مملكة واحدة تابع له عام 1816م؛ وفي الربع الأخير من القرن التاسع الميلادي تقاسمت فرنسا وبريطانيا بلاد الهوسا بالإضافة إلى بلاد النيجر، وهكذا انتهى الدور الفعال لمملكة الهوسا على يد الفولاني أولا ثم الأوروبيين ثانيا. 322

321 المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة، محمد فاضل علي باري، المرجع السابق، ص: 149.

322 سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية في إفريقيا، شاكر محمود، (نيجيريا) ط 2، مجلد 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1971م، ص: 20-21.

المطلب الثالث: بعض ممالك الإسلامية في غرب أفريقيا:

تعتبر هذه المرحلة أهم مراحل تاريخ غرب إفريقيا، وهي تقدم تصورا واضحا للحضارات التي قامت في غرب إفريقيا، وتأثرها بالإسلام باعتبار أول دين سماوي وصل إليها.

فإذا كانت الروايات قد أشارت إلى قيام دويلات تكونت على مرور الزمن في ظل تلك الحضارات القديمة بالسودان الغربي، وظهرت تدريجيا مصيرها الحضاري، والثقافي، والاجتماعي، فإن تلك الدويلات هي التي أصبحت ممالك بعد مرور الزمان، ثم تحولت فيما بعد إلى أعظم الإمبراطوريات القائمة في غرب إفريقيا، وازدهرت بعد دخول الإسلام إليها وانتشار فيها، وهي إمبراطوريات غانا، ومالي، وسنغاي، وقد تعاقبت هذه الإمبراطوريات تحكم في غرب أفريقيا الواحدة إلى عام 1591م، ونظرا لأهمية هذه المرحلة في تاريخ غرب أفريقيا، سنشير باختصار طبعاً كما فعلنا في المطلبين السابقين إلى هذه الإمبراطوريات الثلاث.

الأولى: مملكة غانا Ghana الإسلامية 323 468-599هـ / 1076-1203م:

في الوقت الذي أفل فيه نجم الحضارة الكوشية³²⁴ في مناطق شمال شرق أفريقيا، بدأ نجم حضاري آخر في الشروق على الجانب المقابل، في المناطق الغربية للقارة الأفريقية، ودخلت تلك المناطق دائرة التاريخ بظهور مملكة "غانا" التي بلغت أقصى مراتب ازدهارها في القرون العاشر والحادي عشر والثاني عشر الميلادي.

وقد اعتبر المؤرخون مملكة غانا أولى حلقات التاريخ القومي، باعتبارها أولى الممالك الواقعية في السودان الغربي بين السنغال الأدنى والنيجر الأعلى، ويرجع قيامها إلى القرون الأولى الميلادية، ثم صارت ذات سلطة وهيمنة في السودان الغربي خلال القرن الحادي عشر الميلادي إلى منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، بلغت حدودها تمبكتو شرقاً، ومنابع النيجر في الجنوب الشرقي ومنابع نهر السنغال في الجنوب الغربي وتكرور من جهة الغرب.³²⁵

323 غانا التي نقصدها هنا ليست هي "غانا" الحالية التي تقع في أقصى الجنوب من غرب أفريقيا، وعاصمتها "أكرا".

324 مملكة كوش: دولة أفريقية قديمة اتخذت هذا الاسم إبان تنويع "كاشتا" أول ملوك الأسرة الخامسة والعشرين التي هجرت مصر من قبل بضغظ من الآشوريين فاستوطنوا النوبة، وتقع مملكة كوش في الحدود الشمالية الحالية للسودان وأجزاء من جنوب مصر وكانت موطن ثلاث ممالك كوشية، الأولى بعاصمتها كرمة (2400-1500 ق.م)، وتلك التي تمركزت حول نبتة (1000-300 ق.م)، وآخرها مروى القديمة (300 ق.م - 300م)

325 إمبراطورية غانا الإسلامية، إبراهيم طرحان، ط 1، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970م، ص: 15.

وتميزت هذه المملكة بمنطقتين متميزتين: منطقة "أوكار" awkar حيث استقر العرب المهاجرون من شمال أفريقيا وسط السوداني واندمجوا بينهم، ومنطقة "وغادو" wagado التي أصبحت إحدى مدنها عاصمة المملكة وهي مدينة "كومبي صالح".³²⁶

ويتعلق تاريخ هذه المملكة بتاريخ العلاقات التجارية التي كانت تربط السودان الغربي ببلاد المغرب، وقد ساهمت القوافل العابرة للصحراء بصورة فعالة في نشر الإسلام فيها، وكان لأصحاب القوافل والتجار المغاربة دور أساسي في نشر الإسلام بهذه المناطق في فجر الإسلام الأول، عقب فتح شمال أفريقيا، عندما فتح الداعية عقبة بن نافع مدينة غدامس³²⁷ التي كانت بوابة النيجر الشرقية سنة 41هـ/662م، ويذكر أن عقبة انحدر في حملته الثانية نحو السودان الغربي ووصل إلى غانا عن طريق ودان وبني فيها مساجد.

قال القلقشندي: "وكان أهلها غانا قد دخلوا الإسلام في أول الفتح الإسلام لبلاد المغرب قبل نهاية القرن الأول الهجري، وقد اشتهر أهل غانا وأغلبهم من السونينك بحماستهم للإسلام وبالذور الذي نهضوا له في الدعوة إلى الإسلام".³²⁸

326 إمبراطورية غانا الإسلامية، إبراهيم طرхан، ص: 26. وتقع مدينة كومبي صالح حاليا في الحدود المالية الموريتانية.

327 تقع مدينة غدامس في الجماهيرية العربية الليبية حاليا.

328 صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد القلقشندي، ج 5، دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1922م، ص: 284.

والذي يهمننا في معرض كلامنا عن مملكة غانا، هو الإشارة إلى ثلاث نقاط أساسية:

النقطة الأولى: أن مملكة غانا تميزت بتنظيمها لما بلغت أوج ازدهارها في الفترة الواقعة بين عام "338-441هـ/950-1050م" وكانت حالة الرخاء والاستقرار اللذين كانت تتمتع بهما المملكة عنصرا هاما جعلها منها نقطة التقاء بين الشعوب، ويمثل الدخل الوارد من التجارة العابرة للصحراء وبالأخص تجارة الذهب التي تراقب المملكة مناطق انتاجه باعتباره أهم المصادر لشروطها بالإضافة إلى الزراعة. 329

النقطة الثانية: أن سكان المملكة كانوا يبدون شعورا دينيا لا مجال لإنكاره، وتقسيم العاصمة إلى حين احدهما "للمسلمين" وثانها "للوثنيين"، أكبر دليل على التسامح المخيم على البلاد لتعايش الإسلام والوثنية في مدينة واحدة وأن انتشار الإسلام بها مرتبط بالتوسع في النشاط التجاري، وكان للبربر دور كبير في انتشار الإسلام، وكانوا عامل قوة لهذا الدين، ومتحمسين له حتى تمكنوا من الانتظام في حركة المرابطين والاندفاع في هجومات على المملكات الجنوبية في حركة جهادية إصلاحية انتدبت نفسها لغرض الإسلام في كل مكان وعندما هاجموا غانا سقطت في أيديهم عام 599هـ/1203م رغم أن سيادتهم لم تدم طويلا. 330

329 إمبراطورية غانا الإسلامية، إبراهيم طرхан، المرجع السابق، ص: 15.

330 الإسلام بين تحديات التنصير في غرب أفريقيا مالي أنمودجا، عبد العزيز محمد ميغا، أطروحة لنيل الدكتوراه، كلية الآداب - أكادال - الرباط، إشراف: د/ أحمد شحلان، 2007م، ص: 43.

النقطة الثالثة: أنه على الرغم من قلة المادة التاريخية المكتوبة من قبل المؤرخين والجغرافيين والرحالة العرب، أمثال محمود كعت في تاريخ الفتاش، وعبد الرحمان السعدي في تاريخ السودان، والقلقشندي في صبح الأعشى، إضافة إلى الروايات الشفوية التي تناقلتها الأجيال، فإنها في مجموعة تمثل معلومات ثمينة عن تاريخ هذه الفترة الزمنية.331

الأوضاع الاقتصادية لغانا: كانت الأحوال الاقتصادية لمملكة غانا مزدهرة جدا وكانت الحياة بها حياة رخاء وغني، وقد اعتمد اقتصاد غانا على العوامل التالية:

1- **الذهب:** يعتبر الذهب أهم عامل في ازدهار اقتصاد مملكة غانا، إذ اكتسبت هذه المملكة شهرة عظيمة من وجود هذا المعدن الثمين في أراضيها حتى أن ملكها كان يدعى "ملك الذهب" لتواجد الذهب في مملكة غانا في منطقة "بامبوك" Bambouk الواقعة بين نهر السنغال ورافده الجنوبي، وفي منطقة "بوري" Bouré الواقعة إلى الجنوب الشرقي من المنطقة الأولى حيث سيطرت غانا على منجم ذهب هائل، ويتحدث اليعقوبي عن مملكة غانا فيقول: "وملكها عظيم الشأن وفي بلاده معادن الذهب" وكانت تجارة الذهب رائجة جدا وبخاصة مع العرب المسلمين الذين كانوا يأتون لشراؤه من التجار الغانيين وينقلونه إلى أسواق

331 الإسلام بين تحديات التنصير في غرب أفريقيا مالي أنمودجا، عبد العزيز محمد ميغا، المرجع السابق، ص: 43.

شمال أفريقيا ثم يصدر من هناك إلى بلدان البحر الأبيض المتوسط، في المقابل حملت القوافل

العربية إلى غانا النسيج والملح ومصنوعات الزينة.332

2- التجارة: ومن ناحية أخرى كانت غانا محطة للقوافل القادمة من مصر والقيروان والمغرب

وللقوافل القادمة من المناطق الجنوبية في أعالي نهرى السنغال والنيجر، وكان القسم الإسلامي

من العاصمة، أي مدينة "كومي صالح" المركز التجاري للمملكة وكانت تعتبر من أهم

الأسواق التجارية الضخمة في زمانها خصوصا في تجارة الجملة، حيث يعاد توزيع البضائع

والسلع المتداولة في هذا السوق إلى مناطق أخرى داخل وخارج مملكة غانا، أما صادرات غانا

إلى شمال أفريقيا فكانت العاج وبيض النعام والصمغ وبعض الجلود وثمر الكولا بالإضافة

طبعاً إلى الذهب الذي كان المادة الأولى في الثروة الوطنية، ومن جهة أخرى تعارف التجار

المسلمون العرب والتجار الغانيون على أصول معينة للتعامل التجاري، غير أن رواج التجارة

بشكل عام يعود إلى الأمن الذي كان سائداً في جميع طرق مملكة غانا مما ساعد في انتعاش

الحياة الاقتصادية فيها وشجع نشوء المدن التجارية فيما لا حقا.333

332 المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة، محمد فاضل باري، المرجع السابق، ص: 66.

333 نفسه، ص: 66.

3- نظام الضرائب: عرفت غانا نظام الضرائب، وكانت تفرضه لتستوفي رسوما على القوافل

القادمة أو العابرة فكان مثلا على كل حمار ملح دينار ذهب في إدخاله البلد وديناران

إخراجه، وله على حمل النحاس خمسة مثاقيل وعلى المتاع عشرة مثاقيل. 334

السياسة والحكم: كان ملك غانا الحاكم المطلق للدولة وقراراته نهائية وكان ينظر إليه على أنه ممثل

للإله لأنه زعيم عظيم لأقوى القبائل ويملك أقصى ذهب المملكة، وكان الملك أيضا القائد الأعلى

للجيش وتقع على عاتقه حماية جميع الأراضي التابعة للمملكة وتأمين الاستقرار فيها إذا تعرضت

لهجوم خارجي أو وقعت فيها اضطرابات داخلية أو قلاقل، وقد وصل عدد الجيش إلى مائتي ألف

منهم رماة من أربعين ألفا، وكان معظم أفراد هذا الجيش من قبيلة الملك ومن بعض المرتزقة، وإلى

جانب المهمات الأمنية كان على الملك تأمين التسهيلات الضرورية لإنعاش التجارة بين أبناء شعبه

والعالم الخارجي، وكان للملك وزراء يساعدونه في حكمه بالإضافة إلى عدد من الموظفين المتدربين

معظمهم من المسلمين الذين ينتمون لقبيلة السونينكي ويجيدون القراءة والكتابة ولديهم معرفة كبيرة

في شؤون العالم. 335

334 المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة، محمد فاضل باري، المرجع السابق، ص: 66.

335 HISTORY OF THE ANCIENT NATION OF GHANA, ADAM NAZIF, WWW.IBSA-INC.ORG/GHANA.HTM. 2003, p: 3.

سقوط مملكة غانا الإسلامية: إن الإسلام في مجراه الطبيعي استطاع أن يستقر بين هذه الشعوب التي آمنت به، وقد كان الهدف الأساسي الذي كرس له الأمير "أوبكر بن عمر اللمتوني" زعيم الملتزمين جهوده هو الاستيلاء على غانا وإخضاعها لدولة المرابطين التي أقامها هؤلاء الملتزمون من قبائل صنهاجة، واستطاع الزعيم أوبكر بن عمر اللمتوني أن يفتح مملكة غانا وأن يستولى على العاصمة عام 469هـ-1076م ويسقط الحكومة الغانية الوثنية، ومنذ ذلك الوقت يمكن أن يُؤرخ لمملكة غانا "الإسلامية" حتى اختفائها من التاريخ في مطلع القرن الثالث عشر الميلادي. 336

ولم تستمر سيطرة المرابطين على غانا إذ سرعان ما تخلصت من هذه السيادة على أثر اغتيال الأمير أبي بكر "أمير المرابطين" عام 480هـ-1087م على يد أتباع أحد زعماء قبائل "الموسي" بجنوب داهومي، وانتهزت بلاد السودان الغربي هذه الفرصة وما تبعها من اضطراب الجيوش المرابطية هناك بعد موت قائدها فأعلنت غانا استقلالها وانفصالها عن الدولة المرابطية ونقضت تبعيتها لها، وفي الوقت نفسه استطاعت بعض الولايات التي كانت تابعة لمملكة غانا أن تنفصل هي الأخرى وتستقل في حكمها، مثل: مملكة "أنبارة Anbara" وولاية "كانياجا Kanyadja" و "ديارا Diara"

وأصبحت ممالك مستقلة، بينما أصبحت سلطة ملوك غانا لا تتعدى "أوكار Oukar" و "باسيكور Bassikourou" مما أضعف الدولة ومهد للقضاء عليها. 337

336 سلسلة ممالك إسلامية في القارة الأفريقية، ملتقى مظاهر الامتزاج الحضاري بين تلمسان والأندلس، إشراف: سعد بن عبد الله الحميد، الجزائر، 2010م، ص: 2.

337 نفسه، ص: 2.

وعلى أثر هذا الضعف جاءت الصدمة القاضية على الوجود التاريخي لمملكة غانا على يد قبائل "الصوصو" التي استقلت بولاية "كانجابا Kandjaba" وكانوا من قبل يدفعون الجزية لحكومة غانا لفترة طويلة، وفي مطلع القرن الثالث الميلادي استولى أعظم أباطرة "الصوصو" وهو "سوماووكانتى Soumaworo Kanté" على العاصمة "كومبي صالح" في عام 599هـ- 1203م بعد معركة طاحنة مع ملك غانا الإسلامية، وبذلك أنهى "الصوصو" سيادة الملوك الغانيين المسلمين ففرقوا في البلاد، وقام زعيم "الصوصو" بالاتجاه نحو الجنوب؛ حيث توجد دولة "الماندنغ" النامية في "كانجابا" واستولى عليها ولكن أحد أبناء ملك "كانجابا" ويسمى "سندياتا كيتا Sondjata Keita" نجح في استرداد الأراضي التي ضاعت من أبيه، بل واستطاع أن يقضى على "سوماورو" نفسه وأن يضم جميع أملاك "الصوصو" إليه، وذلك بعد موقعة حربية فاصلة 632هـ- 1235م، وفي عام 638هـ- 1241م نجح "سندياتا" في تدمير ما بقى من "كومبي صالح" عاصمة "غانا"، وكان ذلك هو الفصل الختامي في اختفاء مملكة "غانا" من مسرح التاريخ. 338

يتضح لنا مما سبق أن مملكة غانا كانت تتمتع بالرخاء والاستقرار اللذين جعلها منها نقطة التقاء بين الشعوب، وكانت عاصمتها تنقسم إلى حين حي للمسلمين والأخرى للوثنيين، وهذا أكبر دليل على ذلك التسامح المخيم على البلاد لتعايش الإسلام والوثنية في مدينة واحدة، ويتبين لنا أيضا أن فتح المرابطين لغانا لم يقض عليها تاريخيا ولكنه حوله إلى الإسلام، وأن مملكة غانا الإسلامية لم تعمر طويلا فإن أهلها وأغلبهم من قبيلة "السونينكي" اشتهروا بحماستهم للإسلام وبال دعوة إليه.

338 سلسلة ممالك إسلامية في القارة الأفريقية، ملتقى مظاهر الامتزاج الحضاري بين تلمسان والأندلس، ص: 3.

الثانية: مملكة مالي Mali الإسلامية 596-1315هـ/1200-1898م:

أسس هذه السلطنة شعب زنجي أصيل هو شعب: "الماندنغ Mandeng أو الماندنغو Mandengo" أي المتكلمون بلغة الماندي Mandé، ويلقب المؤرخون العرب هذا الشعب بلقب "مليل" أو "ملل".

ولقد أدى سقوط المملكة التي سبقت مملكة مالي إلى ظهور صراعات عنيفة كان مدارها الخلافة السياسية وبالتالي الاقتصادية للمملكة المنقرضة "غانا" وكان من الصعوبة بمكان أن تظهر بلاد "الماندنغ" بمظهر الوريث الطبيعي المقبل للمملكة السابقة حيث كانت محلا لنزاعات داخلية مريرة، وعلى الرغم من ذلك فقد استطاع الملك "سونجاتا كيتا Sondjata Keita" القيام بهذا الدور، فعمل على تحقيق وحدة البلاد السياسية الكفيلة بتأكيد قوتها ونفوذها الاقتصادية، فقامت مملكته على أنقاض "غانا" واتخذت مدينة "نياني Niyani" عاصمة لها، وبسطت نفوذها على بلاد غانا فامتدت من بلاد الجلف غربا عند المحيط الأطلسي إلى أوساط النيجر شرقا، ومن فوتا جالون جنوبا إلى كومي صالح شمالا، ويرى بعض الكتاب أن مساحتها تزيد عن نصف مساحة أوروبا كلها

تقريبا. 339

339 مملكة مالي، إبراهيم طرхан، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1970م، ص: 43.

وقد اشتملت مملكة مالي الإسلامية زمن قوتها وازدهارها على خمسة أقاليم كبرى، وهذه الأقاليم

الخمسة حسبما ذكرها "القلقشندي":

1- مالي: ويتوسط أقاليم المملكة.

2- صوصو: ويقع إلى الجنوب من مالي.

3- غانا: ويقع شمال مالي، ويمتد إلى المحيط الأطلسي.

4- كوكو: ويقع شرق إقليم مالي.

5- تكورور: ويقع غرب مالي حول نهر السنغال.

وكان كل إقليم من هذه الأقاليم عبارة عن مملكة مستقلة استقلالاً ذاتياً، لكنها تخضع لسلطان

مالي. 340

وقد عمل المؤسس ومن ورث العرش من بعده على إرساء قواعد الأمن فيها، وأدى ذلك إلى ازدهارها

سياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً وبلغت هذه المملكة في القرن الرابع عشر الميلادي أوج مجدها في عهد

"منسا موسى Manssa Moussa 1312-1337م" العهد الذي يعتبر عصرًا ذهبياً للمملكة

حيث فاقت دولته سابقتها من حيث العظمة والقوة والثورة والانتعاش والشهرة، وكانت رحلته التاريخية

إلى الحج بين عامي "1323-1325م" قد أثارت إعجاب معاصريه بكرمه وسخائه وورعه المثالي

340 صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد القلقشندي، المرجع السابق، ص: 294.

وقد تبادل الهدايا مع السلاطين ووزع الصدقات عند البيت العتيق وقدم هبة قدرها خمسون ألف دينار

ما وزن 250 كيلو غرام من الذهب لسلطان مكة وبعد عودته أقبل على بناء المساجد. 341

وقد ذكر عنه القلقشندي "وكان رجلا صالحا وملكاً عظيماً له أخبار في العدل تؤثر عنه وعظمة

مملكته في أيامه إلى الغاية وفتح الكثير من بلاد السودان". 342

هذا وكان لرحلته آثار واضحة في نمو العلاقات الاقتصادية التي كانت نتيجة نمو العلاقات التجارية مع

الدول المجاورة في المغرب العربي ومع مصر والحجاز، وبالتالي ازدهرت الحركة العلمية ازدهاراً كبيراً،

لاسيما تشييد المساجد التي كانت بمثابة جامعات لتلقي العلوم على أيدي العلماء من البلدان العربية

مع توفير أمهات كتب المذهب المالكي السائد آنذاك في السودان الغربي، وهكذا تعاقب الملوك على

عرش مالي إلى أن ضعفت وترعزعت قوتها أمام زحف سنغاي المملكة التي قامت على أنقاضها. 343

وكالعادة سنشير في عجالة إلى نقاط أساسية مهمة عن مملكة مالي:

النقطة الأولى: تأثرت هذه المملكة بسابقتها في اتخاذ مقر للسلطة الحاكمة مما أدى إلى توفير مناخ

ملائم لنمو البلاد سياسياً واقتصادياً واجتماعياً. 344

341 وصف إفريقيا، الحسن الوزان، ط 2، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ص: 164.

342 صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد القلقشندي، المرجع السابق، ص: 294.

343 مملكة مالي، إبراهيم طرхан، المرجع السابق، ص: 68.

344 وصف إفريقيا، الحسن الوزان، المرجع السابق، ص: 165.

النقطة الثانية: لقد ظهرت آثار الحركة الإصلاحية التي قادها المرابطون في السودان الغربي مما أدى فرض الطابع حي الوثنيين على الرغم من وجودهم ضمن المجتمع بلا شك وذلك مما يوحي ببدء عهد جديد لقوة الإسلام بفضل حج السلطان وما عقب ذلك من قدوم العلماء والفنيين لتشييد المساجد والحرص على عقد الجماعات، وترتب على بدء هذا العهد ظهور المتمثلة في تطور العلاقة التجارية والدبلوماسية مع العالم الإسلامي بصفة خاصة.³⁴⁵

النقطة الثالثة: توفر المادة التاريخية المكتوبة لهذه الفترة الزمنية، حيث نجد إشارات لبعض الكتاب العرب إلى هذه الواقعة في السودان الغربي، أمثال البكري في كتابه "المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب"، وإضافة إلى كتابات ابن خلدون والرحلة ابن بطوطة، والحسن الوزان، وكذلك ما كتبه المؤرخان من السودان الغربي: "السعدي ومحمود كعت"، فهذه الكتابات في مجموعها إضافة إلى الروايات الشفوية تعطى تصورا واضحا لهذه الفترة الزمنية مما يزيد القارئ يقينا للمجد التاريخي لهذه البلاد.³⁴⁶

³⁴⁵ الإسلام بين تحديات التنصير في غرب أفريقيا مالي أنمودجا، عبد العزيز محمد ميغا، المرجع السابق، ص: 46.

³⁴⁶ نفسه، ص: 46.

سقوط مملكة مالي الإسلامية: كادت مملكة مالي الإسلامية تبلغ الغاية في القوة حتى بدت عليها مظاهر الضعف؛ فأغرق الملوك في الترف، وفقدوا الروح العسكرية، وبدأت أقاليمها تستقل عنها واحدا بعد الآخر؛ فاستقلت "غاو Gao" واستولى الطوارق على "أروان Arwan" و"تمبكتو Toumbouktou" وبدأ الولوف والتكرور يغيرون عليها من الغرب، ودولة "الكانم Kanme" من الشرق، واستقلت إمارة سنغاي التي ورثت مملكة مالي وتبوأ في غرب القارة فيما بعد. 347

وقد بلغ ضعف مملكة مالي الغاية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين حين استنجدوا في عام 885هـ/1481م بالعثمانيين، الذين كانوا قد استقروا بالمغرب، ثم بالبرتغاليين الذين كانوا قد أنشئوا لهم مستعمرة على ساحل أفريقيا الغربي، فلم يستجب لهم أحد، وكان سلطان سنغاي الإسلامية والمؤسس لها قد أوغل في سلطنة مالي فلم يترك بلدا ولا مدينة في النصف الشمالي منها إلا حاربه بما في ذلك مدينة نياني نفسها، واحتل تمبكتو عام 873هـ/1469م، ونرى عهد قوة مملكة مالي ينتهي في العام الذي سقطت فيه تمبكتو فقد أخذت المملكة تفقد أقاليمها واحدا إثر الآخر حتى أصبحت في منتصف القرن السابع عشر الميلادي مجرد دويلة صغيرة في "كانجابا" كما كانت من قبل، وظلت هذه الدولة قائمة حتى ابتلعها الفرنسيون في عام 1315هـ/1898م، بعد أن هزموا آخر زعيم أراد أن يعيد مجد دولة مالي الإسلامية، ويوحد شعب الماندنغو وهو "ساموري توري

326 سلسلة ممالك إسلامية في القارة الأفريقية، اعداد: هاني الهواري، مجلة: مظاهر الامتزاج الحضاري بين تلمسان والاندلس، إشراف: سعد بن عبدالله الحميد، العدد 3، الجزائر، 2010م، ص: 5.

Samory Touré"، ورغم جهاده المستمر فإن الفرنسيين قضوا عليه في العام نفسه، ونفوه إلى

"غابون Gabon"؛ حيث مات هناك في عام 1317هـ/1900م. 348

إذا تأملنا فيما سبق نجد أن مملكة مالي الإسلامية استطاعت تحقيق كثير من المظاهر الإسلامية منها:

- اتصال مملكة مالي الإسلامية بالقوى الإسلامية المختلفة، وإظهارها لروح الأخوة الإسلامية،

وقد ظهر هذا في سفر سلاطين هذه المملكة إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج وزيارة مصر

في طريقهم إلى مكة، وخاصة في عهد السلطان "منسا موسى" الذي يعد موكبه من أروع

مواكب الحج التي وفدت على مصر في القرن الثامن الهجري.

- اهتمام بلغة العربية في مملكة مالي، وكان لا يتم التعليم إلا بها كما كانت لغة الحكومة فكانت

الوثائق المهمة والمراسلات الدولية لا تكتب إلا بها، كما كانت لغة التجارة والمعاملات، أي:

أنها كانت اللغة السائدة بجانب اللغات المحلية مثل: الماندينغ، والهوسا، والفولانيين،

والسونينكي، التي تأثرت باللغة العربية، وتوجد آلاف الكلمات العربية مستخدمة في شتى

مظاهر الحياة في غرب أفريقيا حتى اليوم، وكل هذا مما يدل على العلاقة الوثيقة التي كانت

السائدة بين مملكة مالي الإسلامية وبين الدول الإسلامية.

348 سلسلة ممالك إسلامية في القارة الأفريقية، اعداد: هاني الهواري، ص: 6.

• حرص سلاطين مالي على نشر العلم والدين في مختلف أرجاء المملكة، سواء في الحضر أو البدو، ونتيجة لهذه الجهود؛ ظهرت بمالي مجموعة من المراكز الثقافية التي كان لها دور كبير في نشر الثقافة الإسلامية بين أهالي السودان، وسيأتي الكلام عن بعض هذه المراكز الثقافية الإسلامية فيما بعد إن شاء الله، وقد أخذ بعض الطلبة السودانيون يتطلعون لاستكمال تحصيلهم العلمي بفاس ومراكش، والقاهرة، وتونس، وغير ذلك من المراكز الإسلامية في الحجاز.

الثالثة: مملكة سنغاي Songaye أو "سنغاي" الإسلامية 776-999هـ / 1375-1591م:

بدأت مملكة سنغاي أو "سنغاي" دويلة صغيرة لا تختلف من حيث قيامها عن مملكة مالي وغانا، ويعود تاريخها إلى عصور قديمة؛ وهي من أطول الممالك والدول الإسلامية في غرب أفريقيا تاريخاً، فمنذ منتصف القرن الأول الهجري السابع الميلادي، استطاعت قبائل لمطة البربرية المغربية الوثنية من أن تحرز نفوذاً سياسياً على المزارعين السنغيين الذين استقروا على الضفة اليسرى لنهر النيجر، وأسس هؤلاء البربر أسرة مملكة بزعامة ضياء Dia بن قيس ولقب ملوكها بـ "زا Za" وعلموا السكان طرق استخدام الحديد، وظلت تحكم البلاد حتى سنة 999هـ / 1591م، معاصرة مملكتي غانا ومالي. 349.

349 بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، د/ محمد الغربي، ج 1، مؤسسة الخليج للصناعة والنشر، 1982م، ص: 53.

وإن الترتيب المعتاد لدى الدارسين والباحثين في تاريخ غرب أفريقيا الإسلامي والقومي على حد سواء، قديما وحديثا - هو عد مملكة غانا الأقدم وتليها مالي، ثم سنغاي، فيعتقد أن الأخيرة متأخرة عنهما نشأة وتطورا وشهرة، حتى يقال أنها ورثتهما، لا يكاد يشذ عن هذا الرأي إلا قلة قليلة جدا، وهناك فريق آخر اضطرب في الأمر فجعل سنغاي أقدم من غانا نشأة، أما كمملكة فيرى أن غانا أقدم. 350

وتشير بعض الروايات التاريخية إلى أن دولة سنغاي كانت عامرة قبل الميلاد، وكانت دولة مستقلة لها سيادتها وتربطها علاقات خارجية مع الدول المعاصرة لها. ويذكر أن بعض السحرة الذين آمنوا بموسى عليه السلام قد استقدمهم فرعون من بلدة "كوكيا Koukiya" 351 العاصمة الأولى لهذه الدولة لشهرتها آنذاك بالسحر. 352 وإذا صح هذا فإنه دليل قدم قيام مملكة سنغاي وشهرتها قبل الميلاد، وتعتبر هذه الفترة المرحلة التأسيسية، ويصعب تحديدها زمنيا لعدم توفر معلومات وافية عنها. وبعدها بدأت مرحلة أخرى حيث كان الحكم فيها في أسرة "زا" وذلك في الربع الأخير من القرن السادس الميلادي وكانت مقر السلطة في كوكيا Koukiya ثم انتقل إلى مدينة "غاوو Gao" لتصبح عاصمة سياسية واقتصادية للبلاد لموقعها الاستراتيجي ووقوعها على ممر القوافل التجارية العابرة للصحراء، وقد سجلت هذه الأسرة نجاحا كبيرا حيث بسطت نفوذها من أدنى أسفل نهر النيجر،

350 الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية، د/ أبوبكر إسماعيل ميغا، ط 1، مكتبة التوبة، 1997م، ص: 23.

351 بلدة كوكيا: تقع في دائرة أنسونغو - إقليم غاوو بشمال مالي، على بعد 1350 كلم تقريبا من العاصمة بامكو.

352 الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية، أبوبكر إسماعيل ميغا، المرجع السابق، ص: 24.

وحتى مدينة جني غربا، لفترة تزيد على سبعة قرون خضعت خلالها لحكم إمبراطورية مالي، وما لبثت أن استعادت أراضيها وذلك في القرن الثالث عشر الميلادي. 353

وفي المرحلة الثالثة التي تمثل مرحلة لانطلاق نحو التطور على يد القائد "علي كولن Ali Koulan" أحد أحفاد الأسرة المالكة السابقة الذي اختار لقب "سوني" لنفسه وأرسى دعائم الأمن والعدل والاستقرار في بلاده، وتعاقب حكام أسرة سوني على عرش سنغاي إلى أن وصل الملك سوني "علي بير Ali Bir" إلى الحكم فعمد إلى سياسة الإصلاح والتوسعة، فاستولى على مدن مالي، وسيطر على الموشي والطوارق وانتصر على الفلانيين في أرض ماسينا، فتحولت مملكته إلى إمبراطورية واسعة تمتد نفوذها من شمال جمهورية بنين الحالية إلى بلاد الماندي، وبذلك كانت إمبراطوريته الوحيدة على مدن منعطف نهر النيجر. 354 وقد انتهت هذه المرحلة بانتقال الحكم إلى أسرة "أسكييا Askiya" وذلك باستيلاء القائد "أسكييا محمد Askiya Mohamed" على عرش سنغاي، وتعد بداية العصر الذهبي الإسلامي للمملكة، وهي المرحلة الرابعة من تاريخ سنغاي.

وقد تميزت هذه المرحلة بتنظيم الدولة تنظيما رائعا، بنيت قواعدها على أسس إسلامية، واستمد منهجه من حكم الشريعة السمحة، وبلغت هذه المملكة أوج كمالها، وأصبحت سنغاي تضم البلدان التي فتحتها الأسرة السابقة إضافة إلى "تغازا Tagaza" في الشمال وتكرور في الغرب وبلاد الهوسا في الشرق وبلاد الموشي في الجنوب وبذلك كانت هذه المملكة أكبر دولة إسلامية في غرب أفريقيا

353 الإسلام بين تحديات التنصير في غرب أفريقيا مالي أنمودجا، عبد العزيز محمد ميغا، المرجع السابق، ص: 47.

354 الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية، أبوبكر إسماعيل ميغا، المرجع السابق، ص: 13.

عبر التاريخ، وقصد القائد أسكيا محمد أرض الحجاز لأداء مناسك الحج والعمرة وزيارة الحرم النبوي الشريف في أعظم قافلة ذكرت في تاريخ المنطقة، حيث كانت مكونة من ألف وخمسمائة حاج بحوزتهم أكثر من ثلاثمائة ألف قطعة من الذهب أنفقها في أوجه الخير والإحسان، واعتمد خلاله أميراً للمؤمنين وخليفة في السودان الغربي، وقد حبس الأوقاف لفقراء بلاده من الحجاج في بلاد الحرمين أثناء رحلته هذه، وانتقل الحكم بعده إلى أولاده واستمر حكمهم إلى أن سقطت مملكته على يد الجيش المراكشي عام 999هـ / 1591م. 355

نهاية مملكة سنغاي الإسلامية: استمر حكم الأسكيا محمد مدة طويلة حتى بلغ الثمانين من العمر، وحينئذ قام أحد أبنائه بانقلاب ضده، فعزل والده ونفاه إلى جزيرة في مجرى النيجر ... جزيرة مهجورة لا يسكنها أحد ... إلى أن استمر الحكم تماماً لهذا الابن العاق بأبيه، وعندئذ سمح للأب أن يرحل منفياً إلى مدينة "غاو" بشرط أن يعيش داخل قصره لا يخرج منه أبداً ... وفي سنة 944هـ / 1538م مات الأسكيا محمد، وكان موته علامة على بداية الضعف والنهاية لمملكة سنغاي. 356

355 الإسلام بين تحديات التنصير في غرب أفريقيا مالي أنمودجا، عبد العزيز محمد ميغا، المرجع السابق، ص: 48.

356 الإسلام في ممالك وإمبراطوريات أفريقيا السوداء، جوان جوزيف - ترجمة: مختار السويقي، ط 1، دار الكتاب للصرى، القاهرة، 1984م، ص: 87.

وكان من المستحيل على أي جماعة من جماعات السنغاي أن تحقق لنفسها أي كسب في ظل ظروف الضعف والتقسيم التي كانت تسود الميلاد، وقد أدت عوامل الضعف هذه إلى قيام مراكش في عام 998هـ/1590م بإرسال حملة عبر الصحراء الكبرى لغزو مملكة السنغاي، وقد عين سلطان مراكش على رأس هذه الحملة قائدا شجاعا هو "جودار باشا DjoudarBasha" وقد تكونت هذه الحملة من 4000 جندي، ولكن اختراق الصحراء يعتبر أمرا صعبا حتى بالنسبة لجيش بهذا العدد، ومهما كان هذا الجيش مسلحا ومزودا بالموثون والإمدادات والعتاد ... وقد استغرق هذا الجيش المغربي ستة شهور حتى وصل إلى مشارف السنغاي جنوب الصحراء الكبرى ولكن بعد أن هلك منه في الصحراء أكثر من ثلاثة أرباعه.³⁵⁷

وبطبيعة الحال فإن الألف جندي الذين وصلوا سالمين، كانوا منهكين من شدة التعب ومن آثار تلك الرحلة الطويلة على أبدانهم ... ومع ذلك فقد كانوا مسلحين بالبنادق ويستعملون البارود، مما يضمن لهم النصر المؤكد في أية معركة ضد جيوش قبائل السنغاي التي كانت تتسلح بالسيوف والرمح والسهام وغير ذلك من الأسلحة البدائية.³⁵⁸

357 بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، د/ محمد الغربي، المرجع السابق، ص: 53.

358 الإسلام في ممالك وإمبراطوريات أفريقيا السوداء، جوان جوزيف - ترجمة: مختار السويقي، المرجع السابق، ص: 86.

وكما كان متوقعا، فقد سقطت مدينة "غاو" عاصمة السنغاي بسرعة في أيدي المغاربة ... كما سقطت أيضا مدينة تمبكتو وتقول إحدى الحكايات المتوارثة بين قبائل السنغاي عن هذه الفترة: "إن كل شيء بعد ذلك قد تغير * وحل الخوف والخطر محل الأمان والطمأنينة * كما حل الفقر محل الثراء والغنى * وبدلا من السلام لم يعد هناك شيء سوى الحزن والعنف والكوارث الكبرى". 359

وقد مات سلطان "المنصور" سنة 1011هـ/ 1603م، وموته دفن معه حلم المغاربة في التحكم في مناجم الذهب، جنوب الصحراء الكبرى، أما مملكة سنغاي نفسها، فقد تفككت وانتهت أسباب تماسكها، فزالت بالتدريج حتى دخلت دائرة التاريخ باعتبارها آخر أكبر الممالك والإمبراطوريات الأفريقية في هذه المناطق خلال فترة العصور الوسطى. 360

مما سبق يجدر بنا أن نعطي القارئ تصورا هاما للخلفية التاريخية لهذه المملكة وذلك بالإشارة إلى عدة نقاط مهمة يمكن إجمالها فيما يلي:

النقطة الأولى: أن هذه المملكة مرت بفترات زمنية مختلفة وكان تأسيسها كدولة في فترة يصعب تحديدها، وعقب ذلك فترات أخرى ابتداء من الربع الأخير من القرن السادس الميلادي، وتميزت المملكة عن غيرها بإحداث إصلاحات شملت جميع الجوانب ذات العلاقة بنظام الحكم من حيث تقسيم البلاد إلى أقاليم، وإحداث الدواوين العسكرية، والإدارية، والتوسيع في مجال القضاء.

359 الإسلام في ممالك وإمبراطوريات أفريقيا السوداء، جوان جوزيف - ترجمة: مختار السويفي، المرجع السابق، ص: 86.

360 نفسه، ص: 88.

النقطة الثانية: أن طبيعة الحكم تغيرت، فبعد ما كان السلطان يعتبر نفسه ملكا لم يجذب هذه الصفة، بعد تقليده لمنصب الخليفة الشرعية للدولة الإسلامية في السودان الغربي، ومن هنا جاء وصف الملك أسكيا محمد بأمير المؤمنين أو الخليفة في السودان الغربي، وكان لذلك أثره في تغيير سياسة البلاد لتكون السلطة التشريعية والقضائية بأيدي العلماء دون غيرهم في فترة معينة.

النقطة الثالثة: لقد عرف السودان حركة علمية فكرية عظيمة الازدهار اتخذت المدن الرئيسة لسنغاي مراكز ثقافية وقد ساعد الفائض من أموال الدولة "بيت المال" والرعاية الكريمة من السلطان على نمو طبقة متعلمة سودانية، كما أدى الرخاء العام إلى توافد العديد من العلماء، قدموا من شتى أنحاء المغرب العربي والحجاز إلى سنغاي، فقامت على أديمها جامعات تنافس القرويين والزيتونة بل والأزهر. هذا ولو باستعراض سريع للخلفية التاريخية للسودان الغربي من خلال الممالك الثلاث المشار إليها آنفا نتوصل إلى حقائق تاريخية مهمة ينبغي الإشارة إليها وهي:

أولا: أن حكام الدول أو الممالك اتخذوا منهاجا سياسيا موحدا في إدارة حكوماتهم رغم تباين الفترات.

ثانيا: كان منبع الأحكام هو الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح دون غيره، فلم تكن ثمة عقائد يهودية ولا مبادئ نصرانية تستمد منها الأحكام على الإطلاق.

ثالثا: العلاقات الخارجية مع الدول الأخرى تبدأ بالتجارة وتأخذ مسارا جديدا أكثر صلابة بعد رحلات السلاطين للحج، فآثار رحلة الحج التي قام بها كل من الملك منسا موسى والخليفة أسكيا محمد شاهد حي على ذلك، حيث اتجه الأول في عصره إلى بناء المساجد كما اهتم الأخير في زمنه بالمساجد واتجه نحو استشارة العلماء لرسم المنهج الإسلامي لسياسة الدين والدنيا وتشرف بتلقيه أميراً أو خليفة شرعية.

المبحث الثالث: من أبرز الشخصيات الإسلامية في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى:

وكان القضاء على مملكة السنغاي بداية لانتهاه قيام ممالك كبيرة فقامت بعد ذلك ممالك صغيرة الحجم، فظهرت دولة الفولاني؛ في شمال نيجيريا التي أسسها الشيخ عثمان دان فوديو Cheick Ousmane Dan Fodiyo، كذلك مملكة التكرور؛ التي أسسها الحاج عمر تال El Hadj Oumar Tall، ومملكة الماندنغ التي كونها الإمام ساموري توري El Imam Samory Touré، وفيما يلي سنحاول بيان جهاد هؤلاء الزعماء المسلمين، وقبل أن نبدأ في الحديث عنهم ينبغي لنا أن نشير أولا إلى السمات الرئيسية لهؤلاء الزعماء ويمكن إيجازها فيما يلي:

- 1- كان لهؤلاء الزعماء الإسلامية قدرة على تجميع أتباعهم، ومعظم هؤلاء الزعماء كانوا يمتلكون قدرة عسكرية مكنتهم من بسط سيطرتهم على جيرانهم.

2- إعلان الزعماء المسلمين الجهاد كان كفيلا بالتفاف الأتباع حولهم، فقد رأوا في دعوة الجهاد

واجبا دينيا واستبسلوا في القتال، سواء ضد الوثنيين لإجبارهم على اعتناق الإسلام، أو ضد

المستعمرين الذين بدأوا في غزو القارة.

3- لعل السمة المشتركة لدى زعماء المسلمين هو قدرتهم على رسم الخطط العسكرية مع

التدريب العنيف لجنودهم في الدفاع عن البلاد.

وجدير بنا الآن أن نعرض سيرة هؤلاء الزعماء المسلمين الذين كان لهم ولحركاتهم الإسلامية فضل

كبير في نشر الدين الإسلامي على نطاق واسع في القارة، ولذلك قسمنا هذا المبحث إلى ثلاثة

مطالب؛ **المطلب الأول:** حول الزعيم الشيخ عثمان دان فوديو، **المطلب الثاني:** عن الزعيم الحاج

عمر تال، **والمطلب الأخير:** عن الزعيم الإمام ساموري توري، ونسأل الله عز وجل بالتوفيق.

المطلب الأول: الشيخ عثمان دان فوديو الفولاني 1167-1232هـ / 1754-1817م:

تعتبر حركة الشيخ عثمان دان فوديو أو "عثمان بن فودي" الفولاني الأصل والتي انتقلت من بلاد

الهوسا أحد أهم الحركات التي شهدتها أفريقيا التي لعبت دورا حيويا في الكيان الإسلامي واكتشاف

قيمة الإسلام بالعودة إلى منابعه الأصلية ومحاولة تطبيقه على كل نواحي الحياة.

مولده ونشأته: ولد الشيخ عثمان دان فوديو في بلدة ماراتا Maratta في جوبير، بالقرب من سوكوتو Sokoto حاليا في جمهورية نيجيريا عام 1754م، واستهر والده باسم فوديو أو فودي التي تعني بلغة الفولاني "الفقيه" وانتقلت أسرته إلى ديجل Degel حيث حفظ القرآن الكريم، وعاش في بيئة متدينة؛ وعندما بلغ مرحلة الشباب تفقح عقله وازدادت مداركه، واندesh لحال المسلمين في تلك الجهات حيث ظهر الدين أمامه وقد شابته البدع، واختلطت به الخرافات، وعبثت به أيدي المضلين. 361

الحديث عن الشيخ طويل، وحياته حافلة بالنضال والكفاح لأنه وهب نفسه لخدمة الدين الإسلامي، وأعلن حربا لا هوادة فيها على المشركين، ولكن سنحاول التركيز على دوره الجهادي والأحداث التي جعلت منه قطبا لكل أفريقيا فبعد أن حفظ كتاب الله واهتدى بسنته، واحتك بعلماء عصره، سواء بطريق مباشر، أو غير مباشر توافدت عليه جموع المسلمين وازداد أتباعه يوما بعد يوم، الأمر الذي أقلق مضجع أمير جوبير فحاول اعتراض طريقة، ولكن أحس بخطورة الموقف فانحنى للعاصفة وترك الشيخ وسبيله، بل وافق على قيام مجتمع إسلامي في مدينة ديجل من دون أن يتعرض للشيخ وأتباعه لأنه أحس أن الشيخ عثمان لم يهيم نفسه لملك أو سلطان، بل كان عاكفا على العلم والتعليم. 362

361 المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا، د/ عبدالله عبدالرزاق، ط 1، عالم المعرفة، الكويت، 1989م، ص: 33.

362 نفسه، ص: 33.

مات حاكم إمارة جوبير وجاء من بعده حاكم آخر يدعى نافاتا Nafata، فأدرك قوة أتباع الشيخ عثمان وأحس بالخطر على ملكه فما كان منه إلا أن أصدر مرسوما يتضمن من الأمور ثلاثة:

أولها: عدم السماح لأي شخص باعتناق الدين الإسلامي إلا من ورثه عن أجداده، **وثانيها:** لا يسمح لأحد بلبس العمامة بعد تاريخ المرسوم، وألا تضرب امرأة بخمارها على وجهها، **وثالثها:** عدم السماح لأحد بالوعظ إلا الشيخ عثمان نفسه.³⁶³

وإذا حللنا هذا الموقف النافاتي نجد أنه أراد أن يحدد من نشاط الشيخ وعدم السماح لدخول أناس جدد في الإسلام، وعودة النساء إلى السفور والخروج عن تقاليد الشريعة الإسلامية، وقصر الوعظ على الشيخ نفسه، وكل هذه الأمور تعرقل مسيرة الكفاح والجهاد ونشر الدعوة.

كان هذا المرسوم بداية مرحلة جديدة من جهاد المسلمين في المنطقة، ويعتبره بعض المؤرخين الطلقة الأولى التي أشعلت نار الجهاد، لكن شاءت الأقدار أن يموت هذا الحاكم بعد قليل من إصدار مرسومه في عام 1803م، وخلفه ابنه "يounfa" أحد تلاميذ الشيخ عثمان، ووعد الحاكم الجديد بإلغاء ما جاء في المرسوم وإطاعة أوامر أستاذه، والسماح له بحرية الوعظ والإرشاد، لكن هذا الحاكم شعر بخطر الشيخ فانقلب رأسا على عقب، ووصلت به الحال إلى التفكير في قتل سيده وأستاذه، والتآمر على أتباعه وأعوانه، وتعمدت الأمور وازدادت العلاقات سوءا بعد رفض الشيخ أن

363 المرجع نفسه، ص: 34.

يسلم أحد رجاله ويدعى "عبد السلام Abdou Salam" لهذا الحاكم الجوبيري الذي هاجم بلدة

عبد السلام، وقتل الناس وهم نيام في شهر الصيام. 364

وتماذى هذا الحاكم في إذلال المسلمين وعلى رأسهم الشيخ عثمان حيث طلب منه ترك الجماعة، والعيش في المنفى وحيدا، لكن الشيخ رفض ترك جماعته، وقرر التحرك بهم إلى مكان بعيد يدعى "غودو Goudou"؛ وهنا أصدر الحاكم أمرا بالقبض على الشيخ، وطلب من حكام الإمارات قتل المسلمين ومصادرة أموالهم، وغزو القرى الإسلامية، ونهب ما فيها، فكان هذا العمل بداية الجهاد وإعلان قيام الإمبراطورية لإسلامية، وبعد أن صار الشيخ قائدا وإماما لجماعة من المسلمين من الفولاني الذين وجدوا فيه ارتفاعا لشأنهم، وتمجيدا لآمال طالما كانوا يحلمون بها فصاروا عدته وسلاحه ضد قوى البغي والضلال. 365

دعوته للجهاد وبداية تأسيس الدولة الإسلامية: كانت الهجرة إلى مدينة غودو بداية تأسيس إمبراطورية الفولاني التي اتخذت من مدينة سوكونتو عاصمة لها، وأخذ الشيخ معه الأنصار والأتباع إلى أطراف الصحراء، وهناك أقرروا له بالطاعة والولاء، وحلفوا اليمين على طاعته على الكتاب والسنة، وحمل الشيخ لقب أمير المؤمنين ذلك اللقب الذي استمر مع الخلافة حتى نهايتها في عام 1903م كما حمل لقب خليفة في بعض الأحيان وهو اللقب الذي حمله أبنائه وذريته من بعده. 366

364 المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة، محمد فاضل، المرجع السابق، ص: 43.

365 المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا، د/ عبدالله عبدالرزاق، المرجع السابق، ص: 34.

366 نفسه، ص: 35.

وكانت هذه البيعة بداية الجهاد، وإيدانا بتأسيس الخلافة الإسلامية، ذلك لأن البيعة كانت تعني نقل الجهاد من الدور السلبي إلى الدور الإيجابي الجديد، وانتشرت أخبار الجهاد ضد حكام الهوسا، وأصدر الشيخ "وثيقة أهل السودان" التي صارت إعلاناً رسمياً للجهاد، حيث حدد الشيخ الأسس التي بنى عليها الجهاد، وأقرت هذه الوثيقة مبادئ منها: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب إجماعاً، وأن الهجرة من بلاد الكفار واجبة إجماعاً، وأن الجهاد واجب إجماعاً، وأن قتال البغاة واجب إجماعاً.³⁶⁷

كان الرد العملي على هذه الوثيقة أن أرسل الحاكم إلى إخوانه الأمراء في "كاتسينا Katssina"، و"كانو Kanou"، و"دورا Doura" يطلب منهم يد المساعدة لأنه أهمل إطفاء شرارة من النار في إمارته حتى اتسعت رقعتها وزادت حدتها، وصار فوق احتمالته القضاء على خطورتها.³⁶⁸

تزعم سلطان جوبير جبهة المعارضة ضد الشيخ عثمان، وصارت الحرب وشيكة بين المؤمنين والوثنيين، ولم يجد الشيخ بداً من إعلان الجهاد في سبيل الله، فلبى تلاميذه النداء لأن ارتباطهم به لم يكن مجرد حلقات درس تنتهي، بل كان الارتباط عميقاً بالحب والتقدير، فكانوا له مؤيدين؛ تكبدوا المعاناة وتحملوا عبء الكفاح عندما هاجم الشيخ إمارة جوبير إثر قرار حاكمها بتأديب الشيخ عثمان،

367 نفسه، ص: 36.

368 المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة، محمد فاضل، المرجع السابق، ص: 190.

فحدث الالتحام وبدأت الحرب وانتقلت الدعوة من مرحلة السلم إلى مرحلة الهجوم المسلح، وبعد أن أغار حاكم جوبير على قرى المسلمين وممتلكات الموحدين.³⁶⁹

وفي الرابع من يونيو عام 1804م تقدمت قوات الجهاد بزعامة عبد الله بن فودي الذي أحلى مواقعه في جودو توقعا لهجوم من سلطان جوبير، واتجه إلى بحيرة "تابكين Tabkine"، وعلى ضفاف هذه البحيرة أطبق المسلمون على قوات البغي والعدوان ودارت عليها الدائرة، فهرب من وجد سبيلا لذلك وسقط في ساحة المعركة الكثير، وتفرق شمل الأعداء في أول مواجهة حاسمة في الجهاد، لكن النصر لم يكن نهائيا لأن قوات المشركين عادت، بعد أن جمعت قواتها في عام 1805م، وبدأت الهجوم من جديد على الشيخ وجماعته، ودارت معركة "تسونسو Tossonso" التي هزم فيها المسلمون في البداية، وراح منهم أكثر من ألف قتيل ولكنهم صمدوا للهجوم.³⁷⁰

استمرت الحرب سجالا بين الطرفين دون تفوق طرف على الآخر، وتمكنت قوات الجهاد من السيطرة على إمارة "كبي Kebbi"، واتخذتها عاصمة للجهاد؛ وتوالى سقوط إمارات الهوسا في أيدي المسلمين حيث سقطت "زاريا Zarya" عام 1805م، واستمر النصر حليفا للشيخ وأتباعه حتى تحقق النصر المبين، ودخل عاصمة الإمارة وتسمى "الكالوا Kalawa" في عام 1808م، و قتل السلطان يونفا مع عدد من أتباعه، وانتهت مقاومة الوثنيين، وصارت كلمة الذين آمنوا هي العليا، وتوافدت القبائل زرافات ووحدانا إلى معسكر الشيخ تعلن الدخول في الإسلام والانضمام

369 جهاد الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي، محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص: 41.

370 نفسه، ص: 43.

إلى حلف المسلمين، وتوسعت إمبراطورية الفولاني، وتكونت إمارة جديدة، وأعطى الشيخ أعلاما لأتباعه لإعلان الجهاد في مختلف المناطق، فتوسعت رقعة الدولة، ودخل الناس تحت راية الجهاد،

وانتقل الشيخ إلى مدينة سيفاوا عام 1809م، بينما استقر ابنه محمد بلو في مدينة سوكتو. 371

وقامت دولة الفولاني على نظام الخلافة الإسلامية، وصار الخليفة يشرف على كل إمارات الدولة التي أحيت الخلافة الإسلامية التي كانت أيام مجد العباسيين؛ وتأصلت جذور الدعوة الإسلامية فتمت وترعرعت وآتت أكلها، وتمسك المسلمون بالشريعة الغراء وساد الأمن الذي كانت تحكم به المنطقة، وازدهرت الحضارة الإسلامية في كل أرجاء الإمبراطورية. 372

وفي عام 1812م قسم الشيخ عثمان رحمه الله تعالى إمبراطوريته إلى قسمين: القسم الشرقي تحت إشراف ابنه "محمد بللو Mohamed Billo" والقسم الغربي تحت إشراف شقيقه "عبدالله بن فودي Abdoullah ben Fodé" وشمل القسم الشرقي: زمفارة Zamfara، وكاتسينا Katssina، وكانو Kanou، ويوشي Youchi، وكانت سوكتو Sokoto المركز الرئيسي لهذه المنطقة؛ أما القسم الغربي فشمل: نوب Noup، ودندي Dendi، وبورغو Bourgou، وإيلورين Ilori، والمركز الرئيسي جواندو Djawando إقليم كبي Koubi، وقد استمر حكم الفولاني لهذه الأجزاء لمدة قرن حتى قضى عليهم الاستعمار البريطاني في عام 1903م. 373

371 المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا، د/ عبدالله عبدالرزاق، المرجع السابق، ص: 36.

372 نفسه، ص: 37.

373 جهاد الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي، محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص: 44.

وفاته: توفي الشيخ عثمان عام 1817م وهو في قمة مجده وأقيم له ضريح ومزار بمدينة سوكوتو، وبعد وفاته خلفه ابنه محمد بللو ولم يعتمد الفولاني بعد ذلك على الجهاد وحده في نشر الإسلام بل سلكوا طريق الدعوة في أغلب الأحيان ولم يلجأوا للجهاد إلا عند الضرورة، فلقد لعب أبناء الشيخ وأحفاده دورا بطوليا ضد الاستعمار الأوروبي الذي تكالب على مناطق الدولة الإسلامية ابتداء من الربع الأخير للقرن التاسع عشر، ولكن رغم سقوط الدولة عسكريا في يد البريطانيين عام 1903م إلا أن الأسس التي وضعوها والنظم الإسلامية التي ساروا عليها أدهشت الأوروبيين وجعلتهم عاجزين عن إبدال تلك الحضارة الراسخة بنظم جاءوا بها، فاضطروا للإبقاء عليها، ولم يحاولوا التدخل في شؤون المسلمين في تلك الدولة الإسلامية، فعاشت حضارتهم وازدادت ازدهارا حتى يومنا هذا.³⁷⁴

إذا تأملنا فيما مضى يمكننا تحليل الأسباب التي أدت إلى نجاح الشيخ عثمان في بسط نفوذه الديني والسياسي في المنطقة لأسباب كثيرة منها:

- اعتمد الشيخ على الفولاني في تكوين إمبراطوريته وقد عين الكثير منهم حكاما للأقاليم المختلفة التي استولى عليها، كما كون منهم جيشه وقواده.

374 المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة، محمد فاضل، المرجع السابق، ص: 197.

● إعلانه الجهاد، ونجاحه في إثارة الحماس الديني لقواده من أجل نشر الإسلام وتصحيح

العقيدة الإسلامية فقاتلت قواته وكلها حماس لتحقيق هدفها الديني وانتشر الإسلام في

المنطقة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} 375.

● تميزت إمبراطورية الشيخ الفولاني بأن منشئها لم يكن فقط بطلا، ورجل سياسة بل كان عالما

ورجلا من كبار المفكرين المسلمين، وله مؤلفات كثيرة، وقد غلبه هذا الاتجاه "مجال العلم"،

فلم يحفل بالعرش الذي كونه، ولا بالمجد السياسي الذي أحرزه، بل ترك هذا لابنه ولأخيه،

والله أعلم.

المطلب الثاني: الحاج عمر تال التكروري 1209-1280هـ / 1795-1864م:

يعتبر الحاج عمر تال من أشهر زعماء حركة الجهاد بعد عثمان دان فوديو فقد استطاع قبل وفاته بناء

إمبراطورية إسلامية كبيرة من التكرور امتدت في أعالي السنغال والنيجر.

نشأة الحاج عمر التكروري: ولد الحاج عمر بن سعيد في قرية "حلوار Halwar" بالقرب من

"بودور Podor" على الحدود السنغالية الموريتانية في عام 1795م، وكان الحاج عمر هو الابن

الرابع للشيخ سعيد الذي ينتمي إلى التوردوب الذين قاوموا الوثنية في هذه المنطقة، وبعد ذلك لعبت

هذه الجماعات دورا في مقاومة التوسع الأوروبي بعد أن اعتنقت الإسلام وقامت بنشره في المنطقة، وصار أتباع هذه الجماعة من أكثر الناس حماسا لنشر الدين الإسلامي. 376

درس الحاج عمر اللغة العربية، وعلوم الدين تحت إشراف والده، فحفظ القرآن الكريم، ودرس صحيح مسلم وصحيح البخاري، وعندما بلغ سن الخامسة عشرة من عمره ترك حلوار لكي يتلقى العلم وعلوم الدين تحت إشراف العلماء المحليين في "فوتا تورو Fouta Toro"، وعلى مشايخ الطرق الصوفية وخصوصا الطريقة التيجانية. 377

وفي عام 1826م قام الحاج عمر برحلة ثقافية ودينية طويلة بدأها بالذهاب إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج مع أخيه علي، وفي إحدى رحلاته إلى البلاد المقدسة التقى بالشيخ عبد الكريم النقيل أحد علماء التيجانية من "فوتا جالون Fouta Djalou" حيث درس على يديه مبادئ هذه الطريقة، وذهب الحاج معه إلى مدينة "حمد الله" العاصمة الجديدة لدولة "ماسينا Massina"، وفي هذه المدينة توطدت علاقات الحاج عمر مع سكان ماسينا الذين عهدوا إليه بنشر مبادئ الدين الإسلامي لأبناء المدينة ولأبناء الأسرة الحاكمة، ومن مناك انتقل إلى دولة الخلافة في مدينة "سوكوتو Sokoto" بشمال نيجريا حيث قضى سبعة أشهر غادر بعدها المنطقة إلى "فزان Fezane"،

376 جهاد الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي، محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص: 64.

377 نفسه، ص: 64.

وأخيرا وصل إلى مكة المكرمة وأقام هناك حوالي ثلاث سنوات حيث قابل كثير من علماء الطريقة

التيجانية في الحجاز. 378

وفي رحلة العودة زار الحاج عمر العديد من الدول L واستقر في بعضها حيناً من الوقت، وتمر بالقاهرة، وبنو وقضى عدة سنوات هناك، ثم استقر في دولة سوكوتو، ولقى الحاج عمر معاملة حسنة من الخليفة محمد بلو الذي زوجه إحدى بناته وتدعى فاطمة، وفي سوكوتو التقى الحاج بالرحالة الإنجليزي "هوج كلابرتون Hodje Klabertone" الذي أشاد بذكاء هذا العالم من فوتاتورو. 379

استفاد الحاج عمر كثيرا من إقامته في دولة سوكوتو حيث تعلم طرائق الحكم، بل شارك في جيوش الخلافة ضد الوثنيين، وانتصر في بعض المعارك، فكانت هذه فترة إعداد وتحضير للدور الكبير الذي يعد نفسه له في المستقبل، وحقق الحاج بعض الثروات من جراء الاشتراك في الحروب والحصول على قدر من الأسلاب والأسلحة والرقيق. 380

بعد وفاة الخليفة محمد بلو عام 1837م غادر الحاج عمر سوكوتو في العام التالي، وتعتبر هذه الفترة من أغنى فترات الإنتاج الأدبي في حياة الحاج عمر، حيث عبر فيها عن مشاركته سياسيا وعسكريا في عمله الكبير "الرماح" ولقد التقى الحاج عمر في هذه الفترة مع الشيخ أحمد البكائي وهو أحد أحفاد سيدي المختار الكنتي الذي كان له الفضل الكبير في نشر الطريقة القادرية في

378 المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة، محمد فاضل، المرجع السابق، ص: 200.

379 المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا، د/ عبدالله عبدالرزاق، المرجع السابق، ص: 65.

380 نفسه، ص: 66.

السودان الغربي في أواخر القرن الثامن عشر، ولقد رأى الشيخ البكائي في الحاج عمر شخصا طموحا يريد أن يضم الدويلات الإسلامية الموجودة في المنطقة، ولذا أخذ منه موقفا عدائيا حتى نهاية حياة الحاج عمر، بقى الحاج عمر تسعة أشهر في منطقة ماسينا، لكن بسبب محاولاته نشر الطريقة التيجانية حدث نوع من العداء تجاه الحاج، بل جرت محاولات لاغتيال الحاج عمر والقضاء على نفوذ الطريقة التيجانية، فاضطر الحاج عمر إلى عبور نهر النيجر وهو في حالة سيئة، حيث إن ملك البمبارا الوثني ويدعى "فاما تيفلو Fama Tifilou" قام بسجنه في سيغو، لكن هذا الملك الوثني أطلق سراحه، وأعطاه أموالا وعامله معاملة حسنة.381

ومن سيغو انتقل الحاج عمر عبر نهر النيجر إلى "كانجابا Kandjaba" حيث مكث ثلاثة أشهر في تلك المدينة التجارية لمسلمي الماندي في القرنين السابع عشر والثامن عشر، ورغم أن حاكم كانجابا شيد له منزلا في مدينته إلا أن الحاج غادر المدينة إلى "كان كان Kankan"، حيث قضى الحاج عامين نشر خلالها الطريقة التيجانية، وساعده الحاكم ألفا محمود، في هذا المجال، بإرسال كتيبة عسكرية وقفت بجانبه، و كان من الواضح أن الحاج عمر، وهو يقيم في مدينة كان كان خلال عامي 1838م و 1839م، يفكر في مكان دائم يصلح كمركز يستقر فيه ويكون قاعدة لنشر مبادئ الطريقة التيجانية كمقدمة لبدء الجهاد.382

381 المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة، محمد فاضل، المرجع السابق، ص: 201.

382 جهاد الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي، محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص: 68.

وفي عام 1949م رحل الحاج عمر إلى "Dinguiraye" التي صارت المقر الروحي والعسكري، وكانت الإمامة في فوتا جالون هي التي أجبرت الحاج عمر على الهجرة من كان كان إلى دنجيراي فاعتبرها الحاج شبيهة بهجرة الرسول الكريم عليه السلام من مكة إلى المدينة، واعتبر الشيخ أهل كان كان بمثابة المهاجرين، وأهل دنجيراي بمثابة الأنصار، ومن هنا بدأ إعلان الجهاد الذي استمر حتى وفاته في عام 1864م. 383

بداية الجهاد ضد الوثنيين والاستعمار الأوروبي: أعلن الحاج عمر الجهاد ضد الوثنيين منذ عام 1852م ونجح في شن عدة حملات عسكرية من مركزه الرئيسي في دنجيراي نحو أعالي السنغال، وكان لاعتناقه الطريقة التيجانية أثر كبير فقد كانت هذه الطريقة ترى ضرورة استخدام القوة أو السيف ضد الوثنيين لإجبارهم على الدخول في الدين الإسلامي، واستمر الحاج عمر في شن غزواته ضد البمبارا في كل من "سيغو Segou وكارته Karta". 384

وقد اتجه الحاج عمر بغزواته شرقا نحو النيجر وذلك منذ عام 1859م بمرد تزايد النفوذ الفرنسي في السنغال ففضل تركيز نشاطه بعيدا عنهم في أعالي النيجر، وكما استولى على مسينا من السلطان أحمدو الثالث حفيد أحمدو لوبو عام 1862م ودخل العاصمة حمد الله، كما فرض الضرائب على حكام تمبكتو وبذلك امتدت من "ميدين Midine" في السنغال حتى تمبكتو على النيجر. 385

383 المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا، د/ عبدالله عبدالرزاق، المرجع السابق، ص: 69.

384 جهاد الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي، محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص: 49.

385 نفسه، ص: 50.

وفي الشهور الأولى من عام 1857م بدأ الحاج عمر هجومه على قلعة ميدين واحتل إحدى المناطق في كاسو وتدعي "تومورو Tomoro" دون قتال واقترب من النهر، وفي 14 أبريل هاجم "سابوسيري Saboussire" عاصمة مقاطعة "لوغو Logo" واتخذها مقرا لعملياته العسكرية ضد الفرنسيين، وفي العشرين من أبريل وصل جيش المسلمين إلى منطقة ميدين حيث بدأ الحصار، وكان الجيش يسير في ثلاثة طوابير بلغ عددها 15000 مقاتل، وكانت حامية المدينة تضم أربعة وستين رجلا بقيادة "بول هول Paul Holle" الذي استطاع إرسال أحد رجاله إلى باكل ليخبر القيادة الفرنسية عن الوضع في ميدين وفعلا صدرت الأوامر لإحدى السفن الفرنسية بالتوجه إلى مكان العمليات العسكرية في ميدين، لكن تحطمت هذه السفينة على إحدى الصخور، ومنع الحاج عمر رجالها من الوصول إلى القلعة المحاصرة وظلوا في حطام السفينة. 386

وفي أوائل يونيه قرر "فيدهرب Fedehrep" أن يقود بنفسه حملة لإنقاذ حامية ميدين ووصل بقواته إلى حطام السفينة المحاصرة لكن جنودها كانوا قد ماتوا من الحمى، وفي الوقت نفسه كان مصير بول هول وحامية ميدين يتوقف على وصول حملة الإنقاذ، ووصل فيدهرب فعلا إلى المنطقة بعد حوالي ثلاثة أشهر من بدء الحصار، فوجد عددا من سكان المدينة قد ماتوا جوعا بسبب رفض بول هول الاستسلام لقوات الحاج عمر، ونجح فيدهرب في إنقاذ ميدين، ذلك النجاح الذي كان امتحانا لقوات الحاج عمر حيث توقف نشاطه في المنطقة لمدة عامين، بل تحرك من سابوسيري، ولم يعد لهذه الأماكن إلا في عام 1859م عندما هاجم المركز الفرنسي في "ماتام Matam" الذي كان أيضا

386 جهاد الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي، محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص: 73.

تحت قيادة بول هود الذي أصاب قوات الحاج بخسارة فادحة حيث نقص عدد الجيش إلى النصف،
أي من 15000 جندي إلى 7000 جندي.387

بعد هذه الأحداث أدرك الحاج عمر أنه لا يستطيع مواجهة الأوروبيين في هذه المنطقة، واتخذ قراره
بإنشاء دولة متكاملة في الشرق بعيدا عن مجال النفوذ الفرنسي، وفي الوقت نفسه بدأ يسعى في
عملية تحسين العلاقات مع الفرنسيين حتى يتفرغ لدولته الجديدة، وحتى يأمن خطرهم فترة من
الزمان يكون قد أعاد بناء جيشه، وكوّن دولته في منطقة النيجر.388

وفي هذه الفترة حاول الحاج عمر بالتعاون مع ولاية مسينا مهاجمة مملكة سيغو الواقعة في أواسط نهر
النيجر، ولكن ملك مسينا رفض أن يجيب إلى هذا الطلب، فاتجه الحاج عمر بعد ذلك إلى جهة
الغرب وأغار على منطقة حوض نهر السنغال الأوسط، غير أن تغلغل الفرنسيين أيضا في هذه الجهاد
أوقف تقدم الحاج عمر في هذه البلاد، فاتجه مرة أخرى نحو الشرق، ففتح مملكتي سيغو ومسينا ومن
ثم استولت قواته على تمبكتو، وهكذا سارت حملات الحاج عمر الواسعة تنشر الدعوة بين الوثنيين في
حوضي النيجر والسنغال وحقق الكثير من النجاح في مجالي الدعوة والسياسة، فأصبح يحكم
إمبراطورية واسعة تمتد من تمبكتو إلى المحيط الأطلسي، وكانت الطريقة التيجانية هي الطريقة الرسمية في
كل هذه المنطقة.389

387 نفسه، ص: 74.

388 المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا، د/ عبدالله عبدالرزاق، المرجع السابق، ص: 76.

389 المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة، محمد فاضل، المرجع السابق، ص: 202.

وكان الحاج عمر متمسكا بالشرع في حربه وفي سلمه، عالما عاملا ذا بصيرة في دينه لم الجهاد عن تدريس العلم لجيوشه الغازية في سبيل الله مع الوقوف عند الحدود والتقرب إلى الله عز وجل بالنوافل، إلا أن مملكتي سيغو ومسينا ثارتا على الحاج عمر وانتهى الأمر أخيرا بمقتله عام 1864م، وهكذا استشهد هذا المجاهد الإسلامي الحاج عمر تال التكروري وهو يناضل من أجل بناء دولته الإسلامية، وحاول مقاومة التوسع الفرنسي بكل ما أتى من قوة وترك لخلفائه مسؤولية هذا العبء الكبير. 390

يتضح لنا فيما سبق من حياة الحاج عمر تال أن أهداف الكبرى من تأسيس حركته الإصلاحية تلخصت في الأمور كثيرة منها ما يلي:

- العمل على نشر الدين الإسلامي على الطريقة التيجانية في المناطق غير المسلمة وتصحيح ما انحرف من عقائد المسلمين وتطهيرها من الخرافات والممارسات الوثنية على الدين الحنيف.
- العمل على اتحاد كلمة الأمة الإسلامية في هذه المنطقة، والعمل على إيجاد قوة مادية رادعة ومنظمة تقوم بمهمة حماية المكتسبات الإسلامية ورعاية شؤون المسلمين.
- الكسب في إبعاد خطر الاستعمار عن المنطقة، حيث كان الأوروبيون يتاجرون مع أهل تلك المناطق ويحاولون مد نفوذهم السياسي والاقتصادي وأكثر من كل ذلك مد نفوذهم التبشيري على المنطقة.

المطلب الثالث: الإمام ساموري توري المانديغي 1250 - 1317هـ / 1835-1900م:

يعتبر ساموري توري من الزعماء الأفارقة المسلمين الذين لعبوا دورا كبيرا في غربي القارة الأفريقية قبل الاستعمار الأوروبي وبعده، لأنه يجسد البطولة والمقاومة ضد الاحتلال الأوروبي، وقد استمر يحارب المستعمرين حوالي سبعة عشر عاما بدءا من عام 1881م حتى القبض عليه عام 1898م، وبعد أن كان قد كَوّن دولة إسلامية كبيرة في منطقة أعالي النيجر.

نشأة الإمام ساموري توري وقيام الدولة: ولد الزعيم ساموري توري في عام 1835م في سانكورو Sanankoro بالقرب من بيساندوغو Binssadougou في غينيا الفرنسية، (غينيا كوناكري) أي في وادي ميلو على الحد الشمالي لكونيا Koniya وهي منطقة من الأرض الجبلية والهضاب المرتفعة في شمال 500 مترات الغينية المشهورة.³⁹¹

وكان والده يعمل مزارعا ويربى الماشية بين شعب المانديغ من المسلمين، لكن تطبيق الشريعة الإسلامية لم يكن قويا إلا بين جماعات الجولا Djoulla الذين كانوا يعملون بالتجارة، ورغم أن والده لنفيا Lanfiya مزارع إلا أنه كان ينتمي إلى طبقة التجار المسلمين، وكانت جماعات التوري تعيش أصلا حول مدينة "جني Djené" في قلب إمبراطورية مالي الإسلامية، وفي القرن الخامس عشر حدث إمبراطورية سنغاي محل مالي فترك التوري مدينة جني ومعهم أجداد لنفيا إلى أعالي نهر النيجر.³⁹²

391 جهاد الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي، محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص: 122.

392 نفسه، ص: 122.

وعندما بلغ ساموري توري 18 عاما أرسله أبوه إلى صديق له في ما يسمى اليوم بدولة ساحل العاج ليعلمه على تجارة السلاح والبارود، ومن خلال ذلك عرف ساموري أماكن الحصول على السلاح عندما بدأ يفكر في بناء إمبراطوريته، لذا قضى الإمام معظم وقته بالدراسة والتفكير بالإضافة إلى ممارسة حرفة التجارة، وخلال هذه الفترة سافر إلى عدة مناطق في السودان الغربي فاطلع على نظام حياة عدة مجتمعات هناك. 393

وفي عام 1852م حمل بعض أصدقاء ساموري توري إليه أن قوات ملك بيساندوغو الوثني "سوري بيراما Sorry Birama" قد أغارت على بلدته سانكورو وشعبها، ومن نتيجة ذلك أسر أمه، وعند سماعه ذلك الخبر أخذ يفكر في أفضل الطرائق لإنقاذ والدته من الأسر، وبعد ذلك قرر أن يخدم ذلك الملك الذي أسر أمه لمدة سبع سنين مقابل الإفراج عن والدته، وخلال تلك المرحلة استطاع أن يتعلم طرق الدبلوماسية، كما أنه تدرب على فن قيادة جماعات الإغارة على القبائل الأخرى، لكنه سرعان ما فر من الجيش عام 1861م وتحصن في الجبال تاركا كل ممتلكاته، وفي نفس العام وافق رجال الم رابط موري يولي Morry Yolly على تعيين ساموري توري رئيسا لهم بعد أن وجدوا في شخصية المهارة العالية وأعطوه كل الصلاحيات لتعبئة المقاتلين وتدريبهم، لبي ساموري توري عرض رجال الم رابط وأقسم على بناء دولة إسلامية في تلك المنطقة. 394

393 المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة، محمد فاضل، المرجع السابق، ص: 204.

394 نفسه، ص: 205.

وبعد ولادة التحالف والتعاون بين رجال موري يولي وساموري توري عام 1861م قام الأخير بجمع الرجال وتدريبهم وتوزيع البنادق عليهم ذات الطلقات السريعة والتي حصل عليها من سراليون، وفي فترة وجيزة ذاع صيت ساموري وأخذ نفوذه يمتد في المناطق التي تشكل اليوم وسط ما يسمى غينيا – كوناكري.³⁹⁵

وبين عامي 1865م و1879م بدأ ساموري الغزو التدريجي لكل القرى المجاورة لعاصمته، وتحالف مع المسلمين في مدينة كانكان وبهذا استطاع أن يهزم جماعات مهمة من القبائل ويتقدم نحو أعالي النيجر حيث ازدادت سيطرته على حافة فوتا جالون، وساعد ساموري سكان كانكان على التخلص من الحصار الوثني المضروب حولهم، وعاد في عام 1880م ليهاجم قبائل السييسي، ونجح في تحطيم كل القوى المنافسة له، وضم كل هذه الجماعات تحت سيطرته، وصار أكبر قائد لإمبراطورية إسلامية آنذاك تمتد من مدينة كانكان وجوارها بعد إخضاعها عام 1881م حتى مدينة سيكاسو Sikasso في جنوب غربي مالي وتخوم سيراليون وليبيريا، وكان ساموري يفكر في مبدأ واحد يجمع شمل كل هذه المنطقة، ووجد أن تطبيق الشريعة الإسلامية هو أفضل السبل لحكم هذه الأقاليم من إمبراطوريته.³⁹⁶

395 المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا، د/ عبدالله عبدالرزاق، المرجع السابق، ص: 124.

396 إمبراطورية مالي الإسلامية، إبراهيم طرхан، المرجع السابق، ص: 157.

الحرب ضد الفرنسيين: هذه الفترة مليئة بالشجاعة والأحداث الكبيرة في حياة هذا المجاهد الإسلامي في سبيل الدفاع عن الدين والوطن ضد الغزو الاستعماري الذي سعى إلى تدمير الحضارة الأفريقية والإسلامية في هذه المنطقة تحت شعار إدخال الحضارة الأوروبية وتمدين الأفارقة.

تصادف قيام الدولة الإسلامية مع خطط الفرنسيين في السودان الغربي وهو الأمر الذي جعل من المحتم دخول هذا المجاهد الإسلامي في صراع مع هذه القوة الاستعمارية، ولقد وقفت القوى الأوروبية ضد طموحات هذا المجاهد الإسلامي الكبير، ولسوء حظه وحظ شعبه أنه بدأ نضاله من أجل نشره العقيدة وإحضار القبائل الوثنية في الوقت نفسه الذي راحت القوى الاستعمارية تبسط نفوذها على القارة الأفريقية بعد قرارات تقسيم القارة، وكان ظهور ساموري ودعوته للجهاد وتكوين إمبراطورية إسلامية قد تلازما وتواكبا مع التكالب الاستعماري على أفريقيا، وكان لا بد من التصادم والصمود والكفاح في سبيل نصرته الدين والوطن.³⁹⁷

وقد بدأ صراع ساموري مع القوات الفرنسية الاستعمارية منذ العام 1881م، ففي ذلك العام رفض هذا القائد المسلم الانسحاب من منطقة يسيطر عليها وتسليمها لفرنسا مما أدى إلى اندلاع العديد من المعارك التي انتصر فيها ساموري، غير أن قيام الوثنية بالهجوم على الجيش المسلم من الشرق وتوقيع معاهدة في نفس العام بين حاكم فوتا جالون وفرنسا أدى إلى مواجهة عسكرية عام 1881م مع الجيش الفرنسي في كيريواني Keréwani وعلى أبواب بامako Bamako.³⁹⁸

397 المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة، محمد فاضل، المرجع السابق، ص: 205.

398 عاصمة جمهورية مالي.

وبالرغم من صمود رجال ساموري أمام قوة الفرنسيين إلا أنه آثر تحاشي القتال بعد أن قدر موازين القوى ورأى أنه في النهاية لن يكون الأمر لصالحه، لكن الهجوم الذي قام به الفرنسيون عام 1885م لم يترك لساموري الخيار، ففضل مفاوضتهم عام 1886م وعقد معهم هدنة في العام التالي تخطى بموجبها عن بعض المناطق لفرنسا كي يتفرغ لمهاجمة سيكاسو، وأثناء حصار ساموري لسيكاسو بين عامي 1887م و1888م أثار الفرنسيون عددا كبيرا من أتباعه وحرصوهم ضده وضد أفكاره الدينية، واعتقدوا أن مملكته أصبحت وشيكة الانهيار وأنهم سيرثونها، لكن ساموري تمكن من الانتفاضة ما بين عامي 1888م و1890م وأعاد سلطته على جميع أنحاء المملكة وعدل في الوقت نفسه من سياسته الإصلاحية ووجهها نحو مقاتلة الفرنسيين، كما حاول تأجيل الصدام حتى يتمكن من تحديث الجيش والأسلحة. 399

ولكن سرعان ما عاد الفرنسيون إلى إعلان الحرب عام 1891م ودامت المعارك بين الفريقين حتى عام 1898م كان يتبع أثناءها ساموري سياسة الأرض المحروقة، فقد عمد خلال تلك الفترة إلى استيراد الأسلحة الحديثة من ليبيريا وسيراليون وتأسيس محترفات لإنتاج البنادق محليا لكنه ظل يدرك أن قواته بحاجة شديدة للمدافع لصعد الفرنسيين، وأمام امتلاك القوات الفرنسية للمدافع التي تضر تحصينات جيشه قرر ساموري تقسيم قواته إلى ثلاث فرق: الأولى: تتوسع شرقا وتضم أراضي جديدة للدولة تعويضا عن الأراضي التي تفقدها أمام الفرنسيين في الغرب، والفرقة الثانية: من القوات تتمركز في ساحل العاج وما يسميه اليوم بدولة غانا، والفرقة الثالثة: تقاتل الفرنسيين وتعمل على تكبيدهم

399 المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة، محمد فاضل، المرجع السابق، ص: 207.

أعلى الخسائر الممكنة مع الانسحاب إذا رأى ساموري أن المعركة تدور في غير صالحه، وبالفعل كان ساموري يقوم بالانسحاب محافظا على جيشه وأثناء ذلك يقوم بحرق جميع الأراضي التي يتركها، فإذا وصلها الفرنسيون لا يجدون التي يحتاجونه فلا يستطيعون مواصلة تقدمهم انتظارا لوصول الإمدادات، وهذا ما كان ينهك القوات الفرنسية، إلا أن فرنسا تمكنت خلال تلك الفترة من الاستيلاء على العاصمة كانكان فنقل ساموري عاصمة إلى مدينة دايكالا Daykala في ساحل العاج وذلك عام 1895م. 400

لم تمر الظروف في صالح ساموري توري إذ تم محاصرة قواته في غابات ساحل العاج بعد أن منعه بريطانيا من التقدم شرقا ناحية غانا، ومنعه القبائل الوثنية من المرور عبر أراضيها، وكذلك بعد إعلان العديد من القبائل الوثنية الحرب عليه بينما ساءت أوضاع المسلمين وأصابهم الإنهاك من طول فترة الحرب فتعرض جيش ساموري للجوع وأصبح ساموري غير قادر على السيطرة على جنوده الذين يتضورون جوعا ويبحثون عن أي شيء يأكلونه، وفي إحدى الليالي استيقظ ساموري ليجد جيشه المكون من عشرة آلاف مقاتل لم عد سوى ألفين بينما تفرق الباقون في الغابات، فحاصرت القوات الفرنسية من كل جانب حتى وقع في الأسر وتم سجنه في 29 سبتمبر 1891م وترحيله إلى الغابون حيث توفي عام 1900م تاركا المقاومة لحفيده أحمد سيكو توري Ahmad Sekou Touré

1922م-1984م الذي صار رئيسا لجمهورية غينيا -كوناكري- التي حصلت على استقلالها في

1958/10/02م قبل كل المستعمرات الفرنسية في غرب أفريقيا. 401

نلاحظ مما سبق أن هذا المجاهد الإسلامي الإمام ساموري توري كان رجلا دينيا وسياسيا وعبقريا في نفس الوقت، وتكمن عظمتة في عبقرته الإستراتيجية التي كشفت عن نفسها خلال سبعة عشر سنة من الصراع والمواجهة ضد الأعداء واستطاع أن يجمع شمل قبائل متناثرة، واستطاع أيضا أن يوحد كل هذه الجماعات تحت راية الإسلام، كون أمة حديثة وقوية أخذت بكل أساليب التقدم والرخاء، وأقام مجتمعا إسلاميا، ويكفي هذا المناضل الأفريقي أنه استطاع أن يحكم منطقة واسعة من السودان الغربي، وغرس في نفوس الناس روح العداة ومقاومة التوسع الأجنبي، وولّد في نفوس الشعب روح التضحية والفداء حتى رحل المستعمر عن أفريقيا.

ويلاحظ أيضا أن ساموري توري إلى جانب قوته العسكرية ومهارته الحربية، فإنه تميز أيضا بالديبلوماسية البارزة وسعى للوقية بين كل من السلطتين الفرنسية والبريطانية فبعد توقيع معاهدة بيساندوغو مع الفرنسيين، وقع في العام التالي معاهدة فنتج مع القائد البريطاني.

401 المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة، محمد فاضل، المرجع السابق، ص: 208.

المبحث الرابع: من أهم المراكز الإسلامية في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى:

أشرق نور الإسلام من مهبط الوحي في الجزيرة العربية هدى ورحمة للعالمين، فامتد إلى مشارق الأرض ومغاربها، وفاض على مجتمعات عديدة في أقطار الأرض، فغمر ضياؤه العالمين، وأشع على القارة الأفريقية فأخرجها من ظلمات الشرك إلى نور الإسلام، فكانت مقدمة عناصر الإبداع والمشاركة في صنع الحضارة الإنسانية والإسلامية في القارة الأفريقية، ولقد كان للشعوب المسلمة في القارة الأفريقية عطاء حضاري كبير ضمن الدائرة الإسلامية الجامعة، حيث أبدعت هذه الشعوب التي دخلت في دين الله أفواجا نظما اجتماعية راقية، وأنجبت أعدادا كبيرة من العلماء والفنانين المتشبعين بروح الثقافة الإسلامية، وهذا المبحث سنحاول الإشارة إلى بعض هذه الحضارات الإسلامية في شرق أفريقيا وغربها إن شاء الله.

المطلب الأول: بعض المراكز الإسلامية في ساحل شرق أفريقيا:

الشعوب العربية هي أهم الشعوب التي اتصلت بساحل شرق أفريقية منذ القدم، وأبقاها أثرا في تلك البقعة من القارة، وقد ساعد على ذلك عامل القرب الجغرافي؛ لأن العرب بصفة خاصة هم أقرب الشعوب دون غيرهم من شعوب شرق أفريقيا، فهم يواجهون ساحل شرق أفريقية مما ساعد على كثرة التردد بين سواحل شبه الجزيرة العربية الجنوبية بصفة خاصة وبين شرق أفريقية، وكان العامل الأساسي الذي دفع العرب لارتداد سواحل شرق أفريقية هو الأهمية الاقتصادية لشرق أفريقية وما فيه من سلع وثروات، وتدفقت المهجرات العربية إلى أفريقية في العصر الإسلامي لأسباب دينية وسياسية، فضلا عن

العامل الاقتصادي الذي كان مسيطرا على معظم الهجرات، وتوافدت على سواحل أفريقيا مجموعات ضخمة من دعاة الإسلام من عرب وفرس وغيرهم، لإنشاء مراكز إسلامية ثابتة لنشر الإسلام والثقافة الإسلامية بين القبائل الأفريقية، وكان لهم الفضل في تأسيس عددا كبيرا من المراكز الإسلامية والثقافية في هذه المنطقة، وسنذكر بعض هذه المراكز الإسلامية في شرق أفريقيا في هذا المطلب بإذن الله.

المركز الأول: مدينة مقديشو Mogadichou في جمهورية الصومال:

الموقع: تقع مدينة مقديشو فوق التلال الرملية المرتفعة في مواجهة لساحل المحيط الهندي وأضحى قيامها في هذا المرتفع جانبا هاما من التحسينات الطبيعية، وعلاوة على ذلك فقد أحيطت بسور مبني من الحجر كان يلف المدينة، أمست بذلك مدينة منيعة قوية، فتوفر لها كثير من الأمان والحماية والاطمئنان، وبقيت المدينة كذلك حتى فترة نهاية العصور الوسطى والحديثة، إضافة إلى موقعها الحيوي، والذي جعل منها أشهر مواني شرق أفريقيا، وجعلها تلعب دورا حيويا في حركة التجارة النشطة التي شهدتها المحيط الهندي في العصور الوسطى، فإن مقديشو وبحكم موقعها الجغرافي كانت تقع في أغنى منطقة من ساحل شرق أفريقيا، وأكثرها وفرة في مصادر المياه فهي تقع جنوب انحناء نهر شبيلي حينما يتجه إلى الغرب من المحيط الهندي.402

402 تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، عبد القوي عثمان الشوقي، عالم المعرفة، الكويت، 1978م، ص: 117.

نشأة مدينة مقديشو واشتقاق اسمها: مدينة مقديشو من أعرق المدن في الساحل الشرقي أفريقيا وأقدمها، وقيل إنها دفنت ثلاث مرات ومقديشو الحالية أسست عام 295هـ 907م أي قبل تأسيس مدينة كلوة بسبعين عاما، ويعتقد أنها كانت توجد مدينة قديمة مكان مقديشو الحالية، ويؤكد ذلك أن مقديشو كانت معروفة قبل ذلك بوجود وثائق عربية تؤكد أن مقديشو أسس قبل ذلك التاريخ بفترة طويلة، حيث عثر على مقابر تعود تاريخها إلى بداية العصر الإسلامي، وفيها خط عربي يعلو "بسم الله الرحمن الرحيم" على قبر سيدة تدعى "فاطمة بنت عبد الصمد يعقوب" المتوفاة في عام 101هـ، وآخر على قبر سيدة تدعى "حاجة بنت مقدم محمد" المتوفاة عام 138هـ. 403

أما التفسير الصحيح لكلمة مقديشو تضاربت الآراء واختلفت كثير من الباحثين بأن هذا الاسم عربي أو عجمي أو صومالي بحت، فقد قيل إن الاسم مركب من كلمتين عربية وفارسية "مقعد شاه" فالكلمة الأولى عربية أصلية والثانية فارسية تعني ملكا وهي إشارة إلى المكان الذي اتخذ "شاه الحاكم الفارسي مقرا لحكمه" وتعرض الاسم لعوامل التحريف النطقي حتى صار مقديشو. 404

ويرى آخرون أن هذا الاسم صومالي الأصل، حيث يعتقدون أن كلمة مقديشو هي الصومالية تعني المكان التي تتجمع فيه الأغنام للبيع. 405

403 صفحات عن تاريخ الصومال، محمد فريد، ط 1، دار المعارف، القاهرة، 1983م، ص: 7.

404 بغية الآمال في تاريخ الصومال، عيروس بن الشريف علي، ط 1، مطبعة إدارة الوطنية، 1954م، ص: 32.

405 نفسه، ص: 32.

أما البرتغاليون الذين استولوا على بعض المدن الصومالية الساحلية أيام غزوهم سواحل أفريقيا الشرقية والهند ومناطق البحر الأحمر والخليج العربي في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي أسموا مقديشو بأنها mogadixo ، وهي أقرب لفظ إلى العربية ذكره الغربيون إلى هذا الاسم، لأن حرف "X" اللاتيني في اللغتين البرتغالية والإسبانية ينطق به كحرف الشين العربي. 406

وعلى أية الحال فإن النطق المشهور والشائع عند أهل الصومال في هذا العصر هو بضم الميم وسكون القاف وكسر الدال المهملة وضم الشين المعجمة مع سكون الواو، وهذا ما لم نجده عند الكتاب العرب، وكذا عند بعض كبار مؤرخي الصومال المشهورين إلا عند المؤرخ الصومالي المعاصر شيخ جامع عمر عيسى. 407

من أهم المساجد الأثرية في مقديشو: وجدت المساجد في الصومال منذ فجر الإسلام، وإن المسجد من أهم المؤسسات التعليمية في الإسلام على الإطلاق، ولا شك أن المسجد قد أدى دوره الثقافي والعلمي منذ قيام الدولية الإسلامية في المدينة على يد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهنا سنعرض بعض أهم مساجد مدينة مقديشو التي تخرج منها عدد غير قليل من طلاب العلم، منهم العديد من المثقفين ممن لديهم معرفة كاملة بأحكام الشريعة، وتمكنت المساجد في مقديشو من المحافظة على التراث الإسلامي واللغة العربية، ومن أهم هذه المساجد ما يلي:

406 بغية الآمال في تاريخ الصومال، عيروس بن الشريف علي ، ص: 32.

407 الثقافة العربية وروادها في الصومال، محمد حسين، ط 1، دار الفكر العربي، القاهرة، 2011م، ص: 215.

1- مسجد فخر الدين: الذي بني في عام 1269م، وامتاز المسجد بأحجاره الرخامية القديمة

كما يمتاز بلوحته التذكارية التي تثبت على محرابه المكتوبة عليها آيات من القرآن بخط واضح وصريح، و مكتوب عليها أيضا تاريخ إنشاء المسجد وهذه نص الوثيقة "بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر، صاحبه الحاج محمد بن عبد الله بن محمد آخر شعبا سنة 667هـ" وللمسجد قبتان إحداهما خلف المحراب والآخر تقع في الجزء الأخير من صحن المسجد، وسقف المسجد من أخشاب متقاطعة وأحجار متشابكة، وقد أقيم المسجد لنشر الدعوة الإسلامية في المناطق المجاورة على نطاق واسع، وكان الطلاب يقيدون إليه للتعليم. 408

2- مسجد جامع حمر ويني: إن هذا المسجد من أكبر الآثار الخالدة في مقديشو، وهو معلم

من معالم الحضارة الإسلامية والتراث العربية الباقية في مقديشو، ومن المعتقد أنه من أهم المساجد القديمة التي شيدت في وقت مبكر من تاريخ الإسلام في مقديشو، ويتكون المسجد من سبع صفوف من الأعمدة طولا وعرضا، وتنتشر فيه لوحات التي يوضع عليها الكتب عند القراءة، ويدرس فيه جميع الفنون للعلوم الإسلامية، وتذكر بعض الوثائق التاريخية إن تأسيس هذا المسجد يرجع إلى عام 630هـ، ومن المحتمل أن بناءه يرجع لعهد أقدم بكثير حيث تقول الأخبار أن الحاج محمد بهري الذي المعتقد أنه من أهل الشيراز، ومكتوب هذه

النصوص على أحد جدرانها "بسم الله الرحمن الرحيم بنيت أعمدة هذا المسجد في هذا المكان

أول محرم 630هـ. 409

3- مسجد أربع ركن: يقع هذا المسجد في حي حمر ويني قرب الكنيسة الكاثوليكية وجنب دار

محلية مقديشو، ويعتبر أنه من أقدم المساجد الأثرية في مقديشو التي تم تشييدها في عام

667هـ كما تشير بعض الدلالات والوثائق التاريخية، وقد بناه خسروا بن محمد الشيرازي في

تلك السنة، وهذا ما يدل إلى أن بناءه يرجع إلى النصف الأخير من القرن السابع الهجري،

وأما من حيث النقوش المصورة في المسجد فيعد من أروع وأجمل المساجد زخرفة حيث تظهر

النقوش وبشكل واضح وإن تلك النقوش تحتوي على بعض الآيات القرآنية وتاريخ بناء

المسجد، حيث استخدمت النقوش بمادة مشتبهة بماء الذهب، وهذه العبارات مكتوبة على

محراب المسجد "أنا العبد الضعيف المحتاج إلى رحمة الله تعالى خسرو الشيرازي سنة

667هـ. 410

مما سبق يمكننا القول أن الموقع الجغرافي لمقديشو يعد من أروع المواقع في الصومال من حيث معالمها

الطبيعية، وكانت مقديشو عاصمة الساحل الشرقي أفريقيا خلال العصور الإسلامية حتى ظهرت في

الوجود مدينة كلوة الإسلامية التي تم تأسيسها بسبعين عاما بعد تأسيس مقديشو، وكانت رائدة

الحضارة الإسلامية في شرق أفريقيا، بسبب تدفقها أهل العلم والمعرفة، وعلى أساس هذا بني في

409 صفحات من تاريخ مقديشو، صالح علي محمود، المرجع السابق، ص: 24.

410 نفسه، ص: 24.

مقديشو معالم حضارية هامة مثل المساجد التي أشرنا إليها، وتسهب الدراسة التوزيع السكاني للقبائل الساكنة في مقديشو وقسمت إلى قبائل عربية مهاجرة وقبائل صومالية محلية، ووزعت حسب توزيعهم في الأحياء القديمة والحديثة مع ذكر القبائل الرئيسية في مقديشو.

المركز الثاني: مدينة زنجبار Zanzibar بجمهورية تنزانيا:

الموقع: تقع جزيرة زنجبار على المحيط الهندي على خط عرض 6 درجات، وتبعد عن البر الأفريقي مسافة 25 ميلا، جنوب ممباسا، و35 ميلا جنوب جزيرة ييمبا، و29 ميلا شمالي مدينة دار السلام، ونحو ثمانية آلاف ميل عن لندن "بريطانيا"، و2200 ميل عن مسقط عمان، و1700 ميل عن عدن اليمن، و2500 ميل عن ممباي "الهند"، و750 ميلا عن مدغشقر، و500 ميل عن جزر القمر، ويبلغ طولها من أوسع نقطة منها مسافة 524 ميل، وعرضها من أوسع نقطة منها 24 ميلا. 411.

وأكثر مساحة أرضها حجرية، وتصلح في أرضها زراعة الأرز والحبوب ما عدا القمح، ويجود فيها القرنفل إلى جانب وجود مختلف أنواع أشجار الفاكهة المثمرة وأشجار جوز الهند، وأكبر أنهارها "نهر مويرا" وهو ينبع من وسط الجزيرة، ويبلغ طوله "خمسة أميال" ثم يغيب في باطن الأرض، كما توجد بزنجبار عين غزيرة المياه في جهة الشمال، و تعد زنجبار غير منفصلة عن البر الأفريقي من ناحية التنوع البيئي، بحكم وجود الأشجار الموجودة في البر الأفريقي نفسها ووجود مختلف الحيوانات المأكولة

411 تأسيس المدن الإسلامية في شرق أفريقيا، موسى بن خميس البوسعيدى، المقالة العدد 39، 2013م، ص: 2، <http://tafahom.om/index.9/197>

والمفترة، هذا إلى جانب عمق مياه ساحلها، كما تتميز بتعدد البلدان والقرى والتي استقر فيها العمانيون خلال عهد الحكم البو سعدي.412

وتعد زنجبار من أبرز الجزر بشرق أفريقيا، والمشهورة بالموقع الاستراتيجي والتميز التجاري، وإحدى مواطن الجذب؛ لما تمتاز به من طبيعة ساحرة وثروات متنوعة، ولذلك كانت مقصدا للتجار العرب القادمين من شبه الجزيرة العربية، والتجار القادمين من الهند، وذلك منذ القرن الأول "ق.م"، كما وفدت عليها القبائل العربية من عمان واليمن وحضرموت، وازدهرت بمجيء الإسلام وانتشاره فيها.413

نشأة زنجبار واشتقاق اسمها: عثر الباحثون على أقدم كتابة عربية معروفة في شرق أفريقيا جنوب زنجبار بمنطقة تسمى "كيزيماكي Kizimaki"، وهي عبارة عن نقش على جدار يقول: "إن الشيخ السيد أبا عمران أمر ببناء المسجد في اليوم الأول من شهر ذي القعدة لعام 500هـ"، ويوافق 27 يوليو 1107م، كما وصفها المؤرخ البرتغالي "بربوس Brbross" حينما زارها عام 1503م فيقول: "سكان زنجبار وملوكها مسلمون ... وفي الجزيرة مساجد كثيرة والسكان متمسكون بالدين".414

412 جبهة الأخبار في تاريخ زنجبار، سعيد بن علي المغيري، تحقيق: محمد علي الصليبي، ط 4، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، 2001م، ص: 171.

413 تأسيس المدن الإسلامية في شرق أفريقيا، موسى بن خميس البوسعيد، المرجع السابق، ص: 3.

414 الأقليات المسلمة في العالم، مسعود الخوند، ط 2، ج 1، الناشر: universal company، بيروت، 2006م، ص: 44.

وتشير الروايات إلى أنه قد قامت أسرة حاكمة عربية إسلامية في جزيرة "قنبلو"، وهي التي ذكرها المؤرخ المسعودي، إن هذه الأسرة كانت من "قبيلة الأزد" العمانية، التي كانت تعمل في التجارة فاحتللت مع السكان الزنوج، وأقنعتهم بالإسلام، ولذلك يشير المؤرخون إلى أن "ميناء قنبلو" يعد من أقدم المواني التي أنشأها العرب على الساحل الشرقي لأفريقيا، واختلفت الروايات في تحديد موقع هذا الميناء، فبعضهم قال: "إنه على الجزيرة الخضراء إلى الشمال من زنجبار"، وبعضهم قال: "إن قنبلو هي جزيرة زنجبار"، وقال المؤرخ الألماني كيركمان Kearkman: "إنها إحدى جزر القمر"، وقال آخرون: "إنها جنوب ممباسا".⁴¹⁵

وأما اسم زنجبار: فهي كلمة فارسية تتكون من مقطعين "زنج" و"بار" وتعني "ساحل الزنج" محرفة وأصلها "بر الزنج"، ويقال لها بالسواحلية: "أنغو جاء" مركبة من كلمتين "أنغو" بمعنى "الصحن الواسع"، و"جاء" بمعنى "امتلاء"، فيكون معنى كلمة زنجبار "الصحن الواسع الممتلئ".⁴¹⁶

من أهم المساجد ودورها في زنجبار: انتشرت المساجد في سلطنة زنجبار حوالي خمسون مسجداً، ويرجع ذلك إلى معرفتهم لحديث النبي صلى الله عليه وسلم (من بني لله مسجداً بني الله له بيتا في الجنة)⁴¹⁷، ولأهمية المساجد في حياة المسلمين حيث تعد مراكز تعليمهم وإقامة شعائرهم

415 الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، عبد الفتاح مقلد الغنيمي، ط 1، عالم الكتب، القاهرة، 1998م، ص: 41.

416 جبهة الأخبار في تاريخ زنجبار، سعيد بن علي المغيري، المرجع السابق، ص: 172.

417 عن معاذ بن جبل، المحدث: ابن القيسراني، تذكرة الحفاظ، رقم الحديث: 312.

والاتصالات الاجتماعية الهامة وكان لكل من هذه المذاهب السابقة مسجده الخاص. 418 ومن أهم هذه المساجد في زنجبار ما يلي:

1- **مسجد جزيرة تمباتو:** هو مسجد أقدم جدا تم وضع حجره الأساسي في عهد الخلفية الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، حسب قول شيوخ المدينة. 419

2- **مسجد مدينة كيزمكازي Kizimkazi:** يعد هذا المسجد من أقدم المساجد في زنجبار على ضفاف الشاطئ، وهو مسجد أثري جميل مزخرف بكل أنواع الزخرفة، وفيه نقوش قديمة، وعلى واجهته خطوط عربية كوفي فارسي وغيرها، وقد تم ترميمه بشكل أفضل في عام 500هـ / 1107 م. 420

3- **مسجد بلدية شوكة:** هذا المسجد من الآثار دالة على الآثار العمرانية العمانية في زنجبار، حيث يبدو جليا الرسم الذي هو على شكل خنجر عربي في المحراب القديم لهذا المسجد، ويعود تاريخ هذا المحراب إلى سنة 812هـ / 1412 م. 421

418 التعددية الدينية والتعايش السلمي في زنجبار، صالح محروم محمد، مركز الدراسات الشرق الأوسط، بيروت، بدون سنة، ص: 3.

419 أيام قضيتها في زنجبار، د/ فوزي محمد بارو، مقالة، الموقع: www.somaliatoday.com، 2013م، ص: 3.

420 نفسه، ص: 3.

421 بحث العمانيين في شرق أفريقيا، السهاد البوسعيدية، جمعية التراث، 2010م، ص: 16.

أما المدارس فهي كثيرة من أهمها وأشهرها: مدرسة الفلاح، ومدرسة الهدى الإسلامية، ومدارس الحرمين، والمدرسة البريطانية، ومدرسة الإحسان وغيرها. من أشهر المؤسسات التعليمية في زنجبار: المعهد الإسلامي الذي يعتبر من أقدم وأكبر المؤسسات الإسلامية العربية فيها، وقد أخرج أجيالا وأجيالا، وأن أغلب الطبقة المتعلمة في زنجبار قد تخرجت فيه، ومعهد المحفوظ. ومن الجامعات المعروفة: جامعة دولة زنجبار، جامعة زنجبار العالمية، وجامعة تنزانيا المفتوحة وغيرها.⁴²²

المركز الثالث: جزيرة مدغشقر Madagascar وهي جمهورية مدغشقر الحالية:

الموقع: تقع جزيرة ملاجاش في المحيط الهندي في جنوب شرقي قارة أفريقيا، ولا يفصلها عن اليابس الأفريقي سوى أربع مائة كيلو متر، وهي في حوزة المنطقة المدارية، غير أن موقعها الجزري وسط المحيط الهندي عدل من أحوالها المناخية.⁴²³

دخل الإسلام إلى مدغشقر في أوائل البعثة النبوية، عندما هاجر عدد من المسلمين الأوائل إلى الحبشة، ليستظلوا بحماية ملك الحبشة النجاشي، وقد أقر المفكر جورج أمبروف Jordje Amrof في كتابه "التابو" حول مدغشقر، بأن التأثير العربي والإسلامي في مدغشقر أقدم بمئات السنين من التأثير المسيحي.⁴²⁴

422 أيام قضيتها في زنجبار، د/ فوزي محمد بارو، المرجع السابق، ص: 4.

423 المسلمون في مدغشقر ... تاريخ مشرف وواقع مرير، مقالة: رسالة الإسلام، المشرف: د/ عبد العزيز بن فوزان، الموقع: main.islammessage.com، 2013م، ص: 2.

424 نفسه، ص: 2.

ولقد هاجر إلى مدغشقر مجموعات من العمانيين، واستقروا فيها، حيث اتصفت علاقتهم هناك بمبدأ التسامح في التعامل، ونشر الدين الإسلامي، وبمرور الوقت أثمر ذلك في ترسيخ مفاهيم الإسلام الصحيحة في شعوب الأفارقة، وكان من نتاج تأثيرهم في مدغشقر إطلاق اسم "مسليج" عليها، اشتقاقا لاسم مدينة "مسقط" العمانية، وإطلاقهم على محطة تجارية في شمال الجزيرة وتسميتها باسم "سلالا" تيمنا بمبيلتها "صلاله" بجنوب عُمان. 425

ومما يؤكد وجود تأثير العربي الإسلامي في مدغشقر ما ذكره المؤرخ المسعودي عندما زار جزيرة مدغشقر خلال عام 304هـ/916م، قوله: "إنها جزيرة عامرة فيها قوم من المسلمين، إلا أن لغتهم زنجية غلبوا على هذه الجزيرة". 426

وتدل أيضا الآثار المكتشفة أن السفن العربية قد وصلت إلى تلك الجزيرة منذ العصور القديمة، خاصة سفن أهل عمان واليمن، وذلك للظروف السياسية والاقتصادية التي مرت بها منطقة جنوب الجزيرة العربية، التي أدت إلى الهجرات المستمرة للجاليات العربية إلى جزيرة مدغشقر. 427

425 تأسيس المدن الإسلامية في شرق أفريقيا، موسى بن خميس البوسعيدي، المرجع السابق، ص: 5.

426 تأسيس المدن الإسلامية في شرق أفريقيا، موسى بن خميس البوسعيدي، المرجع السابق، ص: 5.

427 نفسه، ص: 6.

المساجد والهيئات الإسلامية بجزيرة مدغشقر: يوجد بمدينة تناناريف مركز تابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، ويوجد عدد آخر من المساجد في ميناء تاماناف، وفي مدينة ماجونجا جالية عربية كبيرة، وبها ثلاثون مسجدًا، وبها مجلس أعلى للشئون الإسلامية، ومن المدن الإسلامية ديوجو، ومامنتيرانو، والمسلمون في ملاجاش في حاجة إلى تصحيح العقيدة في نفوسهم بعد هذا الانقطاع الطويل عن العالم الإسلامي. والهيئات الإسلامية حاليًا تتمثل في هيئات إسلامية، جمعيات منها بالعاصمة، وهناك جمعيتان في مدينة ماجينقالب، وواحدة في ماجينقا. 428

تلك هي من أبرز المدن الواقعة على الساحل الشرقي الأفريقي بالمحيط الهندي، التي كان للوجود العربي الإسلامي تأثير واضح في العمران والثقافة فيها، بقيت معالمه واضحة حتى اليوم، والجدير بالقول أن الهجرات العربية من شبه الجزيرة إلى شرق أفريقيا قد أوجدت نواة الجنس العربي في تلك القارة، وهو سابق لظهور الإسلام، وبمجيء الإسلام أحدث العرب المسلمون تأثيرًا منقطع النظير، لما قدموه من إسهامات في نشر الدين الإسلامي، وزيادة الوجود العربي، وما حدث من الاندماج والتزاوج وتعدد العلاقات الاجتماعية، التي أدت إلى وجود العنصر السواحيلي في حضارته وثقافته ولغته، مما كان لها الأثر في نشوء وازدهار الحضارة العربية الأفريقية.

428 المسلمون في مدغشقر ... تاريخ مشرف وواقع مرير، مقالة: رسالة الإسلام، المشرف: د/ عبد العزيز بن فوزان، المرجع السابق: ص: 3.

المطلب الثاني: بعض المراكز الإسلامية في غرب أفريقيا:

بعدما تحدثنا عن بعض المراكز الإسلامية في ساحل شرق الأفريقي يهمننا الآن أن نتحدث عن الطابع الإسلامي ومظاهر الحضارة الإسلامية في غربي أفريقيا، وعن المراكز الإسلامية التي نهضت بهذا العمل وحفظت للإسلام نقاءه وقوته حتى بداية تعرض المنطقة للكشوف الجغرافية الأوروبية والاستعمار الأوروبي في العصر الحديث، وفي هذا المطلب سنعرض بإذن الله تعالى ثلاث مراكز إسلامية وثقافية في غرب أفريقيا وهي كالتالي:

المركز الأول: مدينة تمبكتو Toumbouktou في جمهورية مالي:

تعتبر مدينة تمبكتو أهم مركز حضاري وثقافي وتجاري في غرب أفريقيا، وتعد مدينة إسلامية منذ نشأتها، وما دنستها عبادة الأصنام ولا سجد على أرضيها لغير الله سبحانه وتعالى، يقول الشيخ السعدي في كتابه "تاريخ السوان": "ما دن دنستها عبادة الأوثان، ولا سجد على أديمها لغير الرحمن، مأوى العلماء والعابدين، ومألف الأولياء والزاهدين، ولذلك ارتبط تاريخ الثقافة العربية الإسلامية في غربي أفريقيا بتاريخ هذه المدينة نفسها".⁴²⁹

429 تاريخ السودان، الشيخ عبد الرحمن السعدي، تحقيق وترجمة للفرنسية: هوداس بنوة، طبعة باريس، 1981م، ص: 2018.

الموقع: تقع مدينة تمبكتو اليوم في الجزء الشمالي من جمهورية مالي على حدود الجزائر وموريتانيا من الخارج، وأما داخل مالي فتقع على حدود إقليم "غاو Gao" من شرقها، وإقليم "موبتي Moupti" من جنوبها وغربها، ذلك أن مدينة تمبكتو كانت على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى بما يعرف بمنحنى نهر النيجر، وتعتبر حلقة وصل بين السودان الغربي والصحراء الكبرى، وهي قرية من نهر النيجر حيث يبعد عنها في فصل الصيف ستة عشر ميلا، وتبعد عن تمبكتو بسبعة أميال. 430

تأسيسها واشتقاق اسمها: اختلف المؤرخون في تاريخ تأسيس تمبكتو إلا أن أغلب الآراء تؤكد أنها تأسست في أواخر القرن الخامس الهجري "الحادي عشر الميلادي"، وذلك على أيدي قبائل من أصول أفريقيا من بين الطوارق وعرب، والفولاني وسنغاي كانوا يقطنون بين تمبكتو وأروان، والأخيرة من قرى السودان الغربي، تبعد عن تمبكتو بحوالي 450 كم، وهي مجدبة كانت مبانها من الطين، وكانت لدى هؤلاء رحلتان: الأولى في فصل الخريف حيث يرحلون إلى صحراء "أوران"، والثانية في

فصل الصيف. 431

430 العلاقة الثقافية واللغوية بين مدينة غدامس "ليبيا" ومدينتي تمبكتو وغاو ودور المخطوطات فيها، ميغا عبد القادر إدريس، مقالة غير منشورة، ص: 3.

431 السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تمبكتو البهية، مولاي أحمد بابير الأرواني، دراسة وتحقيق الهادي الدالي، جمعية الدعوة لإسلامية، طرابلس، 2001م، ص: 51.

ومن الأقوال المتواترة: أن مدينة تمبكتو أسسها ملك يدعى "منسا سليمان" عام 610هـ/1213م

على مسافة اثني عشر ميلا من أحد فروع نهر النيجر. 432 ويقول بعض الكتاب أن تأسيس تمبكتو

كان عام 494هـ/1100م على أيدي طوارق البربر وأن تمبكتو حلت محل خيال غانا. 433

أما رواية التسمية مدينة تمبكتو تقول: أن مدينة تمبكتو كانت ممرا للتجار والرحل الطوارق، وكانت

بها عجوز اسمها "بُكتو" يتركون عندها بعض أغراضهم أمانات إلى أن يعودوا، فاشتهر المكان عندهم

بعبارة "تين بُكتو"، و"تين" لفظ أمازيغي يفيد الملكية أو النسبة أو الانتماء، وبإضافته إلى "بُكتو"،

يكون معنى "تين بُكتو"، المكان الذي تملكه "بُكتو"، أو البلدة التي تنتمي إليها "بُكتو"، وهكذا

تطورت التسمية حتى صارت "تَمبكتو". 434

من أهم مساجد بمدينة تمبكتو: اعتنق أهل تمبكتو الإسلام منذ وقت مبكر، وأصبحت بذلك من

أكبر مراكز الإسلامية، ولقد قامت مجموعة من جوامع في مدينة تمبكتو التاريخية، وقد لعبت هذه

المساجد دورا كبيرا في نشر الإسلام، وكانت هذه المساجد أيضا منارات تعليمية وجامعات عامة

ازدهرت الحياة الثقافية فيها، وتبادلت المعارف والعلوم بينها وبين مراكز العلم في العالم العربي

الإسلامي، ومن أشهر هذه المساجد ما يلي:

432 مملكة سنغاي في عهد الأسفين، الحسن الوزان، ج 2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 2016م، ص: 165.

433 Timbuktu the centre of civilization, Tomass Arnolad, p: 355.

434 تمبكتو-أطلال-وكنوز-تصارع-التاريخ-المصدر: الجزيرة، القسم: تقارير وحوارات، الموقع:

www.aljazeera.net/reportsandinterview، 2012م، ص: 1.

مسجد كانكو موسى: تم بناء هذا المسجد من طرف سلطان مالي الحاج "كانكو موسى"، وذلك أثناء عودته من الحج عام 725هـ/1325م، وقد أشرف على تشييده المهندس المعماري "أبو إسحاق الساحلي" الذي أعطاه أمبرطور مالي أربعة آلاف مثقال من الذهب، ولم ينته بناء المسجد إلا سنة 730هـ/1330م، وقد أعيد بناء الحرم بكامله من قبل الإمام "الحاج العاقب 977-997هـ/1570-1589م" قاضي تمبكتو، حيث أضاف إليه الجزء الجنوبي بكامله، ويوجد بداخل المسجد خمسة وعشرون صفا من الأعمدة في الاتجاه من الشمال إلى الجنوب، وثمانين صفوف أخرى من الأعمدة في الاتجاه من الشرق إلى الغرب، وقد طليت الجدران بملاط أصفر، عليها زينة وزخرفة، ويستعمل الحصر المنسوج من القش كسجدة للصلاة، وقد كانت صلاة الجمعة تقام بهذا المسجد. 435

مسجد سانكوري: أغلب الظن أن هذا المسجد قد بني في عهد "الماندينغ 725-836هـ/1325-1433م" من قبل امرأة ثرية كان يعجبها أن تقوم بأعمال البر، وبين سنة 985هـ/1578م وبين سنة 989هـ/1582م هدم الإمام "العاقب" الحرم وأعاد بناءه على مقاس الكعبة، وكان قد أخذ هذا القياس بواسطة حبل حين كان في مكة لأداء فريضة الحج سنة 988هـ/1581م، وقد انهارت الصومعة قرنا بعد ذلك وأعيد بناؤه، ويتوسط المسجد صومعة كبيرة شيدت بنفس الأسلوب الذي بنيت به الصومعة الموجودة في "مسجد منسا موسى"، وكانت الجهة

435 الحضارة الإسلامية في مالي، تأليف: مجموعة من الباحثين، منشورات إيسيسكو، 1996م، ص: 119.

الشمالية من المسجد تستخدم لإلقاء الدروس، وهذا الوقت الذي كان المسجد يقوم مقام

الجامعة. 436

مسجد سيدي يحيى: يوجد هذا المسجد جنوب مسجد "سانكوري"، وحسب ما هو وارد في الروايات، فقد تم بناؤه سنة 802هـ/1400م من قبل "الشيخ المختار حماد الله" بغية انتظار أن يسكن فيه رجل صالح يبعثه الله حسب تنبؤات البعض، وبعد مضي أربعين عاما تقدم شريف يدعى "سيدي يحيى التاديسي" وطلب الحصول على مفاتيح المسجد، فعينه حاكم المدينة "محمد نطى" إماما، وقد ترميم الحرم في 985هـ/1578م من قبل القاضي العاقب، ثم تم تغيير شكله سنة 1357هـ/1939م بعد التغييرات التي عرفت بها الصومعة لتصبح على شكل برج مسنن، كما تم إصلاح الأبواب تبعا لأسلوب القوس القوطي، ويحتوي المسجد على ثلاثة صفوف من الأعمدة في الاتجاه من الشمال إلى الجنوب، وقد تمت المحافظة على الصومعة العتيقة في الداخل، ودفن تحتها "سيدي يحيى" وصديقه "محمد نطى" الذي توفي بعده بأسبوع، كما تم تحويل الساحة الكبيرة التي كانت موجودة في جنوب المسجد إلى مقبرة غير مستعملة في الوقت الحالي، وتعلوها الصومعة

الكبيرة. 437

436 الحضارة الإسلامية في مالي، تأليف: مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ص: 119.

437 نفسه، ص: 124.

ملاحظة: ولم تكن تمبكتو تضم فقط هذه المساجد الثلاثة المشهورة، بل ضمت مساجد أخرى، ولكنها لم تصل إلى شهرة هذه الثلاثة ومكانتها في التاريخ الحضاري الإسلامي لغرب أفريقيا، وقد أوصل المؤرخون عددها إلى أكثر من تسعة مساجد، وكانت هذه المساجد الثلاثة - بصفة خاصة - معاهد تعليمية كبرى، ومراكز ثقافية مهمة، مثل: الجامع الأزهر بالقاهرة، والجامع الأموي بدمشق، وجامع الزيتونة بتونس، وجامع قرطبة بالأندلس، وجامع القرويين بفاس، وغيرها من المساجد الإسلامية الكبرى.

المركز الثاني: مدينة جيني Djené بجمهورية مالي:

كانت مدينة جيني من أهم المراكز العلمية والثقافية في السودان الغربي، وبالرغم من أن مدينة جيني لم تكن معروفة بشكل جيد في العالم الغربي، وبالرغم من أن المؤرخين والرحالة العرب لم يذكروها مثلما ذكروا مدينة تمبكتو، إلا أن جيني كانت لها مكانة كبيرة في السودان الغربي، حيث كانت طريق التجار القادمون من الشمال أفريقيا والمتوجهون إلى مناطق جنوب الصحراء الكبرى، وهي المدينة الفريدة من نوعها بالسودان الغربي، من حيث جمالها العمراني.

الموقع: تقع مدينة جيني على 398 كم شمال شرق باماكو Bamako و 76 كم جنوب غرب موبتي، وتقع البلدة في السهول الفيضية بين نهرى النيجر والطرف الجنوبي من دلتا النيجر الداخلية، تبلغ مساحة البلدة حوالي 70 هكتار و خلال الفيضانات السنوية تصبح "جزيرة" لا يتم الوصول إليها إلا بواسطة الجسور. 438

التاريخ: تأسست مدينة جيني في مالي الوسطى عام 183هـ/800م، وهي واحدة من أقدم المدن الواقعة جنوب الصحراء الكبرى في أفريقيا، وتقع جيني على جزيرة في دلتا نهر النيجر، وأصبحت معبرا مهما للتجار لنقل بضائعهم من الذهب والملح والعييد خارج تمبكتو، خلال السنوات الماضية أصبحت جيني أيضا مركزا للعلوم الإسلامية، ومن أبرز معالمها المسجد الكبير الذي يزين ميدان السوق. 439

وتقول رواية أخرى أن مدينة جيني تم تأسيسها على أيد الوثنيين في القرن الهجري الثاني، واعتنق سكانها الإسلام في أواخر القرن السادس، وكان السلطان "كوي كنبر Koye Kenber" أول من اعتنق الإسلام ليقتردي به أهل المدينة بعد ذلك، وعندما عزم هذا السلطان على اعتناق الإسلام، أمر بجمع العلماء الذين كانوا بالمدينة وعددهم 4200، وأعلن أمامهم عن تركه لعقيدته الوثنية ودخوله الإسلام. 440

438 مدينة جيني (مالي) ويكيبيديا موسوعة الحرة، الموقع: Ar.wikipedia.org.

439 نفسه.

440 الحضارة الإسلامية في مالي، تأليف: مجموعة من الباحثين، منشورات إيسيسكو، 1996م، ص: 98.

مسجد جيني: مسجد جيني من أكثر مساجد الغرب الأفريقي شعبية، وقد تميز بفنه المعماري الأصيل الذي زاد المدينة شهرة، والذي يأتي لمشاهدة آلاف الزوار من مختلف الجنسيات، وقد تأثر هذا المسجد بكل الأسر التي حكمت المدينة، كما أن أسلوب بنائه قد غدا مدرسة لكل الدلتا الداخلي.

ويعود تاريخ بناء هذا المسجد إلى عام 647هـ/1250م في نفس موقع قصر أول زعيم مسلم في "جيني" وهو "كنبر" الذي كان قد أعلن إسلامه في نفس التاريخ، وبين سنة 1224هـ/1810م و1277هـ/1861م ومع ظهور الولي الصالح "الشيخ أحمدو Cheick Ahmadou" من ماسينا، بذلت مجهودات من أجل تنظيم الحياة في جيني وفق تعاليم القرآن الكريم، وفي هذا الإطار هدم "سيكو أمادو Sekou Amadou" كل المساجد الصغيرة التي كان أولياء المدينة قد أسسوها، ولم ينج من ذلك المسجد الكبير الذي أصبح مكانا للتجارة فهدم "سيكو أمادو" الجزء الغربي منه، واستغل الموارد التي كانت به لتشييد مسجد آخر أكثر بساطة واتساعا على الجهة الشرقية

منه. 441

441 الحضارة الإسلامية في مالي، تأليف: مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ص: 134.

وظل المسجد منذ 1277هـ/1861م وإلى 1320هـ/1903م تحت رحمة تقلبات الطقس، ودون صيانة، لكن الإدارة الاستعمارية، التي كانت في سنة 1324هـ/1907م بصدد بناء مقر لها، أعادت بناء المسجد معتمدة في ذلك على سكان مدينة جيني وما جازرها، وقد أشرف على عملية البناء المدعو "سومايلا تراوري Soumayla Traoré" وأصله من مدينة "جيني" ذاتها، ولم تنته أشغال إعادة البناء هاته إلا عام 1326هـ/1909م. 442

دور المسجد والحفاظ عليه: لعب المسجد منذ تأسيسه عام 1250م أدوار عديدة، فقد ظل مكانا لأداء الصلوات الخمس، وذلك رغم تشييد الأولياء مساجد أخرى عبر المدينة، كما أنه ظل المسجد الذي تقام فيه صلاة الجمعة، وفي سنة 999هـ/1591م في عهد "الأسكيا إسحاق Askiya Ishaka" كان حاكم "جيني" يصدر أحكامه من المسجد بحضور قاضي المدينة، وبالنظر إلى ما عرفته المدينة من تطور اقتصادي، فقد استقر بها عدد من الأجانب من الشمال الأفريقي، وكان من بين هؤلاء علماء بارزون ساعدوا على تطوير الثقافة والتعليم الديني بالمدينة، وهكذا أصبح المسجد مركزا لإلقاء المحاضرات وجامعة يدرس بها كبار العلماء من أمثال "موريما غان كانكوي Moryma Gane Kankawi" العلوم الإسلامية، حسب جدول زمني محدد، وبالنسبة للحماية على المسجد، يرمم المسجد كل عام من طرف سكان مدينة "جيني"، لكن حركة

442 الحضارة الإسلامية في مالي، تأليف: مجموعة من الباحثين، منشورات إيسيسكو، 1996م، ص: 99.

البناء العشوائي التي عرفتھا المدينة في السنوات الأخيرة، ساهمت في خنق ذلك المسجد الوحيد لمدينة

جيني.443

المركز الثالث: مدينة أغاديس Agades بجمهورية النيجر:

تعد أغاديس مركزا مهما في التجارة الصحراوية وملتقى العديد من الطرق التجارية العابرة للصحراء الكبرى الواصلة بين مصر والسودان الغربي والأوسط، وبسبب هذا الموقع الاستراتيجي الهام على مسار وملتقى الطرق سكنها العديد من التجار الذين صاروا يشكلون غالبية سكانها، وتعتبر منطقة أغاديس من إحدى المناطق السبعة التي تتكون منها جمهورية النيجر.

الموقع: يحتل إقليم أغاديس مساحة تزيد على 667 ألف كلم مربع أي ما يعادل أكثر من نصف مساحة البلاد، ويتميز بتماسه الجغرافي مع دول محورية بالمنطقة، حيث تحده كل من الجزائر من الشمال الغربي، وليبيا من جهة الشمال الشرقي، وتشاد من الشرق، ومالي من الغرب.444

443 نفسه، ص: 134.

444 أغاديس، موسوعة الجزيرة، الموقع: www.aljazeera.net/encyclopedia/citiesandregions 2014/11/12م.

التاريخ: أسست أغاديس في القرن الحادي عشر، 445 أسستها قبائل الغويراوا Gobirawa،

حيث كانت مجموعات منها تسكن جنوب مرتفعات الآير قرب مجموعات من زارما الذين كانوا

يقطنون غرب القبائل الأولى. 446

وقد بقيت أغاديس حتى القرن الخامس عشر منطقة بدون أي أهمية تذكر ولا يعرفها تجار القوافل رغم

تطور صناعة الدباغة فيها، وكان سكانها خليطا من السودانيين السود الغويراوا، ومن الآزنا Azna،

وزرما Zarma، وإحدى المجموعات الطوارقية التي كانت قد تركزت في المنطقة، وهي الإيباركوريون

447. Ibarkoreyon

ولقد سيطر على النشاط الثقافي والديني والروحي الذي وصل أوجه في ذلك القرن اسمان: "الشيخ

زكريا" الذي أسرع بتثبيت أقدام الإسلام في الحياة اليومية للمدينة وسكانها، و"سيدي محمد البغدادي

الذي أدت حركته إلى تكوين عدد كبير من المراكز الدينية والمساجد مثل: أزورو Azourou،

أغالال Agalal، وجيكات Jikat.

445 Agadez et sa region, Aboubacar Adamou, En no 44, Niamey, IRSH, 1979, p : 48.

446 الحضارة الإسلامية في النيجر، تأليف: مجموعة من الباحثين، منشورات إيسيسكو، 1994م، ص: 57.

447 الحضارة الإسلامية في النيجر، تأليف: مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ص: 57.

وكانت المدينة في فترة ازدهارها محصنة بسور علوه حوالي 4,5 ميل، يطول محيطه بحوالي 3 أميال ونصف ميل ويقدمها الحسن الوزان في بداية القرن السادس عشر على "أنها أقرب مدينة للسودان من مدن البيض، إذا استثنينا أوالاة" بمنازلها وبيوتها المشيدة على الطريقة البربرية".⁴⁴⁸

ويقول المستكشف الألماني هاينريش بارث Heinrich Barth سنة 1850م: "على أن منزلا من بين ثلاثة في أغاديس يشتمل على طابق، ولكن رغم كل هذا ورغم تأثير شمال أفريقيا عليه فإن العمران في هذه المدينة ينتمي إلى الأسلوب السوداني، أي أسلوب ما وراء الصحراء خاصة المآثر الدينية كالصومعة الكبيرة التي بناها الشيخ زكرياء، هذا زيادة على المساجد والأضرحة الموجودة في غاو Gao، وتمبكتو Toumbouktou، وجيني Djené، وموبتي Moupti".⁴⁴⁹

المساجد: أصبحت مدينة أغاديس التي تأسست في القرن الحادي عشر أهم مركز إسلامي في السودان الأوسط خلال بحر القرن السادس عشر على الخصوص وذلك بفضل استقرار السلطنة بها وبعد القضاء على تيجيدا Tidjida سنة 1561م، وكانت جبال الآير تحتوي على عدد من المساجد بلغ خمسين مسجدا ومركز للصلاة، بينما كانت مدينة أغاديس تضم وحدها ما بلغ سبعين من المساجد، وكان لكل واحد من العشرين حيا التي تكون المدينة مسجده الخاص به.⁴⁵⁰

448 نفسه، ص: 59.

449 Agadez et sa region, Aboubacar Adamou, En no 44, Niamey, IRSH, 1979, p : 55.

450 الحضارة الإسلامية في النيجر، تأليف: مجموعة من الباحثين، منشورات إيسيسكو، 1994م، ص: 68.

وإذا كان تأسيس أغاديس يعود إلى القرن الحادي عشر، وإذا كان انتشار الإسلام يعود إلى ما قبل 1349م كما يشهد بذلك العمري، وإذا كانت إقامة السلطنة لم تتحقق إلا وسط القرن الخامس عشر، فإن تاريخ تشييد الجامع الأعظم بها لم يعرف بصفة مؤكدة ودقيقة، ويعتقد جيبو هماني Djibou Hamani⁴⁵¹ أن هذا المسجد بني إذن في عهد الغادل الأول أو أنه انتهى من بنائه وبالضبط بين سنة 1513م وهي سنة آخر رحلة للحسن الوزان الذي لم يذكره في كتابه ونهاية ملك محمد الغادل.⁴⁵²

وكان المسجد مندمجا في مجموع المعالم الدينية جنوب الصحراء وكان يتميز بالسماط التي تميز هذه المعالم، فإنه رغم ذلك يتميز عنها بمساهمة في مدرسة محلية تطبع الآيير وحواشيه وتشاهد خطوطها أيضا في تيجيدا وأصودي Assodé.⁴⁵³

ويمكن لنا هنا أن نصف من بين أهم المساجد التي يعود أغلبها إلى القرن السادس المساجد التالية:

- المصلاتشين كاسوا Massallatchin Kaswa الذي كانت تقوم فيه المحكمة العمومية.

- مسجد مولي Molé بجي إيموردان إيماجاغن Imajaghen Imourdan.

451 هو مؤرخ النيجري.

452 Agadez et sa region, Aboubacar Adamou, En no 44, Niamey, IRSH, 1979, p : 66.

453 Idem p : 68.

- مسجد شامباكي Chambaki الذي تلقى فيه الشيخ عثمان دان فوديو العلم عن الأمين .Alamine

- مسجد دان فوديو الذي قام بالتعليم فيه فقهاء أجلاء مثل: أوغار الفولاني Hougar Al Foulani وابنه المقدم أوغار والذي تلقى فيه العلم كذلك الشيخ عثمان دان فوديو. 454

لقد كانت هذه المساجد أثناء القرن السادس عشر وابتداء منه مراكز للعلم متأججة بالنشاط تدرس في رحابها نخبة من المثقفين المتعطشة إلى الفقه والعلم وتفسير القرآن الكريم. 455

وبالإضافة إلى السبعين مسجدا التي كانت قائمة في المدينة أيام إشعاعها، فقد كانت هناك عدة أضرحة لعدة من الأولياء الصالحين كالضريح غايوان Gaywan غرب المدينة، وضريح آكاري Akari بالشرق، وهضبة تاسا تاساونا Tassa Tassaona التي يذكرون أن 99 من الصالحين مدفونون في رحابها. 456

وجدير بنا أن نشير أخيرا إلى أن هذه المدن القديمة اشتهرت في علاقاتها مع الثقافة الإسلامية بآثارها ومفاخرها الدينية العظيمة، واشتهرت كذلك بالعلم والحيوية والحماس الذي كان يميز المصلحين والدعاة والفقهاء وعلماء الدين؛ وهم ينشرون الدعوة أو يعلمون الناس أو يفسرون القرآن الكريم،

454 الحضارة الإسلامية في النيجر، تأليف: مجموعة من الباحثين، منشورات إيسيسكو، 1994م، ص: 70.

455 Agadez et sa region, Aboubacar Adamou, En no 44, Niamey, IRSH, 1979, p : 136.

456 الحضارة الإسلامية في النيجر، ص: 70.

وهي الأعمال التي عادة ما رفعتهم إلى مرتبة الصالحين ذوي التأثير الروحي المحلي والإسلامي المتمثل في هذه المراكز الإسلامية التي تكاثرت هناك على مجال واسع.

الفصل الثاني: المسيحية والمسيحيون في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى:

قضية المسيحية في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى قضية عظيمة، لأن معظم المدارس المسيحية لكنائس ممثلة في جنوب الصحراء الكبرى، ومن الناحية التاريخية فإن أقدم هذه الكنائس هي الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، المنتشرة في ساحل شرق أفريقيا، بينما نجد أكبر الكنائس في وسط وغرب أفريقيا هي الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية المختلفة والتي ارتبطت في حضورها بالاستعمار، وفي هذا الفصل نود أن نضع بين يدي القارئ تاريخ المسيحية في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى؛ فالله سبحانه وتعالى نسأل أن يوفقنا للصواب إنه قادر على ذلك وجدير به.

المبحث الأول: تاريخ المسيحية في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى:

المسيحية: هي الرسالة التي أنزلت على عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، مكمله لرسالة موسى عليه الصلاة والسلام، ومتممة لما جاء في التوراة من تعاليم، وهي إحدى ديانتين تمارسان على نطاق واسع في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، ويعود تاريخ دخولها إلى جنوب الصحراء الكبرى إلى منتصف القرن الأول الميلادي على يد الخصي الحبشي حسب الكتاب المقدس (سفر أعمال الرسل) سيأتي بيان ذلك في المطلب الأول من هذا المبحث، وجدير بنا أن نشير إلى أن دخول المسيحية إلى ساحل شرق أفريقيا يختلف عن دخولها إلى غرب أفريقيا، حيث وصلت المسيحية إلى المنطقة الأخيرة في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي على يد المكتشفون الأوروبيون، وسيأتي بيان ذلك أيضا في المطلب الثاني إن شاء الله، وقسمنا هذا المبحث إلى مطلبين، **المطلب الأول:** المسيحية في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. فيه جانبين: **الجانب الأول:** دخول المسيحية إلى شرق أفريقيا. **الجانب الثاني:** الممالك المسيحية التي قامت في شرق أفريقيا. **المطلب الثاني:** دخول المسيحية إلى غرب

أفريقيا. وفيه جانبين أيضا: الجانب الأول: الاستكشاف الأوروبي. الجانب الثاني: الاستعمار العسكري.

المطلب الأول: دخول المسيحية إلى ساحل شرق أفريقيا:

يتألف هذا المطلب "دخول المسيحية إلى ساحل شرق أفريقيا" من جانبين: الجانب الأول: دخول المسيحية إلى شرق أفريقيا، الجانب الثاني: الممالك المسيحية التي قامت في شرق أفريقيا.

الجانب الأول: دخول المسيحية إلى ساحل شرق أفريقيا:

أشرق نور الإيمان المسيحي في القرون الأولى للمسيحية في بلاد السودان وخاصة في القسم الشرقي منه (الحبشة)، وقد قبل عدد كبير من الأحباش المسيحية حيث تم ذلك عن طريق الخصي الحبشي وزير كنداكة ملكة الحبشة 457 الذي جاء إلى أورشليم ليشارك في الفصح هناك، فقد تقابل مع فيلبس المبشر الذي أرشده إلى المسيح وعمده، يروي كتاب المقدس في سفر أعمال الرسل الفصل الثامن منه قصة اللقاء الخصي الحبشي مع فيلبس المبشر:

(26) ثُمَّ إِنَّ مَلَكَ الرَّبِّ كَلَّمَ فِيلُبُسَ قَائِلًا: قُمْ وَاذْهَبْ نَحْوَ الْجَنُوبِ، عَلَى الطَّرِيقِ الْمُنْحَدِرَةِ مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى غَزَّةَ الَّتِي هِيَ بَرِّيَّةٌ، 27 فَقَامَ وَذَهَبَ. وَإِذَا رَجُلٌ حَبَشِيٌّ خَصِيٌّ، وَزِيرٌ لِكِنْدَاكَةِ مَلِكَةِ الْحَبَشَةِ، كَانَ عَلَى جَمِيعِ خَزَائِنِهَا؛ فَهَذَا كَانَ قَدْ جَاءَ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيَسْجُدَ، 28 وَكَانَ رَاجِعًا وَجَالِسًا عَلَى مَرْكَبَتِهِ وَهُوَ يَقْرَأُ النَّبِيَّ إِشْعِيَاءَ، 29 فَقَالَ الرُّوحُ لِفِيلُبُسَ: تَقَدَّمْ وَرَافِقْ هَذِهِ الْمَرْكَبَةَ، 30 فَبَادَرَ إِلَيْهِ فِيلُبُسُ، وَسَمِعَهُ يَقْرَأُ النَّبِيَّ إِشْعِيَاءَ، فَقَالَ: أَلَعَلَّكَ تَفْهَمُ مَا أَنْتَ تَقْرَأُ؟، 31 فَقَالَ: كَيْفَ يُمَكِّنُنِي إِنْ لَمْ يُرْشِدْنِي أَحَدٌ؟، وَطَلَبَ إِلَى فِيلُبُسَ أَنْ يَصْعَدَ وَيَجْلِسَ مَعَهُ، 32 وَأَمَّا فَصْلُ الْكِتَابِ الَّذِي كَانَ يَقْرَأُهُ فَكَانَ هَذَا: مِثْلُ شَاةٍ سِيقَ إِلَى الذَّبْحِ، وَمِثْلُ خُرُوفٍ صَامِتٍ أَمَامَ الَّذِي يَجْزُهُ هَكَذَا لَمْ يَفْتَحْ فَاهُ، 33 فِي تَوَاضُعِهِ انْتَرَعَ قَضَاؤُهُ، وَجِيلُهُ مَنْ يُخْبِرُ بِهِ؟ لِأَنَّ حَيَاتَهُ تُنْتَرَعُ مِنَ الْأَرْضِ، 34 فَأَجَابَ الْخَصِيُّ فِيلُبُسَ وَقَالَ: أَطْلُبُ إِلَيْكَ: عَنْ مَنْ يَقُولُ

457 ملكة الحبشة في ذلك الزمان هي الملكة جيرساموت كنداكة السابعة.

النَّبِيُّ هَذَا؟ عَنْ نَفْسِهِ أَمْ عَنْ وَاحِدٍ آخَرَ؟، 35 فَفَتَحَ فِيلُبُّسُ فَاهُ وَابْتَدَأَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ فَبَشَّرَهُ
يَسُوعَ). 458

وبعد ذلك يتابع نص الكتاب المقدس عن كيفية شرح فيلبس لذلك الخصى الحبشي عن نبوات النبي
إشعيا التي تتمها يسوع المسيح، فأمن الرجل بالمسيح وطلب من فيلبس أن يعمده فلبى فيلبس طلبه
وعمده في مياه صادفوها على الطريق، جاء في الكتاب المقدس:

36 وَفِيمَا هُمَا سَائِرَانِ فِي الطَّرِيقِ أَقْبَلَا عَلَى مَاءٍ، فَقَالَ الْخَصِيُّ: هُوَذَا مَاءٌ؛ مَاذَا يَمْنَعُ أَنْ
أَعْتَمِدَ؟، 37 فَقَالَ فِيلُبُّسُ: إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ يَجُوزُ، فَأَجَابَ وَقَالَ: أَنَا أُوْمِنُ أَنَّ
يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ ابْنُ اللَّهِ، 38 فَأَمَرَ أَنْ تَقِفَ الْمَرْكَبَةُ، فَنَزَلَا كِلَاهُمَا إِلَى الْمَاءِ، فِيلُبُّسُ
وَالْخَصِيُّ، فَعَمَّدَهُ، 39 وَلَمَّا صَعِدَا مِنَ الْمَاءِ، خَطَفَ رُوحُ الرَّبِّ فِيلُبُّسَ، فَلَمْ يُبْصِرْهُ الْخَصِيُّ
أَيْضًا، وَذَهَبَ فِي طَرِيقِهِ فَرِحًا، 40 وَأَمَّا فِيلُبُّسُ فَوُجِدَ فِي أَشْدُودَ، وَبَيْنَمَا هُوَ مُجْتَازٌ كَانَ يُبَشِّرُ
جَمِيعَ الْمُدُنِ حَتَّى جَاءَ إِلَى قَيْصَرِيَّةَ). 459

من خلال هذه النصوص المقدسة نجد أن هذا الوزير كان يهوديا قبل اهتدائه إلى المسيحية وهذا هو
سبب صعوده إلى اورشليم للتعبد والحج إلى هيكل سليمان، ومن المعروف أن جالية يهودية كبيرة
كانت تقيم في الحبشة في ذلك الوقت، وبواسطة هذا الخصى الحبشي وصلت المسيحية إلى شرق
أفريقيا في وقت مبكر من تاريخها.

458 سفر أعمال الرسل الإصحاح 8: الآيات 26-35.

459 سفر أعمال الرسل الإصحاح 8، الآيات: 36-40.

وتعتبر الحبشة ثاني أقدم دولة مسيحية في العالم بعد أرمينيا، وهو ما يعني أنها استقبلت الديانة المسيحية قبل روما، حاضنة الفاتيكان بعدة قرون، كما أن التاريخ حفظ لنا تاريخ الممالك المسيحية التي كانت تنتشر في طول السودان وعرضه، وبخاصة في مناطق النوبة وفي الشمال على وجه العموم، وذلك حتى القرن الثالث عشر قبل أن يقضي عليها المسلمون في بواكير عهد الدولة العثمانية. 460

هذا ما يفسر لنا أن الحبشة التي تعرف اليوم بإثيوبيا، من أقدم دول العالم القائمة حتى يومنا هذا، وهو ما يفسر لنا أيضا اتصالها المبكر بالمسيحية في وقت كان الجزء الأكبر من العالم؛ بما في ذلك أوروبا، يزرع تحت وطأة الإيمان بالأساطير والديانات البدائية المستوحاة من الطبيعة، التي كانت لا تسمن ولا تغني من جوع.

ولقد مر تاريخ المسيحية في الحبشة بثلاث مراحل رئيسية، الأولى: هي المرحلة الممتدة من القرن الأول إلى القرن الخامس عشر، الثانية: هي المرحلة الممتدة من القرن السادس عشر إلى أواخر القرن الثامن عشر، والثالثة: هي المرحلة التي تبدأ من نهاية المرحلة الثانية وتستمر إلى يومنا هذا، وإلينا البيان موجز على هذه المراحل الثلاث.

المرحلة الأولى: تمتعت مملكة الحبشة خلال أواسط القرن الرابع بقوة عسكرية واقتصادية، وهو ما مكنها من التدخل في شؤون جيرانها العرب الذين كانوا حينئذ يعانون ويلات الحروب الأهلية، وقد ازدهرت العاصمة أكسوم خلال هذه الفترة بعد أن احتل ميناء أدوليس Adoulis الحبشي - على البحر الأحمر - مركزا متقدما في التجارة الدولية، وذلك بدلا من الطرق البرية التي كان التجار العرب يسلكونها للربط بين الإمبراطورية الرومانية والحبشية من جهة، ومختلف أنحاء آسيا من جهة أخرى، وهو ما وثق الروابط الاقتصادية بين الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية الحبشة. 461

460 2000 year of christianity in Africa : an African history, John Baur, Kenya: paulines, 1994, p: 31.

461 Church and state in Ethiopia, 1270-1527, Tamrat Taddesse, Oxford university press, 1972, p : 21.

ولقد أدى ذلك أيضا إلى تأثر هذه الأخيرة بالثقافة الرومانية في إثر استقدام ملوكها مستشارين إغريقين ومصريين وسوريين من تلك الإمبراطورية، ويبدو أن هؤلاء المستشارين كانوا يعتنقون الديانة المسيحية، حيث اعتنق أهل الحبشة هذه الديانة في بلاط ملوكهم، حتى قبل أن يبدأ المبشرون المسيحيون بالتوافد عليهم لنشر هذا الدين في بلادهم، كما أن سكان المدن الساحلية، كأدوليس Adoulis وكولو Kolo، بالإضافة إلى العاصمة، تعودوا مشاهدة التجار المسيحيين في موانئهم ومدنهم المتعددة الثقافات، ويستبعد أن يكون بعض السكان المحليين الذين كانوا على صلة بالمسافرين الإغريقين والسوريين والمصريين قد تنصروا أيضا قبل أن يصل هؤلاء المبشرون المسيحيون إلى ذلك البلد. 462

وقد جاء إلى الحبشة عن طريق مصر مجموعة من رهبان وهبوا أنفسهم للديانة المسيحية، وإن كانوا غير مصريين في أغلبهم، وإنما تجمعوا من أنحاء العالم للتدرب على التقشف وتحمل المشقة هناك، (في مصر) في سبيل نشر الديانة المسيحية في أنحاء العالم وخاصة في الحبشة، وكان أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس. 463

وقد جاءت أولى هذه المجموعات إلى الحبشة في حوالي عام 500م، ويعرف رهبانها في إثيوبيا حتى اليوم باسم تسدكان Tsadkan، ومعناها القديسون، فاستقبلتها الدولة المسيحية هناك بحفاوة، غير أنها سرعان ما توجهت إلى المناطق الوثنية التي لم تكن قد تعرفت إلى الديانة الجديدة، وقد استشهد كثير من رهبانها على يد سكان تلك المناطق، وذلك في أثناء إقامتهم معهم. 464

462 نفسه، ص: 22.

463 2000 year of christianity in Africa : an African history, John Baur, Kenya: paulines, 1994, p:36 .

464 Church and state in Ethiopia, 1270-1527, Tamrat Taddesse, Oxford university press, 1972, p : 21.

هذا وتجدد الإشارة إلى أن هناك تسعة قديسين آخرين كانوا يتمتعون بشهرة واسعة، وكان هؤلاء يترأسون مختلف الاختصاصات التبشيرية في الحبشة، ويعتبر القديس ميخائيل أريغاوي Michael Aregawi أكثر هؤلاء القديسين شهرة، على أساس أنه صاحب كنيسة دبري دامو Debre Damo القائمة حتى اليوم. 465

وقد تلت هذه المرحلة مرحلة تقهقرت خلالها المسيحية في الحبشة، باعتبار أن الإسلام بدأ يتوسع على حساب الأديان الأخرى في أنحاء العالم، بما في ذلك الحبشة، وذلك على الرغم مما كان الأحباش يتمتعون به من مكانة خاصة عند المسلمين، باعتبار كرم الضيافة الذي خص به المهاجرون المسلمون أيام محتتهم الأولى مع القرشيين في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، مع العلم بأن هناك بعض الأحاديث التي تفيد بعدم التعرض إلى الحبشة بالسوء.

ومهما يكن من أمر، فقد امتدت مرحلة تقهقر المسيحية في الحبشة من عام 641م إلى 1270م أو 1271م، وذلك لأن الإسلام انتشر خلال هذه الفترة في ربوع مصر، وسيطر على جميع الطرق المؤدية إلى الحبشة، وهو ما فرض عزلة نوعية على ذلك البلد، وأدى إلى حرمانه حتى من الأساقفة الذين كان المصريون يمدونه بهم، ناهيك عن الطرق الذي فرضته السلطنات الإسلامية عليه من جهة الشرق، وقد نتج من هذه الظروف أن تقلص حجم إمبراطورية أكسوم إلى أقل من خمس حجمها قبل ذلك التاريخ، فاقصرت مساحتها أحيانا على الساحل الإريتري ومناطق التيغري الواقعة في أقصى شمال إثيوبيا، أي أن جميع المرتفعات الوسطى خرجت عن سيطرتها، بما في ذلك مناطق لاستا Lasta وبغمدر Begemder، وكذلك منطقة شوى Chawa، ناهيك عن المناطق الشرقية والجنوبية التي أصبحت مناطق إسلامية عن جدارة. 466

465 Early African christianity, Gabriel Ossul, London, 1976, p: 22.

466 Church and state in Ethiopia, 1270-1527, Tamrat Taddesse, Oxford university press, 1972, p: 25.

إلى جانب التهديد الخارجي الذي شعر به المسيحيون في الحبشة عقب تعاظم شأن الإسلام حولهم، كان هناك أيضا على ما يبدو؛ صراع داخلي بين العائلة الحاكمة تقليديا والمنتسبة إلى النبي سليمان عليه الصلاة والسلام، والمعروفة بالعائلة المالكة السليمانية، وعائلة أخرى اغتصبت الحكم بحسب الإثيوبيين، بين عامي 1137م و1270م، وهي عائلة الزغوي Zagwi المنتمية إلى قبائل الأغاو Agaw، ومن أهم ما قامت به هذه العائلة في أثناء حكمها للحبشة أنها أنشأت عاصمة جديدة للبلاد بدلا من العاصمة التقليدية (أكسوم)، وأطلقت عليها اسم أشهر رجالها وهو لالبالا Lalibala.⁴⁶⁷

إن جميع هذه الأحداث أي: ظهور الإسلام وخنقه للإمبراطورية، والصراع الداخلي الذي عصف بالمملكة ردعا من الزمن - أوقفت النشاط التبشيري الذي استمر في الحبشة قرونا من الزمن، بل تراجعت المسيحية في المناطق التي لم تكن قد رسخت فيها بعد.

ومما ينبغي الإشارة إليه هو: أن الفترة الممتدة من القرن الأول إلى بداية القرن السادس عشر كانت كافية لتجذر المسيحية في الحبشة، وذلك بغض النظر عن حركة المد ولجزر التي عرفتها الكنيسة الحبشية خلال فترات الانحطاط والتقهقر وفترات الازدهار والرخاء، وهو ما يعني أن المرحلة الثانية كانت فقط بمثابة مرحلة تكميلية لما تجذر أصلا في المرحلة الأولى.

المرحلة الثانية: على الرغم من وجود أسطورة نداء مزعوم أطلقه ملك الحبشة برستر يوحنا Brester Jean تجاه أوروبا في القرن الثاني عشر، فإن الروايات التاريخية ترجع نداءات الاستنجاد الإثيوبية بأوروبا إلى القرنين الرابع عشر والخامس عشر حسب تلك الروايات، فإن إثيوبيا استعادت عافيتها من النكسات التي واجهتها خلال عصور الظلام، بعد أن استعادت العائلة التقليدية الحكم، وأصبحت قوية إلى حد شعرت بأنها قادرة على الدفاع عن حقوق المسيحيين في كل من مصر وفلسطين، وهو الطموح الذي سيدفع بأمراء ذلك البلد إلى التفكير في إنشاء تحالف مسيحي مع

الأوروبيين، وقد أدى هذا الأمر بدوره إلى استغلال الأوروبيين للوضع لتحقيق طموحاتهم الاستعمارية في وقت لاحق.468

ومما يقال في هذا الصدد أن المجلس المعروف بدير ميتماق Dabra Mitmaque نجح في وضع حد للخلافات العميقة بين الكنيسة الأم التابعة للكنيسة القبطية في مصر، وبيت إووستاتيس ذات النفوس الواسع، التي انشقت عن الأولى469 وكان هذا المجلس قد شكل لهذا الغرض.470

ففي عام 1306م، وصل أول مبعوث إثيوبي أرسله برستر يوحنا إلى روما لهذا الغرض، وقد أبلغ برستر يوحنا البابا والملك الإسباني استعداداه لم يد المساعدة إليها عسكريا لمواجهة المسلمين، وقد مثل ذلك بداية لتوطيد العلاقة بين ذلك البلد الأفريقي المسيحي الوحيد وأوروبا المسيحية، وهو ما أدى في النهاية إلى تبادل السفراء بين العاصمتين أكسوم وروما، وذلك في عام 1402م؛ فقد أصبح فلورينتائين أنتونيو بارتولي F. A. Bartoli أول سفير إثيوبي لدى روما قبل أن يعود إلى بلاده بعتاد متطور ومهندسين ومتخصصين ببناء الكنائس، وذلك تلبية لمطالب إمبراطور إثيوبيا آنذاك، وتذكر الروايات التاريخية في هذا الصدد أن البعثة الإثيوبية تعرضت خلال عودتها إلى البلاد لمضايقات في مصر، بما في ذلك السجن، كما قتل دليلهم الفارسي شنفا، وذلك في محاولة من الحكام المماليك في مصر لمنع أي تحالف بين الإثيوبيين والأوروبيين ضد المسلمين.471

468 The preser John of the indies, F. Alvarez, 2 vols, combridge university press, 1960, p: 249.

13 كانت الكنيسة الأرثوذكسية الإثيوبية تابعة للكنيسة الأرثوذكسية القبطية، وقد انفصلت عن الأخيرة عام 1959م حين منح البابا كيرلس السادس رأسها.

470 Earty contacts with christtian europe, Tamrat Taddesse, oxford university press, 1972, p: 248.

471 The combridge history of Africa J. Desmond clark, 8 vols, combridge university press, 1977, p: 181.

أثارت تلك الاتصالات الأولية من الإثيوبيين شهية الأوروبيين التوسعية، فكان أن استجاب الملك البرتغالي جواو الأول Jao I لنداء برستر يوحنا المزعوم، وذلك من خلال إرسال ابنه الثالث دوم هنريك Doum Henrique، المعروف بهزيك الملاح أو البخار، لاستكشاف تلك الأراضي التي كانت تأتي منها نداءات الاستنجاد، وكان لهذه الاستجابة هدفان رئيسيان:

الأول: هدف عسكري يصب في خانة الحروب الصليبية، التي كانت توشك أن تضع أوزارها آنذاك، وهي التي استمرت بين عامي 1063م و1492م.

الثاني: هدف ديني لا يخرج عن كونه جزءا لا يتجزأ من الحملات التبشيرية التي بدأ البرتغاليون بإرسالها إلى القارة الأفريقية، ولحقت بها الدول الأوروبية الأخرى أيضا في وقت لاحق. 472

ومما يذكر في خصوص الزيارة التي قام بها البرتغاليون إلى إثيوبيا أن الزوار تناقشوا مع رجال الدين الإثيوبيين في مسائل دينية عدة، فكان أن تطابقت وجهات نظرهم في كثير من القضايا، كما اختلفوا في بعض المسائل، وبخاصة في تلك المتعلقة بعزوبة القساوسة باعتبار أن القساوسة الإثيوبيين كانوا لا يمتنعون عن الزواج، الأمر الذي كان يعد من المحرمات بالنسبة إلى البرتغاليين. 473

ومن أبرز السفراء الأوروبيين الذين أدوا دورا بارزا في توطيد العلاقات بين الإثيوبيين والأوروبيين، السفير فرانسيسكو ألفاريس Franssisko Alvares الذي فتح الباب لعلاقة صداقة دامت أكثر من قرن من الزمن، وذلك بالتعاون مع الملك الإثيوبي الشاب والمتفتح لبنا دنقل Libna Dengel، الذي كان يحكم البلاد آنذاك. 474

472 The portuguese seaborne empire 1415-1825, Charles Ralph, london, Random house, 1969, p: 69.

473 المصدر نفسه، ص: 51.

474 نفسه، ص: 52.

ولا شك أن أي تطور للعلاقات الإثيوبية - الأوروبية كان يصب في صالح المسيحية في ذلك البلد الأفريقي، إذ كان على الأقل يعطي ذلك البلد دعما معنويا لا غنى له عنه باعتباره جزيرة مسيحية صغيرة في بحر من المسلمين، بحسب الأسطورة التي استغلها الإثيوبيون طويلا لتحقيق مآربهم التوسعية على حساب شعوب المنطقة الوثنية منها والمسلمة.

الجانب الثاني: الممالك المسيحية التي قامت في شرق أفريقيا:

لقد سبق أن أشرنا إلى أن المسيحية وصلت إلى ساحل شرق أفريقيا في وقت مبكر من تأسيسها، وأقامت في هذه المنطقة من القارة السمراء بعض ممالك المسيحية، وفي هذا الصدد نود أن نشير إلى بعض هذه الممالك المسيحية التي قامت في ساحل شرق أفريقيا، وتذكر الروايات التاريخية في خصوص هذا الموضوع، أن بلاد النوبة كانت تتكون في أثناء انتشار المسيحية فيها من ثلاث ممالك صغيرة، وهي مملكة مروى Marwi، ومملكة مقرة Moukoura، ومملكة علوة Alwa، وقد اتحد أخيرا هذه الممالك الثلاث تحت راية مملكة مقرة، التي اعترفت بتبعيةها للكنيسة القبطية في الأسكندرية، سيأتي بيان ذلك فيما بعد بإذن الله تعالى.

الأولى: مملكة مروى Marwi 270 ق م - 350م:

تعد مملكة مروى من أعظم الممالك النوبية في التاريخ النوبي حيث أنها استمرت لمدة عشرة قرون، وعاصرت في مصر الأسرة الفارسية ودخول الإغريق والرومان في مصر، وكان لها دور كبير في إثبات نفسها ضد الغزاة الذين حكموا مصر، ومرت حضارة مروى على أربع مراحل متعاقبة.

المرحلة الأولى: تبدأ في منتصف القرن السادس قبل الميلاد، وحكم فيها الملوك في مدينة نباتا العاصمة القديمة لمملكة كوش Kouche، وكان يوجد بها المعبد الرئيسي للإله أمون وأيضا في مدينة مروى والتي يوجد بها مقر الحكومة والقصر الملكي، وفي هذه المرحلة دفن الملوك والعديد من الملكات في جبانة نوري التي تقع بالقرب من نباتا، ولكن تم دفن بعض الملكات في الجبانة الغربية بمروى.

المرحلة الثانية: هي أوائل القرن الثالث قبل الميلاد، وظل مقر الحكومة والقصر الملكي في مروى، ولكن الملوك والعديد من الملكات دفنوا في مروى، واقتصرت أهمية نباتا على معبد أمون.

المرحلة الثالثة: وتبدأ المرحلة الثالثة بعصر الملك أركماني Arkimani في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد، وكان مقر الحكومة والقصر الملكي في مروي، ودفن الملوك في الجبانة الشمالية بمروي، ودفنت الملكات في الجبانة الغربية، وازدهرت مروي في هذا العصر، وبدأ الملوك يبنون مباني دينية بها. المرحلة الرابعة: وبدءا من القرن الأول الميلادي بدأت حضارة مملكة مروي في الأفول والاضمحلال، وهي تمثل المرحلة الأخيرة من مراحل هذه المملكة، ودفن الملوك بالجبانة الشمالية بمروي، ودفنت الملكات بالجبانة الغربية، وانتهت حضارة مروي لأسباب عديدة ولكن مملكة أكسوم قامت بغزو أراضيها في منتصف القرن الرابع الميلادي.

حدود مملكة مروي: امتدت الحدود الجغرافية للحضارة المروية حتى أقاصي النوبة السفلى، وربما شملت حدودها الغربية المنطقة التي تعرف بصحراء بيوضة حيث كانت هذه الصحراء معبرا يصل بين مروي ونبتة حيث صعوبة الملاحة في هذه المنطقة لوجود الجندلين الخامس والسادس، وقد اهتم ملوك مروي بهذه المنطقة فبنوا القلاع الإستراتيجية في سهول بيوضه كما حفروا الآبار على طول هذه الطرق، حيث عثر على العديد من الشواهد التي تدل على امتداد هذه المملكة شمالا حتى النوبة السفلى؛ بل نرجح أنها قد تجاوزتها إلى داخل الحدود المصرية أبان فترة حكم الملوك النبتيون الأوائل. 475

أما حدودها الجنوبية فقد دلت البقايا الأثرية بأنها كانت تمتد حتى منطقة سنار Sinar على النيل الأزرق حيث عثر على جبانته في سنار يعود تاريخها للفترة النبتية، أما حدودها الجنوبية على النيل الأبيض فقد وجدت الهيئة القومية للمتاحف والآثار في منطقة الكوة تماثيل ذهبية صغيرة تصور بعض الآلهة المصرية عن طريق الصدفة بواسطة صائدي الأسماك وهي موجودة الآن بالمتحف القومي. 476

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن حدود المملكة النبتية قد بلغ حدا جنوبيا ربما شمل مناطق امتازت بأهميتها الجغرافية والاقتصادية، غير إننا لا نملك الدليل المادي على هذا الامتداد، أما حدودها الشرقية فقد شملت المنطقة التي تعرف عند المؤرخين بجزيرة مروي والتي ربما بلغت حدودها الغربية

475 G . A, Out line of the Ancient History at the Sudan, Reisner part (iv) 1919 P: 244.

20 النوبة وتاريخ السودان القديم، أحمد محمد علي حاكم، مجلة آداب، العدد: 7، جامعة الخرطوم، 1981م، ص: 322.

المنطقة التي تعرف بصحراء بيوضة حيث كانت هذه الصحراء معبرا يصل بين مروي ونبته حيث صعوبة الملاحاة في هذه المنطقة لوجود الجندلين الخامس والسادس وقد اهتم ملوك نبته ومروي بهذه المنطقة فبنوا القلاع الإستراتيجية في سهول بيوضه كما حفروا الآبار على طول هذه الطرق - ويرى آدمس adams أن مملكة مروي ربما فرضت سيطرتها غربا حتى سهول كردفان ودارفور غير أن تلك المناطق لم تغطى حتى الآن بالتنقيب الأثاري الذي سوف يميظ اللثام عنها. 477

البلاد وأسمائها: ينسب المرويون لحاضرة بلادهم ومقر ملكهم مدينة مروي، وهي غير مروي الحديثة إذ تقع خرائب المدينة القديمة، بجوار قرية البحراوية على الضفة الشرقية لنهر النيل وعلى بعد 200 كلم شمال شرق الخرطوم.

وقد تعددت الأسماء والصفات التي أطلقت على بلاد السودان في العصور القديمة لاسيما في الجزء الشرقي منه، ومن هذه الأسماء:

- تاسيتي Tassiti وهي كلمة هيروغليقية تعني (أرض القوس). 478
- ومن بين هذه الأسماء ساد اسم كوش Kouche حتى عرفت البلاد به وأهلها لدى الشعوب الأخرى كالأشوريين والعبرانيين والأكسوميين، ورغم شيوع اسم كوش في العالم القديم إلا أننا لا نستخدمه إلا مجازا بإطلاق صفة الكوشية على الحضارة (النبتية - المروية)، ومن ذلك درج بعض العلماء على تسميتها بمملكة كوش الثانية. 479
- وأطلق اليونانيون القدماء على تلك الأقاليم الواقعة جنوب مصر اسم إثيوبيا وسكانها اثيوبيون وتعني ذو الوجوه المحترقة (Le visage brûlé) وأطلقوا هذا الوصف على ذوي البشرة السوداء الذين يقطنون تلك البلاد الجنوبية والتي لم يكن لها حدود جغرافية واضحة، وظل اسم اثيوبيا معروفا حتى اليوم ولكن يقصد به دولة اثيوبيا الحديثة (الحبشة) فعندما يريد

477 (XI) vol, kush, sennar, Cemetery at Ameroitic : w.y, Dixon (pp (227-234)) 1963).

478 إله آمون في مملكة مروي، حسن أحمد عبد القادر، مجلة كلية الدراسات العليا، العدد: 12، جامعة الخرطوم، 1983م، ص: 2.

479 نفسه، ص: 4.

اليونانيون الإشارة إلى تلك البلاد يطلقون عليها اسم اثيوبيا أي بلاد السود جنوب مصر ومما يرجح معرفة الإغريق بالإثيوبيين ما حكاه الشاعر اليوناني في ملحمة الإلياذة والتي ترجمها من الإغريقية إلى الإنجليزية الشاعر بوبي Popé. 480

• أما المرويون أنفسهم فقد كانوا يكتبون اسم مدينتهم بطريقة مختلفة عن الطريقة التي نطقها الكتاب الكلاسيكيون، وقد ورد اسم المدينة مكتوبا باللغة المروية على ثلاثة أشكال 481 وهي كالتالي:

1- بدوي Badewi

2- مدوي Madawi

3- مدوي Madiwi

وإذا لاحظنا هذه تعريفات نجد أن المرويين بدؤوا كتابة اسم مدينتهم بحرف "الباء" أو "الميم" ولم يرد حرف "الراء" ضمن الحروف المكونة للاسم، فكيف إذا ورد حرف "الراء" في الاسم بالطريقة التي وصلت إلينا؟ في الحقيقة تمكن الإجابة على هذا السؤال، لأن في حقيقة حرفي "الباء والميم" يتبادلان المواقع كما في حالة المدينة المقدسة "مكة" التي تنطق في بعض الأحيان بـ "بكة" أما حرف "الراء" والبدال فثبت أنهما أيضا يتبادلان المواقع كما جاء في اسم مدينة "أبريم" التي كانت تكتب في الديموطيقية المصرية بـ "أبدسم".

تاريخ مروي: لاشك أن الاحتلال المصري الطويل للسودان قد أثار الوعي القومي ونبه أهل السودان الأصليين إلى أهمية بلادهم وكثرة خيراتها، فاستغلوا أول ساحة لاحت لهم وهي تدهور الإمبراطورية المصرية، فنجح "كشتا Kicheta" أول عظماء الملوك في كوش في استرداد واستقلال بلاده، وإقامة عاصمة لمملكته في "نبطة Nabtate" الواقعة أسفل الشلال الرابع، وتمكن "ابن كشتا" الذي خلفه "الملك بعانخي le Roi Biankhi" من احتلال مصر وإخضاعها عام 725 ق م، وأسس دولة

480 لمحات من ممالك كوش، إدريس عبد الله البناء، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، دار غزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2003م ص: 19.

481 الاله آمون في مملكة مروي، حسن أحمد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 5.

امتدت من البحر المتوسط حتى مشارف الحبشة، وهكذا صارت كوش قوة لا يجهلها أحد، ولكن عندما غزا مصر الآشوريين واستخدموا الحديد كسلاح فاعل في ذلك الوقت أجبروا كوش على الرجوع إلى الورا داخل حدودها الأصلية، هذا وقد حكم الكوشيون مصر لمدة ثمانين عاما تقريبا. 482

وقد سارت المملكة على النهج المصري في كل مظاهر الحياة والحضارة، فقد كان "آمون" معبود الدولة الرسمي، واتخذ ملوكها الألقاب الفرعونية، وشيدوا مقابرهم على الطريقة المصرية وزينوها بالرسوم المصرية والنقوش الهيروغليفية. 483

وفي القرن السادس ق م انتقل كوش عاصمتها إلى مروي من نبتة، وفي مروي نجد الأهرام الملوكية، كما نرى المعابد ومنها "معبد الشمس"، الذي تسامع به الناس في كل ركن من أركان العالم المعروف، وثرى في مروي أكوما عالية هي آثار فضلات اللحم التي كانت تخرج من أفران صهر الحديد، فقد وصفت بأنها "برمنجهام أفريقيا القديمة". 484

وصارت مروي عاصمة جديدة لكوش لمدة خمسة قرون قبل ميلاد المسيح عليه السلام وثلاثة قرون بعد ميلاده عليه السلام، وهي تنشر النور حولها من عقائد وأفكار وقدرات فنية، وكانت كوش أكثر الحضارات التي نشأت في أفريقيا تميزا بطابعها الأفريقي، ولكنها استفادت كثيرا من مظاهر الحياة من حولها، وشواهد هذا بينة في معابد النقعة، فعلى الجدار الخلفي من معبد الأسد نقش الأقدمون أسدا إلها له أربع أذرع، وثلاثة رؤوس، ويظن العلماء أن هذا النوع من الفن تسرب إلى هذه البلاد من الهند، وعلى مسافة قريبة من هذا المعبد يقوم بناء يظهر فيه التأثير الرماني، إضافة إلى ذلك هناك آثار كثيرة تبين أن حضارة كوش كانت غريبة أفريقية للآراء والأساليب والمعتقدات، تأخذ منها ما ينفعها وتضيف إليها ما ابتدعته. 485

482 تاريخ وآثار النوبة، د/ عبد الحليم نور الدين، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2008م، ص: 7.

483 نفسه، ونفس الصفحة.

484 تاريخ وآثار النوبة، د/ عبد الحليم نور الدين، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2008م، ص: 7.

485 نفسه، ص: 7.

جدير بنا الإشارة إلى أن مملكة مروي كانت قاعدة أساسية في تأسيس علاقات تجارية كبيرة مع الهند والصين وصناعة الحديد العالية، وازدهرت صناعة الحديد في مروي مما جعل الباحثين يطلقون عليها برمنجهام أفريقيا القديمة، واشتهر صناع الحديد المرويين حتى كانت لهم شهرة في العالم، واستعان ملوك مروي بالساقية المصرية لزيادة إنتاج المحاصيل، وتاجر المرويون في الماشية التي جلبوها من وسط أفريقيا، وهكذا استطاع المرويون أن يؤسسوا هذه العلاقات التجارية والصناعية مع من حولهم.

الشعائر الدينية في مروي: ليس من المؤكد بصفة قاطعة معرفة أصل الاله آمون أو الوقت التي ظهرت فيه عبادته لأول مرة، لكن النظرية السائدة فيه أنه من أصل مصري، وقد أرجع أصحاب هذه النظرية آمون إلى الاله مين اله الخصب، وذلك لما وجد تقارب بين الالهين في الصفات والتمثيل والأسماء.

ومن الباحثين عن أصل آمون من افترض لهذا الاله أصلا غير مصري، ومن الأساطير القديمة رأي أن آمون قدم إلى مصر من ليبيا، ورأي آخر يقول أن هذا الاله مستقدم إلى مصر من البلاد العربية، لكن على الرغم من ظهوره المتأخر نسبيا في مصر؛ إلا أن قدماء المصريين كانوا يعتقدون أن آمون أول اله ظهر على الوجود "اله الخلق" وأنه كان مقيما بجبل البركل ومن هنا فإنهم يحاولون تشبيه جبل البركل بالتل الذي ظهر في المحيط ووقف عليه الاله رع. 486

عبد المرويون الالهة المصرية وتضمنت هذه الالهة آمون وأسماء المرويون "آمان" و"إيزيس" و"أوزوريس"، وكان الإله الخالق منجب الملك، ويعد الإله آمون من أقدم الآلهة التي تعبد لها النوبيين حيث كان له ظهور في حضارة كرمة، وكانت مركز عبادته في النبتة ولكن شيدت له معابد في كوة ومروي، واعتبر الملك المروي نفسه وسيطا بينه وبين البشر، كما اعتبر المرويون أنفسهم عبيدا لهذا الإله؛ وقد اعتبر أيضا النوبيون عامة والمرويون خاصة أن الإله تسكن في الجبل المقدس المعروف باسم "جبل البركل" ولذا أصبح الإله آمون يعرف باسم "آمون جبل البركل".

486 الاله آمون في مملكة مروي، حسن أحمد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 9.

وكان آمون بالنسبة للمرويين الذين عبدوه وقدموا له القرابين وحجوا إلى معابده التي شيدها أن عبادة الإله آمون هي الديانة الرسمية للدولة المروية، ولقد استمرت عبادة الإله آمون، ونستدل على ذلك كثرة المعابد التي بناها الملوك لهذا الإله إلى جانب أسمائهم التي كان اسم الإله آمون يمثل مقطعا من معظمها. 487

واقترح الزعماء النوبيون بعبادة آمون عندما علموا بأنه هو معطي الملك وأنه عن طريقه يحصلون على الشرعية اللازمة التي تحول لهم الملك المطلق، ليس هذا فحسب، بل حتى في مصر وفي كل أنحاء المعمورة، وكذلك كحامي لملوكها وكمعطي الشرعية وجالب النصر لها مما يشير بأحد احتماليين:

الاحتمال الأول: أن عبادة آمون لم تمت في السودان بخروج مصريين الدولة الحديثة بل ظلت قائمة حتى ظهور النوبيين.

الاحتمال الثاني: أنها خبت بعد خروج المصريين لكنها انتعشت قبل قيام مملكة نبتة ربما بواسطة مجموعة من كهنة آمون بطيبة جاءوا إلى السودان فرارا من تعسف الغزاة الليبيين الذين احتلوا مصر وأقاموا فيها الاسرات اثنين وعشرون. 488

هيئات الإله آمون:

ظهر الإله آمون في أشكال مختلفة بالمملكة المروية، وبدلا من وصف هيئة الإله في كل مرة تم إطلاق صفة تدل على تلك الهيئة، وفي هذا الصدد لم يتبدع المروي هيئة خاصة بالإله تختلف عن ما عرف بهذا الإله من الأشكال في الأصول المصرية التي أخذت منها.

كان لإله آمون هيئات كثيرة في الأصول المصرية، والهيئات التي بقيت في بال المروي هي صورتان أساسيتان للإله آمون: الصورة الأولى: مشتقة من هيئة الكباش، وقد تنوعت طبيعة الأجسام التي قامت عليها رؤوس الكباش. أما الصورة الثانية: فقد أظهرت هذا الإله في هيئة رجل ملتصق بأمير صفاته ريشتان قامت فوق رأسه.

487 نفسه، ص: 10.

488 الإله آمون في مملكة مروي، حسن أحمد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 12.

ولكننا سنكتفي إن شان الله بالكلام عن الهيئة الأولى لهذا الإله التي هي هيئة الكبش، وقد ظهرت هذه الهيئة "هيئة الكبش" على ثلاثة أشكال وهي كالتالي:

الهيئة الأولى: هيئة كبش جاث.

الهيئة الثانية: في شكل رجل برأس كبش.

الهيئة الثالثة: هيئة أسد جاث برأس كبش.

يمثل الكبش حيوان مقدس عند المرويين، لذلك اتخذوه كالرمز الأساسي للإله آمون، وهنا نشير إلى أن الكبش ليس هو المقصود بالتأليه، إنما هو مجرد رمز.

وبالرغم من أن الكبش هو حيوان الإله (آمون) المقدس عند المرويين إلا أنهم لم يطلقوا صفة الكبش على هذا الإله سوى مرة واحدة، جاء ذلك في النص المرافق لصورة الإله المنقوشة على جدار محراب أسبلتا في معبد تهارقو الحديد بالكوة، وواضح أن المروي كان يطلق صفة الأسد أو الثور على الآلهة لما عرف به هذان الحيوانان من قوة. 489 والآن سنعارض لكم هذه الهيئات الكبشي للإله آمون:

489 الإله آمون في مملكة مروي، حسن أحمد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 20.

الهيئة الأولى: تصوير الإله آمون في هيئة كبش جاث:

في صدر الدولة المروية ومع بداية العمران الديني فيها، كان الملك بعانخي أول (721-752 ق م) من ابتدع تزيين مداخل المعابد الآمونية بتماثيل الكباش الجاثية. 490 انظر شكل رقم (1).



شكل رقم (1)

وفي النقعة نصب أمام معبد "آمون عظيم النقعة" يوجد أكثر عدد من تماثيل الإله آمون في هيئة الكباش الجاثية، وعددها اثنا عشر كبشا وقامت كل هذه الكباش على الطريق القريب المؤدي إلى مدخل المعبد الرئيسي. 491

490 نفسه، ص: 21.

491 مملكة مروية-التاريخ والحضارة، بروفيسور/ عمر حاج الزاكي، ط 1، وحدة تنفيذ السدود، الخرطوم، السودان، 2006م، ص: 37.

وقد أشار الأستاذ حسن أحمد عبد القادر، إلى نقطة لا بد من الوقوف عندها، وذلك أنه عندما ننظر إلى التماثيل التي تصور الإله آمون على هيئة الكبش الجاثي، وعندما ننظر إلى تماثيله التي وجدت بكل من الكوة وجبل البركل التي يوجد بها الآن اثنان عند المدخل الشمالي لمتحف السودان القومي وهي تماثيل تخص الملك تهارقا إلى أن تاريخها يرجع للفترة النبتية (عهد الأسرة الخامسة والعشرين)، نجد أن أوبارها قد صورت في هيئة صوف مرسل، لكننا عندما ننظر إلى تماثيله التي يرجع تاريخها للفترة المروية وبخاصة فترة الثنائي الملكي نتكاماني وأماني تاري 492 نجد أن هذه التماثيل قد صورت في نفس الهيئة، غير أن أوبارها تظهر في شكل دوائر مجمعة. 493

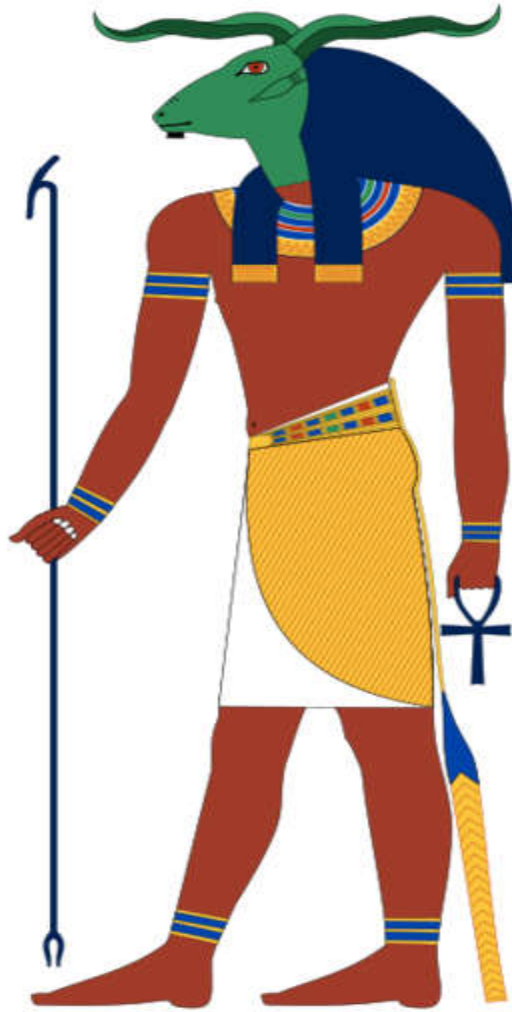
492 نتكاماني وأماني تاري 1-20م: هذا الثنائي الزوج والزوجة هما الأكثر شهرة من ملوك العصر المروي، إنهما مشهوران لا من النقوش التاريخية لكن من المباني الجميلة التي شيدها على امتداد المملكة.

493 الإله آمون في مملكة مروي، حسن أحمد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 22.

الهيئة الثانية: تصوير الإله آمون في شكل رجل برأس كبش:

صور المروي آلهة (آمون) في هيئة رجل برأس كبش، وفي هذا الشكل المركب من جسمي الإنسان والحيوان، وذلك للتقريب بين الإنسان وما يعبد بطريقة علمية.

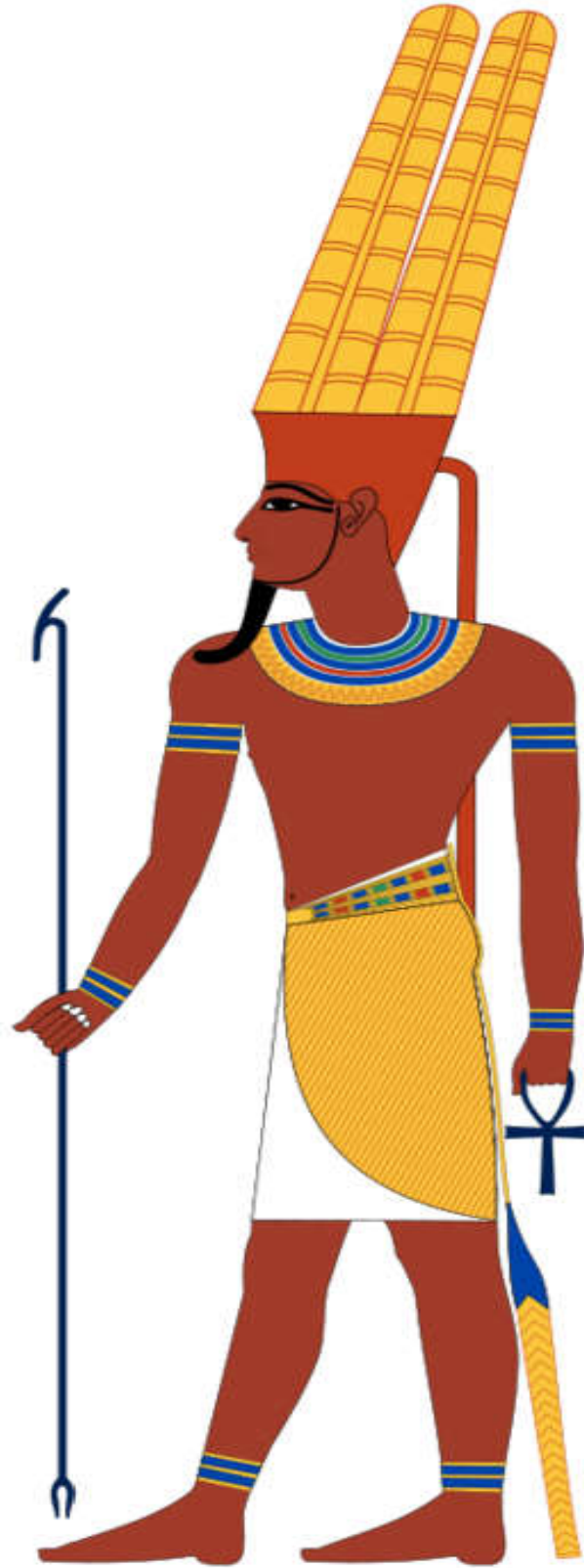
شكل رقم 2.



صور الإله آمون على هذا شكل الكبش متجهها ناحية اليسار وفي بعض الأحيان متجهها ناحية اليمين، وأحيانا يكون جالسا على العرش شكل رقم (3) وقد صور أيضا على شكل آدمي يردى تاج ويخرج من التاج ريشتان متوازيتين بشكل مستطيل شكل رقم (4)، ويصور على التاج أحيانا قرص الشمس شكل رقم (5)، وكان يمسك في يده اليمنى عصا على شكل الواس وفي يده اليسرى علامة العنخ رمز الحياة وله ذقن طويلة مستديرة من أسفلها.



شكل رقم (3)



شكل رقم (4)



شكل رقم (5)

نلاحظ في جميع صوره أنه ألبس زيا رشيقا قصيرا، وتكونت ملابس الإله من قطعتين: القطعة العليا لتستر الصدر والبطن، وثبت هذا الجزء الكتفين بشريطين عقد كل واحد منها عند منطقة الكتف. والقطعة السفلى من ملابسه عبارة عن تنوره قصيرة بحزام وغطت الجزء الأسفل من الجسم إلى ما فوق الركبتين قليلا.

ونلاحظ أيضا الفرق بين هذه الأشكال لإله آمون وبين شكله في هيئة في كبش جاث، حيث يظهر هنا في شكل آدمي برأس الكبش إما واقفا أو جالسا، وإما متجه ناحية اليمين أو اليسار، أو على رأسه تاج يخرج من التاج ريشتان متوازيين، وكذلك يظهر أيضا على التاج قرص الشمس.

وعندما يصور الإله واقفا تبدو رجلاه مفرودتان بحيث يتباعد القدمان الحافيان بمقدار خطوة، وفي وقفته تلك غالبا ما تظهر إحدى يديه متدلّية على جنبين بينما تظهر اليد الأخرى ممدودة أمامه، ويمسك الإله علامة الحياة باليد المتدلّية والصولجان باليد الممدودة.⁴⁹⁴

ومن مميزات هذا الشكل لإله آمون أنه مركب من جسمي الإنسان والحيوان، وذلك للتغريب بين الإنسان والإله آمون.

الهيئة الثالثة: تصوير الإله آمون في هيئة أسد جاث برأس كبش:

من مميزات الإله آمون أنه كان يصور بشكل فريد وغريب في الفن المروي القديم، يجمع بين الهيئة البشرية والحيوانية كما رأينا سابقا، وبين الهيئات الحيوانية كما سنرى في هذه الفقرة.

ألحقت بالإله آمون في بعض النصوص المروية صفة الأسد على القطر الجنوبي، وإن لم يعثر بين آثارهم على تمثيل للإله آمون في الهيئة الكاملة للأسد، غير أن المرويين أطلقوا على الشكل المركب من جسم أسد ورأس كبش (انظر الشكل رقم 6) المصور على جدران بعض المعابد الآمونية.⁴⁹⁵

494 الإله آمون في مملكة مروي، حسن أحمد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 27.

495 نفسه، ص: 29.



شكل رقم (6)

قد ظهر الإله آمون بهذا الشكل بوجه عريض وأنف أفطس، وأحيانا يبدو ملتحميا بلحية قصيرة، أما شعره فكان على هيئة لبدة أسد، تظهر من أسفلها أذناه، عنقه غير مستطيل، وكتفاه عريضتان

وبارزتان، وجسده معوج ومشوه، وتبدو أضلاعه بارزة وواضحة من تحت صدره، وسرته واضحة فوق بطنه المنتفخة، وله ذيل عريض يبرز بداية من ثنية الفخذ وينسدل حتى الأرض، وهو يبدو واضحاً لأن ركبتيه المثبتتين تشكّلان ما يشبه الزاوية، وقد ثبت ذراعيه عند مستوى الكوعين، ومع ذلك فإن يديه تستطيعان أن تمتدّا حتى ردفيه.

من خلال هذه الدراسات التي تعرضنا فيها على هياكل الإله آمون المختلفة صور به في بلاد المروي، رغم هذه الهياكل المختلفة لا تغير شيء عن وظيفة الإله آمون ولا تقلل من مكانته السامية في نفوس المرويين الذين طالما جعلوا اسم هذا الإله كأحد المقاطع التي تتكون منها أسماء العديد من الملوك والملكات المرويين وكل ذلك يدل على عظمة تلك المكانة التي بلغها هذا الإله في بلاد المروي.

العصر المسيحي في المملكة المروي: وصلت أول بعثة أرسلت من القسطنطينية إلى بلاد النوبة برئاسة قس يدعى "جونليان Juliane" عام 543م، بساندة الإمبراطورة "ثيودورا" وقد مكث "جونليان" في بلاد النوبة ونجح في نشر المسيحية بين النوبيين الوثنيين، ثم خلف جونليان "لونجينس londjinsse" وذلك عام 569م، وقضى فترة سبع سنوات وهو يعمل بين النوباطيين، ثم سافر إلى الجنوب عام 580م، وقد اعتنق أهل مملكة مروي المسيحية طواعية البيزنطي بحفاوة كبيرة، وازدهرت المسيحية في بلاد النوبة خلال خمسة قرون متتالية أو أكثر، أي ابتداء من القرن الثامن حتى القرن الثالث عشر، وذلك لما تمتعت به تلك البلاد من استقرار خلال هذه الفترة.

ولا شك في ازدهار المسيحية في بلاد النوبة خلال الفترة المذكورة، ودليل على ذلك هو وجود بعض آثار المسيحية في تلك البلاد، حيث اكتشفت الأبحاث الأثرية التي قام الباحثون الغربيون عن أكثر من 100 كنيسة ودار عبادة في عدة أماكن من مناطق النوبة، وقد وجدوا في بعض هذه الأماكن مخطوطات يرجع تاريخها إلى عصور الازدهار تلك.⁴⁹⁶

496 Christianity in the Sudan, Giovanni Vantini, L.P. Kirwan, volume 81, 1982, p: 41.

ومن أشهر الكنائس التي وجدها علماء الآثار تحت أنقاض المدن في العصر الحديث هي كاتدرائية فرس "Faras" التابعة للقصر الملكي في عاصمة ولاية نوباتيا (مروي)، وقد بنيت على الطريقة البيزنطية، وزخرفت جدرانها بأكثر من 168 شكلا من أشكال الزخرفة، وجد علماء الآثار فيها كتباً باللغة الإغريقية وأخرى بالقبطية، بالإضافة إلى كتب أخرى مكتوبة باللغة النوبية القديمة، كما وجدوا ما يقرب من 400 نقش تحتوي على الصلوات الأرثوذكسية التقليدية، وعلى أسماء الملوك والأساقفة سود بين رجال الدين البارزين الذين وردت أسماءهم وشوهدت صورهم في هذه النقوش.⁴⁹⁷

هذا هو ما يؤكد لنا تأصيل المسيحية في تلك البلاد إلى حد تمكن المواطنين الأصليين من الحصول على المناصب الدينية القادية، ويؤكد لنا أيضا أن المسيحية ازدهرت في بلاد المروي حيث تميزت الكنيسة المروية خلال هذه الفترة ارتباطها بالعائلة المالكة، وإلى حد ما أن الملوك كانوا يتحولون أحيانا إلى أساقفة بعد تنازلهم عن العرش والعكس بالعكس أيضا، وهو ما يعييه الباحثون الغربيون على هذه الكنيسة، وهم يقاسون هذه الكنيسة على الكنيسة الأوروبية التي كانت متناسين دورها في الاضطهاد السياسي في أوروبا بسبب ارتباطها بالسلطات السياسية خلال العصور الوسطى، شيء الذي أدى إلى المظاهرات في أوروبا في تلك العصور للفرق بين الكنيسة والسلطة.

سقوط مملكة مروي: لم تشير إلينا الآثار إلى الأسباب الحقيقية التي أدت لسقوط مملكة مروي حتى الآن، لكن من المرجح أن الانهيار لم يكن مفاجئا، إذ أن هناك الكثير من الشواهد التي تدل على أن الحياة في مملكة مروي تدهورت مما أدى إلى ضعفها، كذلك هناك من الشواهد التي تدل على أنها استمرت لفترة حوالى المائتي عام في حالة الضعف، أما الانهيار التام فقد كان لبعض أسباب أشارت إليها الأستاذة الشيماء يوسف في مقالتها؛ تقول:

497 Christianity in the Sudan, Giovanni Vantini, L.P. Kirwan, volume 81, 1982, p: 43.

1- تعرضت المملكة (مملكة مروي) إلى الضعف الكامل والتفكك في أواخر العهد المتبع، وكانت هناك العديد من العوامل التي نتج عنها سقوطها والتي تتمثل في العوامل البيئية، التي تدهورت بنسبة كبيرة مما قد كان السبب فيها هو زيادة النفایات الصناعية، الناتجة عن صناعة الحديد في البيئة والتي نتج عنها تلوثها وحدوث الخلل بها.

2- زيادة معدل القبائل البدوية في الصحراء والعمل على السيطرة على القوافل التجارية كان عامل من عوامل الخلل الاقتصادي.

3- أيضا ظهور مملكة أكسوم الحبشية وقيامها بمنافسة مملكة مروي بشكل قوي، والتي قامت بالسيطرة على التجارات الأفريقية، التي كانت تدخل المملكة من خلال مرورها عبر شرق أفريقيا والبحر الأحمر.

4- قيام عيزانا بتدمير كل ما تبقى في المملكة كان السبب في السقوط، في عام 350م وكان هذا السبب في تدمير النوبة نهائيا. 498

هكذا كانت نهاية المملكة المروية النوبية التي قامت لأكثر من ألف عام حتى أصابها الضعف والوهن، وخلال مسيرتها الطويلة شاركت مملكة مروي في بناء الحضارات والثقافات الإنسانية وتقدمها.

498 أسباب سقوط مملكة مروي، الشيماء يوسف، منتدى المرسال، القاهرة، 2017م، ص:1.

الثانية: مملكة مقرة 500 Makoura-1420م:

نواصل الحديث في الخلفية التاريخية عن ممالك المسيحية التي قامت في المنطقة النوبية القديمة، وقد تعرفنا في الحلقة السابقة على مملكة مروي المسيحية، وفي هذه الحلقة سنتحدث بإذن الله عز وجل عن مملكة مقرة المسيحية التي كانت تقع في شمال السودان الحالي وجنوب مصر، ظهرت مملكة المقرة بعد سقوط مملكة مروي التي تواجدت بالمنطقة من 270 ق م حتى 350م.

نشأة مملكة مقرة: نشأت هذه المملكة في القرن السادس الميلادي، وكانت تقع إلى الجنوب من مملكة نوباتيا جنوبا من منطقة الأبواب، وكانت عاصمتها مدينة "دنقلة Dongola"، وقد أطلق على هذه المملكة "مُقرة"، ولعل السبب في اختيار دنقلة لتكون عاصمة للمملكة، هو موقعها الجيد حيث تقع على الضفة اليمنى للنيل، يبدو أن دنقلة كانت بمثابة حصن استراتيجي ومركز إداري مهم، كما يبدو أنها تأسست على بقعة غير مأهولة من قبل، وتطورت في وقت سابق في النصف الثاني للقرن الخامس الميلادي، لذلك يمكننا افتراض أن دنقلة أصبحت المركز الرئيس بظهور مملكة مقرة في أواخر القرن الخامس الميلادي، حيث كانت تتميز بموقع جغرافي جيد بين الشلالين الثالث والرابع.⁴⁹⁹ وربما يرجع تأسيس مدينة دنقلة إلى أن الحكام النوبيين اتخذوا منها مقرا لهم، وقد ساعدت علاقة هؤلاء الملوك الجيدة مع الأباطرة البيزنطيين في تطوير هذه المدينة من واقع الأعطيات التي كان يمنحها هؤلاء الأباطرة البيزنطيين لحكام النوبة مقابل ولائهم، ومن المحتمل أن السبب في هذا الاهتمام البيزنطي بهذه المنطقة لدواعي أمنية نتيجة لغزو قبائل البلبيين لحدود مصر، لذلك حاول البيزنطيون كسب ود أهل مقرة ليساعدوهم ضد البلبيين والنوباتيين.⁵⁰⁰

499 Copyright The Media Initiative Sudan The Origin of Civilization, kartoum, 2017 p:1.

500 Copyright The Media Initiative Sudan The Origin of Civilization, kartoum, 2017 p:1.

والكلام عن أصل المرويين يقول المقرئزي: "النوبة والمقرة جنسان بلسانين كلاهما على النيل؛ فالنوبة هم المريس المجاورون لأرض الإسلام وبين أول بلدهم وبين أسوان خمسة أميال، ويقال أن: "سلها" جد النوبة و"مُقَرِّي" جد المقرة من اليمن، وقيل النوبة ومقري من حَمِير وأكثر أهل الأنساب على أنهم جميعا من ولد حام بن نوح وكان بين النوبة والمقرة حروب قبل النصرانية، وأول أرض المقرة قرية تعرف بـ تافة (بجوار امباركاب القديمة) على مرحلة من أسوان ومدينة ملكهم يقال لها نجراش على أقل من عشر مراحل من أسوان ويقال أن موسى صلوات الله عليه غزاها قبل مبعثه في أيام فرعون فأخرب تافة وكانوا صابئة يعبدون الكواكب وينصبون التماثيل ثم تنصروا جميعا النوبة والمقرة ومدينة دنقلة هي دار مملكتهم".⁵⁰¹

المسيحية في المقرة: أخذت المسيحية تتسلل في ببطء إلى المقرة في أواخر القرن الرابع الميلادي، ثم ازدادت هجرة المصريين إليها تدريجيا، وأنشئت الأديرة عددها منذ ذلك التاريخ، ولم يكن المصريون المسيحيون يركنون إلى حياة العزلة والانطواء، بل كانوا يختلطون بالسكان الوثنيين ويزينون لهم الدخول في المسيحية، وقد عرفت البعثات التبشيرية الرسمية التي أوفدتها كنيسة الإسكندرية في عهد قسطنطين الأكبر، وبدأت هذه البعثات نشاطها في بلاد النوبة في القرن الخامس الميلادي، ومع تسرب المسيحية البطء إلى بلاد النوبة لم ينقطع سيل الوافدين المسيحيين إليها، وكان هذا السيل يزداد مع احتدام الخلاف بين المسيحيين حول طبيعة المسيح، حتى تطلب الأمر إنشاء أسقفية في فيلة في القرن الخامس الميلادي.⁵⁰²

501 المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تقي الدين أحمد بن علي المقرئزي، ج 1، ط 2، دار صادر بيروت، 1906م، ص: 354.

502 معاهدة البقط بين والي مصر وعظيم النوبة من صور الرق في القرون السبعة الأولى للهجرة، أحمد فؤاد بليغ، مكتبة العربية، مصر، 2008م، ص: 14.

وقد اعتنقت المقرة المسيحية في القرن الخامس الميلادي، وعلى عكس المملكتين النوبيتين المحاصرتين للمقرة شمالا وجنوبا فقد كانت المقرة على المذهب الملكاني، ومع دخول مصر الإسلام في القرن السابع، وصلت الجيوش العربية إلى المقرة في عام 651م ولكنها صدت، وجدت مقاومة شديدة من جيوش النوبة وتم توقيع معاهدة بقت بين الطرفين التي تضمن تعايشا سلميا بين الإمبراطورية الإسلامية الصاعدة وجارتها الجنوبية مملكة النوبة المسيحية وضمان حقوق رعايا الجانبين، استمر هذا الاتفاق ساريا حتى القرن الثالث عشر الميلادي.

قادت الحفائر التي قامت بها بعثة الآثار البولندية في دنقلة العجوز منذ عام 1964م إلى اكتشاف أربع كنائس بالإضافة إلى القصر الملكي المسيحي، ويعود تاريخ احد هذه المباني إلى أواخر القرن السابع أو أوائل القرن الثامن، وقد تم الكشف تحت انتقاضه عن كنيسة أقدم منه بنيت من الطوب النبيء، 503.

وقد اعتنق سكان المقرة المذهب المونوفيزي وكان لهذا التحول المذهبي نتائج هامة، لكن جدير بنا أن نشير إلى أنه كان هناك صراع حول جذب المقرين إلى المذهب المونوفيزي، حيث كان هناك خلاف بين المذهب الملكاني وبين المذهب المونوفيزي حول طبيعة السيد المسيح، فبينما آمنت الكنيسة الملكانية بفصل الطبيعة البشرية عن الطبيعة الإلهية للمسيح، رأت الكنيسة المونوفيزية أن الطبيعة الإلهية امتصت ودمجت الطبيعة البشرية وصارا الاثنان طبيعة واحدة، وقد اشتد الخلاف بين الطائفتين في القرنين السادس والسابع الميلادي، حتى صار كأنه حرب بين دينين متنافسين.

503 المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تقي الدين أحمد بن علي المقريري، المرجع السابق، ص: 332.

والكلام عن التحول المقرين إلى المذهب المونوفيزي، تشير المصادر المسيحية إلى أن الملك مرقوريوس Merkouriosse الذي اعتلى العرش في النوبة في عام 697 هو الذي أدخل المذهب المونوفيزي إلى المقرة واتخذ من دنقلة العجوز عاصمة لمملكة النوبة الموحدة، ويمكننا أن نشير إلى أن مسألة المذهب المونوفيزي في النوبة ما زال يكتنفها بعض الغموض حتى يومنا هذا وبخاصة فيما يتصل بعلاقات ملوك النوبة مع الكنيسة الملكانية الأرثوذكسية، حيث مع دخول المقرين المذهب المونوفيزي ظل المذهب الملكاني منتشرا في بعض أنحاء المملكة الداخلية.⁵⁰⁴

وقد تميز العصر المسيحي في مملكة المقرة بالتطور الاقتصادي السريع، وأدى إدخال الساقية في عصر الروماني إلى زيارة الرقعة المزروعة التي كانت تنتج القمح والشعير والدخن والعب، وساهم محصول البلح الوفير في الارتقاء بمستوى المعيشة في البلاد، ونشطت حركة التجارة مع البلدان المجاورة وتجاوزتها إلى ما هو أبعد منها، وباع سكان المقرة العاج لبيزنطة، والنحاس والذهب للحبشة، وبلغت قوافلهم التجارية قلب أفريقيا إلى المناطق المعروفة اليوم بنيجيريا وغانا، وكان أفراد الطبقات الميسورة الحال يفضلون الملابس البيزنطية على ما سواها، في حين كانت النساء يرتدين جلابيب طويلة ومطرزة ومزركشة بخيوط ملونة.⁵⁰⁵

يبين لنا أن مملكة المقرة المسيحية كانت منفتحة على العالم الخارجي مما أدى إلى تأسيس العلاقات الوطيدة بينها وبين الدول المجاورة، سواء من ناحية الدينية والاقتصادية والزراعية، وتمكنت هذه المملكة "المقرة" أيضا أن تأسس العلاقات الداخلية حيث كانت بينها وبين بعض مناطق الأفريقية التبادل التجارية كالحبشة ونيجيريا وغانا، وكل هذا أدى إلى التطور الاقتصادي السريع للمملكة.

504 تاريخ إفريقيا العام، المجلد 2، منشورات اليونسكو، المشرف على المجلد/ د: جمال مختار، 1985م، ص: 332.

505 نفسه، ص: 333.

سقوط مملكة مقرة: تقول كتب التاريخ أنه بعد أن فتح المسلمون مصر في عام 20هـ "640م" بعث عمرو بن العاص القائد عقبة بن نافع رضي الله عنهم إلى بلاد النوبة، ولكن المسلمين لقوا من أهلها قتالا شديداً، ولما تولى عبد الله بن سعد رضي الله عنه أمور مصر صالحهم على غير جزية، وكانت غزواته قد وصلت إلى دنقلة عام 31هـ "651م" وبنهاية الدولة الأموية كان بأرض النوبة مملكتان مسيحيتان: "مملكة المقرّة في الشمال" و"مملكة علوة في الجنوب"، وقد قامت بعض العناصر البشرية التي تعيش بين النيل والبحر الأحمر – في المنطقة جنوب النوبة – ببعض الغزوات على صعيد مصر؛ مما جعل الخليفة العباسي المتوكل يقوم بإرسال حملة لتأديبهم ... فانتصر عليهم في حرب البجة عام 241هـ "855م"، وفرض على ملكهم دفع الجزية ... ومنذ هذا التاريخ تكاثرت عدد العرب المسلمين في هذه المنطقة.⁵⁰⁶

ولما جاء عصر المماليك قاموا بحماية الساحل الأفريقي للبحر الأحمر ضد الصليبيين، كما أرسل الظاهر بيبرس حملة استولت على "سواكن" فلم يعجب ذلك ملك مقرة المسيحي فهاجم حدود مصر الجنوبية، مما اضطر الظاهر بيبرس الاستيلاء على مملكتهم وضمها إلى السلطنة المملوكية ... فأعلن ملك النوبة إسلامه في عام 823هـ "1420م" وتساقطت المملكات المسيحية وانتشر الإسلام في النوبة،⁵⁰⁷ وهكذا كانت نهاية مملكة المقرة المسيحية التي قامت زمناً طويلاً في هذه المنطقة من القارة السمراء.

506 التاريخ والأصول العرقية للنوبة، أمجد صيام، بحث في التاريخ والأنساب، <http://amjjar.blogspot.com> 2014م، ص: 5.

507 التاريخ والأصول العرقية للنوبة، أمجد صيام، بحث في التاريخ والأنساب، المرجع السابق، ص: 6.

الثالثة: مملكة علوة 500-1500م:

مملكة علوة هي المملكة المسيحية النوبية الثالثة التي قامت في العصور الوسطى بالقرن الساحل الأفريقي، ظهرت هذه المملكة عقب سقوط مملكة مقرة النوبة المسيحية في دنقلة نتيجة سوء العلاقات بينها وبين الماليك في مصر، وقد وردت أول إشارة لمملكة علوة، في نقش الملك المروي "نستاسن 308-328 Nastasen ق م" في السطر رقم 24 وقد وردت على هذا النحو "Âlute" ثم ورد ذكرها بعد ذلك في نقش الملك الأكسومي عيزانا الذي وصف فيه حروبه مع النوبة، حيث ذكر أنه كانت من ضمن مدنهم المشيدة من الحجر و الطوب الأحمر مدينة علوة و دارو، وفي واقع الأمر إن الاسم علوة يطلق على كل البلاد الواقعة على ضفتي النيل الأزرق و إقليم الجزيرة، و . إلى حد ما . على تلك التي تقع إلى الشمال من منطقة ملتقى النيلين، وقد أُطلق اسم علوة إبان العصور الوسطى على الحدود الجنوبية للمملكة المسيحية الشمالية، أما دارو فقد كانت تقع إلى الجنوب من علوة. 508

وخلال الدراسات التي قام بها الفرنسي باتريس لنوبل Patrisse Lenoble يبدو أن قيام مملكة علوة ارتبط بشكل وثيق بتدهور وزوال مملكة مروي، ويرى أن تاريخ سقوط مروي في القرن الرابع الميلادي أصبح من المسلمات التاريخية، لكنه لم يمل إلى فكرة زوال مروي، حيث يرى أن الوجود المروي ظل باقيا خلال الفترة ما بين القرنين الرابع والسادس الميلاديين، إلى أن جاءت نهايتها بظهور ممالك النوبة الثلاث، واعتمادا على نتائج حفرياته في الهوبجي، خلص لنوبل إلى أنه: نشأت كيانات سياسية مروية في شكل مشيخات عديدة نتيجة لتفكك المملكة المروية، منها الإمارة التي دفن زعمائها في الهوبجي، وبذلك ينسب مقابر: بلانا، وقسطل، وغيرها من المدافن التي على هيئة أكوام ترابية كبيرة لأصحاب كيانات سياسية انشطرت لحظة انهيار مروي، وغيرها من المواقع التي تكثر فيها قبور في الفترة ما بعد المروية. 509

508 Kirwan L.P the Decline and Fall of Meroe kush Egyptological Bibliography 1960 P: 163.

509 Kirwan L .P, The Notes on the Topography of the christian Nubian Kindoms, JEA, vole 21, 1935, p: 93.

الموقع: أما الكلام عن موقع هذه المملكة فقد أشار إليه كثير من المؤرخين، ذكر ابن حوقل: "أنها تمتد شرقا مسافة ثمانية مراحل إلى منطقة تفلين عند دلتا القاش شمالي مدينة كسلا الحالية، وتتوغل حدودها غربا في الصحراء مسافة خمس مراحل.⁵¹⁰

وقد قدر اليعقوبي اتساع المملكة بنحو ثلاثة أشهر.⁵¹¹ وتمتد حدود مملكة علوة ما بين الشلال الخامس إلى ملتقى النيلين، وربما جزء من الجزيرة؛ حسب قول فانتيتي.⁵¹² ويرى كيروان: أن حدود مملكة علوة تمتد من كبوشبة في الشمال، على الأقل حتى مدينة سنار 170 ميلا جنوب الخرطوم.⁵¹³ وهي تقع على الضفة النيل أسفل مدينة دنقلا وبين المدينتين مسيرة خمسة أيام في النيل.⁵¹⁴ وقد اشتهرت في هذه المملكة عاصمتها سوبا Soba التي تقع على الضفة الشرقية للنيل الأزرق جنوب الخرطوم، وعرفت هذه المملكة عند الإغريق باسم "علوديا Aloudia".⁵¹⁵

يتضح لنا مما سبق أن مملكة علوة قد امتدت تقريبا على الحدود الحالية للمناطق الوسطى والغربية والشرقية للسودان، حيث أنها احتلت وادي النيل الأول في أقصى الشمال، إلى مقاطعة سنار على النيل الأزرق أقصى الجنوب على الأقل.

510 كتاب صورة الأرض، القسم الأول، ابن حوقل، تحقيق: مصطفى مسعد، المكتبة السودانية العربية، الخرطوم، 1972م، ص: 80.

511 البلدان، أحمد بن أبي يعقوب الشهير باليعقوبي، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون التاريخ، 1999م، ص: 174.

512 تاريخ المسيحية في الممالك النوبة القديمة والسودان الحديث، جيوفاني فانتيني، المكتبة السودانية العربية، الخرطوم، 1978م، ص: 129.

513 Kirwan L.P, The Notes on the Topography of the christian Nubian Kindoms, JEA, vole 21, 1935, p:62 .

514 البنيات الاجتماعية والثقافية في حضارة ما بعد مروي، محمد بن محمد بن عبد الله الإدريسي، رسالة مقدمة لجامعة الخرطوم لنيل درجة الدكتوراه، غير منشورة، الخرطوم، 2000م، ص: 129.

515 آثار مملكة علوة "إقليم سوبا" عبد الرحمن الوسيلة بآبكر، رسالة مقدمة إلى جامعة الخرطوم لنيل درجة ماجستير "الآداب في الآثار" إشراف بروفيسور: علي عثمان محمد صالح، 2011م، ص: 22.

عصر المسيحي في مملكة علوة: طلب ملك علوة من ملك نوباطيا إرسال الأسقف لونجينوس

لتعليم الشعب الديانة المسيحية وكان الأسقف على اجتياز مملكة دنقلا وبسبب الخلافات المذهبية بين ملكي نوباطيا والمقرة فقد منع ملك دنقلا الأسقف لونجينوس من دخول أراضيه وشدد الحراسة على ممرات القوافل والممرات البحرية ليحول دون اجتياز لأراضيه، إلا أم ملك نوباطيا أوغر إلى قوافل البجة الذين يعرفون طرق الصحراء باصطحاب الأسقف فأوصلوه إلى مدينة سوبا بعد مشقة كبيرة، وبدأ بشرح الديانة المسيحية للملك وأهل البلاط والأعيان والشعب حسب معتقدات اليعاقبة فأصبحت كنيسة علوة بفضل مساعي الأسقف لونجينوس تابعة للكنيسة القبطية الارثوذكسية في الإسكندرية في عام 580م. 516

ويقدم لنا يوحنا الأفسسي تقريراً عن عمل لونجينوس هذا "يصف أنه في أوائل عام 575م أرسل ملك علوة إلى لونجينوس طالبا في خطابه أن يمتد بنطاق بشارته إلى المملكة الجنوبية، ومن المحتمل أن تكون الرسالة قد وصلت إلى نباتيا بعد أن غادرها لونجينوس عائداً إلى مصر، غير أنه لم يتمكن من العودة إلى النوبة لمدة خمس أعوام، وفي غضون ذلك الوقت حاولت الإرسالية الملكانية وبذلت أقصى جهودها لتثني شعب علوة عن عقيدتهم، ولكن قُبِلَت كل المحاولات بالرفض التام من النوبيين الذين لم يرضوا بأحد عوضاً عن لونجينوس، وفي عام 580م عاد لونجينوس إلى نباتيا مرة أخرى، حيث ظل يتدبر الأمر جيداً ليجد طريقاً آمناً إلى علوة، وبسبب عداوة ملك المقررة لم يستطع أن يبحر إلى أعالي النيل مباشرة وإنما سلك دربا ملتويا عبر الصحراء الشرقية في صحبة قافلة آبل لأحدى قبائل "البجة" وأخيراً بعد ما عاناه من مشقة الطريق وصل إلى علوة، حيث كان هناك وفداً من قبل ملكها في شرف استقباله، وكان إيمان الملك وحاشيته واعتناقهم المسيحية قد اعقب ذلك سريعاً". 517

516 تاريخ المسيحية في الممالك النوبة القديمة والسودان الحديث، جيوفاني فاننيني، المرجع السابق، ص: 53.

517 تاريخ الكنيسة، يوحنا الأفسسي، المعروف بالآسيوي، ترجمة: صلاح عبد العزيز محجوب، ط 1، الناشر: المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2000م، ص: 85.

وهكذا تم تنصير مملكة علوة على المذهب الارثوذكسي القبطية الإسكندرية، وهذا المذهب الارثوذكسي ممتد من المذهب اليعقوبي الذي كان يتدين به ملوك مملكة علوة المسيحية، وبذلك نقول أن أي كنيسة بجبال النوبة تابعة للمذهب الارثوذكسي هي تابعة للمذهب اليعقوبي المسيحي، وإذا كان هناك مذهب كنسي آخر غير مذهب كنسي الارثوذكسي في مملكة علوة فهو يكون تابع أهله إلى مملكة المقرّة المسيحية التي كانت تدين بالمذهب الملكاني.

سقوط مملكة علوة: قد أتينا المعلومات في الفصل الأول عن بدء الوجود الإسلامي في بلاد السودان منذ الفترات الأولى من صدر الإسلام، فإن الأمراء الأيوبيين الذين أنشأوا دولتهم في مصر في منتصف القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي، على أنقاض الدولة "الفاطمية العبيدية"، وقد سعوا إلى التوسع جنوباً في بلاد النوبة (السودان) لفتح هذه البلاد ونشر الإسلام فيها في القرن السادس الهجري - الثاني عشر الميلادي، وكان ذلك في عهد صلاح الدين الأيوبي الذي جهز الجيوش الإسلامية وأرسلها إلى هناك، لكن الممالك النصرانية الثلاث في بلاد النوبة، "مملكة مروي ومملكة المقرّة ومملكة علوة"، واجهت التوسع الإسلامي ودارت حروب طاحنة بين الطرفين، هزم فيها المسلمون الأيوبيون، وسيطرت على إثرها جيوش ممالك النوبة على المناطق الجنوبية من مصر، حتى تمكن القائد صلاح الدين من دحرهم مرة أخرى في عام 566هـ - 1170م، وطردهم من صعيد مصر، والتقدم جنوباً والقضاء كلياً على الممالك النصرانية الثلاثة الآنف الذكر، ومن ثم استمر نشر الإسلام في بلاد السودان وتعريبها وتوحيدها لتبقى إسلامية إلى آخر الدهر، ومع سقوط هذه الدويلات النصرانية، فإن النصارى في بلاد السودان وقعوا اتفاقية مع العرب المسلمين في مصر، سميت باتفاقية "البقت" أو معاهدة النوبة، تلزم الطرفين بعدم الاعتداء على بعضهما، وتنص على إقامة مسجد للمسلمين في دنقلا، يمارس فيه المسلمون شعائهم الدينية. 518.

518 أثار مملكة علوة "إقليم سوبا" عبد الرحمن الوسيلة بآبكر، المرجع السابق، ص: 102.

هذه المعلومات تعزز وجهة النظر التي أشرنا إليها قبل قليل؛ أن الوجود الإسلامي في السودان قد ابتداءً منذ صدر الإسلام، وأن التوسع الإسلامي الأيوبي نحو هذه البلاد، إنما جاء ليرسخ الإسلام فيها ويقوي من انتمائها الإسلامي، وقد أتاحت اتفاقية النوبة للعرب المسلمين زيادة حضورهم في بلاد السودان دون صدامات مع الكيانات النصرانية التي اعترضت عليهم في البداية، وخاضت حروباً دامية معهم، وقد دخلت مجموعات عربية إسلامية أخرى إلى أرض السودان من شمال أفريقيا من تونس، لكنها أقل حجماً من المجموعات التي جاءت من مصر، وقد ساعدت هجرة هذه المجموعات السكانية إلى بلاد السودان، في تمكين العروبة والإسلام فيها، كي تنشأ أول مملكة عربية في السودان بعد القضاء على مملكة علوة، والسيطرة على عاصمتها سوبا جنوب الخرطوم.

المطلب الثاني: دخول المسيحية إلى غرب أفريقيا:

قد أشرنا فيما سبق أن المسيحية وصلت إلى ساحل شرق أفريقيا منذ القرن الأول الميلادي، وعلى هذا يختلف دخول المسيحية إلى ساحل شرق أفريقيا عن دخولها إلى غرب أفريقيا حيث وصلت إلى هذا الأخير من خلال الاكتشافات الأوروبية في القرن الخامس عشر الميلادي، ومنذ هذا التاريخ أصبحت المسيحية من الديانات التي لها تأثيرها وتواجدها في غرب أفريقيا ... لكن هذا التواجد والتأثير لم يتم تناوله بشكل واسع، لذلك سنحاول خلال هذا المطلب إلقاء بعض الضوء على تاريخ المسيحية وانتشارها في هذه المنطقة من القارة السمراء أملاً في التعمق فيها ودراسة جوانبها الأخرى، وقد قسمنا هذا المطلب إلى جانبين، الجانب الأول: عبارة عن الاكتشافات الأوروبية لغرب أفريقيا، أما الجانب الثاني: فهو عبارة عن الاستعمار العسكري لغرب غرب أفريقيا.

الجانب الأول: الاستكشاف الأوروبي:

تعتبر هذه الفترة من الفترات المهمة لتاريخ المسيحية في غرب أفريقيا، فإذا كانت الفترات الأولى تعتبر فترات التأسيس والتطوير للديانة النصرانية، حيث جاءت فترة الانطلاق بالقوة بعدها في أجزاء العالم الإسلامي إبان الحروب الصليبية؛ فإن الاستكشافات الجغرافية تمثل فترة الدراسة المسحية الواسعة للمجتمعات المسلمة والوثنية على حد سواء، شملت الأرجاء التي وصل إليها المد الصليبي في فترة الحروب والتي لم يصلها.

وقد ظل الجانب الأكبر من أفريقيا آمنا مطمئنا بل ومجهولا لا تصل إليه أيدي الأوروبيين حتى بدأ الوجود العربي في الأندلس بالانهيار، وتساقطت الممالك بعضها تلو الأخرى، وظهرت البرتغال كقوة سياسية وعسكرية فاحتلت سبتة من المغرب الأقصى سنة 1415م فتطلع البرتغاليون إلى المزيد من الكيد للمسلمين، وفكروا في فتح طريق مائي عبر أفريقيا من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر لمحاصرة الإسلام والمسلمين بدول مسيحية.⁵¹⁹

وإذا كانت الفترة السابقة قد تميزت بتركيز النشاط التنصيري على طول الساحل الأفريقي، فقد نهضت كذلك خلال فترة الاستكشافات حركة تنصيرية ضخمة من أوروبا اندفع من الساحل الأوروبي إلى داخل القارة الأفريقية، حيث كانت الاستكشافات عاملا أساسيا في إتاحة الفرصة للاندفاع إلى عمق الغابات، وزودت نتائجها معلومات الأوروبيين عن خبايا القارة السمراء، كما استمد الكثير من المنصرين إلهاما كبيرا من هذه النتائج والمعلومات الدقيقة عن معتقدات والوضع المجتمعي للسكان، وركزوا على أفكار دافيد ليفنيغستون⁵²⁰ Livingstone David، الذي نجحت كتاباته الكثيرة في التعريف بنتائج حملاته الاستكشافية، حيث كان من وجهة نظره بعد دراسة الأوضاع المجتمعية والمعتقدات في القارة؛ أن على المنصرين أن ينشئوا مراكز نصرانية لنشر الديانة النصرانية والنهوض

519 التنصير والاستعمار في إفريقيا السواء، عبد العزيز كحلوت، ط 3، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية في طرابلس، 2001م، ص: 9.

520 كان مستكشفا ومن أشهر المبشرين المسيحيين في أفريقيا، ولد عام 1813م ب سكوتلندا (المملكة المتحدة) توفي عام 1873م.

بالتجارة والزراعة في آن واحد، وقد شاركه في هذه النظرية العديد من المنصرين المتحمسين ممن توغل إلى داخل أفريقيا. 521

هذا وقد ساهمت خبرة المنصرين في مجالات منها: الطب والزراعة في إتاحة الفرصة لهم دون صعوبة تذكر، وأدى ذلك إلى معرفة الأوضاع بسهولة، الأمر الذي أصبح عاملا حاسما في الربع الأخير من القرن التاسع عشر عندما بدأ السباق على استعمار القارة. 522

وإذا توصلنا إلى أنه لم تكن للنصرانية وجود في غرب أفريقيا قبل الفترة الاستكشافية، فإن مرحلة الاستكشافات الجغرافية تعتبر أولى مراحل وصول رجال الكنيسة إلى هذه المنطقة – وتشير الكتابات إلى أولى حلقات اتصال للغربيين أو رحلاتهم كانت عام 1413م عندما زار الرحالة المسيحي الفرنسي المدعو: أمسيلم ديزالغني Amselm Disalignier مدينة غاوو قادما من مدينة تولوز، وقد انتهت هذه الرحلة التاريخية الاستكشافية بعلاقة حب أمسيلم مع فتاة من أسرة نبيلة آنذاك بمدينة غاوو، أن هذه الأخيرة قامت بتحدي والدها ومجتمعها الذي يرفض الزواج مع النصراني وتذكر الرواية: أن الفتاة سافرت مع الرحالة ثم اعتنقت المسيحية في فرنسا، ولم يذكر لها عودة إلى مجتمعها في بقية حياتها. 523

والجدير بالذكر أن القرن الثامن عشر شهد أكبر حركة للرحالين الغربيين وبالتحديد من فرنسا واسكوتلاندا وألمانيا وذلك بين سنة 1791م وسنة 1852م، إلى أن طمح الحاكم الفرنسي في السنغال الجنرال فايد يريب في ربط مؤسسات السنغال الأعلى بالنيجر، فبعث ثلاث بعثات عسكرية خلال الفترة من 1863 و 1881م، وتمكن تلك البعثات من تحقيق طموحاته.

521 التنصير والاستعمار في إفريقيا السواء، عبد العزيز كحلوت، المرجع السابق، ص: 15.

522 الدين في إفريقيا، لدكتور: أساري أوبوكو، نشر اليونسكو، مجلد 6، 1990م، ص: 522.

وكانت الرحلات الاستكشافية التجارية ذريعة لتحقيق ما يطمح الغرب من احتلال للشعوب، ولذا لم تلبث تلكم الرحلات إلا عقبتها حملات غاشمة استولت على البلاد الواقعة بين النهرين بين 1878 و 1890م، بعد ما تعرضت لثورات شعبية مسلمة دافعت عن أراضيها ودينها بكل شجاعة بلغت في مجموعها تسع ثورات في مختلف أنحاء البلاد، وكانوا يرون أن الرجل الأبيض جاء ليحتل أرضهم ويبدل دينهم فكان الرفض التام والكفاح المستمر، ولم ينعم الاستعمار بالاستقرار إلا عام 1920م الذي يعتبر انتهاء آخر ثورة جماعية ضد الاستعمار الفرنسي.

ومن مميزات التنصير في هذه الفترة ما يلي:

- 1- مثلت الاستكشافات الجغرافية مرحلة الدراسة المسحية الواسعة للمجتمعات المسلمة والوثنية على حد سواء، شملت الأرجاء التي وصل إليها المد الصليبي في فترة الحروب الصليبية، فبعد تركيز النشاط التنصيري على طول الساحل الأفريقي، فقد نهضت كذلك خلالها حركة تنصيرية ضخمة من أوروبا اندفع من الساحل الأوروبي إلى داخل القارة الأفريقية.
- 2- وكذلك من مميزات هذه الفترة أن خبرة المنصرين ساهموا في مجالات كثيرة، منها: الطب والزراعة في إتاحة الفرصة لهم دون صعوبة تذكر.
- 3- وقد استمد الكثير من المنصرين إلهاما كبيرا من هذه النتائج والمعلومات الدقيقة خلال الاستكشافات عن معتقدات والوضع المجتمعي في المنطقة، وأدى ذلك إلى معرفة الأوضاع بسهولة، الأمر الذي أصبح عاملا حاسما في الربع الأخير من القرن التاسع عشر عندما بدأ السباق على استعمار القارة.

بعض المكتشفون الأوائل: لقد فقد الكثيرون حياتهم بسبب البحث عن نهر النيجر، لذلك بعد موت ريتشارد لاندر Ritchard Lander تم تحذير المكتشفين بألا يضحوا بأرواحهم في مخاطر غير ضرورية، مع أنه كان لا يزال هناك مناطق لم تكتشف بعد في منطقة نهر النيجر (غرب أفريقيا)، ولكن في النصف الثاني من القرن التاسع عشر اكتشف كثيرون من المكتشفين الغرب هذه المنطقة نذكر بعضا منهم:

1- مونغو بارك Moungo Park 1771-1806م:

لقد ظلت مشكلة كشف نهر النيجر 524 قائمة حتى القرن 18م، حيث اهتمت الجمعية الجغرافية البريطانية باستجلاء حقيقة هذا النهر وقامت عدة رحلات بكشف النيجر من أهمها: رحلة مونغو بارك Moungo Park.

ولد مونغو بارك سنة 1771م باسكتلندا Ecosse، و بعد أن تلقى تعليما جيدا، رافق جراحا يدعى توماس أندرسن في سيلكيرك، وبعد ذلك دخل جامعة إدنبرة لثلاث فصول 1789-1791م، وحصل على الدبلوم الجراحي، وقد عرض بارك خدماته في عام 1794م على الجمعية الأفريقية، التي كانت عندها تبحث عن خليفة للرائد دانيال هوتون، الذي كان قد بعث في عام 1790م لاكتشاف مجرى نهر النيجر ومات في الصحراء. 525

وقبل أن يبدأ بارك رحلته قضى عدة شهور في تعلم لغة الماندينغو Mandingo التي يتحدث بها أغلب سكان هذه المنطقة من الداخل "منطقة نهر النيجر"، وكان بارك يهدف من وراء تعلم هذه اللغة التحدث إلى السكان المحليين دون مترجم. 526

524 نهر النيجر: وسماه العرب قديما نيل السودان هو النهر الرئيسي في غرب أفريقيا وطوله 4180 كم ويمر عبر غينيا ومالي والنيجر وبنين ونيجيريا ليصب في دلتا النيجر في خليج غينيا على المحيط الأطلسي.

525 Park Mungo 1771-1806, Copyright 2005 International Plant Names Index, London, p: 55.

526 المستكشفون في أفريقيا، جوزفين كام، ترجمة: د/ يوسف نصر، دار المعارف، القاهرة، 1983م، ص: 89.

وكان بارك قد عرف جيدا أن الرحلة في الداخل أفريقيا لن تكون خالية من الأحداث وكان لديه إيمان لا حدود له في قدراته الخاصة وفي نوايا الجمعية الأفريقية، وفي هذه الصدد أعلن بارك ما نصه "ينبغي علي أن أهلك في رحلتي كما ينبغي أن تهلك معي آمالي وتوقعاتي، وكما ينبغي علي كذلك أن انتقل جغرافية أفريقيا بحيث تصبح معروفة أكثر لأهل بلدي، وأن أفتح أمام طموحاتهم وأمام صناعتهم مصادر جديدة من الثروة وقنوات جديدة للتجارة، وأني على يقين من أنني في أيدي رجال شرفاء هؤلاء الرجال الذين لم يرضوا بالبذل والعطاء، وذلك لأن خدماتي الناجحة سوف تظهر لهم جدارتي". 527.

وقد نجح بارك الذي كان مدعوما بنفوذ السير وصل إلى نهر غامبيا عام 1795م ودخلها نحو "300 كم" إلى محطة تجارة بريطانية اسمها بيسانيا Bissanya، وفي 2 ديسمبر بدأ توغله للدواخل المجهولة مصحوبا بعمال زنوج، ورغم الصعوبات التي تلقاها اقترب من نهر النيجر عام 1796م ثم قطع حوالي 70 ميال إلى مدينة سيلا Sylla الواقعة على نهر النيجر. 528.

وعاد إلى الوطن عام 1797م بأخبار اكتشاف النيجر اشتعل الحماس بقوة بين العامة، والسجل عن رحلته تم رسمه حالا لصالح الجمعية الأفريقية من قبل بريان إدواردز، وظهرت قصة مفصلة بقلمه في عام 1799م (رحلات في داخل أفريقيا)، وفرة الأحداث والأسلوب غير المتكلف للعمل خلقا له شعبية كبيرة جدا، وهو ما يزال يحمل مكانة كعمل كلاسيكي مشهور في هذا القسم من الأدب. 529.

وقد أبحر بارك مرة ثانية عام 1805م في بعثة تكفل بها وزير الدولة ولشؤون المستعمرات فتعلم اللغة العربية وتعلم استخدام الآلات الفلكية، ومارس الطب، وأعد مذكرة حول اكتشاف النيجر، بعد أن دخل بارك إلى أرض البضان "موريتانيا"، وكان ثاني أوربي يصل إلى شواطئ نهر النيجر. 530.

527 المستكشفون في أفريقيا، المرجع السابق، ض: 89.

528 الارتياح والكشف الجغرافي، وود شاكر، دار المكتبة العصرية، بيروت، 1996م، ص: 24.

529 نفسه، ص: 27.

530 Second voyage de Mungo Park dans l'intérieur, Robert Adams, Edition : Paris, J.G. Dentu, 1820, p : 15.

وفاته: في إحدى الليالي عبر مونغو برك نهر "النيجر" ما لا يقل عن ستة عشرة متر، لأن الأمطار كانت قد بدأت في شهر يونيو واستمرت حتى منتصف أغسطس، ومع ذلك استطاع إحدى عشر أوروبي من الوصول إلى نهر النيجر، وأما الآخرون فقد ماتوا أثناء الطريق بسبب الحمى أو الدوسنتاريا، وفي تلك الأثناء كان برك يقوم بحمل الرجال والأمتعة، وبعد أن أدى هذا العمل بمغامرة شديدة سلم بأنه شعر ببعض التعب، ولما رقد بسبب مرض الدوسنتاريا تناول دواء الكالوميل Calomel بكثرة، فعلى أثر ذلك لم يستطع الحديث ولا النوم لمدة ستة أيام بلياليهم، ومع ذلك فقد شفى برك من هذا المرض تماما، وبدأ في تشييد سفينة مسطحة تصلح للمسير في المياه الضحلة، وكانت تعرف هذه السفينة باسم إسكونر Schooner، وقد تم بناؤها من بقايا قارين كانا يتسرب منهما الماء، وساعد في هذا العمل الذي استغرق ثمانية عشر يوما جندي واحد، وعندما اكتمل العمل في بناء هذه السفينة كان الأشخاص الذين ظلوا على قيد الحياة على أتم استعداد لإنزالها إلى الماء. 531

قبل أن يغادر برك أعطى إسحاقو، وهو دليل من الماندينغو الذي كان معه لتلك اللحظة، رسائل ليحملها إلى غامبيا ليتم إرسالها إلى إنجلترا، الروح التي بدأ بها برك هي المرحلة النهائية من مشروعه صورها جيدا برسالته إلى رئيس وزارة المستعمرات وكتب: "سأبحر إلى الشرق بقرار ثابت لاكتشاف نهاية نهر النيجر أو أموت وأنا أحاول؛ وحتى إن مات كل الأوربيين الذين معي، ومع أنني كنت بنفسني نصف ميت؛ فما زلت أثابر، وإذا لم أستطع أن أنجح في هدف رحلتي، فإني على الأقل سأموت على النيجر"، وكتب أيضا إلى زوجته يذكر نيته أنه لن يتوقف ولا يحط على أرض حتى يصل للساحل، حيث توقع أن يصل إلى هناك في زمن حول نهاية يناير 1806م. 532

531 المستكشفون في أفريقيا، المرجع السابق، ص: 117.

532 Le Niger et les explorations de l'Afrique (2) depuis Mungo Park jusqu'au Docteur Barth, Ferdinand De Lanoye, libraire de l'Hachette etcie, Paris, 1858, P :16.

هذه كانت آخر ما تم استلامه من بارك، ولا شيء أكثر قد سمع عن الفريق حتى وصلت تقارير الكارثة إلى المستوطنات في غامبيا، وقد كلفت الحكومة البريطانية بالتفصيل إسحاقو بمهمة الذهاب إلى النيجر للتحقق من مصير المستكشف، وفي سانسانديغ Sanssanding وجد إسحاقو الدليل الذي كان ضمن الفريق الذي عبر الجدول مع بارك، والدقة الكبيرة للقصة التي أخبرها تم تأكيدها لاحقا بتحقيقات هيو كلابرتون وريتشارد لاندر، فقد صرح الدليل "ويدعى أمادي" بأن زورق بارك تقدم في النهر إلى ياوري، حيث حط "الدليل" على اليابسة.⁵³³

في هذه الرحلة الطويلة بحوالي 1000 ميل فإن بارك، الذي كان عنده الكثير من المؤن، تمسك بقراره بالبقاء بعيدا من المواطنين، وبعد جيني أتت تمبكتو، وفي أماكن أخرى مختلفة، خرج المواطنون في الزوارق وهاجموا مركبه، وتم رد جميع هذه الهجمات، فبارك وفريقه كان عندهما الكثير من الأسلحة النارية والذخيرة بينما لم يكن لدى المواطنين شيء منها، وهرب المركب من عديد الأخطار التي رافقت الملاحاة في جدول مجهول به العديد من المنحدرات النهرية، فقد بنى بارك مركب جويلا بحيث كان يمضي فقط على قدم من الماء.⁵³⁴

لكن في منحدرات بوسا Boussa التي لم تكن أبعد بكثير عن ياوري، ضرب المركب صخرة وبقي مسرعا، وعلى الضفة تجمع بعض المواطنين الشرسين، الذين هاجموا الفريق بالقوس والسهم ورموا الرماح، ولما كان موقعهم ضعيفا، قفز بارك ومارتن والجنديان اللذان ما زالا باقيين إلى النهر وغرقوا، والباقي الوحيد على قيد الحياة كان أحد العبيد، والذي منه تم الحصول على قصة المشهد النهائي، إسحاقو ولاحقا لاندر، حصل على البعض من متاع بارك، لكن يومياته لم تسترد أبدا.

533 نفسه، ص: 17.

534 Second voyage de Mungo Park dans l'intérieur, Robert Adams, Edition : Paris, J.G. Dentu, 1820, p : 17.

وفي عام 1827م حط ابنه الثاني توماس Thomas على ساحل غينيا، وكان ينو أن يشق طريقه إلى بوسا، حيث ظن أن أباه كان قد احتجز سجيناً هناك، لكن بعد أن مضى لفترة من الوقت داخل البلاد مات من الحمى، أما أرملة بارك فقد ماتت في عام 1840م. 535

و لقد كانت حياة "منغو بارك" قصيرة و لكنها كانت حافلة بالعمال الهامة، كان مسؤولاً عن تحقيق أول نجاحات هامة في حقل الاكتشافات داخل أفريقيا، وكانت أعماله ثمرة مباشرة لنشاطات الجمعية الأفريقية، كان بارك يهدف إلى تتبع مجرى ومنبع ومصب نهر النيجر، ومع ذلك فقد انتهت نهاية محزنة، فبعد موته باءت بالفشل كل المحاولات العديدة التي اتخذت لتتبع مجرى نهر النيجر حتى منبعه.

2- رينيه كاييه René Caillié 1799-1838م:

أصله ورحلاته: ولد كاييه في عام 1799م في إقليم دو سيفر Deux Sèvres في غرب فرنسا، وهو ابن عامل في مخبز، ولد في أدنى مستويات المجتمع الأوروبي، في سنة ولادته أتهم والده بالسرقة وحكم عليه بالسجن وتوفي هناك في عام 1808م، وتوفيت أمه في سنة 1811م فأصبح يتيم وأمي وضعيف، وكان نقيضاً للمغامر القائد العسكري التقليدي، ولكن قراءة رواية روبنسون كروزو التي كتبها دانيال ديفو أوقدت في نفسه حب السفر والمغامرة، وفي سن السادسة عشرة قطع مسافة 40 كيلومتراً سيراً على الأقدام إلى ميناء روشفور على نهر شارنت، و في عام 1816م ركب سفينة من أسطول لا ميدوز وغرق الأخيرة ألهمت اللوحة الشهيرة طوافة قنديل البحر التي رسمها تيودور جيريكو وهي معروضة في متحف اللوفر، ولكن لم تغرق سفينة رينيه كاييه ووصل إلى السنغال سليماً، من هناك انتهر الفرصة لرحلة إلى غواديلوب وهناك قرأ كتاب مونغو بارك لاستكشافه النيجر الأوسط، ثم عاد إلى بوردو في فرنسا وبعد ذلك إلى السنغال مرة أخرى في

535 Second voyage de Mungo Park dans l'intérieur, Robert Adams, Edition : Paris, J.G. Dentu, 1820, p : 20.

1818م وقام برحلة إلى بوندو لنقل إمدادات إلى بعثة بريطانية في ذلك الوقت في ذلك البلد حيث أصيب بالمرض والحمى واضطر إلى العودة إلى فرنسا. 536

رحلته إلى تمبكتو: لم يتم برحلة إلى السنغال قبل 1824م عندما كان يفكر في الوصول إلى تمبكتو، كانت قد تعرض الجمعية الجغرافية في باريس مكافأة كبيرة لأول أوروبي يصل ويرجع على قيد الحياة من تمبكتو، التي كان يعتقد أنها مدينة غنية وعجيبة حسب سمعة منسى موسى، 537 كانت مدينة أسطورية كتب حسابات لها الرحالة العرب في العصور الوسطى مثل ابن بطوطة، فأمضى ربنه كاييه ثمانية أشهر في شمال نهر السنغال، وتعلم اللغة العربية كمعتنق للإسلام، ودرس قوانين وأعراف هذا الدين. 538

وضع مشروعه للوصول إلى تمبكتو ولكنه لم يتلق التشجيع، فذهب إلى سيراليون حيث جعلته السلطات البريطانية مراقبا، وانضم في أبريل 1827م إلى قافلة شعب ماندينغي التي سارت صوب الداخل وكان يرتدي زيا كمسلم، وزعم أنه كان عربيا من مصر حيث أقله الفرنسيون إلى السنغال رغبة منه في العودة إلى وطنه، وفي أغسطس 1827م وصل إلى مدينة بوكي Boké واكتشف منطقة فوتا جالون Fouta Djallon، ثم مر حتى وصل إلى منبع نهر النيجر في فارانا Farana بغينيا وزار أيضا منطقة غينيا العليا حيث اكتشف نهر ميلو Fleuve Milo في مدينة كانكان Kankan، 539 وفي يناير 1828م أصيب بالإسقربوط واستقر في بلدية في شمال ساحل العاج الحالي، بعد أن استأنف رحلته استقر بضعة أيام في مارس في جني من حيث واصل رحلته عن

536 Caillié René, Journal d'un voyage à Temboctou et à Jenné, dans l'Afrique de l'ouest pendant les années 1824, 1825, 1826, 1827, 1828 ... Avec une carte itinéraire, et des remarques géographiques, par M. Jomard, Vols 3, 1975, Paris: Imprimerie Royale, p : 19.

537 منسى موسى من أعظم زعماء إمبراطورية مالي، ولد عام 1280م، وقام بأداء فريضة الحج عام 1324م، وفي عهده كانت تمبكتو عاصمة إمبراطورية مالي الإسلامية، توفي عام 1337م.

538 Caillié René, Journal d'un voyage à Temboctou et à Jenné, par M. Jomard, p : 21.

539 جغرافية العالم "جمهورية غينيا"، أحمد صادق، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1970م، ص: 12.

نهر نيجر، ووصل إلى تمبكتو في أبريل 1828م، واستقر في المدينة أسبوعين وشعر بخيبة أمل ليجاد مدينة شبه منهار، انضم إلى قافلة تعبر الصحراء إلى المغرب، حيث بلغت فاس في أغسطس 1828م وهي المدينة التي وصفها بـ "أجمل مدينة في أفريقيا" ومن طنجة عاد إلى فرنسا على متن سفينة. 540.

انجازه: كان يبرز رينيه كاييه في نهجه للاستكشاف في عهد الحملات واسعة النطاق بدعم من جنود وتوظيف الحمالين السود، قضى وقتا طويلا في تعلم اللغة العربية، ودراسة العادات المحلية والدين الإسلامي قبل الانطلاق مع رفيق له، كان يحترم الناس والثقافات التي قابلها وندد بالرق، لم يجعل تمبكتو مثالية لزيادة شهرته، خلافا للينغ الذي سجل أنها كانت مدينة عجيبة، وقال كاييه الحقيقة: "كانت قرية صغيرة وفقيرة وغير مهمة بدون التلميح إلى السمعة الأسطورية التي سبقتها" 541 وكانت قصة رحلته هي لوحة فنية دقيقة من المناظر الطبيعية والثقافية قابلها ومن جغرافيا الدول التي عبرها ومن الحيوانات والنباتات، وعادات وتقاليدها. 542.

وكان رينيه كاييه هو واحد من هؤلاء المغامرين الذين عاشوا قبل لورانس بسنوات كثيرة وفتنوا بالشرق عموما وتمبكتو خصوصا، سافر من فرنسا بحرا وقطع الصحاري المقفرة والغابات الموحشة وواجه الموت مرات كثيرة وتعرض للأسر كل ذلك من أجل الوصول إلى تمبكتو، ومن أجل الوصول أيضا إلى هذه المدينة تظاهر بالإسلام، فكان يصوم أيام رمضان الحارة ويصلي الصلوات الخمس خصوصا في الفترة التي قضاها أسيرا على يد إحدى القبائل العربية في الجنوب الموريتاني حيث كانت زوجة رئيس القبيلة

540 Un Ouvrier voyageur: René Caillié, Duval Jules, 1867, in French, Paris: Hachette, p : 123.

541 Travels through Central Africa to Timbuctoo; and across the Great Desert, to Morocco, performed in the years 1824-1828, Caillié René, 1830, 2 Vols, London: Colburn & Bentley, p: 56.

542 Un Ouvrier voyageur: René Caillié, Duval Jules, 1867, in French, Paris: Hachette, p : 125.

وبناتها يتسلين برؤيته ويتعجبين من بياضه ويتفحصنه من كل مكان وكأنه من خلق آخر وذلك قبل أن يحرره المقيم الفرنسي العام في السنغال من الأسر مقابل فدية مالية كبيرة. 543

نهاية حياته: وفي الحقيقة قد سبق رينيه كاييه في تمبكتو في عام 1826م ضابط بريطاني الرائد غوردون لينغ Gordon Ling ولكنه قتل عند مغادرة المدينة، فحصل رينيه كاييه على جائزة الجمعية الجغرافية كما تقلد وسام جوقة الشرف ومعاشا، وشارك مع غوردون لينغ رمزيا للجائزة الكبرى للاستكشافات ورحلات الاستكشاف، نشرت قصة رحلة رينيه كاييه في عام 1830م مما يضمن له شهرة كبيرة ولكن طعن الإنجليز في صحة كتاباته ورحلته وكان هذا مؤلما جدا له، ولكن سوف يتم تأكيد كتاباته عن تمبكتو من قبل الرحالة الألماني هاينريش بارت المستكشف الذي بلغ المدينة بعده على الرغم من أنه انتقد جودة ملاحظات رينيه كاييه، وتوفي بمرض السل الذي أصيب به في أفريقيا في مايو 1838م في عزبة له في بلدية في إقليم شارنت ماريتيم. 544

3- هاينريش بارت Heinrich Barth 1821-1865م:

ولد بارت في هامبورغ Hamburg في عام 1821م، وتعلم في جامعة برلين، حيث تخرج عام 1844م، وزار بعد ذلك أفريقيا للمرة الأولى في عام 1849م، وأنضم تحت رعاية البعثة البريطانية التي ارسلت لتقوم بكشف المنطقة الواقعة جنوب الصحراء الكبرى، وهناك زار الممالك الإسلامية، وقد قاد هذه البعثة رجل انجليزي يدعى "جيمس ريتشاردسون James Richardstone" الذي وهو أحد مستكشفي الصحراء الكبرى والذي اختارته الحكومة البريطانية لإقامة العلاقات التجارية

543 Un Ouvrier voyageur: René Caillié, Duval Jules, 1867, in French, Paris: Hachette, p : 130.

544 Caillié René, Journal d'un voyage à Temboctou et à Jenné, par M. Jomard, p : 55.

مع دول وسط وغرب بلاد السودان، وكان برفقتها أيضا رجل ألماني يدعى "لودويغ أفروينغ
545. "Ludwig Ouverweg

وانطلق الفريق من طرابلس في بداية العام 1850م، لكن موت ريتشاردسون في مارس 1851م وأوفرينغ في سبتمبر 1852م جعل بارت وحيدا منذ بداية الحملة، وعاد إلى أوروبا في سبتمبر 1855م، وكانت رحلته إحدى أكثر الرحلات أهمية من التي أجريت في دواخل أفريقيا، وبالإضافة إلى رحلاته عبر الصحراء، فقد عبر بارت الأقاليم من بحيرة تشاد وباجيمي في الشرق وحتى تمبكتو غربا والكاميرون جنوبا، وأقام طويلا في الإمارات والسلطنات القديمة في بورنو وكانو وسوكوتو وتمبكتو، ودرس بدقة جغرافيا وتاريخ وحضارة وموارد المناطق التي زارها، ونشرت قصة رحلاته بالإنكليزية والألمانية معا بعنوان (رحلات واستكشافات في شمال ووسط أفريقيا 1857 – 1859م من خمس أجزاء)، وكان به من الدقة والتنوع والمعلومات ما قل نظيره عن كتب عصره، وما زال يستخدم إلى اليوم كمصدر رئيسي حول البلدان التي تكلم عنها.⁵⁴⁶

وكان بارت هذا شابا على قدر كبير من التعليم، لهذا كان لديه مقدرة لتعلم اللغات، فقد تعلم الانجليزية والعربية، كما لم يكن لديه صعوبة في اتقان لغات الشعوب الأفريقية المختلفة، وكان قبل ذلك قد تحول في أجزاء قليلة الأهمية من سوريا وآسيا الصغرى، وكان بارت يعمل على تحقيق المعرفة أكثر من رغبته في حب المغامرة التي دفعته إلى الالتحاق ببعثة ريتشاردسون، وكان قويا لدرجة كبيرة ومع ذلك فإنه كان مرنا ولكن عندما تدعو الحاجة إلى الشدة كان عليه أن يثبت أنه يجمع بين الشجاعة وسعة الحيلة.

545 Le Niger et les explorations de l'Afrique (2) depuis Mungo Park jusqu'au Docteur Barth, Ferdinand De Lanoye, P : 101.

546 Le Niger et les explorations de l'Afrique (2) depuis Mungo Park jusqu'au Docteur Barth, Ferdinand De Lanoye, P : 110.

وقد وصل بارت إلى كوكا Kouka قبل شهر من وصول أفروغ إليها، ولما علم بارت بموت ريتشاردسون تولى هو مسؤولية قيادة البعثة، وقام بتنفيذ فحصة لبحيرة تشاد، وكتب بارت عن خصائص هذه البحيرة يقول ما نصه: "من الواضح أن هذه البحيرة تتميز بالضخامة بحيث تتغير حدودها كل شهر، لذلك يكون من غير الممكن رسم خريطة دقيقة لها، وفي الواقع كنت قد رأيت في هذا اليوم (يوم الرابع والعشرين من شهر أبريل عام 1851م) أن الأراضي التي تحيط بالبحيرة أراضي منخفضة وكلها مستنقعات، وعلى الفور أصبحت مدركاً أنه من المستحيل تماماً القيام بعملية مسح شاملة لشواطئها حتى ولو سمحت لنا دول الأقطار المحيطة بها بالدخول إلى منطقة البحيرة كي نتتمكن من القيام بعملية المسح الشاملة".⁵⁴⁷

وأصبح بارت منزعجاً بشكل متزايد عن أفروغ الذي كان مريضاً ومكتئباً بحيث رأى عليه علامات الاختلال العقلي، ومع ذلك فإن الرجل الشاب (بارت) رفض أن يتخلى عن مهمته وبدأ الاثنان معا في الذهاب إلى يولا Yola الواقعة إلى الجنوب، والتي تمثل المدينة الرئيسية لإقليم أداماوا Adamawa، ومن هناك واصل الرجلان طريقهما إلى منابع نهر البنوي Benoue أكبر فروع نهر النيجر، والذي جزءه الأسفل فقط هو الجزء المعروف، وفي يولا كتب بارت يقول ما نصه: "إن البنوي تتدفق مياهه من الشرق إلى الغرب في مجرى عريض، ويمر من خلال قطر مفتوح تماماً ويوجد في هذا القطر سلسلة متقطعة من الجبال الواقعة على مسافة بعيدة" ويضيف بارت في قوله: "لقد حددت الآن بعيني وبكل وضوح اتجاه وطبيعة هذا النهر العظيم، فقد نظرت نظرات طويلة وصامتة على هذا المجرى ومرت بذلك لحظة من أسعد لحظات حياتي".⁵⁴⁸

547 Voyages et Découvertes dans l'Afrique Septentrionale et Centrale Pendant les années 1849 a 1855, Heinrich Barth, tra de l'allemand en français par Paul Ithier, 1999, Adeg Graphics, Paris, p : 210.

548 Voyages et Découvertes dans l'Afrique Septentrionale et Centrale Pendant les années 1849 a 1855, Heinrich Barth, tra de l'allemand en français par Paul Ithier, 1999, Adeg Graphics, Paris, p : 215.

ومن المحتمل أن يكون كشف أعالي البنوي مساهمة أساسية من بارت في مجال المعرفة الجغرافية، وبعد ذلك كان يريد الذهاب بعيدا تجاه الجنوب ولكن حاكم اليولا رفض أن يدعه يواصل السفر، لذلك تتبع طريقه إلى كوكا بحيث قام برحلة قصيرة إلى الشمال من بحيرة تشاد وترك أفروينغ يواصل فحصه للبحيرة، وبعد ذلك شرع بارت في محاولة الوصول إلى المناطق الواقعة جنوب باغرمي Baghirmi واكتشف بعد ذلك نهر شاري Shari الواقع في بوغومان Bogomane ولم ير بارت أي شيء بالكامل رغم ما بذله من جهد وتنقيب في تاريخ المدينة، هذا فضلا عن بحثه عن ظروفها الحاضرة، وقد لاحظ أن حاكمها كان عليه أن يدفع جزية سنوية تقدر بمائة من البعيد إلى سلطان بورنو، عندئذ عاد بارت إلى كوكا حيث وجد أفروينغ مريضا ومختل العقل، وبعد ذلك بفترة قصيرة مات أفروينغ وظل بارت الأوروبي الوحيد الذي ظل حيا، ولكنه كان في حالة ضعف تام.

واتخذ بارت من موت صديقه فلسفة له حيث أعلن ما نصه: "لقد عزمت على الفور في الشروع للقيام برحليتي إلى نهر النيجر لمعرفة بلاد وشعوب جديدة"، فلم يثبط موت أفروينغ من عزيمته بارت، وبعد أن حقق بارت هذه الإنجازات وصلت إليه من إنجلترا النقود والتعليمات التي تخبره بالتقدم على وجه السرعة نحو تمبكتو، فسافر بارت عن طريق سوكوتو Sokoto وساي Saye الواقعة على نهر النيجر. 549

وقد اقترب بارت من تمبكتو مارا من خلال الطريق الذي تبعه الرحالة الفرنسي رينيه كاييه René Caillié، فقد فعل بارت مثلما فعل كاييه فقام بارتداء الزي العربي مع أن هذا المسلك كان مخالفا لضميره، ولكن بينما كان كاييه يهتم اهتماما كبيرا بالمحافظة على تنكره نجد أن بارت كان يعتمد على الشيخ باكي Cheick Bakaye، وعندما دخل بارت المدينة كان منهك، وانتابه اليأس بسبب عدم وجود شيخها فيها، وقد تمكن بارت من قضاء مدة طويلة تصل إلى ثمانية شهور في تمبكتو، وفي الواقع يرجع ذلك إلى علمه وإلى مقدرته على تكوين صداقات بحيث أن الباكي كان مسرورا لمقابلته للرجل الأوروبي، الذي تمكن من قراءة القرآن الكريم، والذي تمكن من مناقشة مفاهيم الإسلام،

549 Le Niger et les explorations de l'Afrique (2) depuis Mungo Park jusqu'au Docteur Barth, Ferdinand De Lanoye, 115.

وكتب بارت ما نصه: "أنا لم أتقدم إلى الأمام دون أن أترك صديقا مخلصا من خلفي، وهكذا تأكدت من أنني لو رغبت في أن أقتفى أثر خطواتي السابقة فإنني من المحتمل أن أفعل ذلك بأمان".⁵⁵⁰

وبعد أن غادر بارت تمبكتو أبحر هابطا مع نهر النيجر إلى مدينة ساي، عندئذ سافر بالبر من خلال سوكتو إلى بورنو، وكان قد وصل إلى علم بارت أن بعثة بريطانية أخرى في طريقها إلى أواسط أفريقيا ويرأسها عالم ألماني شاب هو الدكتور أدوارد فوجيل *Edwarde Vogele*، ولم يمض وقت طويل على مغامرته في كانوا إلا وقد رأى شخصا ذو ملامح غربية يتقدم نحوه كان هذا الشخص رجل شاب ذو هيئة جميلة، وكان مرتديا زيا مثل الزي الذي كان يرتديه بارت فكان يرتديا على رأسه عمامة بيضاء ملفوفة بكثافة حول رأسه، وبرفقتة رجلين من السود كانوا ممتطين الخيول، وقد أخبر أحد الأفارقة وهو خادم سابق لبارت بأن الرجل الشاب هو المستر فوجيل الذي اندفع نحو بارت بحيث أصابت الدهشة كل من الرجلين واستقبل كل منهما الآخر من على ظهر حصانه بحماسة شديدة، وقد علم بارت أن فوجيل كان متضايقا لاعتقاده بأن بارت كان على قد مات، وأنه أرسل تقريراً إلى أهله عن وفاته، وعندئذ قرر بارت لأن يعود بنفسه إلى الوطن كي يثبت أنه لا يزال على قيد الحياة ولم يمت بعد.⁵⁵¹

550 Voyages et Découvertes dans l'Afrique Septentrionale et Centrale Pendant les années 1849 a 1855, Heinrich Barth, P : 219.

551 Le Niger et les explorations de l'Afrique (2) depuis Mungo Park jusqu'au Docteur Barth, Ferdinand De Lanoye, 117.

وبعد ذلك تفرق الرجال، فكان على فوجيل أن يكمل اكتشافات بارت، فاتجه إلى جنوب بحيرة تشاد لكي يكتشف الإقليم الواقع بين البحيرة ونهر النيل، ووصل فوجيل أثناء رحلته عبر أفريقيا إلى وادي Wadaye التي تقع في ثلث المسافة من النيل وهنا تم اغتياله، وبعد مقتله أرسل من أجله ما لا يقل عن سبع بعثات للبحث عنه وإيجاده، وقد نجحت بعثة واحدة فقط من السبع بعثات في الوصول إلى وادي، وكانت هذه البعثة تحت قيادة رجل ألماني آخر يدعى فون بورمان Vone Bourmane وفي عام 1863م اغتيل بورمان أيضا. 552

وفي هذا الوقت عبر بارت الصحراء إلى مرزوق ومنها إلى طرابلس ومن الأخيرة وصل إلى إنجلترا، وكان ذلك في خريف عام 1855م بعد رحلة دامت أكثر من خمس سنوات، وتعتبر هذه الرحلة سجل للتحمل البطولي حيث نتج عنها نتائج جغرافية عظيمة أو أعلى جانب كبير من الأهمية، وفي عام 1865م كافأت الجمعية الجغرافية الملكية بارت بميدالية الجمعية، وحتى ذلك التاريخ فلم تتبع كشوف بارت بجهود كشفية أخرى حتى أن بارت ظل غير معروف للعامة ولكن فيما بعد جذب الاهتمام والانتباه إلى الاكتشافات الهامة في جنوب أفريقيا، وذلك عن طريق كتابه "رحلات واكتشافات في شمال ووسط أفريقيا في الفترة ما بين 1849-1855م"، وقد شرح بارت هذا الكتاب العمل الضخم الذي قام به. 553

ولقد مضى بعض الوقت قبل أن يتم تقييم وتقدير الأعمال الكشفية التي قام بها بارت، ولكن في عام 1890م وصف مكتشف آخر يدعى جوزيف تومسون Joseph Thomsone عمل بارت في كتابه الذي كتبه بعنوان "مونغو بارك والنيجر" يقول فيه ما نصه: (لم يسبق من قبل أن كتب عن حقائق جغرافية وسلاية ولغوية في المجال الأفريقي كالتى كتبها بارت). 554

552 نفسه، ص: 120.

553 Le Niger et les explorations de l'Afrique (2) depuis Mungo Park jusqu'au Docteur Barth, Ferdinand De Lanoye, 122.

554 مونغو بارك والنيجر، جوزيف تومسون، لندن، 1890م، ص: 25.

عاد بارت إلى ألمانيا حيث حضر لكتاب "جامع لمفردات لغات غرب أفريقيا" في عام 1858م قام برحلة أخرى إلى تركيا، وفي عام 1862م زار أوروبا التركية، وفي السنة اللاحقة عين أستاذا للجغرافيا في جامعة برلين ورئيسا للجمعية الجغرافية، ومات بارت في برلين عام 1865م عن 44 عاما. 555

نلاحظ مثابة بارت في أهدافه حيث واصل اكتشافه رغم وفاة زميله المكبر "جيمس ريتشاردسون و لودويغ أفروينغ" وكان الرجال الثلاثة قد اتفقوا على الالتقاء في كوكا، لم يحافظ ريتشاردسون على الموعد في هذا اللقاء مع أن أفروينغ كان قد وصل إلى بحيرة تشاد وهو حالة مرض، وفي هذا الوقت كان بارت قد اكتشف المقاطعة الواقعة إلى الجنوب الشرقي من بحيرة تشاد، وقد واصل سفره حتى وصل إلى تمبكتو حيث قضى هناك مدة طويلة تصل إلى ثمانية أشهر، ثم غادر تمبكتو واتخذ طريقه تجاه الشرق إلى بحيرة تشاد، وفي الطريق إلى هذه البحيرة علم بأن الحكومة البريطانية قد أرسلت بعثة أخرى للبحث عنه، وكانت هذه البعثة قد وصلت بالفعل إلى بحيرة تشاد، وفي النهاية عبر بارت الصحراء في عام 1855م ورغم الحرارة تمكن من الوصول إلى طرابلس ومنها سافر إلى لندن بعد أن مكث في أفريقيا خمس سنوات، وبعد هذه رحلات عاد إلى ألمانيا حيث عين أستاذا للجغرافيا في جامعة برلين ورئيسا للجمعية الجغرافية، ومات بارت في برلين عام 1865م عن 44 عاما.

وعلى هذا فإن هناك مستكشفون آخرون لم نعرضهم هنا مع أنهم قاموا بدورهم في اكتشاف منطقة غرب أفريقيا، منهم من قام برحلة بمفرده ومنهم من قام برحلة من قبل حكومته، والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها على شبل المثال ولا الحصر: الرحلة الخاصة التي قام بها ريتشاردسون Ritchadssone إلى أفريقيا، ثم بعد ذلك اختارته حكومة البريطانية لقيادة بعثة أخرى إلى الصحراء الكبرى نظرا لخبرته السابقة في هذه المنطقة. وكان من هؤلاء المستكشفون أيضا جون دافيدسون Jhone Davidssone الذي كان قد سافر إلى نطاق واسع في أوروبا الشرقية وإلى وسط وشمال أمريكا، وبعد ذلك وجه اهتمامه إلى الصحراء الكبرى، وكانت خطته أن يعبر الصحراء من خلال طريق القوافل الذي يمر من أرض موريتانيا الصحراوية، ولكنه كان قد حذر من اختيار هذا

555 Le Niger et les explorations de l'Afrique (2) depuis Mungo Park jusqu'au Docteur Barth, Ferdinand De Lanoye, 125.

الطريق بسبب الحرب الأهلية ومع ذلك فلم يرجع الرحلته بل بدأها عام 1836م من مוגادور Mogadore "تعرف في الوقت الحاضر باسم الساويرا Elssaouira" الواقعة على ساحل مراكش في المملكة المغربية الشريفة. ومن بعد ذلك يأتي دور الطبيب وليام بايكي Williame Baikiye الذي أرسله السيد رودريك مورشيزون Roderick Mouchizone رئيس الجمعية الأفريقية عام 1854م إلى أفريقيا ليقوم بمعالجة أفراد البعثة التي أرسلت إلى نهر النيجر في نفس السنة، وكانت هذ البعثة قد سارت مسافة طويلة مع نهر البنوي، ويرجع الفضل إلى الطبيب بايكي في عدم تعرض أفراد هذه البعثة إلى المرض الذي استعمل الكينين Quinine في علاجهم، فلم يمّت أحد منهم.

الجانب الثاني: الاستعمار العسكري والتنصير في غرب أفريقيا:

التنصير والاستعمار وجهان لعملة واحدة، هذه حقيقة أثبت التاريخ صدقها في القارة الأفريقية فحين رأت أوروبا أن تطورها الرأسمالي يفرض عليها وقف استرقاق الأفارقة والبدء في استعمار قارتهم أرسلت جيوشا جراحة من المنصرين وتزاحمت الجمعيات والإرساليات التنصيرية، وبنيت الكنائس الجميلة، وفتحت المدارس التنصيرية، ولم يكن الغرض منها جميعا تمكين الأفارقة من العلم والمعرفة، وإنما كان الغرض منها جميعا تفريغ الأفريقي من أفريقيته وإنسانيته، إذا كان الاستعمار قد استهدف جسد الأفريقي وثروته الطبيعية فإن التنصير قد استهدف روح الأفريقي وثقافته وتراثه.

وقد عبر الأستاذ سونو Sono عن هذا المعنى بقوله: "اتجه المستعمرون إلى استعباد جسد الأفريقي أما المنصرون فق استهدفوا روحه". 556

556 Cristianity in Africa Missionaries and Change, Published by the African Society Sciences, Tripoli, 1975, P: 31.

ولقد اعتبر الكثير من الباحثين الإرساليات التنصيرية في أفريقيا جزءاً من الاستعمار الغربي، لعل أقوى برهان على ذلك كون الاستعمار والتنصير لم ينفك أحدهما عن الآخر قط، فلم يوجد بلد أفريقي وطأته أقدام المستعمرين إلا وترافقهم أو تلحق بهم فوراً جنود التنصير، هذا إذا لم يكن التنصير هو الأصل ويزحف من ورائه الاستعمار باعتباره الجسر الذي يعتبر عليه لتنفيذ مخططاته التوسعية. 557

وفي بعض الأحيان نجد أن التنصير يمهّد للاستعمار أولاً ليصبح الاستعمار بعد ذلك مستهلاً لحملات التنصير، وفي هذا يقول اللورد بلفور Arthur Balfour - الذي كان وزير خارجية بريطانيا: "إن المبشرين هم ساعد جميع الحكومات المستعمرة وعضدها في كثير من الأمور المهمة، ولولاهم لتعذر على تلك الحكومات أن تذلل كثيراً من العقبات، ولذلك فإننا في حاجة إلى لجنة دائمة تعمل لما فيه صالح المبشرين". 558

ويقول كونوي زيغلر Conway Zeigler في رسالته للماجستير بجامعة برنستون الأمريكية: "لقد سار المكتشفون والتجار والجنود (المستعمرون) والمنصرون معاً من فتح إلى فتح ... ولكن ليس من شك في أن التوسع الاستعماري كان له وجهان - اقتصادي وسياسي - وكان النشاط التنصيري جزءاً أساسياً من هذا التوسع الأوروبي". 559

وبعد ما تمت الدراسات المسحية إبان الاستكشافات جاءت مرحلة الاستعمار العسكري، فكان ضمن الجيش الأوروبي مئات المنصرين، وتزاحمت مع الزحف الصليبي الجديد الجمعيات والإرساليات التنصيرية؛ فكان الاستعمار والتنصير وجهان لعملة واحدة، فحينما حط المستعمرون في العالم الإسلامي أرجلهم وأسسوا قواعدهم العسكرية بادر المنصرون من بينهم إلى بناء المدارس الكنائس بجانبها.

557 قوى الشر المتحالفة - الاستشراق، التبشير، الاستعمار - وموقفها من الإسلام والمسلمين، محمد محمد الدهان، ط 2، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1988م، ص: 48.

558 نفسه، ص: 48.

559 أصل هذا الكتاب رسالة ماجستير بعنوان: إزهار مؤقت في الصحراء، ترجمة: مازن صلاح مطبقاني بعنوان: أصول التنصير في الخليج العربي، ط 1، مكتبة المسلم، القاهرة 1990م، ص: 31.

وعلى هذا كان المنصرون يمثلون طلائع الاستعمار وعيونه وقواه الخفية والمريئة، وهذا ما يقرره الدكتور والتر رودني Walter Rodney: "وقد كانت البعثات التبشيرية المسيحية جزءا من قوى الاستعمار إلى حد كبير مثلها في ذلك مثل المكتشفين والتجار والجنود، وربما يكون هناك مجال للمجادلة حول ما إذا كانت البعثات التبشيرية في مستعمرة ما هي التي جلبت قوى الاستعمار الأخرى أم أن العكس هو الصحيح، ولكن ليس هناك شك في حقيقة أن البعثات التبشيرية كانت أدوات الاستعمار من الناحية العملية لدرجة أن كل موقع لبعثة تبشيرية هو تدريب على الاستعمار".⁵⁶⁰

ولقد كان الحكم الاستعماري عوناً كبيراً للمنصرين، ويعتبر من العوامل الأساسية والتي ساعدت على ذلك ما يلي:

أولاً: وحدة العقيدة الثالوثية، للمستعمرين الأوروبيين ومن ضمنهم رجال الكنائس، فاشتراكهم في العقيدة وانتمائهم للثقافة القمعية المتغترسة أدى إلى اشتراكهم في النظرة نفسها إلى العالم غير المسيحي.

ثانياً: العلاقة الوثيقة بين الإدارتين العسكرية والروحية، فكون الأولى هي التي مهدت الطريق للأخيرة جعل من الواجب عليها وهي تحقق هدفها الأسمى للاحتلال أن تتخذ موقفاً إيجابياً من المنتمين للكنيسة وتدعمهم في كافة المجالات لوحدة المقاصد.

ثالثاً: السيطرة الاستعمارية كفلت الأمن والحماية المطلقة للكنيسة وبالتالي اطمئن حامل الصليب في الماضي قدماً لنشر أفكاره الثالوثية تحت ظل الهيمنة العسكرية الأوروبية.

ورغم كل ذلك فقد عبر رد فعل العالم غير النصراني تجاه هذه المحاولة التنصيرية عن نفسه بحسب طبيعة البلد المستهدف وأوضاع الجماعة المستهدفة، ومدى اعتناقها لديانة سماوية أو اعتزازها بما هو عليه من عقائد وثنية، ومدى تغلغل النفوذ النصراني الديني والسياسي إليها في وقت مبكر، وقد تباينت الأوضاع واختلفت الحالات من بلد لآخر ومن مجتمع لآخر، وحيث إن المقام لا يسع لمزيد

560 أوروبا والتخلف في أفريقيا، د/ والتر رودني، ترجمة: د/ أحمد القصير، عالم المعرفة، الكويت، 1998م، ص: 369.

من الاتساع -نظرا لكون الدراسات المتخصصة بالاستعمار قد قدمت ما يغنيا- فسنقتصر على حالة دول غرب أفريقيا.

لقد عبر رد فعل الأفريقي تجاه محاولة التنصير عن نفسه بثلاث طرق متميزة هي: الرفض التام - والتقبل - والمواءمة.

1- الراضون للتنصير:

يعتبر المسلمون طليعة الذين رفضوا دعوة المسيحية، وقفوا أمام الزحف الصليبي في فجره الأول، فلم يزدحم هذه المحاولات المصاحبة للاحتلال العسكري إلا إيماننا بصدق ما هم عليه من المبادئ السمحة التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، فقالوا: هذا ما أخبرنا به الله في القرآن الكريم، ووعدنا به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ فلم يقبلوا غير الإسلام ديناً، فرفضوا الرسالة التي حملها الصليبيون برمتها، ودعوا إلى محاربة الاستعمار وأعلنوا الجهاد ضد الغزاة في غير ما موقف، حيث كان حكم الأبيض يعني بالنسبة إليهم خضوعهم للكفار وهو ما لا يطيقه أي مسلم.

وإلى جانب المسلمين يوجد غالبية الوثنيين الذين رغم شركهم بالله رفضوا دعوة التنصير، وتمسكوا بتقاليد آبائهم الوثنية، إذ رأوا من الدلالة والمغزى ما يفوق كل ما جاءت به مواعظ النصارى مع التساوي في عبادة ما يشبه أصنامهم، فلم تكن ثمة حاجة لترك صنم لصنم مثله، وقد شارك هؤلاء في مقاومة الاستعمار لأن المسألة لا تمس الإسلام فحسب وإنما تمس كرامة المواطن وعرضه وماله وهي أمور لا يتهاون في المحافظة عليها عاقل.

2- الموافقون على دخول النصرانية:

قبلت فئات من الوثنيين الدخول في النصرانية بسهولة، وكانت هذه الفئات تتألف من بعض منبوذي المجتمعات والمهضومين مثل المذومين وذوي العاهات وغيرهم ممن كانوا يعانون من صور مختلفة من أوجه العجز الاجتماعي في المجتمعات التقليدية، فأصبحوا يلتحقون بالمراكز الطبية لتلقي العلاج مما جعلهم يكتسبون الأمل والثقة من تعاليم الكنيسة.

وكذلك كانت هذه الفئة تمثل الأفراد الذين حرقوا محرمات تقليدية معينة فأصبحوا هاربين من الملاحقة، ولم يجدوا ملاذاً آمناً أفضل من مراكز التنصير والإرساليات تحت حماية الاستعمار.

3- المتعاطفون مع الكنيسة:

إلى جانب الفريقين فثم فريق ثالث استقبل الاستعمار والتنصير بالمواءمة متمثل في الوثنيين الذين حرصوا على مواصلة إقامة الشعائر التي تستهدف المحافظة على الانسجام بين الخبرة البشرية وبين القوى الروحية، فلم يمنعهم تعاطفهم مع النصارى ترك أوثانهم، كما لم يجلبهم لدخول النصرانية، وإنما حافظوا على ثقافتهم ومعارفهم الوثنية التقليدية.⁵⁶¹

وجدير بنا أن نذكر بعض مميزات هذه المرحلة (مرحلة الاستعمار والتنصير في غرب أفريقيا):

1- اتضح خلال هذه المرحلة أن الاستعمار كان أدوات البعثات التبشيرية كما كان عيونها

وقواها الخفية والمرئية من الناحية العملية لدرجة أن كل موقع لبعثة تبشيرية هو تدريب على الاستعمار، وكانت الحليفة والمعينة بالدرجة الأولى للإمبريالية الأوروبية، وإن نشاط المنصرين كان جزءاً لا يتجزأ من تقدم الغرب أو نفاذه إلى قلب العالم غير الغربي.

2- ونلاحظ كذلك في هذه المرحلة رد الفعل الأفريقي تجاه محاولة التنصير عن نفسه بثلاث

طرق متميزة وهي: الرفض التام، والتقبل، والمواءمة.

3- لقد كان الحكم الاستعماري عوناً كبيراً للمنصرين، ويعتبر من العوامل الأساسية التي

ساعدت على ذلك ما يلي: وحدة العقيدة الثلاثية، السيطرة الاستعمارية كفلت الأمن والحماية المطلقة للكنيسة وبالتالي اطمأن حامل الصليب في المضي قدماً لنشر أفكاره الثلاثية تحت ظل المهيمنة العسكرية الأوروبية.

561 تاريخ إفريقيا العام، المجلد 2، منشورات اليونسكو، المشرف على المجلد/ د: جمال مختار، 1985م، ص: 535.

المبحث الثاني: المسلمون والحركة التنصيرية في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى:

تغطي القارة الأفريقية باهتمام كبير في إطار المخططات التي تحيكها الهيئات الكبرى المعني بنشر النصرانية "المسيحية" في العالم، وفي مقدمتها: مجلس الكنائس العالمي، والفاتيكان؛ حيث أخذ مجلس الكنائس العالمي على عاتقه مهمة نشر المسيحية في أفريقيا.

المطلب الأول: دعوى النصارى تحول أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى إلى النصرانية:

ينظر الفاتيكان إلى القارة الأفريقية باعتبارها الأرض الخصبة الملائمة لكي تكون موطنًا صالحًا للعملية التنصيرية، خاصة مع تراجع المقبلين على الكنيسة الكاثوليكية في الدول الغربية، ومن ثم نظم الفاتيكان مؤتمر روما التنصيري في عام 1993م تحت شعار "تنصير أفريقيا عام 2000"، كما بلغ اهتمام المنظمات المسيحية بأفريقيا درجة جعلت بعض الدوائر الكنسية تتنبأ بأنه في نهاية القرن العشرين سيكون واحد من كل اثنين في أفريقيا مسيحيًا.

ويسلك المعنيون بنشر المسيحية في أفريقيا بطريقتين أساسيتين هما: التنصير، والتبشير؛ والتنصير: هو تحويل المسلمين عن دينهم إلى اعتناق النصرانية "المسيحية"، أما التبشير: فهو نشر المسيحية بين غير المسلمين، لاسيما أتباع الديانات التقليدية غير السماوية، أي أن التنصير والتبشير يتفقان في الغاية النهائية، ولكنهما يختلفان من حيث الجمهور المستهدف.

ومما لا يسوغ إنكاره، لوضوحه كضوء الشمس في منتصف النهار، أن المنصرين ركزوا هجماتهم وحملاتهم على القارة الأفريقية، وأن صولاتهم وجولاتهم في ربوعها أكثر منها في غيرها من قارات العالم - فهذا البروفيسور بروز لورانس Beroze Loransse - وهو نصراني يقول: "هناك عدد لا بأس به من المنصرين الأمريكيين يخرجون من الولايات المتحدة إلى أفريقيا وهم على درجة عالية من التدريب والتأهيل بهدف واحد هو إحلال النصرانية في أفريقيا وإخراج الإسلام منها - والمنصرون هؤلاء يتصورون معركة بين الإسلام والنصرانية على حساب أفريقيا".⁵⁶² وقال أيضا: "وهم

562 الغارة على العالم الإسلامي، أ ل شاتليه A Le Chatelier، ترجمة: محب الدين الخطيب، ط 1، منشورات العصر الحديث، القاهرة، 1931م، ص: 29.

يستهدفون أفريقيا بشكل كبير، ويقولون إن المعركة الكبرى بين الإسلام والمسيحية ستكون على الحلبة الأفريقية وأن القارة السوداء هي الجائزة الكبرى".⁵⁶³ ويكفي أن نعلم أن من بين 220 ألف منصر ومنصرة حول العالم، يعمل 119 ألف منهم في أفريقيا وحدها.⁵⁶⁴ أي أكثر من 50%.

أما بخصوص دعوى التحول عام 2000م، فقد رسم الفاتيكان خططها، بل ويشرف البابا نفسه على تنفيذ الخطط، ويتابع مدى نجاحها، وتم تخصيص مبلغ ثلاثة مليارات دولار، وتوظيف 150 ألف منصر للقيام بهذه المهمة، وإضافة إلى ذلك أن زيارات البابا يوحنا بولس الثاني Pape Jean Paul II للقارة الأفريقية أكثر منها لأي قارة أخرى، حيث وصل المعدل إلى ثلاث زيارات قام بها خلال خمس سنوات فقط 1980-1986م، زار خلالها أكثر من عشرين دولة أفريقية، لم يستثن منها دولة مثل السنغال التي لا تتجاوز نسبة النصارى فيها 3%، وعلى العكس جعلها أولى محطاته في إحدى هذه الزيارات، ويقول أحد المتحدثين باسم الفاتيكان: جوسكين نفارو Joskine Navaro: "إن أفريقيا -شأنها شأن أمريكا اللاتينية- هي (خزان) للكاتوليكية في المستقبل".⁵⁶⁵

ومن الخطأ وسوء التقدير أن نظن بأن البابا حين أعلن أن أفريقيا ستصبح قارة نصرانية في عام 2000م كان يقصد أن يصبح كل فرد في القارة نصرانيا، إذ لم يحصل هذا حتى في موطن النصرانية ومركز قوتها في أوروبا وأمريكا، ولكن الرجل وهو يعلن هذا التحدي السافر كان يدرك تماما ما تحت تصرفه وتصرف الهيئات التنصيرية الأخرى من الإمكانيات المادية الهائلة، وغيرها من وسائل الضغط والتأثير، وقلب موازين القوة والنفوذ في هذا العالم المعاصر الكثير التقلبات.⁵⁶⁶ وسنشير إلى جملة منها فيما بعد بإذن الله.

563 نفسه، ص: 30.

564 التنصير، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص: 168.

565 وجاء الدور على الإسلام، رضا العراقي، مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة، بدون سنة، ص: 58.

566 دراسة ميدانية عن الحركات التنصيرية في العالم الإسلامي، عبد الودود شلبي، ط 1، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، 1989م، ص: 22.

مما يجب الإشارة إليه هو أن البابا كان على علم يقيني بما يعيشه كثير من الأفارقة ويعانون منه، من فقر، ومرض، وجوع، وجهل، وحرب، وما هنالك من الأوضاع التي يمكن استغلالها بسهولة، وجني ثمار وأرباح طائلة كلها تصب في مصلحة النصرانية والتنصير.

المطلب الثاني: مراكز التنصير وجمعياته في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى:

تعتبر مراكز التنصير وجمعياته الجهة المنفذة لسياسات ومخططات التنصير التي غالبا ما ترسمها الهيئات الداعمة والممولة، وهذا يعني أن خطورتها لا تقل بأي حال من الأحوال عن خطورة الجهات الداعمة نفسها، بل تفوقها بمراحل؛ فالدعم مهما بلغ حجمه فإنه بلا شك يحتاج إلى مستثمر يعرف الطريقة المثلى لتوظيف هذا الدعم كي يعطي ثماره. ومن أبرز هذه المراكز في القارة الأفريقية ما يلي:

- 1- مركز الاتصالات والدراسات المتقدمة لإرساليات التنصير (البروتستانتية): يقوم هذا المركز بإعداد دراسات وإحصائيات دقيقة عن أوضاع التنصير في المناطق المختلفة من القارة، ومدى نجاحه أو فشله، وأسباب ذلك، وكذلك عن أوضاع الإسلام والمسلمين ومدى الارتفاع أو الانخفاض في نسبهم المئوية من السكان. 567
- 2- كنيسة أفريقيا الداخلية في شرق أفريقيا والكنائس الأنجليكانية لغرب أفريقيا: فقد ورد الشاء على هاتين المؤسستين في مؤتمر كولورادو التنصيري بسبب جهودهما الملموسة في تنصير المسلمين. 568
- 3- دار النشر التنصيري/ الإنجيلي بكينيا: يتولى هذا الدار بنشر عدد كبير من المؤلفات التنصيرية في المنطقة.
- 4- الجامعة الكاثوليكية: تم تأسيس هذه الجامعة في كثير من البلدان الأفريقية وخاصة في الدول الأغلبية المسلمة، كغينيا كوناكري، وساحل العاج، والسنغال.

567 التنصير في القرن الأفريقي ومقاومته، سعيد أحمد يحيى، ط 1، دار الأمير، الرياض، 1986م، ص: 336.

568 التنصير في القرن الأفريقي ومقاومته، سعيد أحمد يحيى، المرجع السابق، ص: 346.

- 5- كلية فورابي في سيراليون: حيث ظلت لفترة طويلة المدة الرئيسة لنيجيريا وغيرها بالمنصرين المتخرجين فيها.
- 6- الاتحادات أو الجمعيات النصرانية الوطنية؛ ومن أقواها نفوذا الجمعية النصرانية النيجيرية.
- 7- المدارس والمعاهد التنصيرية/ النصرانية المنتشرة في جميع أنحاء القارة الأفريقية.
- 8- منظمات الطلبة النصارى في الجامعات والمعاهد العليا.
- 9- محطات الإذاعات وقنوات التلفاز التنصيرية.
- 10- المستشفيات النصرانية والمراكز الصحية التابعة لها.

هذه بعض مراكز التنصير في القارة، والآن سنعرض بعض جمعيات التنصيرية في القارة الأفريقية، وأبرز هذه الجمعيات مرتبة حسب تاريخ إنشائها:

- 1- جمعية لندن التنصيرية، وتأسست سنة 1765م، وهي موجهة إلى أفريقيا.
- 2- جمعية تبشير الكنيسة الأنجليكانية البريطانية، وتأسست سنة 1799م، وتدعم من الأسرة المالكة في بريطانيا.
- 3- جمعية طبع الإنجيل البريطانية، وتأسست سنة 1804م، وتهتم بالطبع والترجمة والتوزيع.
- 4- الجمعية المسيحية الإرسالية، وتأسست سنة 1842م مع بدء النشاط التنصيري في نيجيريا الجنوبية، ووضع لها راع من نيجيريا برتبة أسقف ويدعى "صمويل آجاي كراوتر".
- 5- جمعية طبع الإنجيل الأمريكية، وتأسست سنة 1816م، ولها مطابع ومكتبات تجارية في البلاد العربية كمطبعة النيل ومكتبة الخرطوم.
- 6- جمعية الكنيسة التنصيرية، ونشأت سنة 1844م، وتركز على التعليم والخدمات العلاجية،

ويسهم الألمان فيها بجهود.

7- الجمعيات العسكرية المسيحية: يعود تاريخ تأسيس الجمعيات العسكرية المسيحية إلى عام 1851م عندما تأثر الكابتن جون تروتر، وهو ضابط في سلاح الفرسان البريطاني في الهند، بالروحانية المنخفضة في البلاد وشعر بالحاجة إلى تأسيس جمعية مسيحية.

8- جمعية الشبان النصارى، ونشأت سنة 1855م، ومنها ظهرت.

9- إرسالية الجامعات لوسط أفريقيا، ونشأت سنة 1856م. وقد قامت تلبية لنداءات المستكشفين الجغرافيين الإنجليز في الجامعات والجمعيات البريطانية.

10- جمعية الروح القدس في زنجبار، وتأسست سنة 1863م، وهي كاثوليكية، وتهتم بالعلاج والتعليم الصناعي.

11- اتحاد البعثة التنصيرية الإنجيلية، وتأسست سنة 1890م في الولايات المتحدة الأمريكية.

12- جمعية اتحاد الطلبة النصارى، وتأسست سنة 1895م.

13- حملة التنصير العالمية، وتأسست سنة 1913م في الولايات المتحدة الأمريكية، وتهتم بالطب والتعليم والأدب والترجمة.

14- زمالة الإيمان مع المسلمين، وأنشئت سنة 1915م في بريطانيا وكندا، وتهتم بالمطبوعات.

15- إرسالية الكنيسة الحرة الاسكتلندية، وتهتم بالصناعات اليدوية والزراعة.

هذه نماذج فقط من المراكز والجمعيات التنصيرية المتعددة والمتنوعة الأهداف والتخصصات، وهناك موسوعة كاملة بالإنجليزية ترصد المعلومات عن معظم الجمعيات التنصيرية في العالم، وتخضع للمراجعة الدورية، فتضيف جمعيات جديدة، وتجدد المعلومات عن جمعيات قائمة، وتقدم عرضاً للجهود المبذولة على مستوى حملات التنصير في العالم.

المبحث الثالث: أهداف ووسائل التنصير وأسباب نجاحه وسبل مواجهته في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى:

قال عز وجل: {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} 569.

وقال تعالى: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} 570.

وقوله تعالى: {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} 571.

المطلب الأول: أهداف ووسائل التنصير في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى:

التنصير في أساسه يهدف إلى تمكين الغرب النصراني من البلاد الإسلامية وهو مقدمة أساسية للاستعمار وسبب مباشر لتوهين قوة المسلمين وإضعافها، لذا يجب أن نشير إلى بعض أهداف المنصرين وبعض وسائلهم التي يستخدمونها لتحقيق أهدافهم في القارة الأفريقية، وقد قسمنا هذا المطلب إلى جانبين، فالله نسأل التوفيق.

569 سورة البقرة، الآية: 109.

570 سورة البقرة، الآية: 120.

571 سورة التوبة، الآية: 32.

الجانب الأول: أهداف التنصير في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى:

من خلال عرض مجموعة من المفاهيم المتغيرة للتنصير يمكن الخروج بمجموعة من الأهداف التي يسعى المنصرون إلى تحقيقها بوسائل شتى، سيأتي الحديث عنها، وتتراوح الأهداف فيما يتعلق بالوصول إليها إلى أهداف قريبة المدى وأخرى بعيدة المدى غير ملموسة النتائج بوضوح، ويظهر أن من أهم الأهداف التي يسعى المنصرون إلى تحقيقها في مواجهة الإسلام بصفة خاصة وفي نشر الديانة المسيحية بصفة عامة، ومن أهم هذه الأهداف ما يلي:

- 1- الحيلولة دون دخول النصارى في الإسلام، وهذا الهدف موجه إلى المجتمعات التي يغلب عليها النصارى، ويعبر عنه بعض المنصرين بحماية النصارى من الإسلام. وفي هذا يقول المستشرق الألماني "بيكر": "هناك عدااء كبير من النصرانية تجاه الإسلام؛ لأنه بانتشار الإسلام وجد سد منيع في وجه انتشار النصرانية، بل إن الإسلام امتد وصار ينتشر في البلاد التي كانت تخضع لصولجان النصرانية".⁵⁷²
- 2- الحيلولة دون دخول الأمم الأخرى - غير النصرانية - كالهندوس والبوذيين والفوديين في الإسلام والوقوف أمام انتشار الإسلام بإحلال النصرانية مكانه، أو بالإبقاء على الملل والنحل والعقائد المحلية المتوارثة.
- 3- إخراج المسلمين من الإسلام، أو إخراج جزء من المسلمين من الإسلام، وهذا من الأهداف طويلة المدى، لأن النتائج فيه لا تتناسب مع الجهود المبذولة له من أموال وإمكانات بشرية ومادية، ذلك لأنه يسعى إلى هدم الإسلام في قلوب المسلمين، وقطع صلتهم بالله تعالى، وجعلهم مسخا لا تعرف عوامل الحياة القوية التي لا تقوم إلا على العقيدة القويمة والأخلاق الفاضلة" يقول الله تعالى: {يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ

572 الثقافة الإسلامية والتحديات الفكرية المعاصرة وحقوق الإنسان، حسن عبد الغني، النشر العلمي والمطابع - جامعة الملك سعود، الرياض، 2014م، ص: 66.

بِأَفْوَاحِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} 573.

4- تشكيك المسلم في الإسلام وقذف الشبه في قلبه، وقد اعترف القسيس المنصر "صموئيل زويمر" بذلك في مؤتمر القدس التنصيري المعقود عام 1935م، أثناء مواساته للمنصرين الآخرين الذين اشتكوا من قلة عدد المسلمين الداخلين في النصرانية، فقال لهم: "إن مهمتكم الكبرى ليست في إدخال المسلمين في النصرانية، فهذا هداية لهم وإكرام لا يستحقونه، وإنما مهمتكم تشكيك المسلم في الإسلام؛ ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله ولا بالأخلاق التي تعتمد عليه الأمم في حياتها". 574.

5- المطالبة بحرية الاعتقاد وحرية الرأي، ليقى المسلمون متفرقين ومنشغلين فيما بينهم، يقول في هذا الصدد القسيس "لورنس براون": "إذا اتحد المسلمون أمكن أن يصبحوا خطرا على العالم، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون بلا وزن ولا تأثير". 575.

6- تأييد دعاة الفساد الفكري والأخلاقي في بلاد المسلمين، وإخراج جيل ضعيف علميا ودينيا من بين المسلمين يقومون بالسيطرة على الإعلام وغيرها من وسائل التسلط على عقول المسلمين.

7- تسفير من يقدر على تسفيره إلى دول الغربية ككندا وأمريكا وغيرها، ويدخلون على شخص من الباب الذي يحب، فهم كالسفراء الذين يرحلون من قدروا على ترحيله، الهدف ليس هؤلاء الذين يرحلون الآن بل أولادهم وأحفادهم الذين سيولدون في هذه الدول الغربية وسينمون بالأفكار والعادات الغربية، وهذا أيضا من أهدافهم الطويلة المدى.

573 سورة التوبة، الآية: 32.

574 الثقافة الإسلامية والتحديات الفكرية المعاصرة وحقوق الإنسان، حسن عبد الغني، المرجع السابق، ص: 66.

575 نفسه، ص: 67.

هذه بعض أهم أهداف المنصرون في العالم الإسلامي عامة وفي أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى خاصة، وعلى هذا يجب أن نشير إلى بعض المؤسسات التي يعتمد عليها المنصرون في تحقيق أهدافهم، ومن هذه المؤسسات ما يلي:

1- المؤسسات الكنسية والدينية: ومن ذلك الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي، حيث

أنفقت الفاتيكان الكنسية التي تملك كثيرا من عقارات أوروبا ومؤسساتها 145 بليون دولار سنويا - في عقد الثمانينات من القرن العشرين الميلادي - على النشاط التبشيري، وكان يعمل في أجهزتها 1,4 مليون عامل متفرغ، وهي تدير 13000 مكتبة عامة، وتنشر 22000 مجلة بمختلف لغات العالم، كما قامت بطبع 4 بلايين نسخة من الكتب في العالم الواحد، وتشرف على إدارة 1800 محطة إذاعية وتلفزيونية، وتجنّد 1 مليون مبشر تنصيري في آسيا وأفريقيا فقط، يساعدهم 3,5 مليون مبشر محلي. 576

2- المؤسسات التجارية والسياسية: لم تبخل العديد من المؤسسات التجارية والسياسية

الغربية بتقديم التبرعات السخية والدعم المالي النقدي والعيني إلى الجهات التبشيرية التنصيرية في البلاد الإسلامية، وقد سلكت في تحقيق ذلك طرفا شتى، كإقامة المشروعات الاقتصادية، واستثمارية الأراضي الزراعية، وتستخير أرصدة خاصة في البنوك والشركات لصالح الحركة التبشيرية التنصيرية؛ لأنها في النهاية تلتقي مع تلك المؤسسات التجارية والسياسية في العديد من الأهداف المشتركة. 577

576 الثقافة الإسلامية والتحديات الفكرية المعاصرة وحقوق الإنسان، حسن عبد الغني، المرجع السابق، ص: 67.

577 نفسه، ص: 67.

3- ملوك وأمراء وأثرياء الغرب وغيرهم: يسهم العديد من هؤلاء في الغرب، وفي بعض

البلدان الإسلامية، بتمويل الحركة التبشيرية التنصيرية من ميزانياتهم الخاصة، فيقدمون لها

التبرعات والدعم المالي السخي، سواء كان نقدياً أو عينياً. 578

يمكن القول بأن هذه الأهداف المذكورة أعلاه تمثل أهم ما يسعى المنصرون بعامة إلى تحقيقه في حملاتهم التنصيرية، وتظل هناك أهداف فرعية قد تشتق من مجمل هذه الأهداف المذكورة، ويسعى بعض المنصرين إلى التركيز عليها دون غيرها، بحسب ما تقتضيه البيئة التي يعملون بها، وإليك هذه الأهداف الفرعية.

الأهداف الفرعية: يقول الدكتور إبراهيم عكاشة علي في كتابه "علم التبشير: مناهجه وتطبيقاته": أن هذه الأهداف "الأهداف الفرعية" جميعها وتفرعاتها ليست بالضرورة مجال اهتمام جميع المنصرين، ولا يظن أن كل منصر يمكن أن يعمل على تحقيقها كلها أو معظمها، بل قد يبدو عن بعض المنصرين عدم حماسهم لبعض هذه الأهداف المذكورة هنا، وربما يرفض البعض منهم أن يزج في سبيل تحقيقها، ذلك لأنه غير مؤهل لتحقيق كل ما يريد التنصير تحقيقه من ناحية، بسبب عدم تخصصه في جميع فروع التنصير الذي أضحي - كما يقال - علماً من العلوم التي تتلقى على مقاعد الدراسة وقاعات المحاضرات، واكتسب المصطلح الذي ينتهي بالإيحاء بأنه علم ملصقة بكلمة البعثة (missionologie)، وأصبحت فكرة التخصص أيضاً مهيمنة في مجال التنصير، كما أصبحت معاهد التنصير ومدارسه تنشئ أقساماً فيها وشعباً، تجدد في كل قسم أو شعبة تركيزاً على هدف من الأهداف، أو على بيئة جغرافية أو ثقافية تسعى إلى تحقيق هدف واحد أو أكثر مما يمكن تحقيقه في هذه البيئة أو تلك. 579

578 نفسه، ص: 67.

579 علم التبشير: مناهجه وتطبيقاته، إبراهيم عكاشة علي، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، "جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية"، ع 5، 1981م، ص: 125.

وإذا لاحظنا أن بعض المنصرين مدفوعون بالحماس والعاطفة الدينية والرغبة الصادقة في إنقاذ العالم، ندرك أن الرغبة في تحقيق أهداف احتلالية "استعمارية" أو أهداف سياسية قد لا تكون واردة عند هذه الفئة، لأنهم في الغالب غير متفكرين مع السياسات الغربية الداخلية والخارجية، فالحماس والعاطفة الدينية تملي عليهم أن هذه الدول الغربية علمانية لا تأخذ من الدين إلا ما يخدم أهدافها وسياساتها في الداخل والخارج، ومن ذلك استخدام التنصير لتحقيق أهداف استعمارية وسياسية واقتصادية.

ولعله من الموضوعية بمكان أن نذكر أن هناك منصرين مخلصين في أعمالهم التنصيرية من منطلق ديني بحت، وقد رأوا في دينهم أنه هو الخلاص للبشرية من المشكلات العاصفة بها، وإذا ما وجد البديل الحق ووجدوا فيه الخلاص الحق تركوا التنصير والنصرانية واعتنقوا هذا البديل الحق وصاروا دعاة له بدلا من أن يكونوا دعاة ضده هادمين له إن استطاعوا.⁵⁸⁰

الجانب الثاني: وسائل التنصير في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى:

لقد عمل المنصرون على استغلال كل الأساليب المتاحة لتحقيق أهدافهم، وقاموا بدراسة أحوال المسلمين للتعرف على مواطن القوة والضعف فيهم، وحددوا الطرق الموصلة إلى قلوبهم وعواطفهم، ثم أقبلوا على التنصير من خلال العديد من الوسائل والصور، وقبل الخوض في عد هذه الوسائل لا بد من توزيعها بحسب أنواعها وأنماطها، فهناك وسائل صريحة وأخرى خفية، فرضتها الحالة التي وصل إليها العالم اليوم في تقنية الاتصال والمعلومات والمواصلات، وتنوع الوسائل وتعددتها وتجددها، وتطويرها للبيئة التي تعمل بها والمستهدفة من التنصير.

580 علم التبشير: مناهجه وتطبيقاته، إبراهيم عكاشة علي، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، المرجع السابق، ص: 129.

النوع الأول: وسائل التنصير الصريحة:

هناك أنواع كثيرة للتنصير الصريح، وسنكتفي بذكر أبرزها في هذه الفقرة إن شاء الله، ومن هذه الأنواع ما يأتي:

1- التنصير الصريح في المجال الديني: نغني بذلك: الأساليب المتبعة في تنصير مسلمي

أفريقيا وغيرهم تنصيرا صريحا، وذلك بدعوتهم إلى هجر دينهم لعدم صلاحيته في زعم المنصرين، وقبول المسيح ربا ومخلصا، ومن هذه الأساليب ما يلي:

أ- إقامة محاضرات عامة في المدن الكبيرة لا سيما إذا كان أغلب سكانها من المسلمين: وتصل بهم الجرأة في أحيان كثيرة إلى الاستشهاد بآيات من القرآن الكريم بصورة مغلوبة يصطادون بذلك البسطاء من المسلمين، مستغلين جهل الكثير من المسلمين لدينهم.

يقول المنصر جون تاكلي John Takla: "يجب أن نستخدم كتابهم أي: -القرآن الكريم- وهو أمضى سلاح في الإسلام ضد الإسلام نفسه لنقضي عليه تماما، يجب أن نري هؤلاء الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديدا، وأن الجديد فيه ليس صحيحا".

نذكر فيما يلي آيتين من مثل هذه الآيات التي يستدلون بها في الاستشهادات المغلوبة:

● استدلال المنصرين على صحة ديانتهم بقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا

وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ

وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} 581 وهذا سوء فهم هذه الآية الكريمة من هؤلاء

المنصرين، لأن معنى هذه الآية الكريمة وغيرها من الآيات الشرعية الأخرى توضح أن إيمان

اليهود هو التمسك بالتوراة وإتباع موسى عليه السلام حتى مجيء عيسى عليه السلام، أما

581 سورة البقرة، الآية: 62.

بعد مجيء عيسى عليه السلام فمن تمسك بالشرعية التوراة ولم يدعها ولم يتبع الشريعة عيسى كان ضالا. وأن إيمان النصارى من تمسك بالإنجيل منهم وسنة عيسى عليه السلام كان مؤمنا مقبولا منه حتى مجيء محمد صلى الله عليه وسلم، فمن لم يتبع محمدا منهم ولم يدع ما هو عليه من سنة عيسى والإنجيل كان ضالا كذلك.

- استدلالهم على بطلان دين الإسلام بقوله عز وجل: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ} 582. هذا دون أن يكملوا هذه الآية الكريمة، التي تبين نوع هؤلاء المصلين الموعودين بالويل والعذاب، في قوله تعالى: {الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ} 583.

ب- استخدام من يرتد عن الإسلام من المسلمين ليكون هو بنفسه منصرا: نجد هذا اللون من أساليب المنصرين واضحا على صفحات الشبكة العنكبوتية "الانترنت" تحت عناوين مثل: "لماذا تركت الإسلام"، و"كيف تركت الإسلام"، ومثل ذلك. نذكر هنا رجلا في ساحل العاج يدعى موسى كوني Moussa Koné الذي اعتنق المسيحية بعد أن كان مسلما وحافظا لكتاب الله تعالى وكان والده إماما في قريته، فيأتي هذا الرجل وأمثاله يعلنون على الملأ بأنهم كانوا مسلمين متدينين قبل أن يهديهم الرب لقبول يسوع ربا مخلصا في زعمهم. فالأسلوب التنصيري كهذا بالغ الخطورة والتأثير في عوام المسلمين، فليحذر منه أشد الحذر وتنبيهه.

582 سورة الماعون، الآية: 4.

583 سورة الماعون، الآية: 5.

ت- الدعوة إلى الحوار النصراني الإسلامي: التي كان منطلقها المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني في روما بين عامي 1962م - 1965م، والقصد من ذلك إظهار أنفسهم أمام المسلمين على أنهم ليسوا أعداء لهم، وأن مثلهم مؤمنون بكتاب سماوي، وعليه؛ فعلى الأب أو الزوج الذي يمنع ولده أو زوجه من اختيار النصرانية دينا -إن هو اقتنع بذلك- التخلي عن مثل هذا التصرف.

ومما يستهدفونه أيضا من وراء مثل هذا الحوار: مزيد من التشكيك وزعزعة عقائد المسلمين، إذ الحوار كالمعاهدات يظفر فيها بالغنائم من هو أقوى يدا وأرفع صوتا، ومما يؤسف له أن نفرا قد حملهم تيار هذا الحوار إلى حيث لا يريدون، وعلى كل فإن النتائج العملية لذلك الحوار لم تكن بعيدة الأثر في تحقيق الهدف الذي نصب لها، ذلك لأن المخلصين أدركوا أن هذا الحوار هو وسيلة جديدة من وسائل التبشير الديني.⁵⁸⁴

2- التنصير الصريح في المجال التعليم: من أخطر أساليب التنصير أن جعل المنصرون التعليم الذي هو أحد سبل تحرر الإنسانية ورفيها، وسيلة إلى استعباد الأفراد والأمم وسلب أغلى ما عندهم، ألا وهو الدين والعقيدة.

584 التبشير والاستعمار في البلاد العربية، مصطفى خالدي، ط 5، بدون دار ومكان النشر، 1973م، ص: 258.

يقول المنصر هنري هريس Henry Harris: "إن التعليم في مدارس الإرساليات المسيحية إنما هو واسطة إلى غاية فقط، هذه الغاية هي قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا أفرادا مسيحيين، وشعوبا مسيحية".⁵⁸⁵

كان المنصرون أول من بدأ التعليم الغربي في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، فظل التعليم في أيديهم قرابة نصف قرن، وكان المنصرون يحملون أعباء أساسية في إدارة المدارس في جميع الدول الأفريقية الخاضعة للاستعمار،⁵⁸⁶ وما زال التعليم حتى اليوم وسيلة أساسية تستغل لخدمة الأهداف التنصيرية في جنوب الصحراء الكبرى.

ومما يضاف إلى هذا إن شاء المدارس الأجنبية سواء في عهد الاستعمار أو بعده، ففي غينيا كوناكري مثلا ما تزال توجد مثل هذه المدارس بأسمائها النصرانية مثل "سانت ماري Sainte Marie وسان جوزيف Saint Josephe وغير ذلك"، من الأسف الشديد أن هذه المدارس تفرض تدريس الدراسات الانجيلية على الرغم من أن أغلب الطلبة في بعضها مسلمون، لذلك كانت تلكم المدارس مسؤولة مسؤولية مباشرة عن تنصير عدد كبير من أوائل الطبقة الأولى الذين تعلموا بأيديهم في البلاد.

585 التبشير والاستعمار في البلاد العربية، مصطفى خالدي، المرجع السابق، ص: 66.

586 نفسه، ص: 243.

فهكذا يوظف المنصرون في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى التعليم لا سيما في مراحله الأولى لخدمة مصالحهم حتى اليوم، ونشير هنا أيضا إلى كلام أحد المنصر الشهير جون موط John Mouth حيث قال: "يجب أن يحمل الأطفال الصغار إلى المسيح قبل بلوغهم الرشد".⁵⁸⁷ فنجد من خلال هذا أن وجود التعليم في يد المنصرين لا يزال وسيلة من أخطر الوسائل للوصول إلى المسلمين.

3- التنصير الصريح في المجال الاجتماعي: يرفع المنصرون شعارات براقية جذابة، مثل: "الصحة للجميع - الطفل للمدرسة لا للعمل - حقوق الإنسان - حقوق المرأة الخ"، يا ليتها كان الهدف من كل ذلك الإصلاح الحقيقي، لا لتتخذ ذرائع للتسلل بالتنصير إلى المجتمعات المسلمة، وإخفاء كل ما في الإسلام من الأخلاق الحميدة.

ومن أهم الوسائل المستخدمة في هذا المجال الإرساليات الطبية التنصيرية التي تستغل حاجات الأهالي، لا سيما في القرى والأرياف النائية إلى العلاج والدواء، وكان المنصرون الأمريكيون سباقين إلى هذا الميدان منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر.⁵⁸⁸

587 التبشير والاستعمار في البلاد العربية، مصطفى خالدي، المرجع السابق، ص: 68.

588 نفسه، ص: 59.

وكان هؤلاء الأطباء يرون أنفسهم منصرين في المقام الأول قبل أن يكونوا أطباء، فهذا ما يؤكد الدكتور كوك Kouk مؤسس الإرساليات الطبية في منغو بأوغندا يقول: "إن أهداف هذا النوع من البعثات هو أولا إضفاء روح الشفقة الدينية على البعثات التبشيرية الحديثة، ولتأكيد حقيقة القرابة المشتركة بين أفراد الأسرة العالمية، ثم تمهيد الطريق للإنجيل إلى قلوب بني البشر، وأخيرا: معالجة الناس من الأمراض".⁵⁸⁹ هذا بمعنى أن الهدف الأول في هذه الخدمات الطبية هو التنصير أولا ثم يأتي المجال الإنسانية التي هي إنقاذ المرضى من أمراضهم.

ويقول المنصر موريسون Morrison: "نحن متفقون بلا ريب على أن الغاية الأساسية من أعمال التنصير بين المرضى الخارجين في المستشفيات أن نأتي بهم إلى المعرفة المنقذة، معرفة ربنا يسوع المسيح، وأن ندخلهم أعضاء عاملين في الكنيسة المسيحية الحية".⁵⁹⁰ وعلى الرغم من أنهم يرون أن الأفضل أن يتم التنصير الطبي في المستشفيات، إلا أنهم ربما فضلوا أحيانا زيارة المريض في بيته، لا رفقا به؛ وإنما كما يقول موريسون نفسه: "لتكون الفرصة سانحة حتى يبشر هذا الطبيب بين أكبر عدد ممكن من المسلمين في القرى الكثيرة".⁵⁹¹

589 R. Kouk, Médical Missions, CMO, Vol 1, LXIV, 1918, p : 148.

590 التبشير والاستعمار في البلاد العربية، مصطفى خالدي، المرجع السابق، ص: 59.

591 نفسه، ص: 60.

ومن الواقع المشاهد في جمهورية غينيا أن بعض الأطباء النصارى الذين يعملون في المستشفيات الإرساليات يعرضون على مرضاهم التنصير، معلنين أمامهم أن العلاج الحقيقي لما يعانون منه ليس في المستشفى ولا عند الطبيب، وإنما في الكنيسة وعند القسيس، وقبل المعالجة يحملون المريض على الاعتراف بأن الذي يشفيه هو المسيح، وأن يسأل المسيح أن يشفيه.

ومن الأساليب المتبعة أيضا لدى المنصرين، تغلغلهم في البوادي والأرياف، غير مباينين بخطورة التعرض للأمراض والوباء، مع انعدام معظم مرافق الحياة العصرية، فيعيشون مع الفلاحين عيشتهم من غير أن يشعروهم بمهمتهم، لكن سرعان ما يتأثر بهم وأسرههم انتقالاتا هادئا دون أيما ملاحظة أو انتباه. 592 كل ذلك من مكرهم ضد الإسلام والمسلمين فالله المستعان.

ويدخل في هذا الإطار كذلك استغلال رقة المرأة المسلمة وضعفها، حيث شهد في الآونة الأخيرة ذهاب بعض المسلمات إلى الكنائس مع صديقة أو جارة نصرانية، طلبا للإنجاب أو النصرة على عدو، أو الإستبراء مما نزل بهن أو بأولادهن من مرض أو كساد تجارة، ونحو ذلك. 593

592 التبشير والاستشراق، إسماعيل الطهطاوي، الهيئة العامة للتوزيع والنشر، القاهرة، 1977م، ص: 33.

593 التبشير والاستعمار في البلاد العربية، مصطفى خالدي، المرجع السابق، ص: 35.

ومن الأساليب أيضا في الصدد هذا؛ إقامة ملاجئ لإيواء الأطفال الفقراء والأيتام،
وينبغي أن نذكر هنا ما حصل في السنغال المسلمة في أوائل هذا القرن الميلادي من إبرام
البعثات التنصيرية عقودا مع الأسر الفقيرة، تقدم بموجبها إلى هذه الأسر مساعدات عينية
رمزية من أرز ونحوه شهريا، على أن يكون للبعثة حق اختيار واحد من أطفال الأسرة
المعينة دون الخامسة من العمر، تقوم بتربيته تربية نصرانية، ثم ترسله إلى فرنسا ليكمل
تعليمه العالي، قبل أن يعاد إلى البلاد ليقوم بتنفيذ ما يرسم له من أهداف تنصيرية.⁵⁹⁴
ومما ينبغي الإشارة إليه بحذر شديد من مثل هذه الأساليب: استغلال الرخصة الشرعية في
الزواج من الكتابيات التي ربما ادعت بعضهن أنها أسلمت، أو أنها ستسلم بعد مدة معينة
من الزواج من الشاب المسلم، و الخطورة في هذا الزواج غالبا ما هي أن الزوجة ترجع
بالأولاد إلى الكنائس إما بعد موت الزوج أو الطلاق.

والأدهى من ذلك كله: أمر زواج الشابات المسلمات من النصارى، حيث إن ذلك محرم
شرعا، وهناك كنائس في ملاوي Malawie مثلا تتبنى مشروع تزويج المسلمات من
النصارى بإغراءات مالية، وينتج عن ذلك تنصير هؤلاء الزوجات، فنشأ في البلاد جيل
جديد يعبد الصليب، وأجدادهم ممن يشهدون لله الواحدية وللنبي صلى الله عليه وسلم

594 التبشير والاستعمار في البلاد العربية، مصطفى خالدي، المرجع السابق، ص: 3. ودليل واضح على ذلك قضية
رئيس جمهورية السنغال السابق "ليوبولد سيدار سنغور Leopold Sedar Senghor" الذي كان من هؤلاء الأطفال
الذين وقعوا فريسة للتنصير مع أن أبويه وإخوانه مسلمون.

بالرسالة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. 595

4- التنصير الصريح في المجال الإعلامي: يعتبر الإعلام من الوسائل الحديثة القائمة على

الاستفادة من التقدم الكبير في تقنية الاتصال والمعلومات، وهو من أبرز أسلحة التأثير في معتقدات الناس وسلوكياتهم في هذا الزمان.

يتم استغلال الإعلام بدرجة تفوق الوصف من قبل المنصرين العاملين في مناطق مختلفة من القارة الأفريقية، فعلى سبيل المثال؛ ورد في دراسة أجريت في أكبر المدن النيجيرية وعاصمتها شابقا: "لاغوس Lagos" وشملت ثماني قنوات تلفزيونية حكومية وخاصة في المدينة، ورد فيها أن من بين خمسين برنامج دينية تقدم على هذه القنوات أسبوعيا ستة فقط للمسلمين، والباقي للنصارى، مع أن نسبة المسلمين من سكان ولاية لاغوس هذه لا تقل عن 70%، و80% من النواب في برلمانها مسلمون، والحاكم كذلك مسلم. 596

والسبب في هذه أن البرامج الدينية في محطات الإذاعة أو قنوات التلفاز كلها أو جلها تعرض في الدول العلمانية، سواء في أفريقيا أو غيرها مقابل التمويل الخاص، فالبرنامج الإسلامية قل أن تجد من يمولها، وإن وجد فرما لأغراض دعائية أو نحوها، بخلاف البرامج التنصيرية التي عادة ما يتم رصد المبلغ الكافي لها من قبل المؤسسات المعنية أو الكنائس المختلفة؛ هذا على جانب محطات البث التنصيرية الخاصة، والتي لا يقتصر إرسالها على

595 وجاء الدور على الإسلام، رضا العراقي، مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة، بدون سنة، ص: 69.

596 انظر: جريدة عكاظ السعودية، العدد 12151، الجمعة 12/03/1999م، ص: 7.

الدولة المضيفة بل تغطي أجزاء شاسعة من القارة. 597

ولا أعلم حتى الآن أن للمسلمين محطات مشاهة لا سيما في غرب أفريقيا ووسطها، في حين يتم توجيه البث الإذاعي التنصيري المتخصص بأكثر من سبع عشر لغة أفريقية، منها صوت البشارة في أديس أبابا، ومنروفيا، وجنوب السودان، ونيجيريا، وغيرها، ويجري العمل على قدم وساق لإنشاء فروع في بقية أنحاء القارة، إذ وجدوا أن الإذاعة - كما قالوا- من "الوسائل الرئيسية التي يمكن بواسطتها الوصول إلى المسلمين في بلدان الشرق الأوسط وشمال أفريقيا المغفلة". 598

وإضافة على ما قيل عن الإذاعة والتلفزيون ينطبق نفس شيء على الوسائل الإعلامية أخرى كذلك، خاصة مع انتشار الشبكة المعلوماتية العالمية "الإنترنت"، وهناك بعض مواقع الإنترنت التي تخدم الأغراض التنصيرية إما مباشرة أو غير مباشرة، نشير إلى بعضا منها في الجدول الآتية:

597 نفسه، ص: 8.

598 وجاء الدور على الإسلام، رضا العراقي، المرجع السابق، ص: 53.

بعض المواقع التنصيرية المعلوماتية على الشبكة الإنترنت:

رقم	عنوان الموقع	لغته	حجمه	فكرة مختصرة عنه
1	www.answer-islam.org	العربية الانجليزية	كبير	هذا الموقع في نظري من أخطر المواقع التنصيرية، فالموقع كما هو واضح في اسمه أنشئ خصيصا للرد على جميع ما يعتقده المسلمون عن دينهم مع إيراد شبه خطيرة في ذلك
2	www.hopeshineministry.com	العربية الانجليزية	كبير	تنشر في هذا الموقع كتب عدة وبلغات مختلفة في الطعن والتشكيك في عقيدة المسلمين، ومن

ة العناوين البارزة من

الألمانية هذه الكتب: الإتيقان

في تحريف القرآن

3 www.thequran.com العربية متوس موقع تنصيري، هذا

ط الانجليزية الموقع ملء

ية بالافتراءات الجسيمة

والشبه حول الإسلام

وكتابه ونبيه صلى الله

عليه وسلم

4 www.secularism.org/re الانجليزية متوس يتخصص الموقع في

search ية ط عرض كتب ومقالات

الفرنسية المرتدين تحت عنوان:

ة لماذا تركت الإسلام-

الألمانية أصول القرآن- وغير

ذلك

الاس

5 www.bible-koran.com الانجلىز صغىر هذا الموقع من وضع

ية أحد النصارى العرب،

الألمانية ويهدف إلى الدعوة

إلى النصرانية من

خلال التشكيك في

مبادئ الإسلام

6 www.islam-101.org العربية صغىر يتبع هذا الموقع

الانجلىز أسلوب التحريف

ية والتأويل التعسفي

لآيات القرآن الكريم،

بما يخدم الأهداف

التنصيرية

5- التنصير الصريح في المجال السياسي: هذا عبارة عن العلاقة بين السياسة والتنصير

على الصعيد الأفريقي، وتأتي تبعا لما تقدمت الإشارة إليه من علاقة الاستعمار بالتنصير.

فمما يؤخذ على الدول الاستعمارية في أفريقيا عموما: تمهيدها لسيطرة النصارى من المواطنين -عقب خروجها- على أهم جوانب الحياة العامة، وعلى وجه خاص الجانب السياسي.⁵⁹⁹ ولهذا ترى أن معظم الدول الأفريقية ذات الأغلبية المسلمة لا تزال أزمة أمورها سياسيا واقتصاديا وعسكريا وتعليميا بأيدي الأقلية النصرانية ذات التوجه الغربي النصراني، وساهم ذلك في تقدم التنصير ونجاحه في هذه الأقطار، كما يقول المنصر كنيث لاتورت Kenneth Latouette: "ولكن يجب أن نذكر على كل حال أنه لم يحدث انتقال واسع من الإسلام إلى النصرانية في قطر ما إلا بعد أن تبدل ذلك القطر بحكومته الإسلامية حكومة غربية مسيحية".⁶⁰⁰

ويعلل المنصر جيرالد سوانك Gerald Swack ذلك بقوله: "إن النصارى في العادة هم الذين قد تحركوا إلى الأمام بصورة أسرع، وهذا يعطيهم الأفضلية على الصفوة المسلمة التي تلقت فقط تعليما تقليديا في اللغة العربية والقرآن".⁶⁰¹

599 التبشير والاستعمار في البلاد العربية، مصطفى خالدي، المرجع السابق، ص: 144.

600 نفسه، ص: 147.

601 التنصير في القرن الأفريقي ومقاومته، سعيد أحمد يحيى، دار الأمير، الرياض، 1986م، ص: 339.

وهنا كلمة لا بد منها، وهي أننا لا ننكر أن الآلاف من أبناء المسلمين في أفريقيا قد درسوا كذلك العلوم الدنيوية المختلفة على أيدي المستعمرين أو في مؤسساتهم التعليمية، وربما أفادوا أمتهم ماديا؛ إلا أنهم في واقع الأمر وفي الكثير الغالب تجدهم أنفسهم أدوات بأيدي القوى الاستعمارية، استخدمتها في تحويل مسار بلدانهم وكمس هويتها الإسلامية، ومن ثم سقوطها في براثن الغزو الفكري والتنصيري. 602

وأخيرا نذكر قضية التأثير على الحكومات فيما يخدم مصالح النصارى ويضر بمصالح المسلمين، وأقرب مثال على ذلك عندي هو نجاح نصارى ليبيريا ذات الأغلبية المسلمة في منع الدولة من الانضمام إلى منظمة المؤتمر الإسلامي عضوا كاملا العضوية.

ونفس القضية يخضع لها طلبة الليبيريين الدارسين بالعربية، سواء في الدراسات الإسلامية أو في التخصصات أخرى، حيث لا يحصلون على أي مساعدة مادية أو معنوية من قبل حكومة بلدهم من مرحلة الابتدائية حتى مرحلة الجامعية، والله المستعان. هذه بعض ما توصلنا إليها من وسائل التنصير الصريحة، والآن ننتقل إلى وسائل التنصير الخفية بإذن الله تعالى.

النوع الثاني: وسائل التنصير الخفية:

أما وسائل التنصير الخفية؛ فتتخذ بوسائل متعددة ومتجددة خاضعة للمراجعة والتقويم الدوري، مطوعة للبيئات التي تعمل بها، ومن أهمها الوسائل الآتية:

1- الإستشراق: استغلال المؤسسات العلمية التي تقدم دراسات عن العالم الإسلامي والعرب والشرق الأوسط.

وهذه الظاهرة نشأت على أيدي كهنة وخدم للكنيسة، وأخذت مصطلح الاستشراق الذي يتولّى الجانب العلمي في نزع سلطان الدين الإسلامي من النفوس، وطلّاع المستشرقين انطلقوا من الكنائس والأديرة، 603 وإسهاماتهم موجهة إلى المفكرين والمطلعين والمثقفين، وهم لا يدعون صراحة إلى النصرانية، بل إنهم يتهربون من إلصاق النصرانية بهم، ولكنهم يحققون أهداف المنصرين في حملاتهم ضد الإسلام التي كانت أكثر صراحة مما هي عليه الآن، 604 وكذلك في منهجهم المتأخر القائم على التخصص، ونبذ الأحكام العامة والسريعة، التي بدأها أسلافهم، التي كانوا فيها صريحين في محاربة الإسلام ونبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، وقد أدى سيطرة الكنيسة الغربية وتجريدها من سلطتها

603 وحي الله: حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة- نقض مزاعم المستشرقين، حسن ضياء الدين عتر، دار المكتبي، دمشق، 1999م، ص: 29.

604 المستشرقون والتنصير: دراسة للعلاقة بين ظاهرتين، علي بن إبراهيم، مكتبة التوبة، الرياض، 1998م، ص: 178.

الزمنية إلى تراجع فكرة التنصير الذي ساد مدة مع حركة الاستشراق. 605

وليس كل المستشرقين المتأخرين على هذه الشاكلة، ولكن لا تزال طائفة منهم تسير على المنهج الذي رسمه لهم أسلافهم مما يخدم المعتقد النصراني من خلال دراساتهم للإسلام والعلوم والثقافة الإسلامية وتراث المسلمين، وبقدر ما يخدم المستشرقون انتماءاتهم الدينية والثقافية ينالون الدعم المعنوي والمادي، وإذا ما مال أحدهم إلى الإنصاف وجد عنتاً وتنكراً من الجمعيات والمؤسسات المهمة بدراسة الإسلام والمسلمين في المجتمع

الغربي. 606

2- **البعثات الدبلوماسية:** وهذا مظهر من مظاهر التنصير الخفية للمنصرين في أفريقيا، ويتم إرسال هذه البعثات الدبلوماسية في البلاد الإسلامية عن طريق السفارات الغربية أو القنصليات أو الملحقات الثقافية والتجارية والمؤسسات الأجنبية الرسمية الأخرى، وعلى أي حال يدرب بعض العاملين في المؤسسات الأجنبية الرسمية من سفارات وغيرها على التنصير قبل انخراطهم العملي في السلك الدبلوماسي، ويصدق هذا على العاملين النصارى، ومثال ذلك قصة القنصل البريطاني في زنجبار "جون كرك John Karck" الذي دعا سنة 1877م الأمين العام لجمعية الكنيسة التنصيرية "هنري رايت" إلى سرعة

605 الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف، عبد الله علي العليان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2003م، ص: 33.

606 الاستشراق في خدمة التنصير واليهودية، علي بن إبراهيم، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع 3، 1990م، ص: 237.

إرسال المنصرين، وأكد على أهمية ذلك الدينية والسياسية للوقوف في وجه ما سماه بالامتداد المصري التركي. 607 أي الوقوف في وجه المد الإسلامي.

ومما يدخل في أعمال الملحقيات الثقافية الأجنبية، أي غير الإسلامية، في هذا المجال إنشاء المدارس الأجنبية للجاليات الأجنبية وطبعها بالطابع التنصيري في المناهج وأوجه النشاط غير المنهجية، كالثقافية التي يبدو من ظاهرها التعريف بالبلاد التي تمثلها الملحقية، وفي باطنها الدعوة المختفية إلى التنصير، ثم إتاحة المجال لأبناء البلاد وبناتها للانخراط في هذا المدارس على حساب التربية والتعليم المؤهلين بمنهج البلاد ومنطلقاته. 608 ويجب تنبيه إلى هذه الأمور الدقيقة لا تكاد تفهم.

3- **المنظمات الدولية:** والأصل في هذه المنظمات الدولية على اختلاف اهتماماتها وتخصصاتها أن تلزم الحياد فيما يتعلق بالأديان والثقافات، وأن تؤدي مهماتها المناطة بها، دون النظر إلى استغلال نفوذها سياسيا واقتصاديا لتحقيق أغراض سياسية وثقافية لأعضاء في هذه المنظمات على حساب الأعضاء الآخرين.

وواقع الحال أن الأحداث تثبت بجلاء أكثر مع الأيام أن المنظمات الدولية على اختلاف مهماتها تخدم النظرة الغربية للعالم الآخر، وأنها تسير حسب التوجيهات الغربية في التعامل مع الآخرين. 609

607 لمحات تاريخية عن انتشار الإسلام في أوغندا، إبراهيم الزين صغبيرون، مجلة كلية العلوم الاجتماعية (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)، ع 6، 1982م، ص: 17.

608 قضية الردة في الفكر الإسلامي الحديث، أمال قرامي، دار الجنوب للنشر، تونس، 1996م، ص: 47.

609 الحيل والأساليب في الدعوة إلى التبشير، مصطفى فوزي غزال، مكتبة الكتب، 2004م، ص: 69.

وقد يكون من الأسباب الظاهرة أن الدول الغربية بعامة هي التي تدعم هذه المنظمات مالياً، وتحمل جزءاً كبيراً من ميزانياتها، وتبني مشروعاتها، ولذا فإن الدول التي تدعم أكثر تنال تأثيراً أكبر، وإذا لم تكن الصورة بهذا الوضوح فإن التوجه لهذه المنظمات يرسخ الفكرة الغربية في كل أوجه النشاط، ومن ذلك أوجه نشاط المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم "اليونسكو UNESCO"، و"منظمة الصحة العالمية OMS"، و"جمعية رعاية الطفولة SOS"، وغيرها من المنظمات التي تسعى إلى ترسيخ الفكرة الغربية على جميع أوجه النشاط، أو لنقل تنظر إلى جميع المجتمعات بنظرة غربية لا تتفق بالضرورة مع هذه المجتمعات التي تخدمها المنظمات الدولية. ولعل هذا يدخل في باب -لكل شيء ثمن-.

ولا يغيب عن البال ممارسات المنظمات الدولية السياسية وغيرها تجاه المسلمين في البوسنة Bosnie والهرسك Herzégovine، والتزدد الواضح في اتخاذ قرارات حاسمة لنصرة المظلوم، على غرار ما حدث في منطقة الخليج العربية في الآونة الأخيرة، عندما غزت العراق جارتها الكويت في عام 1990م، وعلى ما حدث في جنوب السودان انفصالها عن السودان الأغلبية المسلمة، وعلى غرار ما يحدث في مواقع أخرى من العالم الإسلامي الذي يتعرض لويلات الحروب، ويقول في هذا "جورج ليونارد كاري Gorge Leonard Kary" رئيس الكنيسة الإنجيلية في بريطانيا، في محاضرة ألقاها في جامعة الأزهر في عام 1995م: "وهنا أشعر أنه علي أن أشير صراحة إلى الصراع في يوغسلافيا السابقة، فقد شاهدنا بهلع شديد المد المقيت للصراع العرقي في البوسنة والهرسك، والتطهير العرقي الشائن، وجرائم العنف التي اقترفت بحق النساء والأطفال، وتدمير المساجد وأماكن العبادة، وإنني أتفهم مخاوف المسلمين من أن يكون الغرض من ذلك هو

محو الإسلام من أوروبا التي استقر فيها".⁶¹⁰

4- الترجمة: وتعد الترجمة من الوسائل المهمة لتحقيق أهداف التنصير والمنصرين، إذ انطلقت ترجمة معاني القرآن الكريم في القرن السادس الهجري؛ منتصف القرن الثاني عشر الميلادي 1143م لأغراض تنصيرية، ورعتها الكنيسة والأديرة على يد الراهب الكلوني "آبت" رئيس الأديرة الذي بدأ الفكرة سنة 1141م، حيث رحل من فرنسا إلى إسبانيا، وكلف "كتنفريز" في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللاتينية، وفي سنة 1143م انتهى كتنفريز من ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية مما دفع بطرس المبجل إلى إرسال هذه الترجمة مع أعمال إلى رئيس الأديرة برنارد كليرفو Bernard de Clairvau مصحوبة برسالة تؤكد على أن صراع الكنيسة مع الإسلام يجب أن يتم على كل المستويات.⁶¹¹

والجدير بالذكر أنه نجد كتنفريز اعتمد في ترجمته على استخراج المعاني التخمينية بدون تحليل وفهم حقيقي للغة العربية، ورغم استعانتة ببعض التفاسير للقرآن فإنه كان يميل إلى الاختصار وإلى حذف بعض الآيات، ولصعوبة تحديد المعاني اللغوية في القرآن فإنه لا توجد آية واحدة مترجمة تعطي المعنى المقارب لحقيقتها.⁶¹²

610 تحديات العلاقات بين الديانات الكبرى، جورج ليونارد، مجلة الاجتهاد، ع 30، 1996م، ص: 205.

611 الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي- محمود ياسين عريبي، ط 1، المركز القومي للتراث والثقافة، الرباط، 1991م، ص: 141.

612 نفسه، ص: 144.

ورغم الاخطاء الشنيعة التي تحتاج إلى دراسة خاصة نجد أن هذه الترجمة أصبحت أساسا للترجمات الأخرى وللأحكام المبسرة عن الإسلام في نظر الغرب إلى يومنا هذا، لقد قام أرفابن Arrivabene سنة 1547م بترجمة معاني القرآن كما صورها كتفريز من اللاتينية إلى الإيطالية، وفي سنة 1616م نقل هذه الترجمة الإيطالية إلى الألمانية سالمون شفيجر Salmon Schexxeiger وعنها نقلت إلى الهولندية سنة 1698م وهكذا أصبحت هذه الترجمة سلاحا ذا حدين، فرغم الاطار التبشيري الذي انطلقت منه والمغالطات المقصودة والأخطاء غير المقصودة فإنها أدت إلى التعرف على بعض حقائق الإسلام مما دفع بالبابا الإسكندر السابع لأن يصدر قرارا بتحريم ترجمة القرآن ونشره بل وإحراق نسخه ولكن الحاجة الملحة لتطور الدراسات اللاهوتية في الغرب والمقرونة بظاهرة التبشير دفعت بقسيس إبراهيم هنكلمان Ibrahim Henkelmane إلى أن يقوم بترجمة جديدة لمعاني القرآن نشرت سنة 1694م وللدفاع عن الكاثوليكية قام الإيطالي ماراكو Maraco بترجمة أخرى وضع فيها النص العربي في مواجهة الترجمة اللاتينية وقد نشرت سنة 1696م. 613 ثم انطلقت الترجمات للتراث العربي الإسلامي لخدمة هذه الأغراض التنصيرية، حتى مر الزمان، وتلاشى الدافع التنصيري تدريجيا من المنطلقات الاستشراقية. 614

613 الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي- محمود ياسين عربي، المرجع السابق، ص: 145.

614 المستشرقون ونشر التراث، علي إبراهيم النملة، دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر والترجمة، ط 2، الرياض، 2003م، ص: 191.

وفي المقابل تكشف ترجمة الإنجيل إلى اللغة العربية "من خلال الإرساليات في القرن الثامن عشر، ولا تزال الترجمة الحالية من نتاج جهود علماء ومترجمي بلاد الشام".⁶¹⁵ وتبع ذلك ترجمة التراث الكنسي إلى اللغة العربية.⁶¹⁶ وتؤكد "آمال قرامي" في معرض استعراضها لأسباب تنصر المسلم على جانب ترجمة الإنجيل، حيث تقول: "لقد حرضت الإرساليات التبشيرية على ترجمة "الأنجيل" إلى عدة لغات، حتى لا ينفر المسلم من قراءتها. ففي المغرب استطاعت "جماعة الأنجيل البريطانية" أن توزع نسخا كثيرة من الأنجيل المترجمة إلى اللغة العربية والأمازيغية، وعرف التبشير البروتستانتي بفضل هذه الجماعة دفعا في المنطقة بين سنتي 1883م - 1889م".⁶¹⁷

5- **التبادل الثقافي:** التبادل الثقافي يعد إحدى الوسائل المهمة والمختفية للتنصير، وتقوم معاهدات واتفاقيات ثقافية بين بلاد المسلمين والبلاد الأجنبية، يكون نصيب المسلمين منها غالبًا عرض "الفلوكلور الشعبي" من رقص وغناء ولباس الذكور والإناث، وأكلات شعبية وصناعات يدوية ونحوها، وقد يسمح بتوزيع كتيبات ونشرات وشرائح وأفلام عن البلاد العارضة ونهضتها المادية، ويكون نصيب البلاد الأجنبية إقامة المراكز الثقافية الدائمة، واستقطاب رجال الفكر والثقافة من أبناء البلاد نفسها، وجلب المحاضرين من مفكرين وأساتذة جامعات ورجال سياسة وقانون، وكل ذلك قائم على استراتيجية واضحة وخطط محددة قابلة للتنفيذ على المدى البعيد، مما يدخل في مفهوم "نظرية المؤامرة" التي نحاول تجاهلها نظريًا، ولا نملك عمليًا إلا الإقرار بها.

615 الكنيسة القبطية بين المحافظة والتحديث، ميلاد حنا، مجلة الاجتهاد، ع 30، 1996م، ص: 131.

616 شبّهات حول الاستشراق، فراج الشيخ الفزاري، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة، 2000م، ص: 28.

617 قضية الردّة في الفكر الإسلامي الحديث، آمال قرامي، المرجع السابق، ص: 49.

وتعمل هذه المراكز على إيجاد قوائم للمراسلة، وتتابع ذوي التأثير على المجتمع وتزودهم بالمطبوعات والنشرات والأشرطة المسموعة والمرئية المسموعة، وتدعوهم للمناسبات الاجتماعية والوطنية، وبعضهم للدينية النصرانية التي تمر على بلادهم، وكل هذه وسائل تتغير وتتبدل وتطوّر بحسب ما يقتضيه المقام، ويتناسب مع الأشخاص المستهدفين.

ولعل معظم أوجه النشاط الفني والرياضي تدخل في المفهوم العام للتبادل الثقافي، وهناك خطوات عملية فنية رياضية واضحة فيها رائحة التنصير، وتستغل هذه المعاهدات الثقافية للوصول إلى أوساط الشباب من خلال أوجه النشاط الرياضية الدولية والإقليمية والمحلية، توزع فيها النشرات والأشرطة والكتاب "المقدس"، وتحشد الميزانيات الهائلة لهذه الوسيلة. ويظهر هذا بجلاء في المباريات الدولية، حيث يحضرها مئات الآلاف ويشاهدها مئات الملايين، حتى لو لم يصل الأمر إلى هذا التصور الواضح، فإن استغلال هذه المباريات بالتنصير لا يمكن تجاهله، وظهر هذا واضحاً في كأس العالم لعام 2002م في اليابان وكوريا، حيث ظهر ذلك جلياً على الفئائل التي لبسها اللاعبون تحت فيلة الرياضة، وأبرزوها لآلات التصوير "الكاميرات"، وركزت عليها بعض هذه الآلات بصورة جلية، ليس فيها بالضرورة خبث، ولكن فيها تعاطف مع هؤلاء الذين ربطوا الفوز في المنافسات الرياضية ببعسى بن مریم - عليهما السلام - هذا عدا عن الوسائل الأخرى التي اتضحت لمن تابعوا هذا النشاط الدوري، ولمن حضروه في كل من اليابان وكوريا، وسيظهر كذلك مع ما سيأتي من مسابقات رياضية مختلفة.

نلاحظ مما سبق أن المنصرون استغلوا كل وسيلة لنشر دينهم، واستغلوا كل حاجة من حاجات البشر، كانوا يظهرون الرحمة والشفقة على الضعفاء، وكانوا يسامون الناس على الدواء وعندما يقدون العلاج يقدمون معه الإنجيل، وكان المستشرقين والمستكشفين ورحالة قد عملوا لفتح الأبواب للمنصرين، وكذلك كان الاستعمار عوناً كبيراً لهم في مخططاتهم، وكان الاستعمار أيضاً عنصراً كبيراً

لتغلغلهم ولسيطرتهم على الشعوب، والهدف من كل ذلك هو السيطرة على الإسلام والمسلمين في العالم، ويأبى الله إلا أن يتم نعمته ولو كره الكافرون.

المطلب الثاني: أسباب نجاح التنصير وسبل مواجهته في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى:

إن الترتيب المنطقي لهذا المطلب يتطلب أنه قد سبقه مطلب آخر يبحث في أهداف التنصير ووسائله في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، ليكون ذلك مقياساً لما تحقق وما لم يتحقق من هذه الأهداف والوسائل، لذا يجب أن نشير إلى أهم ما استهدفه المنصرون على هذه القارة السمراء المسلمة، ويتألف هذا المطلب من جانبين أساسيين هما: أسباب نجاح التنصير بأفريقيا جنوب الصحراء الكبرى وسبل مواجهة التنصير في المنطقة، ونسأل الله جل وعز أن يوفقنا لما يحب ويرضى.

الجانب الأول: أسباب نجاح التنصير في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى:

إن ما تحقق من إنجازات للحملة التنصيرية في القارة الأفريقية لها أسباب يمكن الإشارة إليها، ويمكننا إجمال هذه الأسباب في ثلاثة عناصر رئيسية، وهي: المنصر بفتح الصاد - المنصر بكسر الصاد - الوسائل.

1- **المنصر:** وهو هنا ذاك المسلم الذي وقع في خداع سائغة بأيدي الجيوش التنصيرية التي لا ترحم، ويمكن إرجاع سبب وقوع هؤلاء المنصرين الأفارقة في قفص التنصير إلى بعض أمور من أهمها ما يلي:

أولاً: الجهل؛ ولا سيما في ما يتعلق بأمور الدين، فتجد ألوفا مؤلفة من المسلمين اليوم لا يعرفون حتى تلك الأمور التي يطلق عليها علماءنا في السابق "المعلوم من الدين بالضرورة".

فكم من مسلم ولد في الإسلام وقد نشأ فيه وهو لا يستطيع قراءة القرآن، فضلاً عن إدراك ما فيه من المعاني والفضائل، وقد وجد المنصرون الطريق السهل إلى هؤلاء بمجرد إقناعهم بأن دينه أي "الإسلام" دين العرب ولا يمت إلى الأفارقة بصلة.

ثانيا: سوء التربية من قبل الآباء وأولياء الأمور، الذين لا يهتمهم من شؤون أولادهم وبناتهم سوى ما يتعلق بديناهم، فعندما يخرج هؤلاء إلى المدارس أو الجامعات لا يجدون أي وازع أو مانع من الانخراط فيما يمارسه الصديق أو الصديقة من الطقوس، أو مرافقته إلى الكنيسة لقداس الليل، إلى أن يتم انسلاخه الكامل عن دين الأبوين.

ثالثا: عدم تنبيه بخطورة الأمر، وما يتبع ذلك من التجاهل التام لكل صيحات التحذير وصفارات الإنذار من قبل العلماء.

2- المنصر: وهو المنصرين والإرساليات أوروبيا كان أو أمريكيا أو المحليين، ويرجع سبب نجاح هؤلاء المنصرين على الصعيد الأفريقية إلى عدة أمور، من أهمها ما تأتي:

أولا: قوة الإعداد: فتجد هؤلاء المنصرين على درجة عالية من التكوين والتدريب، يعرفون كيفية الاندماج مع المجتمع، وكذلك يعرفون كيفية الولوج من الباب الخلفي إذا انغلق الباب الأمامي، ولا غرابة في ذلك لأن التنصير نفسه صار عندهم حقلا أكاديميا له تخصصات وأقسام علمية متعددة.

وقد أشار أحد أستاذ جامعي أفريقي على هذا الوضع، فيقول: "كليات الدعوة الإسلامية في العالم الإسلامي عملت حقيقة على تخريج عدد كبير من الدعاة، لكن هذه الكليات تعلم الداعية كيف يخطب ويعظ، ولكن المنظمات الكنسية تعلم المنصر أو المبشر كيف يتعامل مع الآلات الحديثة، كيف يداوي المرضى، وكيف يتعامل مع المجتمع الذي يعمل به وتعلمه كيفية تنشيط المشروعات الزراعية وغيرها من الخدمات التي تحتاج إليها المجتمعات الأفريقية، فاستطاع أن يوفق بين رسالته في التنصير وتقديم هذه الخدمات". 618

618 وجاء الدور على الإسلام، رضا العراقي، المرجع السابق، ص: 58.

ولو اقتصر الأمر على هؤلاء الدعاة خريجي الكليات الإسلامية لكان سهلاً وجيداً، لأنهم مؤهلون علمياً وتكوينياً على الأقل لأن الكمال لله تعالى وحده، لكن المتأمل لواقع الدعوة والدعاة في هذه القارة السمراء يرى أن معظم من يتصدون للدعوة أو التعليم الإسلامي هم ممن لا أهلية لهم للقيام بمثل هذه التكوينات، لا علمياً ولا ثقافياً، والأمثلة كثيرة تماماً، والله المستعان.

ثانياً: فصاحة المنصرين: وهذا أيضاً ذو صلة بما سبق، إذ تجد أن هؤلاء المنصرين -وقانا الله تعالى شرهم- خطباء وفصحاء مفوهون من الطراز الأول، فهم كما وصف الله عز وجل المنافقين في قوله: {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ} 619.

ثالثاً: حسن الأسلوب: ويكفي للمثال على هذا أن نورد هنا القصة الآتية كما وردت بنصها في أحد بحوث مؤتمر كولورادو التنصيري عام 1978م: (لاحظ أحد المنصرين أثناء حديثه عن المسيح إلى بعض المسافرين بالقطار أن أحد المسلمين ويدعى "نسيم" يصغي إليه بقلب متفتح، وعندما سأله عن سبب ذلك أجاب نسيم بتأثر شديد: منذ بضع سنين مررت أنا وصديق مسلم لي ببعض الراهبات الكاثوليكيات وقد مددن أيديهن لجمع النقود لبناء مستشفى جديد، وعند مرورنا بجوارهن بصق صديقي في اليد الممتدة إليه بمقت شديد، وعندها أخرجت الراهبة منديلها، ومسحت يدها، ثم خاطبت صديقي وهي تبتسم قائلة: "حسنًا كان هذا لي، والآن ما ذا ستعطي ليسوع؟" نظر نسيم إلى المنصر بعد أن انتهى من روايته والدموع في عينيه قائلاً بتأثر: "هل يستطيع أي إنسان أن ينسى مثل هذه المحبة"). 620 هذا خير الدليل على الصبرهم لما يجدون في سبيل الدعوتهم إلى اليسوع وحسن تعامل مع المجتمعات التي يعملون به.

619 سورة المنافقون، الآية: 4.

620 التنصير في القرن الأفريقي ومقاومته، سعيد أحمد يحيى، المرجع السابق، ص: 112.

3- الوسائل: وقد تقدم الكلام عن هذه الوسائل بتوضيح.

الجانب الثاني: سبل مواجهة التنصير في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى:

لم يقف المسلمون -على العموم- مكتوفي الأيدي أمام الحملات التنصيرية، ورغم العرض لبعض الوسائل المساندة للتنصير والمنصرين، التي كان من بينها تساهل بعض المسؤولين المسلمين في مواقفهم من المنصرين، وتساهل بعض الأهالي، إلا أنه كانت هناك مواجهة مستمرة، ولا تزال قائمة للحملات التنصيرية، ويقوم بها بعض المسلمون المهتمون بالدفاع عن الدين وكشف مخططات المنصرين.

وعلى هذا فإن المواجهة لا تتوقف عند مجرد حماية المجتمعات المسلمة من غائلة التنصير، بل إنها تتعدى ذلك إلى درء الفتنة، ولعلنا بهذا نخرج من مجرد الشعور بأننا نتصدى للتحديات التي تواجهنا، فنكتفي بالتنبيه لها والتحذير منها، مما يدخل في انتظار الأفعال للرد عليها، إلى السعي إلى تقديم البديل الصالح الذي نعتقد أن فيه لا في غيره، صلاح البلاد والعباد، وأنه سر السعادة في الدنيا والآخرة.

وتتحقق هذه المواجهة بمجموعة من الوسائل، هي -دائما- خاضعة للتغيير والتبديل والتكيف بحسب البيئات التي تقوم فيها المواجهة، والمهم عند المسلمين أن هذه المواجهات بأساليبها ووسائلها المتعددة لا تخرج بحال من الأحوال عن الإطار المباح شرعا، مهما كانت قوة الحملات التنصيرية، ومهما اتخذت هي من وسائل غير نزيهة، فاتخاذ المنصرين وسائل غير نزيهة لا يسوغ لنا نحن المسلمين اتباع هذا المنهج، فالله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا، والغاية في الإسلام هي تبرر الوسيلة.

ومهما جرى هنا من سرد لوسائل المواجهة فلا بد من التوكيد على عدم شموليتها، وعدم انطباقها بالضرورة على جميع الأحوال والبيئات، وأي وسيلة لا تخرج عن الإطار الشرعي وتتحقق بها المصلحة أو تغلب فيها المصالح على المفسد فهي مطلوبة بحسب الحاجة إليها، ولعل من وسائل مواجهة الحملات التنصيرية في المجتمع المسلم الخطوات الآتية:

1- الدعوة إلى الله: الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة، فالمواجهة العملية أن نقدم للآخرين من مسلمين وغير مسلمين البديل الذي نعتقد أنه الحق، وهو الإسلام الذي جاء به القرآن الكريم وجاءت به سنة المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم.

وأساليب الدعوة متعددة ومتنوعة، وبعضها يناسب مجتمعات ولا يناسب أخرى، فالدعوة المباشرة أسلوب، والدعوة بالإغاثة أسلوب، والدورات أسلوب، والمنح الدراسية أسلوب، وكل ما يحقق الهدف ولا يتعارض مع الشرع أسلوب تفرضه أحيانا الحال أو الزمان أو المكان. 621

والدعوة إلى الله تعالى تتطلب العلم الشرعي أولا ثم الفقه فيه، وهما يعدان من أوليات مؤهلات الداعية إلى الله تعالى، وقبل ذلك وبعده الدعوة بالقدوة، فكم دخل الإسلام مهتدون بسبب ما وجدوه من القدوة في التعامل والمعاملة والسلوك.

2- هيئات الإغاثة: وقد ظهرت على الساحة الإسلامية مجموعة من الهيئات الإغاثية الإسلامية وجمعياتها ولجانها، وهي مع تواضع تجربتها وافتقارها إلى الخبرة والعراقة، إلا أنها مع قلة إمكاناتها، قد اقتحمت الساحة بفاعلية، وهي تؤلف تهديدا عمليا واضحا للجمعيات التنصيرية. 622

والمطلوب في هذه الوسيلة تكثيف أعمالها وتعددتها النوعي وليس بالضرورة الكمي، وهذا التعدد ظاهرة صحية إذا ما روعيت فيها الدقة والأمانة والإخلاص في العمل والصواب فيه، والبعد عن القضايا الجانبية التي تضر بالعمل ولا تعين عليه.

621 أمة الوسط: الإسلام وتحديات المعاصرة، محمد الطالب، دار سراس للنشر، تونس، 1996م، ص: 63.

622 هموم المسلم المعاصر، يوسف القرضاوي، إعداد وحوار ياسر فرحات، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، 1989م، ص: 50.

3-

علماء الأمة: وهم مطالبون بالداخل بالاستمرار في تنبيه الناس لأخطار التنصير، ودعوة العامة والخاصة من المسلمين للإسهام في مواجهة الحملات التنصيرية بحسب القدرة المادية والبشرية، وبحسب الخبرة وغيرها من الإمكانيات. 623

والمطلوب من العلماء وطلبة العلم الولوج إلى المجتمعات المسلمة بعلمهم مباشرة عن طريق الزيارات المستمرة وأوجه النشاط العلمي والثقافي الجماعي والفردى، وعن طريق المحاضرات والمؤلفات والرسائل القصيرة والنشرات الموجزة الموجهة قصداً إلى العامة، والبرامج الإعلامية الدعوية، والبت الفضائي.

وإنه لمن المفرح حقاً أن التصدي للتنصير بدأ يأخذ بعداً وشكلاً عمومياً بين الناس، بعد أن كان محصوراً على قلة منهم، وبين أوساط المتعلمين والمفكرين والمثقفين فقط، بل لقد قيل في زمن مضى إنه من العيب على العلماء وطلبة العلم التصدي للحملات التنصيرية والإرساليات في حقبة من الكفاح القومي، فلا يجب أن تذكر كلمة إسلام أو نصرانية أو مسيحية أو مسلم أو نصراني أو مسيحي، ليصبح الجميع إخواناً في القومية. 624

والمطلوب المزيد من هذا التصدي والمزيد من فضح الأساليب وتقديم الأدلة القوية والبراهين الواضحة على هذه الحملات التنصيرية رغبة في الإقناع، مع التثبت الدائم من المعلومات الواردة لتقوى الحجة وتقوى قبولها.

4-

شباب الأمة: وشباب الأمة يملكون الطاقة والقوة وشيئاً من الفراغ والرغبة، فيخوضون غمار المغامرة، ومع شيء من التوجيه يمكن أن يسهم الشباب في التصدي للتنصير والمنصرين عن طريق التطوع، فيكونوا سنداً للعاملين في مجالات الدعوة والإغاثة، ولا يشترط في الجميع أن يكونوا دعاة بالمفهوم الشائع للداعية، ولا يشترط أن يكونوا علماء

623 التنصير ومحاولاته في بلاد الخليج العربي، عبد العزيز بن إبراهيم العسكر، مكتبة العبيكان، الرياض، 1993م، ص: 73.

624 التبشير والاستعمار في البلاد العربية، مصطفى خالدي، المرجع السابق، ص: 27.

يملكون زمام الفتوى، ولا يشترط أن يطلب منهم التغيير السريع في المجتمعات التي يتطوعون للعمل بها، فكل هذه المتطلبات تترك للتخطيط والتنظيم والمسح، ولا يقلل من جهود الشباب المساندة والعاملين في مجالات الدعوة والإغاثة، فإن هذه المساندة مهمة ومطلوبة.

5-

المؤسسات العلمية: وهناك مؤسسات علمية ومؤسسات تعليمية كالجوامع والمعاهد ومراكز البحوث، وهذه منتشرة في أنحاء العالم الإسلامي، كمركز: (الحوار الديني والثقافي في الحضارة الإسلامية - بكلية الآداب بني ملال، ومركز: الدراسات السامية ومقارنة الأديان - كلية الآداب سايس فاس) وغيرهما من المراكز، ويتوقع لها أن تسهم في مجال التركيز على الحملات التنصيرية، وعن طريق عقد الندوات والدعوة إلى المحاضرات والمؤتمرات المحلية والإقليمية والدولية لوضع الخطط والاستراتيجيات لمواجهة التنصير، وعن طريق إصدار دورية علمية، وأخرى ثقافية تعنيان بالتنصير وتتابعان تحركاته، حيث تخلق الساحة من هذه الإصدارات المتخصصة.

ويجب أن تملك المؤسسات العلمية والتعليمية من مراكز وجمعيات وجامعات في العالم الإسلامي القدرات العلمية والبشرية لترجمة الكتب النافعة والرسائل الموجزة، ونشرها بين الأقليات المسلمة وبين المسلمين عموماً ممن لا يتحدثون اللغة العربية، كما تملك القدرة على تكليف من يجيدون اللغات بالترجمة والتحفيز عليها، كأن تكون حافزاً للترقية في الجامعات مثلاً، كما يطلب من هذه المؤسسات القيام بترجمة بعض ما ينشر من مؤتمرات المنصرين ووقائع لقاءاتهم وجهودهم في حملاتهم، وذلك رغبة في إطلاع الأمة على ما يراى بها.

6- رابطة العالم الإسلامي: ورابطة العالم الإسلامي تقوم بجهود مشكورة في سبيل الدعوة إلى الله تعالى كما هو معلوم، ويتطلع إليها المسلمون في بذل المزيد من الجهود في مواجهة التنصير، بما تملك من قدرة على التأثير وقدرة على الوصول إلى من يمكن فيهم التأثير، وإن لم تكن قادرة قدرة مباشرة على التصدي لهذه الحملات التنصيرية في المجتمع المسلم، ولكنها تسهم على أي حال في هذا المجال، لاسيما أن أهدافها تنص على دحض الشبهات، والتصدي للأفكار والتيارات الهدامة التي يريد منها أعداء الإسلام فتنة المسلمين عن دينهم، وتشيت شملهم وتمزيق وحدتهم، والدفاع عن القضايا الإسلامية بما يحقق مصالح المسلمين وآمالهم، ويحل مشكلاتهم، وينتظر منها المزيد في اتخاذ الوسائل التي أعلن عنها، وذلك مثلا، بإقامة لجنة تحت مظلة الرابطة، تعنى بظاهرة التنصير وتعمل على متابعتها ورصدها.

7- منظمة المؤتمر الإسلامي: ومنظمة المؤتمر الإسلامي والمنظمات المنبثقة عنها تملك شيئا من القدرة على التأثير السياسي على الحكام ورؤساء الدول الإسلامية وملوكها، والمنظمات المنبثقة عنها، كالبنك الإسلامي للتنمية وصندوق التضامن الإسلامي والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، وتملك القدرة على تبني المزيد من المشروعات التي يمكن أن يسبق بها المنصرون.

8- الجماعات الإسلامية: والجماعات الإسلامية على اختلاف أسمائها وتوجهاتها تتحمل جزءا كبيرا من المسؤولية في وضع برنامج لمواجهة التنصير ضمن اهتماماتها وأوجه نشاطها، وتستخدم في هذا كل الوسائل الممكنة لها والمتاحة في بيئتها مادامت تتوافق مع شرع الله تعالى أو لا تتعارض معه، ولعل هذا البرنامج يطغى على بعض البرامج الجانبية التي تهتم بها بعض الجماعات، ويجب توحد هذه الجماعات قصدا إلى مواجهة إرساليات التنصير، ويبرز من خلاله التنسيق والتشاور واستخدام الخبرات والإمكانات.

9- العلم بالأديان: ولا بد من التعرف على عقائد النصارى واختلافها باختلاف الطوائف من كاثوليكية وبروتستانتية وأرثوذكسية، بالإضافة إلى الطوائف الرئيسية الأخرى، وما بداخل هذه الطوائف الرئيسية من انقسامات. 625

وكذلك لا بد من التعرف على مواقف هذه الطوائف من طبيعة المسيح عيسى بن مريم وأمه الصديقة مريم عليهما السلام، ومواقفها من عقيدة التثليث، ومواقف هذه الطوائف أيضا من قضايا إيمانية تتعلق بنزول عيسى بن مريم -عليهما السلام- آخر الزمان، ومسألة البعث والجزاء والحساب، وغيرها من معتقدات القوم المبتوثة في الأناجيل، قصدا إلى التنبيه لعدم الوقوع فيها، ورغبة في السيطرة على مفهوم التنصير عند الحديث عنه، والحوار مع الآخرين حوله.

10- الحوار: يقول الله تعالى في محكم تنزيله: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } 626. هذه الآية الكريمة وغيرها من الآيات القرآنية أخرى تخص المسلمين على الحوار مع النصارى، ولا بد من قيام جهة علمية برسم طريقة للحوار مع هؤلاء النصارى في مجالات العقيدة، ومع أن هذا الموضوع غير مرغوب فيه لدى بعض المهتمين، إلا أنه عند الاستعداد له بالعلم الشرعي وبالعلم بالملل والنحل والنصرانية بخاصة، قد يدخل في دعوة القرآن الكريم إلى أهل الكتاب إلى كلمة سواء بيننا وبينهم ألا نعبد إلا الله تعالى ولا نشرك به شيئا، قال تعالى: { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } 627. وهذا ما يعمل على تحقيقه الداعية المسلم

625 هموم المسلم المعاصر، يوسف القرضاوي، المرجع السابق، ص: 26.

626 سورة النحل، الآية: 125.

627 سورة آل عمران، الآية: 64.

"أحمد ديدات" - رحمه الله - في محاوراته مع النصارى، وفي دعوته المسلمين إلى التحوار معهم من منطلق القوة والعلو بالإيمان، وليس من منطلق الاستجداء والمواقف الدفاعية والتبريرية والإعتذارية، والله والمستعان.

ونظرا لكل ما ذكرنا فجدير بنا أخيرا أن نشير إلى أن التنصير ظاهرة قديمة تتجدد، وكانت صحيحة في البداية؛ ولكنها تأثرت بما وقع على النصرانية من تحريف، وهذا التأثير أدى إلى التوسع في المفهوم، والخروج به عن القصد الذي أريد منه، ومع توسع المفهوم توسعت الأهداف والوسائل، ولم تعد مقصورة على مجرد تبشير غير النصارى إلى النصرانية، بل صار لها مفهوم خاص بالمجتمعات المسلمة، إذ يركز الآن على إخراج المسلمين من إسلامهم، أو يعمل على نزع ثقة المسلمين بدينهم ورسولهم محمد صلى الله عليه وسلم.

ورغم ذلك لم يقف المسلمون مكتوفي الأيدي من حملات التنصير، بل قاوموها وإن كانت المقاومة على غير مستوى الحملات من نواح عدة، ولكن مبدأ المقاومة كان ملحوظا، ولا يزال قائما مع اختلاف في القوة وفي النظرة إلى النصارى والمنصرين، تبعا للحال التي وصل إليها المسلمون، ومواجهة التنصير تدخل في إطار الصراع بين الحق والباطل، ولذا فإنه يتوقع للمواجهة الاستمرار، مع الاستمرار في تقويم الأهداف والأساليب والوسائل والخطط والاستراتيجيات والنتائج.

وفي سبيل خطوات عملية في استمرار المواجهة وتنظيمها نأتي ببعض التصورات القابلة للتنفيذ على الواقع، ويأتي من أهمها:

أولا: التوعية: استمرار التوعية بأخطاء التنصير والمنصرين على المجتمع المسلم، مهما اعتقد هذا المجتمع أنه محصن من هذه الهجمات، والتوعية تأخذ أشكالا عدة مثل: المحاضرات العامة، والأحاديث الإعلامية، والكتابات الصحفية وغيرها من الأشكال.

ثانيا: هيئة إسلامية: إنشاء هيئة إسلامية عامة لمواجهة التنصير تقوم برصد أوجه نشاطه، وتسهم في تحقيق النقطة الأولى باتخاذ السبل المناسبة والمتاحة لها كالمؤتمرات والندوات والنشر وغيرها.

ثالثا: الدورية: إصدار دورية متخصصة بالدراسات العلمية التنصيرية، تنشرها إحدى المؤسسات العلمية الإسلامية، وتنشر موضوعاتها بأكثر من لغة من لغات العالم، وتتخذ السبل في سبيل صدورها من تأمين التمويل المادي واستكتاب المهتمين.

رابعا: البحوث: التركيز على البحوث والدراسات التنصيرية في الجامعات والمعاهد العليا، لاسيما في أقسام الثقافة والحضارة الإسلامية، أو الدراسات الإسلامية في الجامعات الإسلامية، ويسبق هذا قيام مراكز معلومات تبني تقنية المعلومات الحديثة في التعامل مع المعلومات المحدثه جمعا وتخزينها واسترجاعا.

خامسا: الإغاثة: التكثيف من أعمال الإغاثة في المجتمعات المسلمة الفقيرة، وتقديم البديل الجيد في المجالات الطبية والتعليمية والإغاثة الأخرى، والعمل على التوكيد التنسيق بينها، وأنها لا تتنافس فيما بينها ولا تنافس الهيئات الإغاثية التنصيرية والدولية، بل هي تسعى إلى القيام بواجبات تجاه المسلمين.

سادسا: المنح: تتحمل الجامعات والمؤسسات التعليمية الإسلامية وظيفة تربية مهمة، وهي مسؤولة أمام المجتمعات المسلمة، الفقيرة، ومعظم المجتمعات المسلمة فقيرة، بتقديم المنح لأبناء هذه المجتمعات في مقراتها أو في مؤسسات علمية في بلادهم، وتقديم الطاقات البشرية العاملة لتوجيه الشباب التوجيه السليم.

سابعا: المسلمون: ونعني بالمسؤولية المشتركة، كل مسلم يتحمل جزءا منها، فليس من الحكمة أن تحصر مسؤولية المواجهة وتقديم البديل الجيد على حكومات أو مؤسسات أو أفراد دون حكومات أخرى أو مؤسسات أو أفراد، وتبدأ المسؤولية من مفهوم الرعاية انطلاقا من البيت، ثم إلى مؤسسات المجتمع المسلم المختلفة، العلمية والتربوية، والتجارية والاقتصادية والصناعية، والسياسية والدعوية والإغاثية وغيرها، والتحديد بجهات بأنها قادرة بعينها دون سواها مدعاة لتعليق المسؤولية على هذه الجهات فقط من منطلق التهرب من المسؤولية المناطة بالجميع دون استثناء، وكل مطالب بتقوى الله تعالى، وكل لديه القدرة على قدر من التقوى.

ثامن: التميز: الإصرار على التميز عن العالم الآخر، ليس بحكم العرق أو اللون أو الإقليم، ولكن بحكم الانتماء العقدي الذي يفرض مسألة الانتقاء في الأفكار والمفاهيم والثقافات المستوردة، فيعرضها على معيار الكتاب والسنة ومصادر التشريع الأخرى، فيقبل منها ما لا يتعارض مع المعيار، ويلفظ ما لا يتناسب معه، ولا ينطبق هذا على الأفكار والثقافات والمفاهيم فحسب، بل يشمل كل مقومات الحياة الاجتماعية والإنسانية والتقنية على حد سواء.

تاسع: العلم: على المجتمع المسلم اليوم أن يقدر على الاكتفاء الذاتي أولاً، ثم الإسهام في التقدم العلمي العالمي الموجه ثانياً، وليست بالمبالغة في هذه النقطة بحال، فالطاقات العلمية والموارد البشرية الأخرى والموارد الطبيعية وغيرها من مقومات النهوض كلها موجودة -بفضل الله تعالى- وتبقى مسألة توظيف هذه الطاقات، وتوظيفها اليوم أحسن وأفضل بكثير من توظيفها بالأمس، وفي هذا تشغيل للطاقات المسلمة من جهة، واستغناء عن الطاقات الأجنبية من جهة أخرى، مع التأكيد، كذلك على الاتصال بالعالم الآخر واحترام الاتفاقيات الدولية، وعدم إثارة الآخرين على المجتمع المسلم أكثر مما هم مثارون عليه الآن.

عاشرا: المبادرات: ولا بد أخيراً من التأكيد على الابتعاد عن ردود الأفعال، والاستعداد لكل نائبة متوقعة من نوائب الدهر عن طريق استشراف المستقبل، والتخطيط المسبق، والنظرة بعيدة المدى، فنحن مستخلفون في هذه الأرض، فنعد لها عدتها، ليس على أنها دار قرارنا، ولكن على أننا مطالبون بعمارته، ولا تعناقد بين المفهومين، إذ إن مفهومنا يقوم على غرس فسيلة النخيل والقيامة تقوم.

وختاماً نرجو أن نكون بهذه المعلومات قد أسهمنا بجهد المقل في وسيلة من وسائل مواجهة التنصير من خلال التعرف على أهدافه وسائله، واقتراح سبل مواجهته، فإن كنا قد وفقنا في هذا بفضل الله تعالى علينا، وإن كنا قد قصرنا دون المتوقع فمن نفسنا، ومهما يكن من أمر فإن عمل بني آدم عارض لتبديل وتصحيح، فكل يؤخذ من كلامه ويرد إلا المعصوم محمداً صلى عليه وسلم الذي لم

ينطق بالهوى، وندعو الله تعالى أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الرابع: بعض المراكز المسيحية في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى:

إذا كانت منطقة الشرق الأوسط منبع الأديان السماوية الثلاثة، فإن القارة الأفريقية استقبلت هذه الأديان السماوية التي جاء بها الأنبياء الثلاث موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام في وقت مبكر جدا، وذلك لقربها الشديد من الشرق الأوسط أولا، وما يتميز به أهلها من حسن الضيافة ثانيا، وهو ما شهدته نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لما كان ينصح لأصحابه بالقدوم إليها في محتهم مع القريش، كما أن وجود يهود فلاشا في القارة يدخل في إطار حسن الضيافة المذكورة، وقد احتضن أفريقيا الديانة المسيحية كذلك منذ بواكير عهدها، حتى أصبحت منذ القرن الرابع جزءا لا يتجزأ من الهوية الثقافية لبعض شعوب المنطقة، حيث يوجد هناك بعض الآثار المسيحية إضافة إلى المراكز المسيحية في المناطق المختلفة من القارة السمراء، يأتي هذا المبحث لبيان لنا بعض هذه المراكز المسيحية في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى بإذن الله.

المطلب الأول: بعض المراكز المسيحية في شرق أفريقيا:

تعد ساحل شرق أفريقيا المنطقة الوحيدة في جنوب الصحراء الكبرى التي شهدت دخول الديانات الثلاثة (اليهودية - المسيحية - والإسلام) في وقت مبكر من تأسيسها، كما تأتي ضمن المناطق ذات التقاليد الحضارية العريقة والراسخة، فقد ازدهرت المسيحية في هذه المنطقة خلال خمسة قرون أو أكثر، وذلك لما تمتعت به تلك المنطقة من استقرار خلال هذه الفترة، وبعد استقرار المسيحية وانتشارها في المنطقة تم تأسيس بعض المراكز المسيحية في تلك المنطقة تحت ظل الممالك المسيحية التي قامت في شرق أفريقيا؛ وقد سبق أن أشرنا إلى هذه الممالك، ويأتي هذا المطلب أن يذكر لنا بعض هذه المراكز المسيحية في ساحل شرق أفريقيا بحول الله عز وجل.

المركز الأول: مدينة دنقلا العجوز:

مدينة دنقلا: هي مدينة سودانية تقع شمالي السودان على الضفة نهر النيل الغربية؛ حيث تعتبر مدينة دنقلا Dounkoula عاصمة الولاية الشمالية لدولة السودان والتي تبعد حوالي 530 كم عن العاصمة الخرطوم، وهي مدينة أثرية قديمة غنية بالكثير من الآثار التي تعود لحضارات سودانية عديدة عاشت في المنطقة عبر مر العصور.

وكانت دنقلا العجوز عاصمة دولة المقررة المسيحية، هي منطقة أثرية غنية، ترقد على مساحة شاسعة من الارض لم يتم تحديدها بصورة قاطعة ، لأن الكشف الأثري تترى كل يوم بجديد من أسرار المدينة التي كانت مركزا لإشعاع المسيحية في أفريقيا جنوب مصر. 628

أصل تسميتها:

اختلفت الروايات حول تسميتها، قيل: أن لفظ دُنُقْلا مشتق من الدنقل (بضم حرف الدال وتسكين النون ورفع القاف) وهو الطوب الأحمر باللغات النوبية، وسميت كذلك لأن مبانيها كانت تبني من الطوب الأحمر على خلاف ما جاورها من أمصار مشيدة بالطين المجفف بالشمس. 629

وهناك رواية أخرى تقول بأن المدينة سميت على اسم ملك نوبي "دنقل" الذي حكم المنطقة فترة من الزمن. 630

وهناك من يقول بأن دنقلا كلمة نوبية تتكون من مقطعين هما «دونقي» أي المال، و«لا» (النافية) أي انعدام المال، وبذلك يشير لفظ دنقي – لا إلى مكان «بلا مال». 631

628 العثور على مقبرة ملوك دولة المقررة، عبد الله الشيخ، صحيفة الراكوبة، الخرطوم، 2014م، ص: 1.

629 دنقلا مدينة التاريخ والحضارات القديمة في السودان، صلاح الدين مصطفى، صحيفة القدس العربي، الخرطوم، 2017م، ص: 1.

630 العثور على مقبرة ملوك دولة المقررة، عبد الله الشيخ، المرجع السابق، ص: 1.

631 George Waddington und Barnard Hanbury: Journal of a Visit to Some Parts of Ethiopia. John Murray, London 1822, S. 94, p : 25.

أطلق عليها اسم دنقلا العجوز لتمييز بينها وبين دنقلا العرضي المعروفة حاليا، التي تم تأسيسها بعد هجرة المماليك من مصر عام 1811م، وتقع شمال دنقلا العجوز على الشاطئ الأيمن من النيل، واتخذها إسماعيل باشا مركزا لجيشه إبان غزوه السودان سنة 1821م.⁶³²

وكانت دنقلا عبارة عن مركز تجمع فيه أموال الضرائب والعشور المتمثلة في الغلال والحبوب والبهاء قبل إرسالها إلى سلطان الفونج في سنار الذي كان يحكم المنطقة. فأطلق عليها اسم «الأورطة» وهو مصطلح عسكري تركي مصري يعني الفرقة العسكرية أو مقر الفرقة العسكرية، وحرف الأهالي الكلمة إلى «الأورادي» ثم أخيرا إلى «العرضي».⁶³³

آثار المسيحية في دنقلا العجوز:

شهدت مملكة مقرة حضارات قديمة واشتهرت بمعابد «أبادماك» إله الحرب والصحراء عند الكوشيين، وكذلك تعتبر مركزا للحضارة المسيحية كما يتضح ذلك من الآثار المسيحية التي تبقى فيها إلى يومنا هذا.

وكان القرنان الرابع والخامس الهجريان/العاشر والحادي عشر الميلاديان في النوبة فترة مؤاتية إلى أبعد حد لتطور الفنون والعمارة، فقد كان بناء الكنائس هو أهم مظاهر العمارة في العالم المسيحي بأكمله، فهناك أكثر من 120 كنيسة معروفة في النوبة.⁶³⁴

632 دنقلا مدينة التاريخ والحضارات القديمة في السودان، صلاح الدين مصطفى، المرجع السابق، ص: 1.

633 نفسه، ونفس الصفحة.

634 قائمة حصر بكل الكنائس المعروفة في النوبة، و.ي. آدمس، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، 1965م، ص: 473.

وجدير أن نشير إلى أن العمارة الدينية النوبية مستقاة من الكنائس من نوع البازيليك الذي كان سائدا في المملكة. فقد اكتشفت البعثة البولندية الكنيسة القديمة في دنقلة، وطابقت رسمها التصميمي بالرسم الخاص بالكنيسة الصليبية.⁶³⁵ على هذا يتضح لنا أن العمارة الدينية النوبية كان يسودها اتجاهان متساويان في الأهمية - هما: نمط التصميم المركزي والنمط البازيليكي المستطيل - وأن كلا منهما كان له تأثيره على مباني الكنائس المختلفة.

وتتجلى الاتجاهات الرئيسية في العمارة أول ما تتجلى في المباني الضخمة التي أنشئت في المراكز الثقافية والإدارية التي كانت تضم المطرانيات أيضا؛ مثل دنقلة العجوز وفرس، وأصبح نمط عمارة هذه المدن الكبيرة نموذجا يحتذى إلى حد ما في المناطق الأخرى من البلاد، وقد أفضى تطور فن العمارة خارج المدن الكبيرة إلى التصميم الذي يسمى "التصميم النوبي" الكلاسيكية والفترات المتأخرة، وتتضح في هذا النمط غالبية تفاصيل الترتيب والتزيين الداخليين، ومبنى الكنيسة فيه عادة مستطيل الشكل، اتجاهه شرقي - غربي، تقسمه أرصفة أو أعمدة إلى صحن وجناحين، ويوجد جزء كبير من الصحن مغلق من الناحية الشرقية بقوس أمامي به منبر نصف دائري، وهناك على جانبي القوس الأمامي غرفتان؛ الشمالية منهما تستخدم للإجتماعات والصفوف الكنسية أو لمجلس الكنيسة، والجنوبية هي بيت المعمودية، وتوجد في الجزء الغربي من الكنيسة غرفتان مبنيتان عند الركنين، تحتوي الجنوبية منهما - كقاعدة عامة - على سلم في حين أن الغرض من الغرفة الشمالية لا يزال غامضا، ويتجه مدخلا الكنيسة من الجنوب ومن الشمال مباشرة إلى الجناحين، وتقوم منصة للقراءة في الطرف الشمالي من الجزء الأوسط من الصحن.⁶³⁶

635 نفسه، ص: 474.

636 قائمة حصر بكل الكنائس المعروفة في النوبة، و.ي. آدمس، المرجع السابق، ص: 476.

هذا هو التصور العام لفن العمارة الدينية في دنقلة العجوز، وهناك في العمارة الدينية بأكملها فترات وخطوط تطور معينة تأثرت أيضا بعناصر حضرت من خارج النوبة، ويمكن تمييزها على النحو التالي:

الفترة الأولى: ينقسم هذه الفترة إلى قسمين:

الأولى: التأثير الأجنبي على العمارة الدينية النوبية، حيث كانت الكنائس تقام على أساس تصميم مستطيل وحيد المحور وجناحين، وكانت تبنى عادة من الآجر وتغطي بسقوف خشبية محملة على أعمدة من الآجر.

الثانية: تطور نشاط البناء، وكان إنشاء الكاتدراليات الكبيرة من الحجارة المربعة المنحوتة أو من الآجر المشوي، وبقي التصميم على حاله؛ بثلاثة أو خمسة أجنحة وسقوف محملة على أعمدة، وإلى جانب ذلك؛ استمرت تقاليد البناء بالآجر في المباني الأصغر حجما، وقد تطور خلال هذه الفترة أبرز الأشكال النمطية للمبنى الكنسي النوبي.

الفترة الثانية: أدى تطور أنماط الكنائس، مقترنا بالتأثيرات المعمارية الأرمنية والبيزنطية، إلى تحول كامل في المفاهيم المتعلقة بأشكال المساحات في المباني، وقد تطور خلال هذه الفترة اتجاهان: فبينما ظل الأسلوب التقليدي محافظا على بقائه في الأقاليم، ظهر في العاصمة (دنقلة) أسلوب جديد رسمي للمباني يتميز بتصميم مركزي، وكان الآجر المشوي يستخدم على نطاق واسع، وقد بنيت خلال هذه الفترة في دنقلة كنيسة أعمدة الجرانيت،⁶³⁷ وفي هذه الفترة بلغت العمارة النوبية قمة إمكاناتها الإبداعية، وتعتبر كنيسة الضريح في دنقلة العجوز -التي أقيمت وفق تصميم الصليب اليوناني- نموذجا للمفاهيم الأصلية التي طورها المعماريون النوبيون مع الاستفادة من الإنجازات المعمارية في العالم المسيحي الأوسع نطاقا، ولا شك أن دنقلة أصبحت في تلك الفترة المركز الرئيسي للأنشطة المعمارية في النوبة.

637 هي ذات تصميم صليبي مدرج في داخل تصميم بازيليكى الشكل.

الفترة الثالثة: يتعذر في هذه الفترة تمييز التيار الأساسي في خط التطور، وإذ إن أنشطة البناء توزعت بين مراكز متعددة استوعبت تأثيرات متنوعة مستمدة بصفة رئيسية من أصل بيزنطي، وكانت السمة العامة المشتركة في ذلك الوقت: هي إدخال الغطاء المقبب في أواخر القرن العاشر الميلادي، وهو مفهوم معماري ارتبط بالنهج الجديد لشكل كنيسة أصبح المحور الرأسي فيها هو الذي يضطلع بأهم الأدوار، وأدى إلى تحول في شكل كل من الكنائس المستطيلة (البازيليكية) والكنائس ذات التصميم المركزي، بإضافة قباب في الجزء الأوسط والاستعاضة عن الأعمدة بدعامات من الحجر الذي شاع استخدامه مرة أخرى، وإلى جانب إعادة بناء الكنائس القديمة، بدأ إنشاء كنائس أخرى جديدة نتجت أشكالها عن تبسيطات متنوعة وتعديلات تمثل حلولاً نوبية للمشكلات المعمارية. 638

يبين لنا مما سبق أن مدينة دنقلة العجوز من أبرز مراكز المسيحية في منطقة شرق ساحل أفريقيا، ويتضح ذلك من الآثار المسيحية التي سبق الإشارة إليها، التي توجد بعض آثارها إلى يومنا هذا، بالإضافة إلى بعض الآثار القديمة غير المسيحية التي توجد في مدينة دنقلة العجوز، مثل: مسجد عبد الله بن أبي السرح، وهو مسجد أثري يعتبر أول مسجد بني في السودان.

المركز الثاني: مدينة سوبا:

مدينة سوبا Soba من أعرق المدن في شرق النيل، ويرجع تاريخها الموغل في القدم إلى مملكة علوة حيث أنها العاصمة لتلك المملكة المسيحية التي هي آخر الممالك المسيحية في السودان الشمالي وتوجد بها العديد من الآثار الدالة على تلك الحقبة.

الموقع: تقع مدينة سوبا شرق على الضفة الشرقية للنيل الأزرق في اتجاه مصبه على مساحة تقدر بـ 10 كلم مربع، وموضعها عند خط عرض 25، 14 شمالاً وخط طول 25، 32 شرقاً على ارتفاع 1245 قدماً فوق سطح البحر، تحدها شمالاً مدينة أمدموم على شاطئ النيل الأزرق التي تبعد عن سوبا (عاصمة مملكة علوة) بنحو 6 كلم، وجنوباً تحدها مدينة العيلفون على شاطئ النيل الأزرق وقرية الحديبة وشرقاً قرية السمرة والتي يرجع جذورها إلى قبيلة المغاربة وفي الجنوب الشرقي مدينة أم

638 انظر تاريخ أفريقيا العام، ميكالوفسكي، المجلد الثاني، الفصل الثاني عشر، اليونسكو، 1964م، ص: 337.

ضوابان والكرنوس وغربا للنيل الأزرق في محاذاة النيل مدينة سوبا غرب، وتبعد سوبا شرق عن وسط الخرطوم بنحو 18 كلم ويستغرق المشوار على طريق الأسفلت أقل من 20 دقيقة تقريبا. 639

تسميتها: ومعنى اسم سوبا نجدها ذات علاقة بالكلمة المحسية (سوب) والكلمة الكنزية (سوب) وتعني الجدران وقد فسرهما كروفرد بأنها تعني (الجدران القديمة)، كما نجد سوبا عند الرحالة والجغرافيين العرب حيث مثل: اليعقوبي وابن حوقل المسعودي والأسواني، ومن هذه الأوصاف يبدو أنها تمثل إقليما خاصا في المملكة وتحكم مباشرة بواسطة ملك سوبا. 640

آثار المسيحية في سوبا: لقد أشار عدد كثير من الكتاب العرب إلى مملكة علوة المسيحية وعاصمتها (سوبا)، التي تشكل من أهم ملامح العهد المسيحي في شرق أفريقيا، حيث اعتنق النوبيون المسيحية في القرن السادس الميلادي، وبدأ عصر تقدم ديني وحضاري في المنطقة، وكان أثر امتزاج الحضارة المحلية والعناصر الثقافية الجديدة التي جاءت من مناطق البحر المتوسط، وقامت حركة فكرية وفنية، وكان عصر ازدهار فني وقوة سياسية وتاريخ مهم، وتوجد بها مجموعة من الكنائس التي بنيت على طراز (البازيلكا)، ومنازل سكنية مسقوفة بأشجار الدوم، وبها مقابر يرجع تاريخها إلى العهد المسيحي في سوبا.

قد عرفت الديانة المسيحية في بلاد النوبة قبل أن تعتنقها بزمان طويل، وعندما جاءت البعثات التبشيرية إلى هذه البلاد حوالي عام 453م، وأحرزت نجاحا سريعا حتى صارت المسيحية الدين الرسمي للسودان الشمالي في عام 580م، كان من المشاهد المادية للحضارة النوبية المسيحية الكنائس والمسكن والمدافن والرسوم الحائطية التي تزين جدران الكنائس، التي عبرها الرحالة رويني ديفيد Robini Divid في العام 1523م، وصفها بأنها كانت مبان عظيمة وتتمتع بمعالم تاريخية مميزة، ووجد أن الخراب قد أصابها من قبل، ووجد الناس يسكنون في أكواخ من الخشب، كما أكدت ذلك الحفريات التي أجريت في سوبا 1950 – 1952م على أنها مدينة ذات مبان عظيمة من الطوب وتتمتع بحضارة عريقة. 641

639 آثار مملكة علوة 500م – 1500م (إقليم سوبا)، دة/ رباب عبد الرحمن، ط 1، الخرطوم، 2006م، ص: 35.

640 نفسه، ص: 55.

641 آثار مملكة علوة 500م – 1500م (إقليم سوبا)، دة/ رباب عبد الرحمن، المرجع السابق، ص: 55.

أما عن نوع الكنيسة في سوبا فقد كانت شبيهة بالكنائس في النوبة وبنيت من الطوب المحروق ونوعها يعرف بالبازيلكا وفقا لنماذج الكنائس اليونانية في سوريا وفلسطين، وكانت معظم الكنائس من الحجم الصغير حيث نجد الكنيسة مستطيلة الشكل فيها ممرات من الجهة الشمالية والجنوبية تفصلها من صف الكنيسة سلسلة من الأعمدة وعند طرف الكنيسة الشرقي نجد فيه من الداخل وأمامها المزيج يعرف هذا الجزء من الكنيسة بالهيكل في الكنيسة القبطية، وازدانت جدرانها الداخلية بصور السيد المسيح والسيدة مريم العذراء والحواريين الإثني عشر.⁶⁴²

أما عن المنبر فعادة نجده بالقرب من آخر عمود في الناحية الشرقية من الممر الشمالي ودائما ما نجد في الجزء الغربي من الكنيسة برجا في الركن الجنوبي وآخر في الركن الشمالي، أما الداخل فنجدها في الجدران الشمالي والجنوبي، وتدلنا الكنائس في سوبا على تصميم أكثر دقة إلى حد ما؛ ذلك للزيادات التي أضيفت على البناء الأساسي من الجهة الشمالية والجنوبية.⁶⁴³

وأما يخص المقابر ففي عام 1851م وصل إلى سوبا الكاردينال ماسايا Massaya، يصف الكشف عن مدفين كانت الأجسام فيها منبوذة والعظام متناثرة، وقد عثر على صلبان في المدفين، تشكل المداخل في كل من المدفين عن طريق أربعة ألواح ضخمة من الطين المحروق، حوالي 1 متر طولا و1/2 متر عرضا مثبتة على الجدار المحيط، وكانت بعض تلك الألواح في وضعها الطبيعي، بينما الأخرى تعرضت للكسر بفعل إزالة الدران، كما وجدت بعض الحروف القبطية والإثيوبية في النقوش التي غطت الألواح.⁶⁴⁴

احتوت مقابر تم الكشف عنها في عام 1925م في ود الحداد على جرار فخارية، بعضها من الأنواع المشهودة في سوبا، مزخرفة بأشكال مسيحية لا شك فيها محتويات جنائزية مرتبطة بمدفن لأناس مسيحيين معروفة في أماكن أخرى من النوبة.⁶⁴⁵

642 Soba, église A, VIIe siècle, Welsby et Daniels, vol III, Editions UNESCO, 1991, p : 208.

643 Soba, église A, VIIe siècle, Welsby et Daniels, vol III, Editions UNESCO, 1991, p : 210.

644 The Opening of the Nile Basin : Writings by Members of the Catholic Mission to Central Africa on the Geography and Ethnography of the Sudan Toniolo, Elias & Hill, Richard, 1842, p: 655.

أما في الفترات اللاحقة فقد اكتشفت في الحفريان التي تمت بالموقع عددا من المقابر بواسطة دانييل ولسبي Daniel Welsby في موسمي 1989-1990 م و 1991-1992 م حيث اكتشفت 14 مقبرة شرق وشمال الكنيسة، وكلها تحتوي هياكل بشرية، واكتشفت كذلك مقبرة عام 1989 م تضم 16 هيكلًا وجدوا مع بعضهم إلى جانب بعض الأجزاء من المنسوجات و 23 مقبرة في الشرق والجنوب على بعد 3 أمتار من السطح وفي أرض مرتفعة قليلا.⁶⁴⁶

من خلال ما سبق فقد يتبين الأهمية الحضارية المسيحية في مدينة سوبا التي كانت عاصمة للمملكة علوة المسيحية، وكانت احد أهم المراكز الحضارية المسيحية في العصر الوسيط، وجدير بالذكر هنا أن مدينة سوبا عندما تحولة إلى الإسلام خلال فترة الفونج صارت إحدى المدن الفونجية المهمة، هذا ما يوضح الاستمرارية الثقافية والحضارية لمدينة سوبا.

المركز الثالث: جزيرة صاي:

جزيرة صاي Saye واحدة من أهم مناطق تاريخية في ساحل شرق أفريقيا، والتي تذخر بالعديد من المواقع الأثرية التي تعود إلى فترات تاريخية مختلفة منذ فترة العصور المسيحية إلى الفترة الإسلامية، بالإضافة إلى العادات والتقاليد الاجتماعية المتجذرة منذ القدم.

وقد تم التركيز في هذه الدراسة على أهمية جزيرة صاي التي مرت بحقب تاريخية مختلفة، وكما تتناول الدراسة سرد لبعض الآثار المسيحية في المنطقة؛ كل ذلك لوضع دراسة متكاملة عن موقف جزيرة صاي والتعرف على دوره في ازدهار حضارات شرق أفريقيا.

الموقع: تقع منطقة السكوت في الولاية الشمالية وهي المنطقة الواقعة بين منطقتي حلفا والمحس وتمتد بين قرية سونكي الواقعة جنوب وادي حلفا المغمورة بمساحة مائة وعشرين كيلو مترا وبين قرية اشمتو التي تقع على مسافة مائتين وعشرين كيلومترا إلى الجنوب من وادي حلفا، وتقع منطقة السكوت بين خط عرض (29: 20 درجة) جبل دوشة جنوبا وخط عرض (13: 21 درجة) قرية سونكي.⁶⁴⁷

⁶⁴⁶ Soba, église A, VIIe siècle, Welsby et Daniels, vol III, Editions UNESCO, 1991, p : 3.

⁶⁴⁷ Geuse. F: Towseason in Sai Island, A preliminary report Kush X vi. 1994, p : 95.

وتعتبر جزيرة صاي واحدة من الجذر التي تقع في منطقة السكوت حيث تعتبر ثاني أكبر جزيرة في السودان بعد جزيرة مقرات، وتبلغ مساحتها 445 كلم. 648

ويبلغ طول الجزيرة 12 كلم وعرضها 4.5 كلم تقريبا، وتقع الجزيرة على بعد 180 كيلو متر على الجنوب من وادي حلفا أي في النهاية الجنوبية لشلال دال والذي يبدأ بحدود صخرية شمال عمارة. 649

معنى اسم صاي: أطلق اسم صاي بواسطة كل من بكهارت Buckhardt وادنجتون

Waddington وهانبري Hanbury ب Saye و Saide، وبواسطة لينانت بلفوند Linat

Bellefond بلفظ Says، وبواسطة كايو Cailliau بلفظ Sais، وبواسطة هوسكن

Hoskins بلفظ Zah أو Zadej وهو الاسم المصري القديم للجزيرة، وفي النقوش المسيحية

التي وجدت في الجزيرة بلفظ Shaye في الصيغة المروية. 650

وفي الأدب الشفاهي لدى أهل صاي، هنالك قصة مفادها أن صاي في أزمانها الغابرة لم تكن جزيرة، بل كانت مجرد قرية تقع على الضفة الغربية من نهر النيل، وكان يحدها من الغرب وادي منخفض، وكان الناس في الأصل يقطنون على الجانب الشرقي، وتقول الحكاية الشعبية أن أهالي صاي قرروا أن يحفروا قناة في ذلك الوادي المنخفض، تجعل من صاي جزيرة وبالفعل قاموا بالمهمة في ساعة واحدة فقط، ومن حينها أصبح اسمها جزيرة "ساعة" فتحرف الاسم ليصبح أخيرا صاي. 651

هذه الحكاية قد تفدي بالمرء بالمسارعة لدحضها، وذلك لاشتغال الاسم على كلمة عربية مثل "ساعة" لكن لا بد من الحذر لدى التعامل مع التراث الشفاهي وذلك لأنه يمكن أن يسافر عبر القرون، دون تغيير جوهري يستحيل معه تتبع القصة النواة. 652

648 Guse. F: Towseason in Sai Island, A preliminary report Kush X vi. 1994, p: 95.

649 Vercouter, John: Kush. Journal of the Sudan Antiquates Service, volume vi. 1958, p: 81.

650 من حياة تراث النوبة بمنطقة السكوت، الخرطوم، سيد محمد عبدالله، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، 1974م، ص: 60.

651 قصة الحضارة، هاشم، محمد جلال أحمد، نسخة تحت الطبع، 2006م، ص: 19.

652 نفسه، ص: 27.

صاي في فترة الممالك المسيحية:

تلت فترة انقضاء الحضارة المروية حقبة غموض لم يتبين منها شيء نسبة لصمت المصادر عنها، وتحدد ذكر السودان في المصادر عندما انتشرت المسيحية خاصة في مصر، وقامت في بلاد النوبة ثلاث ممالك نوبية تدين بالمسيحية نوباتيا في الشمال وعاصمتها فرس، والمقرة في الوسط وعاصمتها دنقلا، علوة في الجنوب وعاصمتها (سوبا).⁶⁵³

وقد انتشرت المسيحية عبر المذهبين يعقوبي والملكاني - وقد انتشرت الكنائس، إلا أن مركز الإشعاع الديني محليا انحصر في الكاتدرئيات وقد كانت هنالك ثلاثة منها في كل من فرص والثالثة في صاي ويوجد عليها أسقف وليس مجرد قسيس.⁶⁵⁴

وتشير جميع كتابات المؤرخين العرب والمصادر القبطية كذلك أن بلاد النوبة (المقرة وعلوة) اتجهت زعامتها الروحية إلى الكنيسة المصرية وتضم بلاد النوبة ثلاث عشرة أسقفية (كرسيا) تابعة للكنيسة المصرية التي كانت تتولى تعيين الأساقفة وإرسالهم إليها، وكانت صاي مقرا لإحدى هذه الأسقفيات، وأما المواقع التي تعود للفترة المسيحية في صاي فهي شاخصة إلى حد ما وقام بتسجيلها ثابت حسن ثابت في عام 1954م.⁶⁵⁵

أما عن شكل التصميم فيرى آركل أن بعض الكنائس في صاي بنيت على شكل قلاع مستطيلة من الحجر يعلوها أبراج وهي تشبه ذلك الطراز الأوروبي المعاصر الذي استخدمه الصليبيون في مصر وسوبا.⁶⁵⁶

653 السودان عبر القرون، شببكة مكي، دار الجبل، بيروت، 1991م، ص: 1.

654 قصة الحضارة، هاشم، محمد جلال أحمد، المرجع السابق، ص: 43.

655 مجموعة الوثائق العربية الخاصة بتاريخ السودان في العصور الوسطي، مسعد مصطفى محمد، مكتبة جامعة القاهرة، 1972م، ص: 92.

656 Arkell, A.J: A history of the Sudan to AD. 1821, London 1955, p: 149.

وتعرف آخر أسرة مسيحية كانت تعيش في صاي باسم (ياسكي) ثم كان أن انتهت المسيحية في جزيرة صاي متمثلة في الكاتدرائية التي لا تزال أعمدتها المنحوتة من الجرانيت الرمادي تبرز في منطقة مغطاة بكسار الطوب المحروق وقطع الفخار في الموقع المسمى دلجج (Dalgij).⁶⁵⁷

نلاحظ مما سبق أن جزيرة صاي في العصر المسيحي أيضا حالف الحظ من أن تكون موقع استيطان، كما كانت عليه الحضارات السابقة وهذا ما دلت عليه موقع الكنائس الموجودة في الجزيرة، وأيضا وجود الأعمدة التي عليها شكل الصليب، وكذلك آثار آخر أسرة مسيحية في الجزيرة، وكل هذا دليل على أن الموقع شهد العهد المسيحي وازدهر في تلك الفترة. هذا؛ ما توصلنا إليها خلال الدراساتنا حول المراكز المسيحية في ساحل شرق أفريقيا، والآن سنتقل إلى الدراسة المراكز المسيحية في غرب أفريقيا، ونسأل الله جل عل أن يوفقنا لما يحب ويرضى.

المطلب الثاني: بعض المراكز المسيحية في غرب أفريقيا:

للمسيحيين بعض مراكز مقدسة لديهم في غرب أفريقيا يحجون إليها سنوي على الأقدام، ويعني ذلك عندهم أن التقدم الروحي يجب أن يرافقه التقدم الجسماني، ومن أشهر هذه المركز المقدسة ما تأتي:

المركز الأول: بعض أماكن في السنغال:

1- مدينة سانت لويس Saint Louis: هي عاصمة منطقة سانت لويس، تقع المدينة شمال غرب السنغال، بالقرب من مصب نهر السنغال، على بعد 320 كم من العاصمة داكار، تأسست سانت لويس على يد المستعمرين الفرنسيين عام 1659م.

657 قصة الحضارة، هاشم، محمد جلال أحمد، المرجع السابق، ص: 45.

وكانت عاصمة السنغال من عام 1872م ولغاية 1957م لعبت دورا ثقافيا واقتصاديا بالغ الأهمية في مجمل أرجاء أفريقيا الغربية، وتعود القيمة الخاصة التي تتسم بها هذه المدينة وهويتها إلى موقعها الجغرافي في جزيرة عند مصب نهر السنغال وإلى تخطيطها المدني المنتظم ونظام الأرصفة وهندستها الاستعمارية المميزة.⁶⁵⁸

وفي عام 1872م منحتها السلطات الاستعمارية الفرنسية صفة بلدية فرنسية ضمن مدن وبلديات فرنسا ما وراء البحار، وبموجب هذه الصفة كان سكان المدينة يتمتعون بحقوق المواطنة الفرنسية، وتحتفظ الآثار القديمة للمدينة بمسحة استعمارية واضحة كبعض المباني الإدارية والسكنية والمخازن التجارية والطرق والجسور.

2- **بوبانغين Popanguine** : الواقع في إقليم تيس Thies وهو أكبر مكان مسيحي "مقدس" يحج إليه السنغاليون المسيحيون سنويا وذلك في الاثنين من بانتاكوت Pentacote، ومنذ قرون وخاصة لدى زيارة البابا يوحنا الثاني عام 1992م أصبح هذا المكان قداسا دوليا يزوره الحجاج الوافدون من الدول المجاورة مالي، غينيا، غينيا بيساو، غامبيا.⁶⁵⁹

3- **قدس الأقداس لمريم العذراء بجافات Ndiafat في معبد Diocese كاولاك:** وهو حديث عهد لكنه عرف نجاحا كبيرا في السنوات الأخيرة، ويبلغ عدد زواره أكثر من ألف حاج، ويكون الحج في هذا المكان يوم الأحد الأقرب من عيد القلب المقدس Sacre Cœur في هذا المكان دفن أحد المرتدين عن الإسلام ويدعى سليمان جالو أحد كبار التجار السنغاليين المشهورين.⁶⁶⁰

⁶⁵⁸ قائمة التراث العالمي - السنغال 2012م - Retrieved.

⁶⁵⁹ التنصير والمسيحية في السنغال، محمد المختار جبي، مقال منشور في موقع: قراءات أفريقية - www.giraatafrican.com، 2016م.

⁶⁶⁰ المرجع نفسه.

المركز الثاني: مدينة ياموسوكرو Yamoussoukro :

ياموسوكرو: هي عاصمة ساحل العاج "كوت ديفوار Côte D'Ivoire"، وهي العاصمة السياسية والإدارية للبلاد. ورغم أنها ليست أكبر مدن كوت ديفوار ولا تتمتع بموقع استراتيجي إلا أنها مدينة بها الكثير من المنشآت الدينية (المسيحية) الهامة، وجاءت أهمية مدينة ياموسوكرو من كونها مسقط رأس.⁶⁶¹

وتشتهر ياموسوكرو بمبانيها الجميلة ومنشآتها الحديثة، وبكنيستها التي تعتبر أكبر كنيسة بأفريقيا (كنيسة سيدة السلام)، وإحدى أكبر الكنائس بالعالم والتي افتتحها البابا يوحنا بولس الثاني عام 1990م في احتفال ضخم ومشهود، بعد أن أنفق الرئيس "فيليكس أفوي بونيه Felix Houphoet Boigny" أموالا هائلة في بنائها وتشييدها على معايير البناء الكنسي المعهود وفي بقعة كبيرة من الأرض تحيط بها ساحة واسعة خضراء.⁶⁶²

لا تكتمل زيارة كوت ديفوار إلا مع زيارة أكبر كنيسة في العالم، حيث تحتضن عاصمتها السياسية ياماسوكرو كنيسة سيدة السلام "البازيليك Basilique"، والتي أنشأت في عام 1990م، ومع مرور الأيام، باتت هذه الكنيسة من أهم المقاصد السياحية في البلاد وتستقبل جميع الزائرين على مدار اليوم من شتى بقاع الأرض، وبذلك تتحقق مقولة البابا يوحنا بولس الثاني بابا الكنيسة الكاثوليكية الرابع والستون بعد المائتين - خلال قيامه بوضع حجر الأساس لها عام 1985م - من أن زيارة كوت ديفوار لا تكتمل إلا مع زيارة هذه الكنيسة.⁶⁶³

ويقصد مئات من الإفواريين يوميا هذه الكنيسة للقيام بالصلوات، وتعتبر هذه الكنيسة مقصدا للعديد من الحجاج في أفريقيا للمجيء والصلاة فيها يوميا، ليصل إجمالي عدد زائريها إلى ألف زائر على مدار اليوم.

⁶⁶¹ بازيليك سيدة السلام في ياموسوكرو، مقالة، أرشيف الوسم: محمد سامح، 2014م، ص: 1.

⁶⁶² نفسه، ونفس صفحة.

⁶⁶³ سيدة السلام - أكبر كنيسة بالعالم على أرض الأفيال، صوت الأمة، يوسف أيوب، 2017م.

وعند الوصول لساحة الباب الرئيسي للكنيسة، لابد من الإشارة إلى بعض الأرقام الهامة للمساعدة في وصف هذا الصرح الديني العملاق، حيث تمتد هذه الكنيسة على مساحة تبلغ مليوناً و300 ألف متر مربع بإجمالي مساحة مبان بلغت 800 ألف متر مربع، وقبل الوصول إلى الساحة الخارجية للكنيسة تمهيدا لدخولها، تجد في استقبالك عدداً من العمدان الضخمة على شكل زراعيين يحتضنان الكنيسة لاستقبال الزائرين على مساحة 30 ألف متر مربع، ويبلغ عدد هذه العمدان 128 عموداً بارتفاع 21 متراً وعرض مترين لكل عمود.⁶⁶⁴

وتعتبر "البازيليك سيدة السلام" الكنيسة الكاثوليكية الأكبر في العالم، وتشابه إلى حد كبير مع كنيسة بازيليك سان بيير في روما وباتت أحد أهم رموز الكاثوليكية في إفريقيا، حيث بإمكانها استيعاب أكثر من 18 ألف شخص، من بينهم 7 آلاف جالسين، وشارك في تشييدها 24 شركة وطنية ودولية على مدار 3 سنوات بحجم عمالة أكثر من 1500 عامل.⁶⁶⁵

وبداخل هذه الكنيسة - التي تمتلك أكبر واجهة زجاجية بالعالم - هناك ثلاث مجموعات من الأعمدة، بمتوسط 48 عموداً، وهناك مصعدان بداخل إحدى هذه العمدان، لاصطحاب الزائرين إلى سطح الكنيسة، وأعمدة أخرى مصمم بداخلها مصفاة لاستيعاب مياه الأمطار من أعلى إلى أسفل لتوصيلها في النهاية إلى البحيرات الصناعية الموجودة في محيط الكنيسة.⁶⁶⁶

فيما يحتفظ كل مقعد بفتحات تهوية مكيفة، وهناك مقاعد مخصصة تحمل اسم هوفيه بوانيه أول رئيس لكوت ديفوار، وهو مؤسس الدولة الحديثة وصاحب قرار بناء هذه الكنيسة وشقيقته عندما كانا يجلسان لأداء الصلوات.⁶⁶⁷

⁶⁶⁴ سيدة السلام - أكبر كنيسة بالعالم على أرض الأفيال، صوت الأمة، يوسف أيوب، 2017م.

⁶⁶⁵ نفسه.

⁶⁶⁶ نفسه.

⁶⁶⁷ سيدة السلام - أكبر كنيسة بالعالم على أرض الأفيال، صوت الأمة، يوسف أيوب، 2017م.

الفصل الثالث: نماذج من التعايش واللا تعايش بين المسلمين والمسيحيين في بعض دول أفريقيا (جنوب الصحراء الكبرى) والأسباب التحليلية و الانعكاسات على الفرد والمجتمع:

المبحث الأول: نماذج من التعايش بين المسلمين والمسيحيين في بعض دول أفريقيا (جنوب الصحراء الكبرى):

يرمي هذا المبحث الوقوف على مسألة هامة، وهي التعايش بين المسلمين والمسيحيين في بعض الدول لأفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، وقد قررنا أن نقسم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب: **المطلب الأول:** عبارة عن أسباب وتحليلات وانعكاسات التعايش بين المسلمين والمسيحيين في غينيا. **المطلب الثاني:** عبارة أيضا عن أسباب وتحليلات وانعكاسات التعايش بين المسلمين والمسيحيين في السنغال. **المطلب الثالث:** عبارة كذلك عن أسباب وتحليلات وانعكاسات التعايش بين المسلمين والمسيحيين في مالي.

المطلب الأول: أسباب وتجليات وانعكاسات التعايش بين المسلمين والمسيحيين في غينيا:

يهدف هذا المطلب إلى إلمام مسألة مفيدة؛ وهي أسباب وتجليات وانعكاسات التعايش بين الأغلبية المسلمة والأقلية المسيحية في جمهورية غينيا، وسنلقي الضوء على بعض هذه الأسباب والتجليات وانعكاسات التعايش التي يسودها المجتمع المسيحي في غينيا رغم أقليتهم، ومن هذه الأسباب والتجليات والانعكاسات ما يلي:

أولا: قاعدة لا إكراه في الدين:

إن موضوع التعايش كما هو معلوم من الموضوعات المهمة، التي يكثر تناولها في وسائل الإعلام والاتصال، وهو من الموضوعات التي مازالت تشغل بال المجتمعات الإنسانية اليوم بسبب الحروب والصراعات، ومحاولات الهيمنة، التي جعلت التعايش بين أفراد المجتمعات أمرا صعبا إن لم يكن مستحيلا في بعض البلاد.

وقد نجح الإسلام في تحقيق التعايش والتجانس في المجتمع الغيني على الرغم من تباين سكانها، لأن الغينيين وجدوا الإسلام دينا يدعو للإخاء، والسلام والتعايش والتعاون، ووجدوا أن الإسلام يقتضي على كافة الفوارق المؤسسة على العنصر، أو اللون، أو العرق، أو الإقليم، الأمر الذي عجز النصارى من تحقيقه في بعض دول أفريقيا، كما سنتحدث عن ذلك لاحقا إن شاء الله، ويعد هذا تجانس الاجتماعي بين المسلمين والمسيحيين في غينيا من أعظم إنجازات الحضارة الإسلامية في غينيا.

وقد أدرك مسلمو غينيا أن للتعايش قيمة كبيرة في الإسلام، والإسلام يدعو للتعايش والتقارب، ويمنع التعصب، والغلو، والتطرف، والعنف، والإرهاب، سواء مع الذات، أو مع الآخرين، وأن مظاهر التعايش والتسامح بين المسلمين والمسيحيين كثيرة، وأن الإسلام ضمن لغير المسلمين حرية ممارسة عقائدهم، وعباداتهم، وأطلق على المسيحية واليهودية بأهل الكتاب، وهو إطلاق يتضمن اعتراف المسلمين بالكتب السماوية السابقة، وأنهم يؤمنون بالرسل الذين أرسلوا بها، وأتاح الإسلام لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي الظروف المناسبة لحياتهم، وحافظ على جميع مكوناتهم الشخصية، وفي طليعتها المكون الديني، وأن العلاقات بين المسلمين وغيرهم في السلم تقوم على أساس المعاملة بالمثل، والمحافظة على المصالح المشتركة، والتعاون من أجل استمرارها، وأن المسلمين استطاعوا التعايش مع مخالفيهم في الدين منذ فجر الإسلام، وخير دليل على ذلك ما وقع بين النبي الإسلام صلى الله عليه وسلم وبين اليهود والنصارى في المدينة المنورة (وثيقة المدينة)، ومع كل ذلك فإن التعايش والتسامح مع الآخرين لا يعني التفريط، والتحليل، والتنازل عن القيم، والمبادئ العقدية، التي قررتها الشريعة الإسلامية.

لقد استفاد مسلمو غينيا من كل هذه المبادئ والقيم الإسلامية كثيرة، وقد ساعدتهم في تطبيق هذه القيم والمبادئ الإسلامية أكثر وأفضل تطبيقاً أعرافهم القديمة التي كانت تسود بينهم قبل حضور الإسلام، لقد أشار إلى ذلك الدكتور موسى كوناظي حيث يقول: "لقد كانت القبائل الغينية في قدم الزمان على اختلاف أعرافها، وأديانها، ولهجاتها ومناطقها، تعيش في جو تسوده المحبة والاحترام المتبادل بعيد كل البعد عن النزاعات وكل مظاهرها، مما شكل وحدة اجتماعية ووطنية متينة، والأسس

وقوية العرى بين الشعب الغيني من أقصى البلاد إلى أقصاها، الأمر الذي جعل غينيا بين بقية البلاد من البلدان الأفريقية بلدا نموذجيا في التعايش ومثالا حيا لانسجام الوحدة الوطنية بغرب أفريقيا، فتلک كانت السمة الأساسية لحياة الغينيين قاطبة".⁶⁶⁸

وقد وجدنا آثار هذه المحبة والاحترام والوحدة الوطنية عندما أراد الغينيون الحصول على استقلالهم من الاستعماري الفرنسي، فكانوا كجسد واحد ووحدا كلمتهم على رغم اختلاف أعرافهم وأديانهم ولهجاتهم ومناطقهم، فكانت ثمرة اتحادهم أن حصلوا على الاستقلال في 2 أكتوبر 1958م على رئاسة الزعيم أحمد سيكو توري AHMAD SEKOU TOURE الرئيس الأول لجمهورية غينيا.

ويقدر ما كانت هذه القبائل ترعي هذه المعارف وهذه التقاليد، ويقدر ما كانت تعيش حياة عادية لا تفرق بين أهل المعتقدات في مناسط الحياة على اختلاف أنواعها، أصبح الغيني غينيا أولا قبل كل شيء، ولا تؤثر فيه العقيدة إلا بالقدر الذي يلقي به ربه، فالمسيحي إنساني بغض النظر عن معتقده، يصادق جاره المسلم ويحبه ويكرهه بما خلق الله عليه الإنسان، والمسلم وإن كان من عامة الناس كان يعمق إيمانه بما جاء في الكتاب العزيز: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}⁶⁶⁹، وكان يصادق جاره المسيحي ويعاديه ويحبه ويكرهه بما خلق الله عليه

⁶⁶⁸ المسلمون في غينيا، د/ موسى كوناطي، المرجع السابق، ص: 12.

⁶⁶⁹ سورة الحجرات، الآية: 13.

الإنسان، كان هذا الإيمان بهذه المساواة الإنسانية من أعظم ما ميز الله هذا الإنسان الغني، والله الحمد.

ومنذ ذلك الوقت إلى الآن تدوم الأوضاع على هذه الحال المفعمّة بالسلم والسلام، والمليئة بالأمن والأمان، والحب والمحبة، وكل ذلك ثمره حسن معاملة والتسامح والتعايش من قبل الأغلبية المسلمة نحو الأقلية المسيحية.

ثانيا: قاعدة إعطاء كل ذي حق حقه:

ومن أسباب وتحليلات وانعكاسات التعايش السلمي في غينيا، أن للمسيحيين حق مزاوله ما يختارون من المهن الحرة، وما يريدون من ألوان النشاط الاقتصادي شأنهم في ذلك شأن المسلمين، وأن لهم تولى الوظائف كالوزراء والمدراء عامة وخاصة وغير ذلك من الوظائف المهمة في البلاد، ويحصلون على حقوقهم في كل مجالات الحياة كبقية أبناء البلاد، كالتعليم، والصحة، وممارسة شعائرهم الدينية، على الرغم أقليتهم في البلاد، إلا ما غلبت عليه الصبغة الدينية كالإمامة، والقضاء على المسلمين، كرئاسة الأمانة العامة للشؤون الدينية في غينيا، حيث يشارك المسيحيون المسلمين تحت هذه الأمانة، والتي يرأسها المسلمون منذ تأسيسها، ويرأسها حاليا الحاج جمال بنغورا.

ثالثا: الزواج المختلط:

يقول جل جلاله في محكم تنزيله: {الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} ⁶⁷⁰.

انطلاقا من هذه الآية الكريمة كانت من مظاهر الارتباط بين المجتمع المسلم والمسيحي في غينيا الزواج المختلط، فإن الزواج المختلط ظاهرة شائعة في البلد، وعلى هذا فإن حقوق الزوجة المسيحية تجاه زوجها المسلم لا تختلف عن حقوق الزوجة المسلمة، وإلى جانب هذا يسمح لها بممارسة طقوس دينها بدون أي حرج ولا ضيق، فغالبا ما نرى في المجتمع أن جل هؤلاء المسيحيات اللاتي يتزوجن من المسلمين يعتنقن الإسلام بعد الزواج، ولكن بعدم وجود النوع الثاني من الزواج المختلط (عدم الزواج المسيحيين من المسلمات) بقي هذا النوع من الزواج محصورا ونادرا.

رابعا: مجال الثقافي:

ومن تجليات وانعكاسات التعايش في المجتمع الغيني؛ اقتباسهم لأسمائهم فيؤتي المسيحي اسم ابنه لجاره المسلم فيحمل الولد اسم ذاك الجار المسلم، ومن أوضح مجالات الثقافي أيضا مشاركتهم أعيادهم ومواسمهم الدينية، هذا أمر عاد جدا في غينيا، يشارك المسيحيون مع المسلمين في احتفالهم بالعيد

⁶⁷⁰ سورة المائدة، الآية: 5.

الفطر والأضحى، ويشارك أطفالهم مع أطفال المسلمين بالفرح والسرور في يوم العيد، يخرجون معهم لجولان ليباركوا بالعيد في منازل أقاربهم، وفي عيد الأضحى يقدم المسلم لجاره المسيحي نصيبه من لحم الأضحية ليشاركهم بالفرح والسرور في ذلك اليوم المبارك، وكذلك يشاركونهم في احتفال الزفاف والعقيقة، وبالعكس يهنئهم المسلمون عند احتفالهم لعيد الميلاي يقدمون الهدايا لأولادهم، وغير ذلك من الأمور الإنسانية.

ومن مجال الثقافى أيضا اللباس: ففي غينيا الغابية مثلا: اللباس التقليدية تصنعها قبيلة كونو Könö وأغلب هذه القبيلة من النصارى، ولكن المسلمين الذين يعيشون في هذه المنطقة يشترون هذه اللباس ويلبسونه، ومن ناحية اللغة فمثلا في مدينة لولا Lola يتجلى التأثير المتبادل بشكل فعال في مجال اللغة، فنجد سلة من قبيلة كونياكي Koniaké وهم من الأغلبية المسلمة بمدينة لولا تأثروا بلغة كونو الذين من الأغلبية المسيحية والعكس كذلك، كل ذلك نتيجة حسن التسامح والتعايش بين هذين القبيلتين أحدهما من الأغلبية المسلمة والأخرى من الأغلبية المسيحية.

ومن انعكاسات التعايش بين المسلمين والمسيحيين في غينيا هي أن المسيحيين يقبلون على الإسلام بكثرة بسبب ما يحصلون عليه من سماحة وعدل وكرم وحسن معاملة من قبل الأغلبية المسلمة، حيث لا يجبرونهم على تغيير معتقداتهم، بل على العكس يشجعونهم على التمسك بها، ولا يفرقون بين مسلم ومسيحي في توليهم لمناصب سامية في البلاد، وفي نفس الوقت يسعى المسلمون من جانبهم إلى نشر الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ومجادلتهم التي هي أحسن، فيؤثر ذلك في نفوسهم وتملك قلوبهم، لذلك لا يمر الشهر أو الشهرين إلا ويتم إعلان عن اعتناق أحد المسيحيين الإسلام في

إحدى المساجد في البلد، وهذا الأمر واقعي حتى يومنا هذا، وبمجرد اعتناق النصراني الإسلام يتحول حاله إلى حال المسلم، يستفيد بكامل حقوقه في الدين لا فرق بينه وبين أسلم منذ قرون.

خامسا: التماسك الاجتماعي في المجتمع الغيني:

يتسم المجتمع الغيني بالتنوع العرقي والثقافي والديني، الذي يلزم منه إيجاد آليات للتقارب بين الثقافات المختلفة، فتم بناء قيم اجتماعية للتقارب بين الشعوب، بتكريس آليات مشتركة بين القبائل الغينية. وتتجلى سمات التماسك الاجتماعي في المجتمع الغيني، في مجموعة من العناصر التي لها أثر كبير في ترسيخ ثقافة التسامح والتعايش السلمي، وتنوع بين قيم اجتماعية وأسس دينية وثقافات متنوعة. وتشير القرابة والتحالف إلى فكرة توحيد العائلات والعشائر والمجموعات العرقية والمناطق، ويتجاوز العلاقات الأبوية والروابط البيولوجية، بكونه يعكس أيضا، العلاقة بين الحلفاء من أصول اجتماعية وثقافية مختلفة.⁶⁷¹

والواقع أن هذه التحالفات كانت عبارة عن موثيق بين الشعوب، والجماعات العرقية، من أجل نشر ثقافة التسامح والتعايش والتماسك، بهدف منع الصراعات القبلية، وتحقيق وحدة الشعوب.

وهذه الفكرة، من الظواهر الاجتماعية التي أسستها القبائل الغينية للتعايش، تحت اسم "ساناكويا Sanakouya"، ولقد أثبتت الوقائع التاريخية أن هذه التحالفات الاجتماعية والثقافية كانت قادرة على وضع حد للنزاعات والتوترات بين المجتمعات المحلية في غينيا، مثل معاهدة عدم الاعتداء أو عدم

⁶⁷¹ Loua, "Les alliances interethniques en Afrique de L'ouest, 2005, p : 1.

التواطؤ بين الجماعتين العرقيتين "كونياكي الأغلبية المسلمة وكونو الأغلبية المسيحية" في مدينة لولا.⁶⁷²

وعلى المستوى الغيني، أقامت كل من قبائل الكيسي Kissi الأغلبية المسيحية والمانيكا Manika والكور انكو Kouranko والليلي Lélé والسوسو Soussou والفولي Foulbé وهم من الأغلبية المسلمة المستوطنة في مدينة كيسيديغو Kissidougou تحالفا للتعایش السلمي، ويرمز إليه بثلاثة أحجار مدفونة وسط قرية تسمى "مارا Mara" تقع على بعد خمس كيلومترات من بلدية كيسيديغو الحضرية.⁶⁷³

خلاصة القول أن المسيحيين في غينيا على الرغم أقليتهم في البلاد يتمتعون بحقوقهم كاملة غير منقوصة ولا مقطوعة، فلا يمس كرامتهم ولا حريتهم، وإنما ضمن لهم العيش الهنيء في البلاد، ويصل التعایش في غينيا حتى وصل الأمر إلى تبوؤ مناصب رافعة في البلد، فكانت نتيجة التسامح والتعايش مؤثرة وعميقة يشهدها المجتمع، ومن ناحية أخرى يصل الاندماج بينهم إلى حد لا مثيل له تخطى الفوارق العائلية والعرقية وغيرها، ليعطينا مجتمعا مندمجا وفعالا يسوده التسامح والتعايش والتعاون والتراحم، تحترم فيه الإبداعات والابتكارات بغض النظر عن عقيدة أحد.

⁶⁷² أثر اللغات الغينية في تعزيز التماسك الاجتماعي، أ/ محمد تفسير بالدي، مقالة: متابعات إفريقية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 2020م، ص: 48.

⁶⁷³ نفسه، ص: 50.

المطلب الثاني: أسباب وتجليات وانعكاسات التعايش بين المسلمين والمسيحيين في

السنغال:

إن التعايش والحوار بين المسلمين والمسيحيين في السنغال واقع يومي، حيث أن الأغلبية المسلمة والأقلية المسيحية، أو أديان أخرى يتعايشون في مساعدة بعضهم البعض، ويعملون بلا كلل في الاحترام والتفاهم المتبادل، وفي هذا المطلب سنتحدث عن هذا المثال السنغالي في حسن التعايش والتسامح والحوار الديني الذي ينبغي أن يكون نموذجاً للتماسك الاجتماعي السلمي على أساس القيم الإنسانية.

وللحديث عن الأسباب والتجليات وانعكاسات التعايش في المجتمع السنغالي يجب أن ندرس هذه القضية في عدة جوانب:

الأول: الدور الدين الإسلامي:

دخل السنغاليون في دين الله أفواجا على يد المتصوفة، حتى بلغت نسبة المسلمين منهم نحو الـ 95 في المئة، من إجمالي 12 مليون نسمة، وفق رئيس التجمع الإسلامي للثقافة والسلام في السنغال، الشيخ محمد أحمد التيجاني، فاعتقدت أغليبيتهم بأنه لكي يكون إسلامهم صحيحا، فلا بد لهم من أن ينتموا لطريقة صوفية، يأخذون من خلالها العهد على يد شيخها، فبات من الصعب وجود مواطن سنغالي لا ينتمي لطريقة صوفية.⁶⁷⁴

⁶⁷⁴ الصوفية في السنغال روحية افترست التطرف، مقال ل صلاح الدين حسن، كاتب وصحافي مصري، القاهرة، 2018م، ص: 1.

وقد لعبت الطرق الصوفية في السنغال أدوارا تتجاوز الأبعاد الدينية والروحية؛ فقد مارست دورا سياسيا واجتماعيا، وشكلت مناعة وحصانة ضد تيارات التطرف الديني والإرهاب المسلح، وقدمت الطرق الصوفية السنغالية أيضا نموذجًا جيدًا للتصوف الحضاري، الذي يعلي من قيمة العمل والمشاركة الإيجابية الديمقراطية، والتناغم مع مفاهيم حداثة؛ كالتعددية والتسامح، والتعايش، واحترام الآخر، فكسر المفهوم المتخيل للصوفي الذي يعيش في ظل الخرافة الدينية والمغالاة والزهد المفضي إلى الانسحاب من الحياة.⁶⁷⁵

وعلى الرغم أن الدين الإسلامي هو دين الأغلبية الشائعة في السنغال فإن الدستور قد نص على حرية الدين في البلاد، مع اعتبارها دولة علمانية، وعلى هذا تقدم الحكومة السنغالية المنح المالية للمنظمات الدينية من خلال عمليات التقديم المفتوحة للجميع، وتسجل معظم المنظمات في التجارة، كما تدعم الحكومة الحج إلى مكة المكرمة والحج الكاثوليكي، ويتم اعتبار بعض الأعياد الإسلامية والمسيحية عطلات وطنية فيها.⁶⁷⁶

⁶⁷⁵ الصوفية في السنغال روحية افترست التطرف، مقال ل صلاح الدين حسن ، المرجع السابق، ص: 1.

⁶⁷⁶ الديانة الرسمية في السنغال، مقال، على الموقع: www.enclopedia.com, 1 Edited, 2019

الثاني: المساواة:

تفتخر السنغال بأنها بلد الحوار بين المسيحيين والمسلمين، وهو حقيقة واقعية، وعندما يعاني العالم بالصراعات والمنافسات الدينية، فإن السنغال حصل على أول رئيس مسيحي بعد الاستقلال:

"ليبول سينغور **Léopold Senghor**" برغم الأغلبية المسلمة في البلد، ومع ذلك استطاعوا أن يغرسوا في كل مناطق البلاد الوفاق الودي بين المسيحيين والمسلمين.⁶⁷⁷

أما الرئيس الثاني للبلاد بعد الاستقلال السيد "عبد الضيوف **Abdou Diouf**" كان مسلماً متزوجاً بالفرنسية المسيحية السيدة "ففيان ضيوف **Viviane Diouf**"، التي عملت في الكثير من أجل السنغال، فبرغم أنها مسيحية كانت تعلق على جدرانها صورة لشيخ الطريقة التيجانية كرمز لمباركة أعمالها.⁶⁷⁸

هناك أمثلة كثيرة على المساواة للتولي الوظائف المهمة في البلاد بدون النظر إلى الدين الذي ينتمي إلى الموظف، وهذا مؤشر لهذا التسامح والتعايش الديني في السنغال.

⁶⁷⁷ السنغال- قلعة التيجانية ومنارة التعايش، د/ أوصيد فوزي، جريدة الجرايرس، 2007م، ص: 1.

⁶⁷⁸ نفسه، ص: 1.

الثالث: الأسرة:

لقد انقسم العالم الذي نعيش فيه من قبل الأديان، بينما في السنغال الكل لديه معتقده الذي يؤمن به، سواء كان مسيحي، أو مسلم، أو وثني، وسواء يمارس دينه أم لا، وحتى الملحدون؛ الكل يدرك أن الدين جزء من حياة اليومية عند الإنسان السنغالي، فلا محل للتطرف ولا للعنف في المجتمع السنغالي باسم الدين.

وبينما يحلم البعض، ويعاني بعض بلدان من الصراع الديني، فإن الحوار بين المسيحيين والمسلمين حقيقة واقعة في قرية "Popenguine" حيث نلاحظ الاحتفالات الزفافية بين المسيحيين والمسلمين في هذه المنطقة ذات الأغلبية المسلمة، الشيء الذي يدل على الصداقة والاحترام المتبادل بين هذه المجتمعات.

وخير الدليل على ذلك قضية "Popenguine" من ناحية الزواج المختلط: قضية الكاردينال Thiandoum، الذي كان لديه الأعمام وأبناء العم وحفيد مسلمين من نفس الأسرة، هذا الشيء يدرك به أن التعايش بين المسيحيين والمسلمين في هذه المنطقة يتم في الصداقة والأخوة والتفاهم والاحترام المتبادل.

الرابع: الحرية في مجال التعليم:

للأقلية المسيحية في السنغال حرية تأسيس المدارس المسيحية وممارسون فيها البرامج التي يناسبهم تعليمها داخل هذه المدارس، فكان التعليم من أكبر الآليات أو الاستراتيجيات التي تبناها المسيحيون لنشر دينهم في البلاد السنغالية.

وبدأ التعليم المسيحي منذ وصول الاستعمار إلى سين لويس بالسنغال، حيث كان "جاندرد Jean Dard" أول من قام بفتح مدرسة لتعليم اللغة الفرنسية، ولكن هذه المدرسة لم تمكث مدة طويلة. وبتأييد من الإدارة الاستعمارية فإن الأب "دافيد بولات David Boilet"، فتح أول معهد ثانوي عام 1843م، ولكن منذ 1841م فإن أخوة بلويزمت وصلوا إلى سين لويس وفتحوا مدرسة ابتدائية وضعت تحت الإدارة الفرنسية الاستعمارية، وقد وحد منصوروا القلب المقدس ترحابا من قبل السلطة المحلية بذكر لفتح مدرسة عام 1847م للذكور.⁶⁷⁹

ومنذ وصولهم في 1848م في البلاد فإن أخوات المالكي كونسبسيون "Immacule Conception" قمن بفتح مركز صحي ومدرسة وقد تطورت هذه الأخيرة تطورا ملحوظا في الأوساط السنغالية، كما عرفت مدرسة انغازوبيل Ngazobil نجاحا كبيرا حيث بلغ عدد تلاميذها 125 تلميذا عام 1865م.⁶⁸⁰

يبدو أن المدرسة المسيحية في السنغال عرفت نجاحا كبيرا قبل الاستقلال نتيجة لدعم السلطات الاستعمارية، وأعطاه ديناميكية التمدد المسيحي من الناحية الكمية والكيفية.

⁶⁷⁹ المسيحية والتنصير في السنغال، مقال ل د/ محمد المختار جبي، إعدد جريدة (قراءات أفريقية)، 2016م، ص: 1.

⁶⁸⁰ نفسه، ص: 1.

ومن الناحية الكمية استفاد المنصرون من ثقة الحكومة التي واصلت في وضع المؤسسات التعليمية تحت حوزتهم وذلك لإدارتها، وقد امتدت المدارس التنصيرية في كل أنحاء البلاد السنغالية وساعدت الفاتيكان المنصرين على توسيع دائرة التعليم وفتح باب التعلم للجميع و تم إنشاء مدارس ابتدائية ومعاهد ثانوية، بل وجامعات مسيحية وتعتبر الجامعة المسيحية لأفريقيا الغربية (UCAO) من أكبر جامعات البلاد وأكثرها تنظيما، ويزدهم تلاميذ وطلاب المسلمين تلاميذ وطلاب المسيحيين في مدارسهم وثانوياتهم وجامعاتهم من الدول الأفريقية.

ومن الناحية الكيفية أعطى التعليم المسيحي اهتماما كبيرا للجانب الكيفي للتعليم، فعين معلمين و أساتذة أكفاء لهم شهادات وخبرات في التعليم كما أسست الكنيسة جمعية معترفة تحت اسم "الجمعية الوطنية للتعليم المسيحي في السنغال" وتتميز بالتنظيم والجدية والتكوين البдагоجي و إصدار برامج ومناهج تعليمية رفيعة المستوى.⁶⁸¹

وتدعم الحكومة السنغالية دعما قويا هذه الجمعية ومؤسساتها التعليمية، ونتيجة لهذا خرجت المدارس المسيحية رجالا بارزين وشخصيات كبرى في ميادين السياسة والاقتصاد والتعليم، ومن بين هؤلاء أول رئيس للجمهورية السنغالية ليولد سينغور، و أندري سونكو André Sonkho وزير التعليم الأسبق، و روبر سانجا Rober Sandja وزير ووالي زينغشور، والراهب جاماكون سينغور

⁶⁸¹ المسيحية والتنصير في السنغال، مقال ل د/ محمد المختار جبي، المرجع السابق، ص: 2.

Djamakone Senghor زعيم حركة المتمردين في كازمانس، و ليون شارل سيسى Lione

Charl Cissé المدير الأسبق لشبكة الهواتف (sonatel)، وغير هؤلاء.⁶⁸²

ونظرا إلى الاهتمام الكبير الذي تعطيه الحكومة السنغالية للمسيحية والمسيحيين يرى بعض الملاحظين أن نظام الدولة السنغالية نظام مسيحي وإن كان مجتمعها مجتمعا مسلما، ولا تمر حكومة إلا وفيها وزراء مسيحيون، وكل هذا دليل على أن الأغلبية المسلمة في السنغال تتعامل مع الأقلية المسيحية في مجال التعليم بدون أي حرج.

الخامس: أعياد المسيحيين وبعض أماكن الحج للمسيحيين بالسنغال:

للأقلية المسيحية في السنغال أن يحتفلوا بأعيادهم في حرية تامة، وهذه الأيام عادة تعتبر عطلة على مدى الأراضي السنغالية، ويتضمن معهم المسلمون على حد سواء لقضاء هذه العطلة المسيحية بدون أي تمييز على أساس الدين، ويتم كل ذلك بين المسلمين والمسيحيين بالاحترام المتبادل والانفتاح والتسامح، وهذا كله من أسباب التعايش والتسامح بين السنغاليين بدون النظر عن دياناتهم، رمز قوي من وحدة البلاد، وتشتهر أيضا أن تكون الأرض أرض مباركة، لأنها أنجبت على مر القرون – القديسين – والعلماء – الذين بكرمهم وروحهم وحكمتهم استطاعوا أن يغرسوا من خلال تعاليمهم قيم الصداقة والأخوة التي استمرت من جيل إلى آخر.

⁶⁸² نفسه، ص: 2.

وللمسيحيين السنغاليين أماكن مقدسة لديهم في السنغال يحجون إليها سنويا مشيا على الأقدام، ويعني ذلك عندهم أن التقدم الروحي يجب أن يرافقه التقدم الجسماني، ومن أشهر الأماكن المقدسة:

1- بوبانغين (popanguine) الواقع في إقليم تيس Thies وهو أكبر مكان مسيحي

"مقدس" يحج إليه السنغاليون المسيحيون سنويا وذلك في الاثنين من

بانتاكوت pentacote، ومنذ قرون وخاصة لدى زيارة البابا يوحنا الثاني عام

1992م أصبح هذا المكان قداسا دوليا يزوره الحجاج المسيحيون الوافدون من الدول

المجاورة من مالي وغينيا وغينيا بيساو وغامبيا.

على رغم أن هذه القرية ذات الأغلبية المسلمة ترحب وتفتح أبوابها للمسيحيين الذين يأتون لزيارة هذا

المكان المقدس كل السنة، يقول أحد أبناء هذه القرية: "ليس لدينا أي مشكلة لاستقبال المسيحيين،

على الرغم من عائلتنا يوجد المسلمون والمسيحيون، أخونا الكبير هو مسيحي، لأقول لكم أنه من

الطبيعي أن تكون هذه بادرة "التعايش والتسامح" في هذه القرية بصفة خاصة، وفي السنغال بصفة

عامة، المسيحيين هم الأقلية، لكننا لا نشعر ذلك في وقت الحج بسبب وجود التعايش بين الديانتين

في بوبانغين".⁶⁸³

⁶⁸³ Coexistence pacifique entre christianisme et l'islam – Thiesinfo – Thies – 2013 – p : 1.

2- قدس الأقداس بمونت رولاند (Mont Rolland) الواقع أيضا في إقليم

تيس Thies يتوجه المسيحيون إلى هذا المكان في يوم الأحد الأول من شهر صيام
المسيحيين، وفي هذا اليوم يقف الزوار وخاصة المنتمون إلى معبد (Diocese) بتيس
على الجبل للابتهاال وإقامة الصلوات.

3- قدس الأقداس لمريم العذراء بجافات (Ndiafat) في معبد (Diocese) في إقليم

كاولاك (Kaolak)، وهو حديث عهد، لكنه عرف نجاحا كبيرا في السنوات الأخيرة
ويبلغ عدد زواره أكثر من ألف حاج، ويكون الحج في هذا المكان يوم الأحد الأقرب من
عيد القلب المقدس (Scare Cœur) وفي هذا المكان دفن أحد المرتدين عن
الإسلام ويدعى سليمان جالو أحد كبار التجار السنغاليين المشهورين.

4- قدس الأقداس لمريم العذراء بغولومبو (Gouloumbou) وتم تشييده عام 1997م

في موقع جنب نهر غامبيا على بعد 35 كلم من جنوب إقليم تامبا كوندا Tamba
Kounda، ويكون الحج فيه يوم الأحد الموافق الثامن من شهر سبتمبر عيد
(Immacule Conception).

5- مكان الحج لمعبد dioces إقليم كولدا وهو مشترك بين مسيحي كولدا Kolda و

مسيحي زيغنشور Ziguinchor ويتم الحج فيه في ثالث يوم الأحد من شهر الصيام
المسيحي.⁶⁸⁴

⁶⁸⁴ المسيحية والتنصير في السنغال، مقال ل د/ محمد المختار جبي، إعداد جريدة (قراءات أفريقية)، 2016م، ص: 3.

وغير ذلك من الأماكن التي لا تعتبر كأماكن الحج لكن كمراكز مقدسة تجذب مجموعات تأتي في مناسبات كبيرة للقيام بالعبادة والابتهاال.

السادس: رسالة التعايش الديني بعض الموت:

ومن تجليات وانعكاسات التعايش بين المسلمين والمسيحيين في السنغال حتى بعد الموت قضية مقبرة بلير Bellaire بدار، حيث نرى مسلم يحمل سبخته ومسيحي يحمل صليبه يتنوع زوار مقبرة "بلير" السنغالية تنوعا يعكس اختلاف وتباين المزار، ويجسد واقعا ماثلا للعيان من خلال وجود المسجد إلى جانب الكنيسة في "دار"، إنها رسالة بلير إلى الكون أن التعايش قد يتجاوز الحياة إلى ما بعد الموت.⁶⁸⁵

تقع مقبرة بلير في الجزء الجنوبي الشرقي من العاصمة السنغالية "دار" والتي أنشئت عام 1832م، وتضم آلاف الموتى من بينهم كبار سياسيون ودينيون مسيحيون ومسلمون، ومواطنون وأجانب. على بعد بضعة أمتار من قبر أول رئيس سنغالي ليبولد سيدار سينغور ذي الديانة المسيحية المتوفى عام 2001م يرقد الإمام المسلم تيرنو سعيد دام Therno Said Dam الذي توفي عام 1923م، وهذا يؤكد على انعدام الداء السياسي الأفريقي المتمثل في الانقلابات، والحرص على الديمقراطية والتناوب السلمي في السنغال.

⁶⁸⁵ مقبرة بلير بدار — رسالة التعايش بعد الموت، محمد الأمين، جريدة الجزيرة، عام 2018م، ص: 1.

يرقد الإمام المسلم والرئيس المسيحي جنباً إلى جنب في رحلة أبدية على الرغم اختلاف الديانات واختلاف القومية، ولم يؤثر هذا الاختلاف الديني ولا القومي على جسر التواصل والتعايش بين الرجلين حتى بعد الموت، ولا بين مكونات الشعب السنغالي.⁶⁸⁶

لقد مثل الرجلان نموذجين مختلفين أو متناقضين في المجتمع السنغالي، فالإمام سعيد دام عاش حياة بسيطة وكان مشبعاً بالثقافة الإسلامية، حيث كان إمام أول مسجد مشيد في جزيرة غوري- جزيرة العبيد في السنغال عام 1890م، بحسب الشاب جوب أحد المشرفين على المقبرة، بينما يمثل سينغور الطبقة البرجوازية حتى وإن نفر منها في شبابه، فعائلته كانت عائلة مسيحية ثرية، وقد تلقى تعليمه الابتدائي في المدارس الكنسية الفرنسية بالسنغال، لكن هذا التناقض كان مصدر إثراء وجسراً للتعايش جسده السنغاليون في التسامح والانسجام حتى في عالم ما بعد الموت.

قال الشيخ محمد الحبيب لي Cheick Mohmed Ly إمام وخطيب جامع السلام الشهير بديكار في تصريح للجزيرة نت: "إن المجتمع السنغالي يقدر نعمة التعايش السلمي بين مختلف مكوناته الدينية والقومية والوثنية نتيجة فهمهم للنهج الوسطي للإسلام".

ويرى الشيخ أن هذا التعايش هو ما جعل السنغال تعيش نعمة الأمن والاستقرار في عالم مضطرب تعصف فيه الصراعات وتزعزعه الحروب الأهلية، بسبب اختلاف الديانات، بل وبسبب تنوع المذاهب داخل الدين الواحد، وأحياناً يعجز من ينتمون لدين واحد ومذهب واحد وشعب واحد

⁶⁸⁶ نفسه، ص: 2.

ووطن واحد ولغة واحدة عن التعايش السلمي وعن تسيير خلافاتهم بالحسنى، مما يؤدي إلى خراب بلدانهم ودمارها.⁶⁸⁷

وأضاف الشيخ لي أن وجود إمام مسلم بين قبور المسيحيين هو جزء من صورة الواقع الاجتماعي في السنغال، موضحاً أن هذا البلد ومنذ استقلاله عام 1960م لم يشهد أي صراع ديني، أو حرباً أهلية عرقية، لأن الشعب متسامح ويعرف خطورة هذه الصراعات.

يتبين لنا مما سبق أن السنغال تقدم بشكل كبير في مجال التعايش بين الديانات كالإسلام والمسيحية وبعض الديانات الوثنية وإن كانت بأقليات ضئيلة، وبين المذاهب والطرق الصوفية داخل الدين الإسلامي الذي يعتنقه الشعب السنغالي باستثناء أقلية يسيرة، والسنغال لديها ميزة في مجال التسامح، لكونها جنبا إلى جنب بعض دول أفريقيا مثل: "المملكة المغربية" أحد المراجع على مستوى القارة الأفريقية من حيث الحوار بين الأديان وقبول الاختلاف.

⁶⁸⁷ مقبرة بلير بديكار — رسالة التعايش بعد الموت، محمد الأمين، جريدة الجزيرة، عام 2018م، ص: 2.

المطلب الثالث: أسباب وتجليات وانعكاسات التعايش بين المسلمين والمسيحيين في مالي:

اهتم الدين الإسلامي بالتعايش والتسامح والحوار مع الديانات الأخرى، وجعل من أهم مبادئه وفضائله وخصائصه المميزة له عن سائر الديانات والأفكار المعاصرة، وذلك بعدم إجبار أي فرد على اعتناق الإسلام، وبالعكس أن يكون الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، مبنيًا على قوله تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}.⁶⁸⁸ وقوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}.⁶⁸⁹

وهذه هي المبادئ الإسلامية التي يتمسك بها مسلمو مالي لتأسيس التعايش السلمي والحوار الديني بينهم وبين الأقلية المسيحية منذ تاريخهم العريق، وفي هذا المطلب سنتحدث عن بعض الأسباب والتجليات للتعايش بين المسلمين والمسيحيين في مالي، وذلك في عدة جوانب:

الأول: الجانب الأسري واللغوي:

العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في جمهورية مالي تتسم بالودية والتعايش، كما شهدنا في البلدين السابقين (غينيا والسنغال)، وذلك من القرابة بين سكان البلاد حيث نجد من نفس الأسرة من هو مسلم ومسيحي، وعلى هذا فإن من أعظم أسباب التعايش والتسامح في هذا البلد اللغة، فلغة مالي المحلية الشعبية هي لغة "بامبارا Bambara" وهذه لغة السوق وهي أيضا اللغة المشتركة بين الأغلبية المسلمة والأقلية المسيحية في جمهورية مالي.

⁶⁸⁸ سورة البقرة، الآية: 256.

⁶⁸⁹ سورة النحل، الآية: 125.

الثاني: الجانب الثقافي:

لفتت مدينة تومبوكتو؛ العاقبة بالتراث العلمي والأدبي، بعبقريّة الهندسة وزخرفة المساجد والمدارس والأضرحة لأوليائها الصالحين، فاستقطبت علماء الشرق والغرب إلى مكتباتها الزاخرة بأهم مخطوطات العلوم والآداب، عاش أهلها من الطوائف المختلفة مسلمة ومسيحية ويهودية بتناغم وسلام تحت كنف أهم المكتبات التي رعاها حكامها العادلون في فترة عرفت بالنهضة العلمية والدينية والأدبية، فتحوّلت هذه المدينة إلى جنة خضراء بمواردها الزراعية وثرواتها الطبيعية، خاصة الذهب، إلى جانب غناها بالآثار التي تظهر تطورها الحضاري وتنوع الثقافات والديانات فيها.⁶⁹⁰

وقد استقر المبشرون الأوائل في تومبوكتو عام "1895م"، ومن خلال التبشير اعتمد المرسلون نماذج لتلبية حاجاتهم الإنجيلية، فأسسوا منذ 1965م، ديرا صغيرا في رعية سوكورا Sokoura وضم 42 شابا، 40 منهم أصبحوا كهنة واثنان برتبة أسقف.⁶⁹¹

الثالث: حرية بناء الكنائس والجامعات:

كاتدرائية باماكو: في باماكو كلمة منتشرة على الأفواه، وهي كلمة "كاتدرائية" تعني: الكنيسة التي انتهى بناؤها عام 1936م وكانت حتى عام 1957م المكان الوحيد للعبادة، والمركز الموجود قربها الذي يضم مدرسة للصبيان ومختلف خدمات الأبرشية ونشاطاتها.

⁶⁹⁰ المسلمون في مالي فاعلون اجتماعيا ودينيا، كلود أبو شقرا، مجلة ثقافات، 2013م، ص: 1.

⁶⁹¹ نفسه، نفس الصفحة.

منذ عام 1897م، تحولت باماكو مركز حكومة المستعمر وشهدت تحولا سريعا وقصدها الصناعيون والتجار والباحثون عن عمل، وفي نهاية 1897م، استقرت بعثة تبشيرية كاثوليكية في كاتي "Kati"، وكانت تزور المسيحيين في باماكو الذين بلغ عددهم في 1906 30 أفريقيا والباقي من الأجانب الذين استهوهم موارد البلاد الغنية بالمعادن.⁶⁹²

أكاديمية باماكو المسيحية: أكاديمية باماكو المسيحية مركزها في باماكو، عاصمة مالي، أنشئت استجابة لحاجة الأهل إلى تربية أبنائهم وفق القيم المسيحية على أساس مبادئ الكتاب المقدس وبتكاليف معقولة، على الرغم أن المسيحيين هم أقلية إلا أنهم منتشرون في طول البلاد، من هنا تبدو مهمة التبشير الملقاة على عاتقهم لا نهاية لها، واللافت أن الوزارات في مالي تفضل الطلاب المتخرجين من أكاديمية باماكو المسيحية لكفاءتهم العلمية الرفيعة وإجادتهم الإنجليزية التي تعلمها الأكاديمية.⁶⁹³

يذكر أن أكاديمية باماكو تتضمن أقسام التعليم كافة من رياض الأطفال حتى الجامعة، وتسعى جاهدة لإنتاج موظفين لديهم إيمان حي بناء على كلمة الله. بالإضافة إلى المناهج الدراسية الأساسية يتعلم الطلاب الفن والموسيقى والكمبيوتر والفرنسية والتربية البدنية، وكيفية التأقلم في الثقافة المحلية ومراكز التوعية.

⁶⁹² المسلمون في مالي فاعلون اجتماعيا ودينيا، كلود أبو شقرا، مجلة ثقافات، 2013م، ص: 1.

⁶⁹³ نفسه، ص: 2.

في عام 1974م افتتحت الأبرشية التي تضم كهنة وراهبات من مالي مدرسة لتعليم الدين المسيحي،
وبنت البعثات المسيحية الكنائس والجامعات والمدارس وافتتحت المستوصفات.⁶⁹⁴

الجانب الرابع : آثار الحوار الإسلامي النصراني في علاقة المسلمين مع النصارى بجمهورية
مالي:

للحوار الإسلامي النصراني آثاره في علاقة المسلمين مع النصارى، حيث إن أتباع الكنيسة يتبعون
مرجعيتهم في ما يصدر عنها من أوامر وتعليمات، ومنذ عام 1965م عقب القرار الصادر من
الكرسي البابوي بشأن الاعتراف الرسمي من الفاتيكان بالدين الإسلامي وجاء فيه "إن كل من آمن
بعد اليوم بالله خالق السماوات والأرض ورب إبراهيم وموسى فهو ناج عند الله وداخل في سلامه وفي
مقدمتهم المسلمون".⁶⁹⁵

كما صدر عن الفاتيكان بيان يتعلق بموقفه من المسلمين والعلاقة معهم جاء فيه "وتنظر الكنيسة
بعين اعتبار إلى المسلمين الذين يعبدون الله الأحد الحي القيوم الرحمن القدير فاطر السموات
والأرض".⁶⁹⁶

وتنفيذا لهذه المبادرة الجديدة في تاريخ الكنيسة وجه البابا بعد صدور القرار التهنئة بالحج وأداء
المسلمين مناسكهم بخير عن طريق إذاعة الفاتيكان.

⁶⁹⁴ المسلمون في مالي فاعلون اجتماعيا ودينيا، كلود أبو شقرا، مجلة ثقافات، 2013م، ص: 2.

⁶⁹⁵ - ينظر : جريدة المسلمين العدد ، 1229 بتاريخ 9 / 9 / 1991 السعودية / ص : 4

⁶⁹⁶ - ينظر : قرار الفاتيكان حول العلاقة مع المسلمين الصادر بتاريخ 28 / 10 / 1965 م

وقد صدرت كذلك عن اللجنة الفرعية للحوار والتعايش بين الديانات الحية التابعة للمجلس العالمي للكنائس عام 1968م عدة قرارات من أجل الحوار بين الديانتين الإسلام والنصرانية.

كما سبق بيانه في معرض الكلام عن خطاب البابا الموجه لأساقفة جمهورية مالي عند زيارتهم لروما.⁶⁹⁷

وتلبية لدعوة البابا يوحنا بولس الثاني في خطابه الموجه لأساقفة جمهورية مالي 28 يناير 1990م وجاء فيه "الحوار يعتبر من أركان عمل البعثة التبشيرية، ووسيلة مهمة للوصول إلى الغاية،⁶⁹⁸ فقد قامت الكنيسة الكاثوليكية بجمهورية مالي بتأسيس مركز للحوار واللقاء بمدينة باماكو عام 2001م باسم مركز الإيمان واللقاء (Centre Foi et Rencontre).

ومن أهم نشاط هذا المركز:

1. تنظيم لقاءات شهرية بشكل محاضرات وندوات ومائدة مستديرة.
2. عقد دورات تدريبية للشباب والنساء غالبا.
3. استقبال القراء في مكتبتهم المركزية التي تحتوي على أكثر من 300 مجلد من مختلف المعارف عن الديانات.

⁶⁹⁷ - ترجمة لوثيقة خطاب باب يوحنا في 26 / 11 / 1981 م Discours de jean paulilauxEveques du Mali en visite AD LIMINA Apostolorum Novembre 1981 p 1
⁶⁹⁸ - ينظر : النشر الشهر الصادر عن مركز الإيمان واللقاء تحت اسم (EN CHEMIN) العدد 4 الصادر في ديسمبر 2003 م ص : 1

وبعد مرور خمس سنوات على تأسيس هذا المركز قرر مجلس الآباء البيض فتح معهد دولي لتأهيل الدعاة المسلمين في الدول الفرنكفونية في مقر المركز مع بداية شهر أكتوبر عام 2007م باسم "معهد التكوين الإسلامي المسيحي" (Institut de Formation Islamo Chrétien).

وكثيرة هي الموضوعات التي تم الحوار فيها من خلال برامج هذا المراكز، وكان آخرها (مكانة العلاقة في الله في الديانات التقليدية) شارك فيه كاثوليكي وبروتستانتي ومسلم تحت رئاسة أسقف ومراقبة كبير أساقفة إقليم كاي.⁶⁹⁹

والجدير بالذكر أن الذين يشاركون باسم الإسلام في هذه اللقاءات ليس لهم دور في حركة الدعوة الإسلامية، وليسوا معروفين ضمن رواد المساجد، فهم أشبه بناس وهميين أو مزروعين وسط المسلمين.

وهذه الظاهرة تشكل خطورة كبيرة على الإسلام لاسيما عندما نرى الكنيسة تقترح الآن على أتباعها اختيار أسماء المسلمين، ليسهل الاندماج في مجتمع المسلم والدس في الإسلام، حيث التظاهر بأسماء نصرانية يعتبر عائقا في الوصول على الهدف المنشود للكنيسة في تدمير الأسرة المسلمة.

ولاشك أن اهتمام الكنيسة بالحوار قد خلف بعض الآثار التي تحقق مصالح الكنيسة وحدها، كما أشرت آنفا، غير أنها يساهم في نفس الوقت في تحقيق التعايش السلمي، حيث نجد الجانب الإسلامي ينطلق دائما من مبدأ كرامة الإنسان الذي قرره الإسلام في فجره الأول، وكونه يجعل

⁶⁹⁹ - ينظر : جريدة ليزيكو (Les Echos) 2803 الصادر بتاريخ 27 / 11 / 2006م ص: 4.

للإنسان طبيعة مكرمة لا يتقيد بالجنس أو الدين، ومن موقف الإسلام المتسامح تجاه الأديان الأخرى، كما تقررت من خلال القواعد التي أساسها يعامل المسلمون في البلاد الإسلامية.

ويمكن ذكر هذه الآثار من خلال النقاط التالية:

1. المسلمون في جمهورية مالي يعاملون أتباع الكنيسة من النصارى وفق تعاليم الشريعة السمحة التي تدعو للتسامح والعفو في التعايش السلمي، وفي دعوتهم إياهم إلى الإسلام بلا إكراه.

2. وعلى الرغم من كون الإسلام ديانة الغالبية العظمى في جمهورية مالي حوالي (95 %) من مجموع السكان وكون النصارى حوالي (1.2 %) يعامل الديانة النصرانية كديانة معترف بها في الدولة، يحترم أعيادها، ومناسباتها الدينية على الرغم أقلية من ينتمي إليها.

3. للنصارى الحرية المطلقة - سواء كانوا مواطنين أو أجانب - في كافة مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، والتظاهر بأعرافهم دون عائق، وذلك خلافا للموقف الأوروبي والغربي تجاه المسلمين في بلدانهم المسيحية، والجدير بالذكر في هذا المقام أن علمانية الدولة لا تمنع من التظاهر بالمظهر النصراني في مالي.

4. يوجد مجالات للتعاون المشترك، من أجل الصلح والوساطة في الأزمات، وأخيرا تعاون رجال الكنيسة مع العلماء المسلمين في إطار مكافحة الإيدز من خلال اتحاد يجمع بين أتباع الديانتين في جمهورية مالي.⁷⁰⁰

⁷⁰⁰ - ينظر: Rapport de haut conseil de lutte contre le sida 29 oct 2005

فائدة هذا المبحث:

يتبين لنا فيما سبق ثمة حسن التعامل والتعايش والتسامح من قبل الأغلبية المسلمة تجاه الأقلية المسيحية في السنغال، وقضية المسيحيين في السنغال نفسها تقريبا في غينيا، حيث يحصلون على حقوقهم كبقية أبناء البلد، ولا فرق بينهم وبين الأغلبية المسلمة للحصول على الحق، مثل: تولي مسؤولية البلد من الوظائف المختلفة، خير دليل على ذلك، كون أول رئيس السنغال مسيحي عندما حصل البلد على الاستقلال، بشخص " ليول سينغور ".

وقضية اشتراك المسلمين مع المسيحيين في المقبرة الشهيرة " فاديؤو " نجد نفس اشتراك بين المسلمين والمسيحيين في مقبرة " كامرون بغينيا ".

ويتبين لنا أيضا هذا التزاوج العائلي بين المسلمين والمسيحيين في السنغال بصفة عامة، وقضية قرية Popenguine بصفة خاصة، والشاهد في ذلك قضية الكاردينال Thiandoum الذي كان لديه الأعمام وأبناء العم مسلمين.

المبحث الثاني: نماذج من اللا تعايش بين المسيحيين والمسلمين في بعض دول أفريقيا
(جنوب الصحراء الكبرى):

لا تكاد الأمة الإسلامية تصحو من مأساة حتى تباغتها أخرى، ومن هذه المآسي التي يكاد يطويها النسيان هي ما يتعرض له المسلمون في بعض دول أفريقيا من مجازر مروعة كانت سببا في تدهور أوضاعهم الإنسانية على جميع الأصعدة، وسط صمت دولي رهيب وإهمال إسلامي لا مبرر له.

وفي هذا المبحث سنحاول أن نبين بعض أسباب وتحليلات وانعكاسات اللا تعايش بين المسيحيين والمسلمين في بعض دول أفريقيا (جنوب الصحراء الكبرى)، وفيه ثلاثة مطالب وهي كالآتي:

المطلب الأول: عبارة عن أسباب وتحليلات وانعكاسات اللا تعايش بين المسيحيين و المسلمين في ليبيريا. **المطلب الثاني:** عبارة عن أسباب وتحليلات وانعكاسات اللا تعايش بين المسيحيين و المسلمين في أفريقيا الوسطى. **المطلب الثالث:** عبارة عن أسباب وتحليلات وانعكاسات اللا تعايش بين المسيحيين و المسلمين في أنغولا.

المطلب الأول: أسباب وتجليات وانعكاسات اللا تعايش بين المسيحيين والمسلمين في

ليبيريا:

نشأت ليبيريا نتيجة جهود جمعيات وهيئات تحرير العبيد؛ وبخاصة جمعية الاستعمار الأمريكية التي نشأت في الولايات المتحدة في أوائل القرن التاسع عشر عندما تطورت فكرة إنشاء مأوى للعبيد المحررين في وطنهم الأصلي في أفريقيا ليقيموا فيه بعد أن كانوا يعملون أرقاء في المزارع الأمريكية؛ إذ أوفدت الحكومة الأمريكية بعثات استكشافية لأفريقيا الغربية للبحث عن مناطق ملائمة لإقامة هؤلاء الأفارقة، ووقع الاختيار على منطقة ليبيريا، وكانت تعرف آنذاك باسم ساحل الجنوب، ووصلت إليها أول دفعة من العبيد الأمريكيين المحررين عام 1820م.

مشكلات المسلمين في الوقت الماضي والحاضر:

تعود حالة المسلمين في ليبيريا إلى التاريخ البعيد لتلك الدولة منذ وفود المستوطنين المحررين الأوائل من الأمريكتين عام 1820م كما أشرنا إليه آنفاً، واستيطانهم بأرض ليبيريا، وتأسيس دولة ليبيريا عام 1847م؛ إذ سرعان ما استحوذ المستوطنون على السياسة وعلى خيارات الدولة مبعدين السكان المحليين من المسلمين والوثنيين، على الرغم من أنهم أقلية لا تتجاوز 1،5% من إجمالي السكان.

وقد وجدت بأرض ليبيريا منذ عام 1626م مملكة مادينغ المسلمة، عرفت بمملكة مانو Manô، وخلال الحكومات المتعاقبة، شهد المسلمون تهميشاً مطبقاً، وإقصاء كلياً عن أمور الدولة؛ بل لم يكن

يعترف بمواطنتهم، غير أنهم في ظل حكومة الرئيس ويليام توبمان William Tubman

1941-1971م، وجدوا متنفساً قليلاً، إذ اتبع الرئيس سياسة منفتحة على المحليين من المسلمين

وغيرهم؛ فاعترف لهم بحق المواطنة، وبتقلد مناصب حكومية، وكان أول وزير مسلم السيد مومولو

دوكولي **Momolo Doukouly 1954-1956م**، وفي عهده (الرئيس توبمان) تم

تأسيس المجلس الإسلامي لمسلمي ليبيريا عام 1960م، وتحسنت أوضاع المسلمين بعد ذلك تدريجيا

في عهد الرئيس ويليا متولبر **William Tolbert 1971-1980م**.⁷⁰¹

وفي هذا الظرف من استحواذ المستوطنين بالسلطة، واحتكارهم لموارد الدولة الغنية بالمطاط والماس،

كان الانتماء إلى الماسونية العالمية؛ أو الكنيسة المسيحية هو الوسيلة العملية الوحيدة للحظوظ

بالوظائف الحكومية العليا بالدولة، تحت سلطة الحزب الأحادي، حتى إن مدارس الإرساليات

الكنسية مثلا؛ كانت حكرا على المسيحيين أو من قبل التنصر من المسلمين.

واستمر أوضاع المسلمين على هذه الهيئة حتى جاءت ثورة عام 1980م والانقلاب العسكري؛

لإعادة التوازن في الوضع السياسي والاجتماعي، والاعتراف بالسكان المحليين بوصفهم مواطنين

بالدولة، ولكن الحكومة الجديدة كانت بدورها فاسدة؛ إذ اتبع صمويل دو **Samuel Doe**

1951-1990م سياسة قبلية بتوفير الامتيازات الوطنية لقبيلته كران (Khran)، وتعيين المقربين

إليه في المناصب العسكرية والإدارية العليا بالدولة.

⁷⁰¹ الأقليات المسلمة في العالم، "دراسة عامة عن الأقلية الإسلامية في ليبيريا"، خميلو محمد، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، 2000م.

وفي عام 1989م قامت حركة تمرد مسلحة عنيفة ضد حكومة صمويل دو، قادها تشارلز تيلور **Charles Taylor** وكانت بمثابة رد على الانقلاب العسكري الذي قام به السكان المحليون، واستفاد تيلور من الحقن الشعبي على الرئيس صمويل في استنفار القبائل الأخرى ضد قبيلة "كران" وكان يوسع القبائل التي لا تنضم إلى صفه تقتيلا وتنكيلا، وهكذا سرعان ما اتخذت هذه الحرب صبغة قبلية ودينية، ووجدت قبائل المادينغ والمسلمون أنفسهم بين المطرقة والسندان؛ حيث عاث المتمردون وفيهم تقتيلا وتشريدا، ولم ترتدع الميليشيات إلا بقيام حركة "الحاج كروما **El Hajd ULIMO Kromah**" الذي لم شتات المسلمين وجمع الشباب للوقوف في وجه التقتيل والإبادة ضد المسلمين، غير أن تلك الحركة انقسمت على نفسها في ظل طول أمد الحرب، وأصبحت مثل غيرها من الميليشيات الكثيرة، تعيث في الأرض فسادا، وتقوم بمجازر بشعة على قبائل "مانو **Mano & Gio**"، ولم تتوقف عند حد ردع القتل، والدفاع عن المسلمين، كان المسلمون أكثر المتضررين من التقتيل والتشريد في هذه الحرب الأهلية التي دامت ثماني سنين، وحصدت ما يزيد عن مائتي ألف 200.000 نفس، وتهجير ما يزيد عن 1.2 مليون شخص، في دولة لا تتجاوز سكانها 2.8 مليون نسمة، وعدت تلك الحرب من أفظع الحروب في تاريخ أفريقيا، استشرت إلى دولة سيراليون المجاورة وأحدثت تخلخلا واضطرابا في البلاد المجاورة لليبيريا.⁷⁰²

⁷⁰² Oquaye, Mike. The Liberia Crises : Lessons for Intra-State Conflict management and Prevention in Africa, (George Mason University: Institute for Conflict Analysis and Resolution, 2001), P: 33.

وقد تعرض المسلمون خلال هذه الحروب لمذابح حيث هدم المسيحيون قرابة مائة مدرسة إسلامية أحرقوا مئات المساجد، وقتلوا الأئمة وقطعوا ألسنة المؤذنين، وقاموا بالتمثيل بجثثهم بعد فصل الجمجمة عنها، واغتصبوا المسلمات وقتلوا الحوامل، كما تم تشريد قرابة نصف مليون مسلم، وهدم قرابة مائة مدرسة إسلامية في عهد الرئيس الليبيري تشارلز تاييلور القادم من أمريكا حاملا لواء تنصير مسلمي ليبيريا.

ولم تتوقف مأساة المسلمين بانتهاء الحرب؛ إذ نكل تيلور، زعيم حركة التمرد الذي أصبح رئيسا فيما بعد، بالمسلمين الذين لم يساندوه في حملته التمردية، وعزز انتماءه للمسيحية وبرجالاتها؛ فأقر التشريعات القديمة، وسن أخرى جديدة، مما أجمع مجلس النواب، ومنظمات حقوق الإنسان، ومختلف العناصر في المجتمع المدني، على أنها تمييزية، وأنها سبب أساسي في توسيع الخنادق بين المجموعات الدينية في ليبيريا، مثل تحريم العمل أيام الأحد، وإعطاء الأولوية للمسيحيين في الوظائف الإدارية بالقطاع الحكومي وتخصيص ميزانية للبرامج المسيحية.

هذا، وقد بدأت حقائق وأسرار كثيرة عن هذه الحرب تظهر، بعد سقوط تيلور ومحاكمته في المحكمة الجنائية الدولية في لاهاي مجرم حرب، ويعد كذلك القس رولاند ديغس أحد المنصفين الناشطين في هذا الموضوع، وكان رئيس الكنيسة اللوثرية في ليبيريا، ورئيس لجنة الأديان المشتركة للوساطة بين الحكومة الليبيرية وبين حركة المتمردين حين اندلاع الحرب، سعيًا لوقف القتال، وحقن الدماء... ومن مواقفه تبرمه المتواصل من الكنائس المسيحية، ومواقف رجالاتها المتعصبين ضد المسلمين في ليبيريا، وإسهاماتهم في تأجيج الحرب، وفي عرقلة مشروع المصالحة الوطنية بعد الحرب.

ومما ذكر القس، أن الحرب منذ أوائل اندلاعها، انبرت مجموعة من المسيحيين، ونشطاء في المجتمع المدني، بمشروع مصالحة، ودعت في ذلك إلى اجتماع، وسرعان ما قوبل هذا المشروع - في أول الأمر- بحماس من قبل المدعويين، غير أن الأمر انقلب رأسا على عقب حين اقترح بعضهم دعوة المجلس الوطني لمسلمي ليبيريا، وإشراكهم في هذا المشروع، طالما أن الأمر يهم المجتمع بأسره، وحينها، يقول القس: ("من المؤسف أن المسيحيين الذين يتوقع منهم فتح أبوابهم للآخرين، كانوا أشد استنكارا لهذا الاقتراح"، كان من تعليقاتهم: "لا يمكننا التعاون مع الجهلة"، أو "المسلمون شياطين" وحين اتفقت الأكثرية على أن يدعى المسلمون إلى لجنة الوساطة، غادر بعض الجماعات المسيحية الاجتماع غاضبين").⁷⁰³

ومن مشكلات مسلمي ليبيريا انتشار الفقر بين القبائل المسلمة التي لا تمتلك سوى مدرسة أهلية محدودة كانت قد أسستها رابطة العالم الإسلامي لتعليم القرآن واللغة العربية، بينما يسيطر المبشرون على معظم المدارس التي يرفض معظمها إلحاق المسلمين بها، وتشتترط اعتناق المسيحية مقابل التعليم بالمجان، ويرسلون مئات المنح الدراسية سنويا إلى أوروبا وأمريكا، ويملك المنصرون محطتين إذاعيتين تبث برامجهما بعدة لغات محلية وعالمية لمدة 16 ساعة، وكذلك يسيطرون على معظم مستشفيات البلد ولا يمتلك المسلمون أي مستشفيات خاصة بهم.

⁷⁰³ James, W. Harris, Church Contributes To Nation's Division, The Perspective, June 7, 2002. In www.theperspective.org.

ومن العقبات أيضا شدة التغلغل الأمريكي في البلاد ومحاربتهم للمسلمين؛ حيث تحتكر شركة "فيرستون Firestone" الأمريكية محصول المطاط الذي يشكل جزءا كبيرا من صادرات ليبيريا، ويتركز الاقتصاد الليبيري كله في يد أمريكا التي ينتشر خبراؤها في البلاد ويقفون مع الأنظمة الحاكمة لوقف المد الإسلامي.

ومن تجليات اللا تعايش بين المسيحيين والمسلمين عدم اعتراف رسمي بأعياد المسلمين، وتسعي الجمعيات الإسلامية في البلد مثل "المجلس الوطني لمسلمي ليبيريا" منذ سنوات إلى انتزاع اعتراف رسمي بأعيادهم، وإعطائهم عطلة رسمية، ولكن قلة نفوذ المسلمين السياسي الناتجة عن عدم وجود قيادة موحدة لهم كانت عائقا أمام تحقيق نجاح في هذا الأمر.

مجمل القول: هو أن منذ وفود المستوطنين المحررين الأوائل من الولاية المتحدة عام 1820م واستيطانهم بأرض ليبيريا، استحوذوا على السياسة وعلى خيارات الدولة مبعدين السكان المحليين من المسلمين، ومنذ ذلك الوقت بدأ مأساة المسلمين في البلد إلى يومنا هذا، حيث لا يحصلون على حقوقهم، ويمنعون أولاد المسلمين بالدخول في الدارس الحكومية وعدم اعتراف بأعياد المسلمين، كل ذلك من الأسباب وتجليات عدم التعايش بين الأقلية المسيحية التي تسيطر على سلطات البلاد والأغلبية المسلمة التي تمتلك أي قوة في الدولة.

المطلب الثاني: أسباب وتجليات وانعكاسات اللاتعايش بين المسلمين و المسيحيين في أفريقيا الوسطى:

تلعب الأزمات أدوارا بارزة في تاريخ المجتمعات البشرية سواء على صعيد الهدم أو البناء، وعند القيام بقراءة فاحصة لمجريات التاريخ يمكن التوصل إلى حقيقة مفادها أن الأزمة على مر العصور تتوسط المراحل المفصلية والمهمة في حياة الشعوب، حيث يمكن القول بأن بين كل مرحلة ومرحلة أخرى تفصل بينهما أزمة تمهد السبيل إلى مرحلة جديدة، لكن يبقى الفاصل بين هذا وذاك قدرة الشعوب والمجتمعات في التعامل مع أزماتها وإتقان طرق إدارتها والتصدي لها، وان تم ذلك تكون قد اختارت أنجع السبل وقلل الخسائر وانتصرت على أزماتها، أو الركون إلى امثال أساليب مغايرة مبنية على أسس غير مدروسة سلفا تشوبها الارتجالية الأمر الذي يجبر تلك المجتمعات إلى التفكك والهاوية.⁷⁰⁴

تعد جمهورية أفريقيا الوسطى واحدة من بين البلدان الأفريقية التي شهدت العديد من الأزمات الاجتماعية والدينية، لكن الوجه الأخير للأزمة كانت بعد الانتخابات الرئاسية 2011م، عندما انتخب الرئيس السابق فرانسوا بوزيزي FRANCOIS BOZIZE، لتتصاعد شرارة الأزمة على مختلف مناطق البلد، وهو ما يؤكد أن الأزمة الحالية لا تخرج من سياق تلك الأحداث المضطربة التي رافقت مسار الجمهورية منذ استقلالها من فرنسا عام 1960م، وقد تركت تلك الأزمات تجليات وانعكاسات سلبية على المجتمع والدولة، وأصبحت الجمهورية تصنف ضمن أكبر الدول الأقل نموا في العالم؛ ويجب الإشارة في هذا الصدد أن نسبة المسلمين في هذه الجمهورية التي تقدر - حسب بعض

⁷⁰⁴ إدارة الأزمات؛ الأسباب والحلول، علي أحمد فارس، مركز المستقبل للدراسات والبحوث، العراق - بغداد، 2013م.

الدراسات - إلى نسبة تبلغ ما بين 20% من عدد السكان، ويرتكز غالبيتهم في المناطق الشمالية من البلاد، نود هنا الإشارة إلى بعض هذه الأزمة في جمهورية أفريقيا الوسطى.⁷⁰⁵

جذور الأزمة:

يرى بعض المختصين بجمهورية أفريقيا الوسطى أن أزمة فيها أقدم بكثير عن الأزمة الحالية، يرجع بداية هذه الأزمة منذ الاستعمار، حيث أنشأ الاستعمار مدارس حكومية وأهلية كاثوليكية وجامعة واحدة في العاصمة لتعليم أبناء المواطنين، الأمر الذي لم يلق استقبالا من معظم المواطنين المسلمين الذين أحجم أغلبهم عن إدخال أولادهم إلى المدارس الحكومية التي يرون أنها تعلمهم تعاليم النصارى، واكتفوا بالمدارس الإسلامية التقليدية البسيطة والتي لم تبني على أساس علمي ممنهجي، وكذلك مراكز تحفيظ القرآن الكريم، بينما أدخل المسيحيون أولادهم تلك المدارس الحكومية والأهلية الكاثوليكية وتعلموا فيها وحصلوا على شهاداتها عليا، وبعضهم التحق بالجامعات الغربية.⁷⁰⁶ والنتيجة أن أولاد المسيحيين التحقوا بشتى الوظائف في الدولة ومناصب القيادة، بينما تخلف كثير من أولاد المسلمين من التعليم النظامي والوظائف الحكومية إلا عدد قليل، ولم يهتم العدد الكبير من المسلمين بالتعليم الحكومي والنظامي إلا في القرن العشرين الماضي.

وهناك من يرجع جذور هذه الأزمة إلى انقلاب الذي قاده تحالف "سيلكا Seleka"⁷⁰⁷، والتي تشكل الدرع العسكري لتحالف الأحزاب المعارضة، وينتصب إليها مختلف القوميات المسلمة في البلاد، حيث تمكن هذه الحركة المسلحة من تحقيق التقدم والإطاحة بالرئيس السابق فراسوا بوزيزي، الذي عانت البلاد خلال فترة حكمه (2003م - 2013م)، من الفساد المستشري والتخلف والمحسوبية والتسلط، وقد عجلت كل هذه الأسباب وغيرها لقيام حركة تمرد علي قادها تحالف فصائل

⁷⁰⁵ إدارة الأزمات؛ الأسباب والحلول، علي أحمد فارس، المرجع السابق، ص: 2.

⁷⁰⁶ مسلمو إفريقيا الوسطى يقتلون بصمت، د/ زياد الشامي، مقال، الموقع المسلم، 2018م، ص: 1.

⁷⁰⁷ سيلكا: هي جماعة مقاتلة في جمهورية أفريقيا الوسطى، معظم مقاتليها من المسلمين.

المعارضة المسلحة المعروفة باسم تحالف "سيليك" ضد حكومته، للمطالبة باحترام اتفاقية السلام الموقعة بين عامي 2007م و2011م والتي تنص على نزع السلاح وإعادة دمج المتمردين في الجيش، الأمر الذي أدى إلى الإطاحة ببوزيزي في عام 2013م، وتنصيب التحالف السابق زعيمها: "ميشال جوتوديا Michel Dtodia" في الشهر أغسطس 2013م.⁷⁰⁸

والجدير بالذكر هنا أن تحالف "سيليك" لا تتألف فقط من عناصر مسلمة، بل تضم أيضا مجموعات أخرى غير مسلمة من معارضي نظام فرانسوا بوزيزي، وتعود بدايات هجمات هذا التحالف في ديسمبر عام 2012م، حيث تمكنت من خلالها على إحكام السيطرة على كبرى المدن، خاصة في المناطق الشرقية والوسط من البلاد مما فرض على نظام بوزيزي الدخول في مفاوضات السلام مع التحالف المتمرد في يناير 2013م على إثره تم تشكيل حكومة وحدة وطنية ضمت قادة المتمردين، لكن نتيجة لشدة الخلاف بين الطرفين، لم تستمر ذلك التوافق بين الطرفين وهو ما دفع الرئيس بوزيزي إلى التخلي من السلطة والفرار في مارس 2013م، لصالح تحالف السيليك الذي نصب زعيمه جوتوديا كأول رئيس مسلم في دولة غالبية سكانها من المسيحيين، وشكل حكومة انتقالية في أبريل 2013م، تحت مسمى المجلس الوطني الانتقالي.⁷⁰⁹

⁷⁰⁸ مسلمو أفريقيا الوسطى – من الإبادة إلى النسيان، نور الدين قلالة، مقال، الموقع إسلام أون لاين، 2015م، ص: 3.

⁷⁰⁹ نفسه، ص: 3.

منذ استقلال البلاد مرت بعدة انقلابات عسكرية كلها من قبل حكام مسيحيين على مسيحيين، ولم يتدخل المسلمون في تلك الانقلابات، ولكن تعرض المسلمون في تلك الفترات على الفصل العنصري من قبل المسيحيين ووصفوا بأنهم أجنب مع حملهم لجنسية وهوية البلاد، ومعاملتهم بطريقة غير عادلة.

ومعظم سكان المحافظات الشرقية والشمالية للبلاد من المواطنين المسلمين الأصليين والمهاجرين، ولكن تعرضت محافظاتهم للتهميش من قبل الحكومات المتعاقبة من النواحي التعليمية والصحية، الأمر الذي جعل المثقفين والكوادر المسلمين يطالبون بحصة محافظاتهم من ميزانية الدولة في التعليم والصحة والبنية التحتية، ولكن لم يلتفت إلى مطالبهم واضطروا للانضمام إلى المعارضة، ولكن لم يجد ذلك نفعا بل زاد الضغط على المسلمين وخاصة في عهدي الرئيسين السابقين فيليكس باتاسي Felix Patasse والرئيس فرنسوا بوزيزي الذين أعلننا التمييز العنصري على المسلمين، وحرموا من أبسط الحقوق وهي الحصول على الجنسية أو البطاقة المدنية أو جواز السفر للمسلمين، وأنشأ مراكز للتفتيش والتحقيق لحصول المسلم على جنسية بلاده، وضغطا على التجار المسلمين واستولوا على كثير من أموال كبار التجار المسلمين الذين يتاجرون في الألماس والذهب واستيراد البضائع.⁷¹⁰

⁷¹⁰ الخيار الصعب لمسلمي إفريقيا الوسطى- الموت والرحيل، مقال، الموقع: Hespress، 2014م.

و في أواخر عهد الرئيس المخلوع فرنسوا بوزيزي الذي حكم البلاد من عام 2003 م 2013 م – م والذي جاء إلى الحكم بمساعدة المسلمين إثر انقلابات قام به ضد الرئيس فيليكس باتاسي، قام الرئيس فرنسوا بوزيزي بارتكاب جرائم ضد المسلمين الذين اتهمهم بالتمرد ضد نظامه فقتل عدد كبير من قيادات المسلمين السياسيين والعسكريين داخل سجونهم التي أنشأها من أجلهم، وأثناء ذلك تم إنشاء حركات تمرد من قبل قادة مسلمين وغير مسلمين واتفقوا على توحيد حركاتهم العسكرية تحت قيادة واحدة من أجل تغيير نظام الرئيس فرنسوا بوزيزي، وأسموها حركة "Seleka سيليكاس" وتعني بلغة السنغو المحلية (ائتلاف).⁷¹¹

وبعد مرور سنة من قيام حركة التمرد هذه استطاعت التغلب على نظام الرئيس بوزيزي وطرده من الحكم بتاريخ 24 مارس 2013 م، ونصبت الحركة الجنرال ميشيل جوتوجيا رئيسا مؤقتا للبلاد الذي كان مسلما من شرق البلاد، فأصبح بذلك أول رئيس مسلم يحكم البلاد منذ الاستقلال، وكان عناصر الجيش الذين انضموا إلى حركة التمرد سيليكاس قبل الانقلاب قرابة السبعة آلاف مقاتل أغلبهم من المسلمين، وبعد الانقلاب انضم إلى حركة التمرد قرابة ثمانية عشر ألف مقاتل فأصبح عدد المقاتلين في الحركة الذين يحملون السلاح خمسة وعشرين ألف مقاتل حسب إحصاءات الحكومة، وحصلت من المنضمين للجيش بعض التجاوزات كالقتل والنهب والسلب ولم تستطع السلطات الجديدة في البلاد السيطرة عليهم.⁷¹²

⁷¹¹ مسلمو أفريقيا الوسطى – من الإبادة إلى النسيان، نور الدين قلالة، المرجع السابق، ص: 3.
⁷¹² قيادي مسلم بإفريقيا الوسطى؛ النصاري دمر 350 مسجدا، المقالة، على موقع، وكالة الأنباء الإسلامية، 2014م، ص: 2.

ومعظم هذه التجاوزات حصلت على المسيحيين الذين عدتهم سيليكاً من المعادين لهم قبل تغيير النظام، وقامت دولة الاستعمار القديمة فرنسا بحشد المنظمات الدولية والحقوقية وخاصة الكنيسة الكاثوليكية ضد حركة سيليكاً برفع التقارير المزيفة إلى الأمم المتحدة والفاتيكان بأن حركة سيليكاً حركة تحمل طابع إسلامي متشدد وفيها عناصر من الحركات الإسلامية المتشددة والدارسين في الجامعات السعودية وغيرها من الجامعات العربية الإسلامية، وأن هدفهم هو أسلمة شعب أفريقيا الوسطى بالقوة إلى ما هناك من اتهامات باطلة الهدف منها هو استئصال المسلمين الأقلية الذين حصلوا على الحكم في هذه البلاد ذات الأغلبية النصرانية.⁷¹³

بينما كان الرئيس المسلم الجديد يبذل جهده في استرجاع الأمن إلى البلاد والسيطرة على عناصر الحركة الخارجين عن النظام والمركبين لبعض التجاوزات، وبدأ ببناء بعض الطرق الرئيسة في العاصمة التي لم تشهد تحديداً منذ الاستقلال، وإصلاح الكباري اللمهدة في طرق العاصمة الرئيسة التي انهدمت منذ عهد الرئيس المخلوع بوزيزي ولم يلق لها بالاً، ولكن كل جهوده لم يلتفت إليها من قبل فرنسا وأنصار الرئيس بوزيزي الذي بدؤوا بحشد عناصر الجيش السابق التابع لنظام الرئيس المخلوع والذين فر أغلبهم أثناء الانقلاب الأخير إلى القرى والمدن والمحافظات وبعض الدول المجاورة، وكذلك القرويين من المسيحيين الذين انضموا إلى التمرد الذي يموله الرئيس المخلوع بوزيزي.⁷¹⁴

⁷¹³ قيادي مسلم بإفريقيا الوسطى؛ النصارى دمروا 350 مسجداً، المرجع السابق، ص: 3.

⁷¹⁴ نفسه، ص: 3.

وقد بدأ التآمر ضد المسلمين في الأيام الأخيرة للرئيس فرنسوا بوزيزي الذي أنشأ حركة دفاع ذاتي من الشباب المسيحيين داخل العاصمة ووزع عليهم الأسلحة النارية والسواطير، وبعد مرور عشرة أشهر من حكم حركة سيليكاست استطاع النظام السابق بحشد عناصر الجيش السابق والميليشيات المسيحية القروية في أكبر محافظات الدولة غربا وهي مدينة بوسنقوا Bosnoukoua ذات الأغلبية المسيحية والتابعة لقبيلة الرئيس فرنسوا بوزيزي المسيحي قبيلة البايا.⁷¹⁵

بعيدا عن وصول المسلمين إلى السلطة مؤخرا في أفريقيا الوسطى، فإن هناك عدة مشاكل وتحديات تواجههم، من أبرزها نقص الخدمات التعليمية لأبناء المسلمين؛ فالتعليم الإسلامي في أفريقيا الوسطى متخلف، ومقصور على المرحلة الابتدائية، والمناهج متخلفة وغير موحدة، ويقوم التعليم الإسلامي على الجهود الذاتية المتواضعة، كما يعاني مسلمو إفريقيا الوسطى، من العجز الواضح في عدد الدعاة، والجهل بالإسلام وعدم توافر إمكانات الحركة والدعوة، والدس الرخيص الذي تمارسه بعثات التنصير، بين الحكومة والمسلمين، وتحديات البهائية والماسونية، وكل ذلك النتيجة اللا تسامح واللا تعايش من قبل الأغلبية المسيحية نحو الأقلية المسلمة داخل البلد.

⁷¹⁵ مسلمو أفريقيا الوسطى - من الإبادة إلى النسيان، نور الدين قلالة، المرجع السابق، ص: 3.

المطلب الثالث: أسباب وتجليات وانعكاسات اللا تعايش بين المسيحيين والمسلمين في أنغولا:

يتعرض الأقلية المسلمة في أنغولا إلى التطرف من قبل الأغلبية المسيحية في البلاد، حيث تم تسجيل الإسلام رسميا لدى الحكومة الأنغولية التي لا تعترف بالإسلام رسميا حتى الآن، لذا فإن الإسلام يواجه في الدائر الرسمية بعدم الشرعية، وبالتالي عدم شرعية مساجد المسلمين، فيغلق بعضها أحيانا، ويهدد بعضها بالهدم تارة أخرى.

واستكمالا لمعاناة الأقليات الإسلامية في كثير من دول العالم، يعاني المسلمون في أنغولا ذلك البلد الذي يقع في جنوب غرب أفريقيا من الاضطهاد والتضييق والتمييز ضدهم، وإلصاق تهمة التطرف والإرهاب بهم، وتقطع السبل بالمسلمين في أنغولا التي دخلت راية التوحيد مؤخرا، وتحديدًا في عام 1960م، نظرا لعدم اعتراف الدولة بالإسلام كديانة رسمية أو دستورية، وقيامها بعدم السماح ببناء المساجد أو المدارس أو الجمعيات الإسلامية.

ترغم الحكومة الأنغولية ظلما وعدوانا، أن المسلمين على أراضيها يمارسون الإرهاب والتطرف، ويربطونهم بتنظيم القاعدة، وتتوسع وسائل الإعلام الأنغولية في إلصاق تهم الإرهاب بالمسلمين هناك، وأغلقت حكومة الأنغولية بعض المساجد، بحجة إنها بنيت بدون إذن الدولة، مما جعل المصلين لا يجدون مكانا بديلا لأداء الصلاة فيه، ويحرمون من أبسط حقوقهم في إقامة شعائرهم الدينية.

وترتبط أنغولا بين الإسلام والإرهاب، وتعتبر المسلمين خطرا على أمنها القومي، وقد عبر العديد من المسؤولين الأنغوليين عن قلقهم البالغ من وجود المسلمين، وتزايد أعدادهم في الفترات الأخيرة، مما أثر في تعاملهم مع المسلمين وعلى نظرهم للمسلمين.

وقد كشف تقرير المفوضية السامية لحقوق الإنسان، التابعة للأمم المتحدة، عن عمليات تضييق وتمييز، يتعرض لها مسلمو أنغولا، وعلى رأسها إغلاق مساجدهم بصورة متكررة، دون ذكر السلطات أي مبرر لهذه التصرفات ضد المسلمين.

وأضاف التقرير، أن المسلمين في السجون الأنغولية، يعانون أيضا من إهمال حقهم القانوني، لافتا بالقول: " أن أحد السجون للمهاجرين غير الشرعيين في العاصمة لواندا، يضم 165 سجيناً - 95% منهم مسلمون - لا تلبى حاجتهم من الطعام".

وتوجه للمسلمين المسجونين، العديد من التهم منها غسيل الأموال، والانتماء لتنظيم القاعدة، إلا أن السلطات لا تستطيع تقديم أدلة قانونية دامغة لإدانتهم، حسب التقرير.⁷¹⁶

والحكومة الأنغولية في خطوة لم تقدم أي دولة في العصر الحديث، قررت أنغولا محاربة الإسلام بهدم المساجد ومنع المسلمين من ممارسة شعائهم الدينية، فقد أعلنت وزيرة الثقافة في أنغولا (روزا كروز دسيلفا Rosa karouz dossilva) بمنع الإسلام والمسلمين من ممارسة شعائهم على ترابها، وشرعت في هدم المساجد، قالت: " إن بلادنا ستعيد النظر في قانون حرية الأديان، سوف تقوم بتكثيف حربها ضد الإسلام المتطرف الذي ينتشر في القارة الأفريقية".⁷¹⁷

⁷¹⁶ المسلمون في أنغولا - معاناة في طي النسيان، مجلة: رسالة الاسلام، مكة المكرمة، 2013م، ص: 3.
⁷¹⁷ أنغولا تهدم المساجد وتمنع شعائر الاسلام على أراضيها، مجلة: السكينة، إعداد: سعيد الكحل، 2013م، ص: 2.

مثل هذه القرارات من قبل الحكومة الأنغولية نحو الأقلية المسلمة يتنافى مع أبسط حقوق الإنسان في الحياة الكريمة، ويتنافى مع مبادئ التسامح والتعايش السلمي، لا سيما في أفريقيا التي يشكل المسلمون فيها أكثر من نصف سكانها، ويشكل الإسلام وثقافته تراثا مشتركا بين أغلب شعوبها، وخاصة في هذا الوقت الذي ترتفع فيه الأصوات، وتتكاثر الجهود من أجل عالم يسوده السلام والتعايش والتسامح والحوار والحرية.

ولا يسمع من قريب ولا بعيد مثل هذه القرارات في دول ذات الأغلبية المسلمة نحو الأقلية المسيحية، بل بالعكس يحصلون على حقوقهم ويمارسون شعائهم الدينية بدون حرج.

مثل هذه القرارات العنصرية من قبل الأغلبية المسيحية تجاه الأقلية المسلمة في أنغولا، هي التي تصنع التطرف والتشديد والإرهاب، في حين أن احترام الآخر وثقافته والتسامح الديني مكافحة التطرف والتشديد والإرهاب، وقرار محاربة الإسلام في أنغولا يمثل استفزازا كبيرا للمسلمين، ولا يخدم التعايش والتسامح، والأخطر أنه يمثل تحريضا ضد شريحة في المجتمع اختارت دين الإسلام.

ومن تجليات اللاتعايش بين المسيحيين والمسلمين في أنغولا، أن الحكومة لم تخصص أي أرض للمسلمين ليشيدوا عليها مسجدهم، ومن أسباب كل هذه التطرفات ضد الإسلام والمسلمين في أنغولا، هو سبب اعتناق كثير من المسيحيين للإسلام، لذلك يتعرض الإسلام والمسلمين في هذا البلد إلى طمس للمعالم العمرانية والثقافية على يد الطائفة المسيحية المتطرفة بذريعة منع انتشار التطرف الإسلامي فيها، ولا أدري ماذا يسمى هدم المساجد أليس بتطرف ديني، علما أن أنغولا لم يتعرض لأي اعتداء، لا من قبل الجماعات الإسلامية المتطرفة ولا من غيرها.

خاتمة:

وفي ختام هذه الأطروحة العلمية المتواضعة، أحمد الله عز وجل على حسن توفيقه وعونه بأن قدر لي العيش في سعادة تامة مع أطوار إعداد هذه الأطروحة، منذ أن كانت فكرة تراودني بين حين وآخر، كلما تفكرت في إنجاز عمل علمي يخدم الإسلام ويعالج جزءاً من أمر الأمة، ويكشف عن وسائل النهوض بها، وسبل إعادتها إلى ما أريد بإخراجها للناس شاهدة وقائمة بالقسط، وداعية إلى الخير آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، وكنت كلما يئست لسوء أحوال المسلمين في بعض دول قارتنا بسبب حجم الدمار الذي يصيبهم في حقوقهم، وشراسة الهجوم الموجه إليهم ليلاً ونهاراً من قبل أعداء الإسلام، تلاحم في قلبي من نور الإيمان إشارات وإشعاعات تثبت بها الفؤاد وتطمئن بها الجنان بأن العاقبة للمتقين، وأن النصر قريب، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى، فازداد ثباتاً وعزيمة، وانطلقت بحثاً عن الطريق المثلى للقيام بالدور المنوط بي تجاه ديني وأمتي، فهداني الله لأتابع سبيل الأخيار، الذين قضوا حياتهم من أجل الدفاع عن الإسلام والمسلمين، والكشف عن مخططات أعداء الأمة الإسلامية، ولا يخافون لومة لائم.

وقد يسر لي الله تسجيل هذه الأطروحة بهذه الكلية المباركة، ثم جمع شتاتها، فصياغتها صياغة علمية، إلى أن خرجت في صورتها التي بين أيدينا اليوم، والتي أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يتقبلها مني قبولاً حسناً، أن يشفي بها العليل ويثلج بها صدور المؤمنين الغرباء في هذه القارة، وأن تكون لبنة تضاف إلى سابقتها، لتساهم في تحسين أحوال المسلمين على وجه الأرض.

وإذ أقدم للمؤسسة التعليمية، والدعاة إلى الله على بصيرة، وشباب الصحوة الإسلامية، والقارئ العزيز هذه الأطروحة، أشعر بأنني بصدد إنهاء مرحلة أكاديمية، فإن شعوراً آخر ثقيلاً يوقظ همي ويشغل بالي، هو أنني لم أعمل واجبي، وأن كل ما جمعته من مادة علمية، أو خضت فيه، إنما يدعو إلى بذل المزيد من البحث والدراسة، وبذل الجهد الواسع في التصدي لتحديات التنصير ومخاطر الغزو الفكري، من أجل حماية حقوق المسلمين المهددة بالدمار العقدي والفكري والأخلاقي، وأرجو أن يكون هذا الاعتراف حافزاً لأبناء العالم الإسلامي ليتسابقوا إلى سد الثغرات في المكتبة الإسلامية، والتي طالما انتظرت خدمة الباحثين المنصفين من جيل إياك نعبد وإياك نستعين، وذلك من أجل تصدي الجميع

للتحرف الصليبي والتيارات الفكرية المعادية العابرة للحدود والحدان، وأن يتحقق في القريب العاجل مراكز أبحاث وجمعيات تعني بهذا الأمر من أجل توحيد الجهود.

ولست ادعي في هذا العمل بأني ابتكرت فيه جديدا، لكن أُملي كبير - رغم ضعف العلم وعدم الخبرة وضيق الوقت وصعوبة الأحوال - في أن أكون قد وفقت بعض الشيء لتحقيق الهدف الذي من أجله خضت في هذه المغامرة رغم صعوبتها وخطورتها، وهو تقديم دراسة دقيقة شاملة لحوار الديني والتعايش بين المسلمين والمسيحيين، ومما لا شك فيه أن هذه الأطروحة قد انفردت بجوانب مهمة ومعلومات جديدة خلّت منها العديد من الدراسات السابقة عنها، حيث إنها أولى محاولة - حسب علمي - تجمع بين الخلفية التاريخية حول حصول كل من الإسلام والمسيحية في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، مع مقارنة وضع الأقلية المسيحية في بلدان الأغلبية المسلمة والعكس كذلك، حيث تناولت الأطروحة أسباب وتحليلات وانعكاسات التعايش واللا تعايش في بعض دول القارة، وغيرها من الجوانب التي يسهل استدراكها من خلال تصفح الأطروحة، على أنني أترك الحكم عليها للقارئ العزيز، وأتمسك بقول البارئ جل جلاله:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.⁷¹⁸ وأستسمح القارئ عذرا عما وقعت فيه من الأخطاء، فإنه عمل بشري لا يخل من الخطأ، وليتلطف بإرشادي تجاه الصواب الذي سأقبله بيد واسع، والمنصف من اغتفر قليل الخطأ في كثير الصواب.

ولنعود إلى المقصود لعرض بعض ما توصلت إليه من نتائج للأطروحة المحتوية على باين رئيسين أولهما لدراسة الديانتين من الخلفية التاريخية وثانيها لدراسة مقارنة عن أسباب وتحليلات وانعكاسات التعايش واللا تعايش بين من المسلمين والمسيحيين، والتي اهتمت بعرضها في أكثر من موضع في ثنايا معالجة فقرات الموضوع، وإتباعا للمنهجية أقدم بعض النتائج في النقاط التالية:

أولا: الخلفية التاريخية لدخول الإسلام إلى أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى التي كان أول القارات ترحيبا بالإسلام، حيث أن هجرة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة التي وقعت سنة

⁷¹⁸ سورة العنكبوت، الآية: 69.

الخامسة للبعثة، أي بعد الجهر بالدعوة بسنتين تقريبا، فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بعد إذن الله له في أن يأذن لأصحابه بأن يهاجروا إلى مكان ما، يأمنون فيه على دينهم، ويأمنون على أنفسهم وأموالهم، ووقع اختياره عليه الصلاة والسلام بتسديد ربه عز وجل على الحبشة، لأن كان بها ملكا لا يظلم عنده أحد، فهاجر عدد من الصحابة إلى تلك البلاد.

ثانيا: أن هذه الهجرة كانت من أجل كثرة التعذيب أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام على يد المشركين بمكة، وكان معظم من آمن بالرسول صلى الله عليه وسلم من الضعفاء والعبيد في مكة، فنالوا أنواع من التعذيب كافة من المشركين، وكان التعذيب بالضرب والجوع والعطش والحبس، كذلك طرحوا في رمضان مكة حين يشتد الحر ليفتنوهم عن دينهم وبذلك تعدد البلاء عليهم، فمنهم من فتن من شدة البلاء ومنهم من صمد على دينه وعصمه الله منهم.

ثالثا: حب سيدنا أصحمة ابن أبجر النجاشي ملك الحبشة لرسول صلى الله عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، يتجلى لنا ذلك لما كان انتصار الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين في بدر على أعدائهم من قريش، لبس خلقان ثياب بيض، وجلس على التراب وبعث إلى جعفر بن أبي طالب والمهاجرين، وبشرهم بانتصار المسلمين على المشركين.

رابعا: الخلفية التاريخية لتأسيس ممالك الإسلامية في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، وأن الممالك الإسلامية التي قامت في ساحل شرق أفريقيا كانت تختلف عن الممالك التي قامت في غرب أفريقيا من التطور؛ لأن الممالك الإسلامية التي قامت في غرب أفريقيا قد أسستها أسرات من أهل البلاد الأصليين الذين أسلموا، كما حدث في مملكة غانا ومملكة مالي وسنغاي، وأما المملك في ساحل شرق أفريقيا إنما أسستها أسرات عربية الأصل، فسلطين شوا وسلطين أوفات وكلوة يمثلون أرستقراطية عربية مهاجرة، استقرت في هذه الجهات ونمت ثروتها وازداد نفوذها واستولت على حكم البلاد وكانت الرعية مسلمة ومن أهل البلاد الأصليين.

خامسا: الخلفية التاريخية لوصول المسيحية في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، وأن معظم المدارس المسيحية لكنائس ممثلة في جنوب الصحراء الكبرى، ومن الناحية التاريخية فإن أقدم هذه الكنائس هي الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، المنتشرة في ساحل شرق أفريقيا، بينما نجد أكبر الكنائس في وسط وغرب أفريقيا هي الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية المختلفة والتي ارتبطت في حضورها بالاستعمار.

سادسا: أن المسيحية وصلت إلى ساحل شرق أفريقيا منذ القرن الأول الميلادي، وعلى هذا يختلف دخول المسيحية إلى هذه المنطقة عن دخولها إلى غرب أفريقيا حيث وصلت إلى هذا الأخير من خلال الاكتشافات الأوروبية في القرن الخامس عشر الميلادي، ومنذ هذين التاريخين أصبحت المسيحية من الديانات التي لها تأثيرها وتواجدها في القارة ... لكن هذا التواجد والتأثير لم يتم تناوله بشكل واسع.

سابعا: كان الحكم الاستعماري عوناً كبيراً للتنصير، ومن العوامل الأساسية التي ساعدت على ذلك، *وحدة العقيدة الثالوثية، للمستعمرين الأوروبيين ومن ضمنهم رجال الكنائس، فاشتراكهم في العقيدة وانتمائهم للثقافة القمعية المتغترسة أدى إلى اشتراكهم في النظرة نفسها إلى العالم غير المسيحي.

*العلاقة الوثيقة بين الإدارتين العسكرية والروحية، فكون الأولى هي التي مهدت الطريق للأخيرة جعل من الواجب عليها وهي تحقق هدفها الأسمى للاحتلال أن تتخذ موقفاً إيجابياً من الممتنمين للكنيسة وتدعمهم في كافة المجالات لوحدة المقاصد.

*السيطرة الاستعمارية كفلت الأمن والحماية المطلقة للكنيسة وبالتالي اطمئن حامل الصليب في الماضي قدما لنشر أفكاره الثالوثية تحت ظل الهيمنة العسكرية الأوروبية.

ثامنا: تعتبر مراكز التنصير وجمعياته الجهة المنفذة لسياسات ومخططات التنصير التي غالبا ما ترسمها الهيئات الداعمة والممولة، وهذا يعني أن خطورتها لا تقل بأي حال من الأحوال عن خطورة الجهات الداعمة نفسها، بل تفوقها بمراحل؛ فالدعم مهما بلغ حجمه فإنه بلا شك يحتاج إلى مستثمر يعرف الطريقة المثلى لتوظيف هذا الدعم كي يعطي ثماره.

تاسعا: أن المراكز والجمعيات التنصيرية المتعددة والمتنوعة الأهداف والتخصصات، وهناك موسوعة كاملة بالإنجليزية ترصد المعلومات عن معظم الجمعيات التنصيرية في العالم، وتخضع للمراجعة الدورية، فتضيف جمعيات جديدة، وتحدد المعلومات عن جمعيات قائمة، وتقدم عرضا للجهود المبذولة على مستوى حملات التنصير في العالم.

عاشرا: أن استهداف الحركات التنصيرية للإسلام اليوم، هو إخراج المسلمين من الإسلام، أو إخراج جزء من المسلمين من الإسلام، وهذا من الأهداف طويلة المدى، لأن النتائج فيه لا تتناسب مع الجهود المبذولة له من أموال وإمكانات بشرية ومادية، ذلك لأنه يسعى إلى هدم الإسلام في قلوب المسلمين، وقطع صلتهم بالله تعالى، وجعلهم مسخا لا تعرف عوامل الحياة القوية التي لا تقوم إلا على العقيدة القويمة والأخلاق الفاضلة" يقول الله تعالى: {يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}. 719

حادي عشر: تتمثل وسائل واستراتيجيات التنصير والغزو الفكري الثقافية في التعليم النصراني الذي يحظى باعتراف الحومة وعمه المادي له بالإضافة إلى دعم الفاتيكان والهيئة الدولية للتعليم الكاثوليك، وقد شهد هذا التعليم تطورا ملحوظا في السنوات الأخيرة، وفي التكوين المستمر وتقديم الخدمات الاجتماعية، ويمثل خطرا كبيرا على الإسلام إذ يبلغ عدد كبير من الطلبة المسلمين في المدارس الكاثوليكية في القارة.

ثاني عشر: يعتبر الإعلام من الوسائل الإستراتيجية للكنيسة، التي لها دور في تحقيق مخططات التنصير من خلال قنوات التلفزة ومحطات الإذاعة الوطنية والتجارية والنصرانية التي تشيع في كل أنحاء القارة.

ثالث عشر: ويعتبر الفاتيكان أهم مصدر لتمويل، بالإضافة إلى العشرات من المؤسسات والشركات التجارية والمشاريع التنموية، والبرنامج الأفريقي للعودة إلى تأسيس مؤسسات التسويق والتدبير يعبر أهم تجارب الكنيسة الاقتصادية في غرب أفريقيا، وذلك مما جعلت الكنيسة تحظى بالاكتماء الذاتي بسبب الإمكانيات المادية الضخمة التي تملكها.

رابع عشر: تساهم المنظمات والجمعيات التنصيرية بشكل كبير في تحقيق أهداف الكنيسة باعتبارها من أهم الوسائل الاقتصادية والاجتماعية للكنيسة، وبالإضافة إلى ذلك فإن المؤتمرات والملتقيات التي تعقدتها في البلدان لها الأثر توجه العمل التنصيري.

خامس عشر: أن المنصرون استغلوا كل وسيلة لنشر دينهم، واستغلوا كل حاجة من حاجات البشر، كانوا يظهرون الرحمة والشفقة على الضعفاء، وكانوا يسامون الناس على الدواء وعندما يقدون العلاج يقدمون معه الإنجيل، وكان المستشرقين والمستكشفين ورحالة قد عملوا لفتح الأبواب للمنصرين، وكذلك كان الاستعمار عوناً كبيراً لهم في مخططاتهم، وكان الاستعمار أيضاً عنصراً كبيراً لتغلغلهم ولسيطرتهم على الشعوب، والهدف من كل ذلك هو السيطرة على الإسلام والمسلمين في العالم، ويأبى الله إلا أن يتم نعمته ولو كره الكافرون.

سادس عشر: أن الحوار مع أديان أخرى في القرآن الكريم له حضور بارز، فقد أشار القرآن إلى أهم الأديان والملل التي كان الناس يدينون بها قبل نزول القرآن الكريم (الذين هادوا، النصارى، المجوس، الصابئون، والذين أشركوا)، وكان منصفاً وموضوعياً في وصفها، وفي عرض معتقدات ومقولات أتباعها، وبناء على تلك المعتقدات حاورهم وجادلهم وحاجهم في دينهم، ودعاهم إلى تحكيم العقل والبصيرة والبحث عن الدين الحق.

سابع عشر: خطر إنشاء المدارس والملحقيات الثقافية الأجنبية، أي غير الإسلامية للجاليات الأجنبية وطبعها بالطابع التنصيري في المناهج وأوجه النشاط غير المنهجية، كالثقافية التي يبدو من ظاهرها التعريف بالبلاد التي تمثلها الملحقية، وفي باطنها الدعوة المختفية إلى التنصير، ثم إتاحة المجال لأبناء البلاد وبناتها للانخراط في هذا المدارس على حساب التربية والتعليم المؤهلين بمنهج البلاد ومنطلقاته.

ثامن عشر: علاقة الاستعمار بالتنصير وتأثيرها على الحكومات فيما يخدم مصالح النصارى ويضر بمصالح المسلمين، وأقرب مثال على ذلك عندي هو نجاح نصارى ليبيريا ذات الأغلبية المسلمة في منع الدولة من الانضمام إلى منظمة المؤتمر الإسلامي عضواً كامل العضوية، ونفس القضية يخضع لها طلبة الليبيريين الدارسين بالعربية، سواء في الدراسات الإسلامية أو في التخصصات أخرى، حيث لا يحصلون على أي مساعدة مادية أو معنوية من قبل حكومة بلدهم من مرحلة الابتدائية حتى مرحلة الجامعية.

تاسع عشر: اتخذت الكنيسة أساليب متقاربة جداً في العمل التنصيري بالدول الواقعة في غرب القارة الأفريقية، سواء فيما يتعلق بتاريخ التنصير، والتنظيم الإداري السياسي، أو الوسائل السياسية والثقافية والاجتماعية والإعلامية والصمود أما زحف التنصير في الديار المسلمة.

عشرون: لم تكسب التنصير نجاحات تذكر مقارنة بما تبذل من جهود وأموال، ولم تفلح الجهود التنصيرية والغزو الفكري المعاصرة في أوساط المسلمين في تحقيق نتائج ملحوظة في زيادة أتباع الكنيسة في القارة، ولكنها أحرزت النجاح بعض الشيء في إفساد عقائد المسلمين، وسلوكهم، وزعزعة القيم الإسلامية في نفوسهم، وإضعاف العقيدة الإسلامية في نفوسهم، والعمل على إزالة روح الكراهية من نفوس كثير من المسلمين تجاه النصارى، حتى أصبحت طوائف كثيرة من المسلمين تعتقد بأن النصارى ليسوا بأعداء لهم، لظهور المنصرين دائماً بروح التسامح، وتقديهم المساعدات الإغاثية لمناطق المسلمين المنكوبة، ورفعهم لشعارات الحرية والإخاء والمساواة، وممارستهم لكثير من أنشطتهم وبرامجهم

تحت رايات غير دينية، ويلعب دور رعاية الأيتام واللقطاء الدور الكبير في ذلك.

الحادي والعشرون: تهيئة طبقة مثقفة علمانية تعمل في الدفاع عن الكنيسة في أوساط المسلمين، من خريجي الجامعات والمدارس والمعاهد التنصيرية الموجودة في ديار المسلمين، والمقيمين في الديار النصرانية بهدف الهجرة لغرض العمل أو من أجل الدراسة أو حتى تلك الفئة التي تذهب للسياحة.

الثاني والعشرون: الحيلولة دون وحدة المسلمين أو اتحادهم سياسيا واقتصاديا، واستبعاد الوحدة من واقع الحياة الإسلامية كليا، وذلك بسبب نشر الخلافات والفتن والعمل على خلق النعرات القومية بين المسلمين.

الثالث والعشرون: ومما يتعلق بالمكاسب المادية التي حققها المنصرون فعن البحر حدث ولا حرج؛ فقد أقاموا على طول البلاد وعرضها شبكات واسعة من المؤسسات التعليمية والمراكز الصحية والاجتماعية والمشروعات الاقتصادية التي تدر لهم ملايين الدولارات مستترين تحت شعار خدمة المجتمع، والتنمية الاقتصادية.

الرابع والعشرون: من واجب المسلمين الانفتاح على أتباع الأديان الأخرى، والدخول معهم في حوار علمي من أجل تعريفهم برسالة الإسلام، ودعوتهم إليه، دعوة وحوار يعترفان بوجود الطرف الآخر المختلف، لأن الاختلاف سنة إلهية ماضية، وقدر إلهي محتوم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، حوار ودعوة تكون أبرز مقوماتها هي: الاحتكام إلى لغة العقل والفكر - نهج الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة - ونهج أسلوب التي هي أحسن ونبد التعصب والعصبية والعنف.

الخامس والعشرون: أن إقامة حوار حقيقي بين الحضارات والأديان يستلزم اعترافا متبادلا بين الجميع، وتوازنا في القوى، وعملا وتعاوناً في إطار المشترك الإنساني، وفي إطار المقاصد العامة التي تنادي بها الأديان، أما عن الخصوصيات الدينية والثقافية فلا سبيل إلى تجاوزها أو المساومة عليها، ويبقى المجال مفتوحاً للتنافس ومقارعة الحجة بالحجة، في جو من الحرية الدينية والاختيار، وأمام صاحب الحق طريق شاق وطويل، ليخرجه إلى الناس خطاباً مقنعاً يتبنونه قلباً وقالاً.

السادس والعشرون: أن التعايش واللاعاش بين المسلمين والمسيحيين في بعض دول أفريقيا له مظاهره وتجلياته، وله تأثيراته وانعكاساته، إما إيجابياً وإما سلبياً، وهي تختلف حسب البلدان، كما رأينا خلال هذا البحث، فالبلدان الذواتا الأغلبية المسلمة (غينيا والسنغال ومالي) رأينا كيف يتم التعايش فيهما مع الأقلية المسيحية بالإشادة والتقدير بما تميز به من عدل وحفظ الحقوق للجميع، فالكل شعر بانتمائه لوطنه بغض النظر عن دينه وعرقه، وبسبب هذه المحبة والمساواة، وقعت الألفة والرحمة بدل الكره والبغض، واستطاع الكل أن يندمج مع الكل مع اختلاف الثقافة والدين، فحصلت الوحدة الوطنية في هذين البلدين، فتعايشوا على أساسه، وامتد تأثيره هذه الألفة إلى اليوم، وكل ذلك فضل مبادئ وتعاليم الدين الإسلام السمحة، وحسن تعامل الأغلبية المسلمة نحو الأقلية المسيحية في تلك البلاد، ومقارنة مع البلدان الآخرا الذواتا الأغلبية المسيحية (ليبيريا وأفريقيا الوسطى وأنغولا)، رأينا عكس ذلك في معاملتهم مع الأقلية المسلمة، حيث عجزوا أن يغرسوا مثل هذه المحبة المساواة البلاد.

السابع والعشرون: القول أن المسيحيين في غينيا على الرغم أقليتهم في البلاد يتمتعون بحقوقهم كاملة غير منقوصة ولا مقطوعة، فلا يمس كرامتهم ولا حريتهم، وإنما ضمن لهم العيش الهنيء في البلاد، ويصل التعايش في غينيا حتى وصل الأمر إلى تبوء مناصب رافعة في البلد، فكانت نتيجة التسامح والتعايش مؤثرة وعميقة يشهدها المجتمع، ومن ناحية أخرى يصل الاندماج بينهم إلى حد لا مثيل له تخطى الفوارق العقائدية والعرقية وغيرها، ليعطينا مجتمعا مندمجا وفعالا يسوده التسامح والتعايش والتعاون والتراحم، تحترم فيه الإبداعات والابتكارات بغض النظر عن عقيدة أحد.

الثامن والعشرون: تقدم بعض دول أفريقيا كالسنغال بشكل كبير في مجال التعايش بين الديانات كالإسلام والمسيحية وبعض الديانات الوثنية وإن كانت بأقلية ضئيلة، وبين المذاهب والطرق الصوفية داخل الدين الإسلامي الذي يعتنقه الشعب السنغالي باستثناء أقلية يسيرة، والسنغال لديها ميزة في مجال التسامح، لكونها جنبا إلى جنب بعض دول أفريقيا مثل: "المملكة المغربية" أحد المراجع على مستوى القارة الأفريقية من حيث الحوار بين الأديان وقبول الاختلاف.

التاسع والعشرون: إن مسلمي أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى بحاجة ماسة إلى مد جسور التواصل معهم في شتى الميادين، لاسيما مساعدتهم على تطوير المجال الثقافي بتوفير المنح الدراسية للشباب المسلمين، وكذا تقديم التسهيلات لهم من أجل أن يلتحقوا بالجامعات العربية، والجامعات المغربية على وجه الخصوص، التي تشع العلوم الشرعية والمعارف الإسلامية الأصيلة، مثلما تفعل الإرساليات

التبشيرية التي ترسل الشباب المسيحيين إلى أعرق مدارسها عبر العالم، والعمل أيضا على إيجاد مكتبة إسلامية مزودة بالمواد الدينية والعلمية إلخ.

الثلاثين: وجود نماذج متعددة للتسامح في الإسلام والمسيحية، منها التسامح الاجتماعي، التسامح الثقافي، والتسامح السياسي. تسهيل سبل الاحتكاك مع الحضارات الأخرى، لشعور كل صاحب عقيدة بالتسامح والحرية فيدي مظاهر الاختلاف والتمايز عن الآخرين. انتشار حرية الفكر وازدهار النشاط العلمي وهما لا ينبتان إلا في بيئة التسامح وفيها ينموان ويزدهران، وأن يكون المجال فسيحا لتبادل الخبرات والآراء، والتفكير الحر للاقتناع والاختيار دون الشعور بالإكراه والاضطهاد.

توصيات:

وأخيرا، هذه بعض التوصيات والاقتراحات الصادرة عن الأطروحة من أجل النهوض بالعمل الإسلامي للتمكن من الزيادة في الصمود والتصدي للحملات الغزو الفكري.

1- التمسك بجبل الله سبحانه وتعالى، أي بهدي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والابتعاد عن الافتراق والتناحر والخلافات والنزاعات الطائفية والمذهبية، والبعد عن البدع والخرافات والتكفير لتحقيق الوحدة الإسلامية.

2- إنشاء مراكز بحثية متخصصة في مختلف دول العالم تهتم بقضية الحوار، والتصدي للأفكار التي تعمل على هدم أسسه، وتكثيف جهود العلماء والمفكرين والمثقفين في مواجهة ظواهر الكراهية والتمييز العنصري لبناء حضارة إنسانية آمنة، والوصول بعملية الحوار إلى

هدفها المنشود، والإفادة من وسائل الاتصال الحديثة وتوظيفها التوظيف الأمثل في إرساء ركائز مشتركة للحوار بين الثقافات المختلفة.

3- ضرورة التحول بنشر ثقافة الحوار وترسيخ قيم التسامح والتعايش واحترام الآخر والخروج بالحوار بين الثقافات من ثقافة النخبة إلى ثقافة عامة في جميع المجتمعات، مع تعزيز أنماط التعليم التي لا ترسخ لأحادية الرأي أو ترفض الحوار مع الآخر، والعمل على إصدار ميثاق دولي يجرم الإساءة للمقدسات والرموز الدينية ويتصدى لخطاب الكراهية والعنصرية باعتبارهما جرائم تهدد السلم والأمن الدوليين.

4- التأكيد على دور البرلمانات التشريعي والرقابي في ترسيخ دولة المواطنة التي لا تميز بين المواطنين على أساس الدين أو العرق أو اللون، وتؤمن بالتنوع وتحترم التعددية وتعدّها ثراءً للمجتمع، وضرورة التعاون المشترك بين المؤسسات الدينية والثقافية والإعلامية لتعزيز قيم التعايش والتسامح والحوار وآدابه وضوابطه، وتفنيد ضلالات الجماعات المتطرفة تجاهه وفق إستراتيجية تشاركية دقيقة ومحددة على المستويات الوطنية والدولية، وتعزيز دور التبادل الثقافي بين الدول، لدعم لغة الحوار وتعزيز أسس العيش المشترك والسلام العالمي.

5- تأصيل قيم الحوار والتعايش والتسامح انطلاقاً من المشتركات الإنسانية والدينية، مع احترام الخصوصية الثقافية والدينية للآخرين، وكذلك احترام عاداتهم ومقدساتهم ورموزهم وتقاليدهم وأعرافهم المستقرة، لأن احترام المقدسات والرموز الدينية وغيرها يسهم بقوة في صنع السلام العالمي ويدعم حوار الأديان والحضارات والثقافات، أما النيل من مقدسات الآخرين ورموزهم الدينية فلا يذكي إلا مشاعر الكراهية والعنف، والتطرف والإرهاب.

6- التأكيد على أهمية دور الإعلام في دعم قيم التسامح والتعايش ونبذ العنف وأهمية التغطية الإعلامية المهنية للأحداث، وضرورة وضع ميثاق شرف إعلامي دولي يوفق بين ضرورات حرية التعبير والرأي وبين مقتضيات احترام الثقافات والأديان.

7- التأكيد على أن الهدف من الحوار بين الثقافات ليس محاولة تغيير ثقافة أو هيمنة ثقافة على باقي الثقافات، ولكن أن نصبح أكثر فهما ومعرفة واحتراما لثقافتنا المتنوعة، والتأكيد على أن لغة الحوار البناء تقوم على انتقاء الألفاظ والأسلوب الراقي الذي يجمع ولا يفرق ويحتوي ولا ينفر.

8- التأكيد على الرفض المطلق للتطرف والإرهاب وللكرهية والتعصب ورفض التوظيف السياسي لأي من ذلك كأداة لتفتيت الدول وهدمها أو لحصد الأصوات وكسب الانتخابات، والتأكيد على رفض ربط التطرف والإرهاب بأي دين، ورفض الزج بالأديان والمقدسات في ساحات الصراعات الانتخابية والسياسية والتحذير من أن مخاطر الإساءة للمقدسات والرموز الدينية هي تهديد للأمن والسلم الدولي، ولا ينجم عنها سوى المزيد من العنف والتطرف وتأجيج المشاعر وخلق العداوات.

9- التأكيد على أن وحي السماء ما نزل إلا ليرسم للإنسان طريق السعادة في الدنيا والآخرة، ويعلمه قيم الرحمة والحق والخير، ويحفظ دمه وماله وعرضه، وأن من خرج عن ذلك فقد خرج عن فهم صحيح الدين، والتأكيد على ضرورة العمل بالتعزيز الحوار الديني والثقافي والحضاري على جميع المستويات الوطنية والدولية، وضرورة العمل على نشر لغة الحوار ومراعاة ضوابطه عبر وسائل الإعلام المختلفة.

10- إعادة التخطيط لوسائل الدعوة المعاصرة، والعمل على وضع برامج من المؤسسات الإسلامية يمكن الاستفادة منها في جميع الدول الإسلامية، في مجال التعريف بالإسلام، والكشف على بطلان النصرانية المعاصرة، والعمل على تأسيس المحطات الإذاعية في جميع المدن من أجل نشر الإسلام ومواجهة التيارات المعادية بالتي هي أحسن.

11- العمل على تطوير آليات الدعوة إلى الإسلام وتحديث خطابها على الشكل الذي يعالج الواقع الإسلامي في العالم، استنادا إلى وسائل الترشيد الناجح والعمل على جعل لغة

تخاطب الفئة المستهدفة تتسم بالليونة واليسر وتتلاءم أيضا مع عالمية وكونية الرسالة وقيم الهداية والرحمة والسلم والتعايش والتسامح والحوار المنفتح والباقي، مثبتين للغير أن ديننا الحنيف، دين الحضارة والإنسانية، ذو المعاني السامية والغايات النبيلة، وعلى الدعاة أن ينزهوا ساحة الدعوة من تلكم الخلافات الدينية غير الحكيمة التي قد عتمت صورة الإسلام وجرت على المسلمين هذه المآسي، وأن يعلموا أن أسلمة تلك القبائل الروحانية واستقطابها قبل أن يستقطبها المبشرون مما يجب صرف الجهود إليه اليوم، وأن يوسعوا أصول الدين على وتيرة تحقق الغاية المرجوة من رسالة الإسلام، وأن يتساحوا في الفروع وما اختلف فيه.

12- الدعوة إلى الإخوة القائمين على تسيير المدارس الإسلامية الخصوصية في القارة، إلى ضرورة تدريس اللغات الأجنبية في مدارسهم إلى جانب اللغة العربية وتطوير المناهج على النحو الذي يتلاءم مع مسارات التحول الحداثي، ويلبي طموحات الواقع الإسلامي، ومعلوم؛ أن عدم تدريس هذه اللغات خصوصا اللغة الفرنسية والإنجليزية منها، وهي طريقة إدماج المسلم المثقف في الحقل العملي.

وختاما أقول إن هذا الموضوع حصيلة تراكمات تاريخية، ليس بمقدور باحث مبتدئ مثلي في حادثة العهد بالبحث العلمي أن يحيط به من كل جوانبه نظرا لتشعب مسالكه وامتداد جذوره وتناثر مواده؛ فلا يزال بحاجة إلى دراسة أعمق، وتحليل أعم، وتناول أشمل، وتنقيب حثيث على وتيرة تكشف عن القيمة التاريخية والإسهامات المميزة التي قام بها المسلمون في سبيل ترسيخ الإسلام وصنع تاريخه المجيد في القارة، وهذا مما أندر نفسي للمضي فيه، فيما يتيح لي ربي من العمر إن شاء تبارك وتعالى.

وَأَسْأَلُ الْمَوْلَى تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْعَمَلَ الْمَتَوَاضِعَ الَّذِي أَنْجَزْتَهُ بِعَوْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ خُطْوَةً إيجابية تستثير الهمم وتحرك العزائم في الغد المرتجى، وتبعث على استشعار المسؤولية الدينية والوطنية حيال تراثنا، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير، ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾. 720 وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع:

- 1- القرآن الكريم.
- 2- السنة النبوية الشريفة.
- 3- الكتاب المقدس.
- 4- تفسير الجلالين.
- 5- أثار مملكة علوة "إقليم سوبا" عبد الرحمن الوسيلة بابر، رسالة مقدمة إلى جامعة الخرطوم لنيل درجة ماجستير "الآداب في الآثار" إشراف بروفيسور: علي عثمان محمد صالح، 2011م.
- 6- أثار مملكة علوة 500م – 1500م (إقليم سوبا)، دة/ رباب عبد الرحمن، ط 1، الخرطوم، 2006م.
- 7- أثر اللغات الغينية في تعزيز التماسك الاجتماعي، أ/ محمد تفسير بالدي، مقالة: متابعات إفريقية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 2020م.
- 8- إدارة الأزمات؛ الأسباب والحلول، علي أحمد فارس، مركز المستقبل للدراسات والبحوث، العراق – بغداد، 2013م.
- 9- الارتياح والكشف الجغرافي، وود شاكر، دار المكتبة العصرية، بيروت، 1996م.
- 10- الإرهاب باستخدام المتفجرات، عبد الرحمن أبوبكر ياسين، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1412 هجري.

⁷²⁰ - سورة النمل، الآية: 29.

- 11- أسباب سقوط مملكة مروي، الشيماء يوسف، منتدى المرسال، القاهرة، 2017م.
- 12- أسباب هجرة المسلمين إلى الحبشة، مقالة مركز الإشعاع الإسلامي، إشراف: الشيخ صالح الكرياسي، القاهرة، 2009م.
- 13- الإستشراق بين الإنصاف والإجحاف، عبد الله علي العليان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2003م.
- 14- الاستشراق في خدمة التنصير واليهودية، علي بن إبراهيم، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع 3، 1990م.
- 15- الإستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي- محمود ياسين عربي، ط 1، المركز القومي للتراث والثقافة، الرباط، 1991م.
- 16- الإسلام بين تحديات التنصير ومخاطر الغزو الفكري في غرب أفريقيا (مالي نموذجاً)، أطروحة لنيل الدكتوراه في الآداب، الدكتور: عبد العزيز محمد عبد الله ميغا، جامعة محمد الخامس، أكادال، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، شعبة الدراسات الإسلامية، وحدة المناظرات الدينية في الفكر الإسلامي، عام الجامعي: 2006-2007م.
- 17- الإسلام في ممالك وإمبراطوريات أفريقيا السوداء، جوان جوزيف - ترجمة: مختار السويفي، ط 1، دار الكتاب للصرى، القاهرة، 1984م.
- 18- الإسلام وأثره على التطورات السياسية والفكرية في أفريقيا جنوب الصحراء، عبد المولى الحرير، مجلة البحوث التاريخية، العدد 2، مركز جهاد الليبيين، طرابلس، 1989م.
- 19- الإسلام واختلاف النماذج، محمد أركون، رسالة اليونسكو، يونيو، 1992م.
- 20- الإسلام والتجانس الاجتماعي في إفريقيا، أ. د/ مدثر عبد الرحيم، نشرتها مجلة دراسات إفريقية التي يصدرها مركز البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة إفريقيا العالمية العدد 1 عام 1985م.

- 21- الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب، الأستاذ/ هاني المبارك، نشرتها مكتبة - مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، عام 1997م.
- 22- الإسلام والعروبة في السودان، عبد الفتاح مقلد، دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1986م.
- 23- الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، عبد الفتاح مقلد الغنيمي، ط 1، عالم الكتب، القاهرة، 1998م.
- 24- الإسلام والمسلمون في غينيا، د/ موسى كوناطى، بحث لنيل الشهادة الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، شعبة الدراسات الإسلامية، تطوان، المغرب، 2006م- 2007م.
- 25- الإسلام وحضارته في وسط أفريقيا سلطنة البولالا، عبد الفتاح الغنيمي، ط 1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996م.
- 26- الإسلام وحضارته في وسط أفريقيا سلطنة البولالا، عبد الفتاح الغنيمي، ط 1، مكتبة مدبولي- القاهرة، 1996م.
- 27- أصل هذا الكتاب رسالة ماجستير بعنوان: إزهار مؤقت في الصحراء، ترجمة: مازن صلاح مطبقاني بعنوان: أصول التنصير في الخليج العربي، ط 1، مكتبة المسلم، القاهرة 1990م.
- 28- أغاديس، موسوعة الجزيرة، الموقع: www.aljazeera.net/encyclopedia/citiesandregions 2014/11/12م.
- 29- أفريقيا الشرقية والاستعمار الأوروبي، السيد رجب حراز، دار النهضة العربية، القاهرة، 1968م.

- 30- أفريقيا الوسطى حرب على الإسلام، موقع قصة الإسلام، إشراف راغب السرجاني، إعداد أحمد عبد الحافظ، 2014م.
- 31- الأقليات المسلمة في العالم، "دراسة عامة عن الأقلية الإسلامية في ليبيريا"، خميلو محمد، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، 2000م.
- 32- الأقليات المسلمة في العالم، مسعود الخوند، ط 2، ج 1، الناشر: universal company، بيروت، 2006م.
- 33- الإله أمون في مملكة مروي، حسن أحمد عبد القادر، مجلة كلية الدراسات العليا، العدد: 12، جامعة الخرطوم، 1983م.
- 34- الإمام عما بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، أحمد بن علي المقرئ، ط 1، المكتبة الأزهرية للتراث، 2008م.
- 35- إمبراطورية البرنو الإسلامية، إبراهيم طرhan، دار المعارف، القاهرة، 1975م.
- 36- إمبراطورية غانا الإسلامية، إبراهيم طرhan، ط 1، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970م.
- 37- انتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء، أ: عبد الله سالم بازينة، ط 1، دار الكتب الوطنية، بنغازي ليبيا، 2010م.
- 38- انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، حسن إبراهيم حسن، ط 2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1964م.
- 39- انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ومناهضة الغرب له، محمد عبد الله النقيير، ط 1، دار المريخ، الرياض، 1982م.
- 40- أنغولا تهدم المساجد وتمنع شعائر الإسلام على أراضيها، مجلة: السكينة، إعداد: سعيد الكحل، 2013م.

- 41- أوروبا والتخلف في أفريقيا، د/ والتر رودني، ترجمة: د/ أحمد القصير، عالم المعرفة، الكويت، 1998م.
- 42- أيام قضيتها في زنجبار، د/ فوزي محمد بارو، مقالة، الموقع: www.somaliatoday.com، 2013م.
- 43- الإيمان الصحيح بعيسى عليه السلام والتعرف بالإسلام، محمد أعراب، ط 4، الرباط - المغرب، 2005م.
- 44- بازيليك سيدة السلام في ياموسوكرو، مقالة، أرشيف الوسم: محمد سامح، 2014م.
- 45- بحث العمانيين في شرق أفريقيا، السهاد البوسعيدية، جمعية التراث، 2010م.
- 46- بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، د/ محمد الغربي، ج 1، مؤسسة الخليج للصناعة والنشر، 1982م.
- 47- البداية والنهاية، ابن كثير، ج 4، تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط 1، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر، 1997م.
- 48- بغية الآمال في تاريخ الصومال، عيدروس بن الشريف علي، ط 1، مطبعة إدارة الوطنية، 1954م.
- 49- البلدان، أحمد بن أبي يعقوب الشهير باليعقوبي، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون التاريخ، 1999م.
- 50- بناء التعايش: مسح لمشاريع التعايش في مناطق النزاعات العرقية، أنيله أفضالي ولورا كوليتون، بحث منشور في كتاب تخيل التعايش معا، تحرير أنطونيا تشايز ومارثا ميناو، ترجمة فؤاد السروجي، ط 3، دار الأهلية للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2006م.
- 51- البنيات الاجتماعية والثقافية في حضارة ما بعد مروي، محمد بن محمد بن عبد الله الإدريسي، رسالة مقدمة لجامعة الخرطوم لنيل درجة الدكتوراه، غير منشورة، الخرطوم، 2000م.

- 52- التأثير الإسلامي في غرب أفريقية، عبد الله محمد النقيرة، ط 1، دار المريخ للنشر، الرياض، 1988م.
- 53- تاريخ إفريقيا العام، المجلد 2، منشورات اليونسكو، المشرف على المجلد/ د: جمال مختار، 1985م.
- 54- تاريخ أفريقيا العام، ميكالوفسكي، المجلد الثاني، الفصل الثاني عشر، اليونسكو، 1964م.
- 55- تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي، د/ حسن إبراهيم حسن، ج 1، ط 7، مطبعة النهضة الإسلامية المصرية، القاهرة، 2010م.
- 56- تاريخ الإسلام والنصرانية في جمهورية ليبيريا، إبراهيم كوني، عام 2014م.
- 57- التاريخ الإسلامي، محمود شاكر، ط 8، المكتب الإسلامي، بيروت، 2000م.
- 58- تاريخ السودان، الشيخ عبد الرحمن السعدي، تحقيق وترجمة للفرنسية: هوداس بنوة، طبعة باريس، 1981م.
- 59- تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، محمود شاكر، ج 2، دار المريخ للنشر، 1993م.
- 60- تاريخ الكنيسة، يوحنا الأفسسي، المعروف بالآسيوي، ترجمة: صلاح عبد العزيز محبوب، ط 1، الناشر: المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2000م.
- 61- تاريخ المسيحية في الممالك النوبة القديمة والسودان الحديث، جيوفاني فانتيني، المكتبة السودانية العربية، الخرطوم، 1978م.
- 62- تاريخ المسيحية في الممالك النوبة القديمة والسودان الحديث، جيوفاني فانتيني، المكتبة السودانية العربية، الخرطوم، 1978م.
- 63- تاريخ وآثار النوبة، د/ عبد الحليم نور الدين، مكتبة الأسكندرية، مصر، 2008م.

64- التاريخ والأصول العرقية للنوبة، أمجد صيام، بحث في التاريخ والأنساب،
http://amjjar.blogspot.com 2014م.

65- تأسيس المدن الإسلامية في شرق أفريقيا، موسى بن خميس البوسعيدي، المقالة العدد
39، 2013م.

66- التبشير والاستشراق، إسماعيل الطهطاوي، الهيئة العامة للتوزيع والنشر، القاهرة،
1977م.

67- التبشير والاستعمار في البلاد العربية، مصطفى خالدي، المرجع السابق، ص: 3. ودليل
واضح على ذلك قضية رئيس جمهورية السنغال السابق "ليوبولد سيدار سنغور
Leopold Sedar Senghor" الذي كان من هؤلاء الأطفال الذين وقعوا فريسة
للتنصير مع أن أبويه وإخوانه مسلمون.

68- التبشير والاستعمار في البلاد العربية، مصطفى خالدي، ط 5، بدون دار ومكان النشر،
1973م.

69- تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، عبد القوي عثمان الشوقي، عالم المعرفة،
الكويت، 1978م.

70- تحديات العلاقات بين الديانات الكبرى، جورج ليونارد، مجلة الاجتهاد، ع 30،
1996م.

71- التحرير والتنوير لابن عاشور، ج 15، الدار التونسية للنشر، 2007م.

72- التحولات التي أحدثتها الإسلام في المجتمع الأفريقي، بشار أكرم الملاح، ط 1، دار غيداء
للنشر والتوزيع، الأردن، 2013م.

73- ترجمة لوثيقة خطاب باب يوحنا في 26 / 11 / 1981 Discours de jean
visite AD LIMINA paulilauxEveques du Mali en
1981.ApostolorumNovembre

- 74- التسامح بين القرآن والعهد الجديد، عبد الله محمد أحمد رابعة، جامعة آل البيت، كلية الدراسات الفقهية والقانونية، قسم أصول الدين، عام 2006م.
- 75- التعايش بين المسلمين وغير المسلمين في إفريقيا من منظور شرعي، الدكتور/ المرتضى الزين أحمد، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 9، 2009م.
- 76- التعددية الدينية والتعايش السلمي في زنجبار، صالح محروم محمد، مركز الدراسات الشرق الأوسط، بيروت، بدون سنة.
- 77- تعريف الأديان، الدرر السنية- موسوعة الأديان- المشرف العام/ علوي بن عبد القادر السقاف، 2015م.
- 78- التعريفات، الشريف الجرجاني، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م.
- 79- التعليم الإسلامي في غرب إفريقيا، د/ عبدالله الخاتم، مجلة الدراسات الإفريقية نشر المركز الإسلامي بالخرطوم، العدد 3، رجب 1414 هجري.
- 80- التعليم الإسلامي في غرب إفريقيا، علي عبدالله الخاتم، مجلة دراسات إفريقية، العدد 3، نشر المركز الإسلامي الأفريقي بالخرطوم، 1414هـ.
- 81- تمبكتو-أطلال-وكنوز-تصارع-التاريخ- المصدر: الجزيرة، القسم: تقارير وحوارات، الموقع: www.aljazeera.net/reportsandinterview، 2012م.
- 82- التنصير في إفريقيا السنغال أنموذجا، سيدي غالي لو، دار الكتب بيروت، دون ط، عام 2005م.
- 83- التنصير في القرن الأفريقي ومقاومته، سعيد أحمد يحيى، دار الأمير، الرياض، 1986م.
- 84- التنصير في القرن الأفريقي ومقاومته، سعيد أحمد يحيى، ط 1، دار الأمير، الرياض، 1986م.
- 85- التنصير والاستعمار في إفريقيا السواء، عبد العزيز كحلوت، ط 3، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية في طرابلس، 2001م.

- 86- التنصير والمسيحية في السنغال، محمد المختار جبي، مقال منشور في موقع: قراءات أفريقية – www.qiraatafrican.com، 2016م.
- 87- التنصير ومحاولاته في بلاد الخليج العربي، عبد العزيز بن إبراهيم العسكر، مكتبة العبيكان، الرياض، 1993م.
- 88- التنوع والتعايش بحث في تأصيل الوحدة الاجتماعية والوطنية، الشيخ/ حسن موسى الصفار، ط 3، ونشرتها دار التآخي للطباعة والنشر والتوزيع، بدمشق، عام 2004م.
- 89- تهافت التهافت ، محمد بن أحمد بن رشد ، تحقيق سلمان دنيا، دار المعارف القاهرة ، ط 3، 1980م.
- 90- الثقافة الإسلامية والتحديات الفكرية المعاصرة وحقوق الإنسان، حسن عبد الغني، النشر العلمي والمطابع- جامعة الملك سعود، الرياض، 2014م.
- 91- الثقافة العربية وروادها في الصومال، محمد حسين، ط 1، دار الفكر العربي، القاهرة، 2011م.
- 92- ثمن الحرية الخفي: تأطير عراقيل التعايش الاقتصادي، سفن م .سبينجيمان، بحث منشور في كتاب تخيل التعايش معاً، تحرير أنطونيا تشايز ومارثا ميناو، ترجمة فؤاد السروجي، ط 3، دار الأهلية للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 200م.
- 93- الجامع لأحكام القرآن، أبي بكر القرطبي، ج 9 / ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2006م.
- 94- جريدة المسلمين العدد ، 1229 بتاريخ 9 / 9 / 1991 السعودية.
- 95- جريدة ليزيكو (Les Echos) 2803 الصادر بتاريخ 27 / 11 / 2006م.
- 96- جغرافية العالم "جمهورية غينيا"، أحمد صادق، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1970م.
- 97- جمهورية مالي، مجلة زاد المسافر، أبو عبد العزيز مراقب عام، عمان، 2010م.
- 98- جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، سعيد بن علي المغيري، تحقيق: محمد علي الصليبي، ط 4، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، 2001م.

- 99- الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية، د/ أبوبكر إسماعيل ميغا، ط 1، مكتبة التوبة، 1997م.
- 100- حركة المد الإسلامي في غربي أفريقيا د: عبد الفتاح مقلد الغنيمي، الناشر مكتبة نهضة الشرق، جامعة الأظهر، القاهرة، عام 1985م.
- 101- الحضارة الإسلامية في النيجر، تأليف: مجموعة من الباحثين، منشورات إيسيسكو، 1994م.
- 102- الحضارة الإسلامية في مالي، تأليف: مجموعة من الباحثين، منشورات إيسيسكو، 1996م.
- 103- الحوار من أجل التعايش، أ.د. عبد العزيز بن عثمان التويجري، ط 1، دار الشروق القاهرة عام 1998م.
- 104- الحوار: مفهومه، شروطه، قواعده، ضوابطه، مقاصده، د/ إدريس وهنا، المطبعة: طوب بريس 22، زنقة كلكوتة - المحيط - الرباط، 2008م.
- 105- الحيل والأساليب في الدعوة إلى التبشير، مصطفى فوزي غزال، مكتبة الكتب، 2004م.
- 106- الخيار الصعب لمسلمي إفريقيا الوسطى - الموت والرحيل، مقال، الموقع: Hespress، 2014م.
- 107- دراسة ميدانية عن الحركات التنصيرية في العالم الإسلامي، عبد الودود شلي، ط 1، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، 1989م.
- 108- دنقلا مدينة التاريخ والحضارات القديمة في السودان، صلاح الدين مصطفى، صحيفة القدس العربي، الخرطوم، 2017م.
- 109- الديانات السماوية وموقفها من العنف، محمد سبيلا، منشورات الزمن، ط 2، الرباط، 2011م.

- 110-الديانة الرسمية في السنغال، مقال، على الموقع: 1 www.encyclopedia.com, Edited, 2019.
- 111-الدين في أفريقيا (تاريخ أفريقيا العام)، / أساري، ط 2، دار النشر لتوزيع القاهرة، 1999م.
- 112-الدين في إفريقيا، لدكتور: أساري أوبوكو، نشر اليونسكو، مجلد 6، 1990م.
- 113-رحلة ابن بطوطة، أبو عبدالله ابن بطوطة، ط 1، دار إحياء العلوم، بيروت، 1987م.
- 114-الرحيق المختوم، الشيخ صفى الرحمن المباركفوري، نشر من قبل وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية، دولة قطر، تاريخ النشر 2007م.
- 115-ساحل شرق أفريقيا منذ فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالي، محمود محمد الحويدي، ط 1، دار المعارف، القاهرة، 1986م.
- 116-السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تمبكتو البهية، مولاي أحمد بابير الأرواني، دراسة وتحقيق الهادي الدالي، جمعية الدعوة لإسلامية، طرابلس، 2001م.
- 117-سلسلة ممالك إسلامية في القارة الأفريقية، إعداد: هاني الهواري، ملتقى مظاهر الامتزاج الحضاري بين تلمسان والأندلس، إشراف: سعد بن عبدالله الحميد، العدد 3، الجزائر، 2010م.
- 118-سلسلة ممالك الإسلامية في القارة الأفريقية، شبكة الألوكة، إشراف: سعد بن عبد الله الحميد، الموقع: www.alukah.net، 2016م.
- 119-سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية في إفريقيا، شاعر محمود، (نيجيريا) ط 2، مجلد 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1971م.
- 120-سلطنة شوا الإسلامية، منشورات مجلة منارة الإسلام، العدد 198، القاهرة، 2010م.
- 121-السنغال- قلعة التيجانية ومنارة التعايش، د/ أوصيد فوزي، جريدة الجزائر، 2007م.

- 122- سؤال التسامح ، نظام عساف، مركز عمان لدراسات حقوق الإنسان، مطبعة الشعب، أريد، الأردن، 2002م.
- 123- السودان عبر القرون، شبكة مكّي، دار الجيل، بيروت، 1991م.
- 124- سيدة السلام – أكبر كنيسة بالعالم على أرض الأفيال، صوت الأمة، يوسف أيوب، 2017م.
- 125- شبهات حول الاستشراق، فراج الشيخ الفزاري، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة، 2000م.
- 126- الشيخ ابن تيمية: الجواب الصحيح 126/1.
- 127- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد القاشندي، ج 5، دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1922م.
- 128- صفحات عن تاريخ الصومال، محمد فريد، ط 1، دار المعارف، القاهرة، 1983م.
- 129- صفوة التفاسير، محمد بن علي الصابوني، ط 1، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1997م.
- 130- الصوفية في السنغال روحية افترست التطرف، مقال ل صلاح الدين حسن، كاتب وصحافي مصري، القاهرة، 2018م.
- 131- ضوابط المعرفة أصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن الميداني، ط 4، دار القلم دمشق، 1993 م.
- 132- طأ مالك، تحقيق: محمود بن الجميل، مكتبة الصفا، القاهرة، 2001م.
- 133- العثور على مقبرة ملوك دولة المقر، عبد الله الشيخ، صحيفة الراكوبة، الخرطوم، 2014م.
- 134- عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الجبرتي، ط 1، دار الجيل بيروت، بدون تاريخ.

- 135-العرب وأثرهم في الأوضاع السياسية والثقافية في مقديشو في العصور الوسطى الإسلامية، د/ غيثان بن علي، مجلة العرب، العدد: 3، إشراف: د/ سعد بن عبد الله الحميد، المكتبة المركزية الناطقة، الرياض، 2007م.
- 136-العروبة والإسلام في دارفور في العصور الوسطى، د/ رجب محمد عبد الحليم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991م.
- 137-العصر الأول من الأسرة السليمانية، د/ زاهر رياض، رسالة الدكتوراه، بجامعة القاهرة، 1979م.
- 138-العلاقة الثقافية واللغوية بين مدينة غدامس "ليبيا" ومدينتي تمبكتو وغاو ودور المخطوطات فيها، ميغا عبد القادر إدريس، مقالة غير منشورة.
- 139-علم التبشير: مناهجه وتطبيقاته، إبراهيم عكاشة علي، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، "جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية"، ع 5، 1981م.
- 140-الغارة الصليبية على تشاد، محمد البشير، موقع: soutahan@hotmail.com إشراف: مصطفى الطحان، 2003م.
- 141-الغربة الجماعات التي هاجرت من غرب إفريقيا واستوطنت السودان وادي النيل، عبد الله عبد الماجد، ط 1، دار الطباعة والنشر والتوزيع، عام 1998م.
- 142-الغربة الجماعات التي هاجرت من غرب إفريقيا واستوطنت السودان وادي النيل، عبد الله عبد الماجد، ط 1، دار الطباعة والنشر والتوزيع، عام 1998م.
- 143-غير المسلمين في المجتمع الإسلامي نشرتها مكتبة وهبة بالقاهرة ط 1 1977م.
- 144-قاموس الكتاب المقدس، مجموعة باحثين من نخبة النصارى، دار الثقافة المسيحية، عام 1984م.
- 145-القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ج 3، ط 3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979م.
- 146-قائمة التراث العالمي - السنغال 2012 - Retrieved

- 147- قائمة حصر بكل الكنائس المعرفة في النوبة، و.ي. آدمس، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، 1965م.
- 148- قرار الفاتيكان حول العلاقة مع المسلمين الصادر بتاريخ 28 / 10 / 1965م.
- 149- قصة الحضارة، هاشم محمد جلال أحمد، نسخة تحت الطبع، 2006م.
- 150- قضية الردة في الفكر الإسلامي الحديث، آمال قرامي، دار الجنوب للنشر، تونس، 1996م.
- 151- قوى الشر المتحالفة - الاستشراق، التبشير، الاستعمار - وموقفها من الإسلام والمسلمين، محمد محمد الدهان، ط 2، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1988م.
- 152- قيادي مسلم بإفريقيا الوسطى؛ النصارى دمروا 350 مسجدا، المقالة، على موقع، وكالة الأنباء الإسلامية، 2014م.
- 153- الكامل في التاريخ، ابن الأثير أبو الحسن علي، ط 2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1980م.
- 154- الكامل في التاريخ، ابن الأثير الجزري، المحقق: أبو الفداء عبد الله القاضي، ط 1، دار الكتب العلمية، 1987م.
- 155- كتاب التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، 1983م.
- 156- كتاب الدين، محمد عبد الله درار، ط 3، دار القلم للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010م.
- 157- كتاب صورة الأرض، القسم الأول، ابن حوقل، تحقيق: مصطفى مسعد، المكتبة السودانية العربية، الخرطوم، 1972م.
- 158- الكنيسة القبطية بين المحافظة والتحديث، ميلاد حنا، مجلة الاجتهاد، ع 30، 1996م.
- 159- لسان العرب لابن منظور، ج 2 / طبعة جديدة، دار المعارف، بيروت، 2011م.

- 160- لمحات تاريخية عن انتشار الإسلام في أوغندا، إبراهيم الزين صغيرون، مجلة كلية العلوم الاجتماعية (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)، ع 6، 1982م.
- 161- لمحات من ممالك كوش، إدريس عبد الله البناء، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، دار غزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2003م.
- 162- مجلة البيان، الدعوة الإسلامية في أنغولا، فهد بن سعيد، العدد 11، الرياض، 2013م.
- 163- مجموعة الوثائق العربية الخاصة بتاريخ السودان في العصور الوسطى، مسعد مصطفى محمد، مكتبة جامعة القاهرة، 1972م.
- 164- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار الفكر بيروت، 1986م.
- 165- مدينة جيني (مالي) ويكيبيديا موسوعة الحرة، الموقع: Ar.wikipedia.org.
- 166- المستشرقون والتنصير: دراسة للعلاقة بين ظاهرتين، علي بن إبراهيم، مكتبة التوبة، الرياض، 1998م.
- 167- المستشرقون ونشر التراث، علي إبراهيم النملة، دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر والترجمة، ط 2، الرياض، 2003م.
- 168- المستكشفون في أفريقيا، جوزفين كام، ترجمة: د/ يوسف نصر، دار المعارف، القاهرة، 1983م.
- 169- مسلمو أفريقيا الوسطى - من الإبادة إلى النسيان، نور الدين قلالة، مقال، الموقع إسلام أون لاين، 2015م.
- 170- مسلمو إفريقيا الوسطى يقتلون بصمت، د/ زياد الشامي، مقال، الموقع المسلم، 2018م.
- 171- المسلمون بدول وسط أفريقيا، الأقلية المسلمة في أنغولا، عدد من الباحثين، الحلقة 104، السعودية، 1433 هجري.

- 172-المسلمون في أفريقيا الوسطى، ثروت البطاوي، موقع English website for Muslim، مكة المكرمة، 2013م.
- 173-المسلمون في أنغولا - معاناة في طي النسيان، مجلة: رسالة الإسلام، مكة المكرمة، 2013م.
- 174-المسلمون في أنغولا - معانات في طي النسيان، مجلة رسالة الإسلام، مكة المكرمة، 2013م.
- 175-المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، محمد فاضل باري، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م.
- 176-المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريديه، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1971م.
- 177-المسلمون في مالي فاعلون اجتماعيا ودينيا، كلود أبو شقرا، مجلة ثقافات، 2013م.
- 178-المسلمون في مدغشقر ... تاريخ مشرف وواقع مرير، مقالة: رسالة الإسلام، المشرف: د/ عبد العزيز بن فوزان، الموقع: main.islammmessage.com، 2013م.
- 179-المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا، د/ عبد الله عبد الرزاق، ط 1، عالم المعرفة، الكويت، 1989م.
- 180-المسيحية والتنصير في السنغال، مقال ل د/ محمد المختار جبي، إعداد جريدة (قراءات أفريقية)، 2016م.
- 181-مظاهر الحضارة الإسلامية في الممالك الإفريقية، الشيخ الفاتح يوسف، مجلة قراءات إفريقيا، 2013م.
- 182-معاهدة البقط بين والي مصر وعظيم النوبة من صور الرق في القرون السبعة الأولى للهجرة، أحمد فؤاد بلبع، مكتبة العربية، مصر، 2008م.

- 183-المعجم الكافي عربي، محمد الباشاء، ط 2، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت - لبنان، 1992م.
- 184-المعجم الكافي عربي، محمد الباشاء، ط 2، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت - لبنان، 1992م.
- 185-معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، ج 5، ط 2، 1392 هجري.
- 186-المغني الأكبر (إنجليزي - عربي)، حسن سعيد الكرمي، مكتبة لبنان، 1987م.
- 187-المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت، عام 2015م.
- 188-مفهوم التعايش بين المسلمين وغير المسلمين، سلمان العودة، مقال منشور في الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت) على الموقع الإلكتروني: www.al3nabi.com.
- 189-مفهوم التعايش في الإسلام، الدكتور/ عباس الجراري، نشرتها مجلة الإسلام اليوم العدد 14 عام 1417هـ.
- 190-مفهوم التعايش وضروراته ومبادئه بين المسلمين وغيرهم، الدكتور/ محمد الحسن البغا، عميد كلية الشريعة - جامعة دمشق.
- 191-مفهوم القيم والأخلاق في الإسلام، محمد الحسيني، مجلة مصرراوي، المصدر: شبكة السنة النبوية وعلومها، القاهرة، 2011م.
- 192-مفهوم القيم وتصنيفاته، المكتب التعاوني للدعوة وتوعية الجاليات بالربوة بمنطقة الرياض، الحلقة 3، 2014م.
- 193-مقبرة بلير بدار - رسالة التعايش بعد الموت، محمد الأمين، جريدة الجزيرة، عام 2018م.

- 194- مملكة سنغاي على عهد الأسقيين، عبد القادر زبادية، ط 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971م.
- 195- مملكة سنغاي في عهد الأسفين، الحسن الوزان، ج 2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 2016م.
- 196- مملكة مالي، إبراهيم طرhan، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1970م.
- 197- مملكة مروي- التاريخ والحضارة، بروفيسور/ عمر حاج الزاكي، ط 1، وحدة تنفيذ السدود، الخرطوم، السودان، 2006م.
- 198- من حياة تراث النوبة بمنطقة السكوت، الخرطوم، سيد محمد عبدالله، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، 1974م.
- 199- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي جمال الدين أبي الفرج، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ج 2، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م.
- 200- المنجد في اللغة العربية المعاصرة، أنطوان نعمة وآخرون، ط 3، دار المشرق، بيروت، 2000م.
- 201- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تقي الدين أحمد بن علي المقرئ، ج 1، ط 2، دار صادر بيروت، 1906م.
- 202- موسوعة السياسة، عبد الوهاب الكيالي، ط 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1925م.
- 203- موسوعة الأخلاق الإسلامية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net ، 2005م.
- 204- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية والدولة الإسلامية جنوب الصحراء أفريقيا، أحمد شبلي، القاهرة- 1972م.

- 205- موقع الإسلام- المسلمون بدول وسط أفريقيا- الأقلية المسلمة في أنغولا، عدد من الباحثين، الحلقة 104، المملكة العربية السعودية، 1433 هجري.
- 206- نبذة عن الثروات الطبيعية في غينيا والخطوط العريضة لتنمية الاقتصاد في جمهورية غينيا، جعفر جالو.
- 207- النشر الشهر الصادر عن مركز الإيمان واللقاء تحت اسم (EN CHEMIN) العدد 4 الصادر في ديسمبر 2003م.
- 208- النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن الأثير الجزري، ط 1، ج 2 ، دون النشر، عام 1963م.
- 209- النوبة وتاريخ السودان القديم، أحمد محمد علي حاكم، مجلة آداب، العدد: 7، جامعة الخرطوم، 1981م.
- 210- هجرة العرب المسلمين إلى شرق إفريقيا، محمد حسن الزيدي، مجلة المؤرخ العربي، العدد 23، الرياض، 1983م.
- 211- هموم المسلم المعاصر، يوسف القرضاوي، إعداد وحوار ياسر فرحات، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، 1989م.
- 212- وجاء الدور على الإسلام، رضا العراقي، مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة، بدون سنة.
- 213- وحي الله: حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة- نقض مزاعم المستشرقين، حسن ضياء الدين عتر، دار المكتبي، دمشق، 1999م.
- 214- وصف إفريقيا، الحسن الوزان، ط 2، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.
- 215- يسوع المسيح بالإنجليزية ، الموسوعة البريطانية 27، كانون الأول، 2010م.

- 1- Grand Larousse Lexique de sciences sociales, Madlein Griwitz Dalloz, Paris, 1983.
- 2- Oxford. Word power. Oxford University Press 2006, database right .
- 3- Cristianity in Africa Missionnaires and change Published by the African society sciences, Tripoli.
- 4- Division des statistiques : population des principales ville centrafricaines, <http://www.stat>, 2008.
- 5- Christianisme en Afrique centrale, Adam Hochild, Bangui, 2005.
- 6- Wikipedia.
- 7- See fatima viegas, panorama das religioes em Angola independent, Luanda, 2008.
- 8- Islam in sudan, RussiniTashiruli, Triminghamlondres, 1965.
- 9- Islam in sudan, RussiniTashiruli, Triminghamlondres, 1965, p 115.

- 10-HISTORY OF THE ANCIENT NATION OF GHANA, ADAM NAZIF, WWW.IBSA-INC.ORG/GHANA.HTM. 2003.
- 11-www.rightword.net/news&file=article&sid=2608.25/02/2005.
- 12-Timbuktu the centre of civilization, Tomass Arnolad.
- 13-Agadez et sa region, Aboubacar Adamou, En no 44, Niamey, IRSH, 1979.
- 14-2000 year of christianity in Africa : an African history, John Baur, Kenya: paulines, 1994.
- 15-Church and state in Ethiopia, 1270-1527, Tamrat Taddesse, Oxford university press, 1972.
- 16-Early African christianity, Gabriel Ossul, London, 1976.
- 17-The preser John of the indies, F. Alvarez, 2 vols, combridge university press, 1960.
- 18-Earty contacts with christtian europe, Tamrat Taddesse, oxford university press, 1972.

- 19-The combridge history of Africa J. Desmond clark, 8 vols, combridge university press, 1977.
- 20-The portuguese seaborne empire 1415-1825, Charles Ralph, london, Random house, 1969.
- 21-G . A, Out line of the Ancient History at the Sudan, Reisner part (iv) 1919.
- 22-(XI) vol, kush, sennar, Cemetery at Ameroitic : w.y, Dixon (pp (227-234)) 1963).
- 23-Christianity in the Sudan, Giovanni Vantini, L.P. Kirwan, volume 81, 1982.
- 24-Copyright The Media Initiative Sudan The Origin of Civilization, kartoum, 2017.
- 25-Kirwan L.P the Decline and Fall of Meroe kush Egyptological Bibliography 1960.
- 26-Kirwan L .P, The Notes on the Topography of the christian Nubian Kindoms, JEA, vole 21, 1935.
- 27-Salou Casais UNE Iddylle Franco Songhay au XVe siècle, Ibrahim Baba Kaké, LPF 1975, Printed en France.

- 28-Park Mungo 1771-1806, Copyright 2005 International Plant Names Index, London.
- 29-Second voyage de Mungo Park dans l'intérieur, Robert Adams, Edition : Paris, J.G. Dentu, 1820.
- 30-Le Niger et les explorations de l'Afrique (2) depuis Mungo Park jusqu'au Docteur Barth, Ferdinand De Lanoye, libraire de l'Hachette etcie, Paris, 1858.
- 31-Caillié René, Journal d'un voyage à Temboctou et à Jenné, dans l'Afrique de l'ouest pendant les années 1824, 1825, 1826, 1827, 1828 ... Avec une carte itinéraire, et des remarques géographiques, par M. Jomard, Vols 3, 1975, Paris: Imprimerie Royale.
- 32-Un Ouvrier voyageur: René Caillié, Duval Jules, 1867, in French, Paris: Hachette.
- 33-Travels through Central Africa to Timbuctoo; and across the Great Desert, to Morocco, performed in the years 1824-1828, Caillié René, 1830, 2 Vols, London: Colburn & Bentley.
- 34-Voyages et Découvertes dans l'Afrique Septentrionale et Centrale Pendant les années 1849 a

1855, Heinrich Barth, tra de l'allemand en français par Paul Ithier, 1999, Adeg Graphics, Paris.

35-Cristianity in Africa Missionaries and Change, Published by the African Society Sciences, Tripoli, 1975.

36-R. Kouk, Médical Missions, CMO, Vol 1, LXIV, 1918.

37-George Waddington und Barnard Hanbury: Journal of a Visit to Some Parts of Ethiopia. John Murray, London 1822.

38-Soba, église A, VIIe siècle, Welsby et Daniels, vol III, Editions UNESCO, 1991.

39-The Opening of the Nile Basin : Writings by Members of the Catholic Mission to Central Africa on the Geography and Ethnography of the Sudan Toniolo, Elias & Hill, Richard, 1842.

40-Geuse. F: Towseason in Sai Island, A preliminary report Kush X vi. 1994.

41-Vercouter, John: Kush. Journal of the Sudan Antiquates Service, volume vi. 1958.

- 42-Arkell, A.J: A history of the Sudan to AD. 1821, London 1955.
- 43-Loua, "Les alliances interethniques en Afrique de L'ouest, 2005.
- 44-Coexistence pacifique entre christianisme et l'islam – Thiesinfo – Thies – 2013.
- 45-oct 2005 Rapport de haut conseil de lutte contre le sida 29.
- 46-Lutte contre le sida les religieux s' impliquent.
- 47-Oquaye, Mike. The Liberia Crises : Lessons for Intra-State Conflict management and Prevention in Africa, (George Mason University: Institute for Conflict Analysis and Resolution, 2001.
- 48-James, W. Harris, Church Contributes To Nation's Division, The Perspective, June 7, 2002. In www.theperspective.org.

فهرس الموضوعات:

الصفحة	الموضوع
1	إهداء
2	كلمة الشكر والتقدير
3	مقدمة
20	الفصل التمهيدي: تعريف المصطلحات الواردة في العنوان
21	المبحث الأول: مفهوم القيم وتصنيفاته
21	المطلب الأول: تعريف القيم في اللغة
22	المطلب الثاني: تعريف القيم في الاصطلاح
23	المطلب الثالث: تصنيفات القيم
24	المطلب الرابع: أقسام القيم
25	المبحث الثاني: مفهوم الحوار والمصطلحات ذات صلة به
25	المطلب الأول: تعريف الحوار في اللغة
26	المطلب الثاني: الحوار في الاصطلاح القرآني
28	المطلب الثالث: تعريف الجدل في اللغة
28	المطلب الرابع: الجدل في الاصطلاح القرآني
30	المطلب الخامس: تعريف النقاش أو المناقشة
31	المطلب السادس: تعريف المناظرة
32	المبحث الثالث: مفهوم التعايش والمصطلحات ذات صلة به
32	المطلب الأول: تعريف التعايش في اللغة
33	المطلب الثاني: تعريف التعايش في الاصطلاح
35	المطلب الثالث: تعريف التسامح في اللغة
38	المطلب الرابع: تعريف التسامح في الاصطلاح
40	المطلب الخامس: تعريف التعارف في اللغة

41	المطلب السادس: تعريف التعارف في الاصطلاح
41	المطلب السابع: تعريف الصفح في اللغة
41	المطلب الثامن: تعريف الصفح في الاصطلاح
41	المبحث الرابع: المصطلحات المغايرة للتعايش
42	المطلب الأول: تعريف التعصب
43	المطلب الثاني: تعريف الغلو في اللغة
44	المطلب الثالث: تعريف الغلو في الاصطلاح
45	المطلب الرابع: تعريف العنف
46	المطلب الخامس: تعريف الإرهاب في اللغة
47	المطلب السادس: الإرهاب في الاصطلاح
49	الفرق بين الإرهاب الوارد في القرآن الكريم والإرهاب في اصطلاح بعض الناس في هذا الزمن
51	المبحث الخامس: تعريف الدين
51	المطلب الأول: المعنى اللغوي للدين
51	المطلب الثاني: الدين في الاصطلاح
53	المبحث السادس: تحديد مفهوم المسلمون والمسيحيون
53	المطلب الأول: المسلمون
54	المطلب الثاني: المسيحيون
55	المبحث السابع: تعريف بالدول الواردة في عنوان الأطروحة
55	المطلب الأول: تحديد مكاني جغرافي لجنوب الصحراء الكبرى
56	المطلب الثاني: دراسة دول التي تتم فيها التعايش بين المسلمين والمسيحيين
56	جمهورية غينيا Guinée
71	جمهورية السنغال Sénégal
79	جمهورية مالي Mali
84	المطلب الثالث: دراسة دول التي لا تتم فيها التعايش بين المسلمين والمسيحيين

84	جمهورية ليبيريا Liberia
87	جمهورية أفريقيا الوسطى Centrafrique
92	جمهورية أنغولا Angola
99	الفصل الأول: الإسلام والمسلمون في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى
100	المبحث الأول: تاريخ دخول الإسلام إلى أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى
100	المطلب الأول: دخول الإسلام إلى شرق أفريقيا
100	ال جانب الأول: هجرة صحابة إلى الحبشة رضي الله عنهم
105	ال جانب الثاني: إسلام سيدنا النجاشي ملك الحبشة رضي الله عنه
109	المطلب الثاني: انتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى
110	المرحلة الأولى: انتشار الإسلام في شرق أفريقيا
119	المرحلة الثانية: انتشار الإسلام في غرب أفريقيا
126	المبحث الثاني: الممالك الإسلامية التي قامت في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى
126	المطلب الأول: بعض ممالك الإسلامية التي قامت في شرق أفريقيا
127	الأولى: مملكة شوا Chawa الإسلامية 283 - 688 هـ / 896 - 1289 م
130	الثانية: مملكة أوفات Awfate الإسلامية 648 - 805 هـ / 1250 - 1402 م
134	الثالثة: مملكة كلوة Kalwat الإسلامية 365 - 902 هـ / 975 - 1499 م
137	المطلب الثاني: بعض ممالك الإسلامية التي قامت في وسط أفريقيا
137	الأولى: مملكة كانم أو برنو الإسلامية 183 - 1317 هـ / 800 - 1900 م
142	الثانية: مملكة البولالا Boullala الإسلامية 766 - 1318 هـ / 1365 - 1900 م
145	الثالثة: مملكة الهوسا Hawssa الإسلامية 750 - 1231 هـ / 1349 - 1816 م
148	المطلب الثالث: بعض ممالك الإسلامية التي قامت في غرب أفريقيا
149	الأولى: مملكة غانا Ghana الإسلامية 468 - 599 هـ / 1076 - 1203 م
157	الثانية: مملكة مالي Mali الإسلامية 596 - 1315 هـ / 1200 - 1898 م

163	الثالثة: مملكة سنغاي Songaye الإسلامية 776-999هـ / 1375-1591م
170	المبحث الثالث: من أبرز الشخصيات الإسلامية في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى
171	المطلب الأول: الشيخ عثمان دان فوديو الفولاني
179	المطلب الثاني: الحاج عمر تال التكروري
187	المطلب الثالث: الإمام ساموري توري المانديغي
194	المبحث الرابع: من أهم المراكز الإسلامية في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى
194	المطلب الأول: بعض المراكز الإسلامية في ساحل شرق أفريقيا
195	المركز الأول: مدينة مقديشو في جمهورية الصومال
200	المركز الثاني: مدينة زنجبار بجمهورية تنزانيا
204	المركز الثالث: جزيرة مدغشقر
207	المطلب الثاني: بعض المراكز الإسلامية في غرب أفريقيا
207	المركز الأول: مدينة تمبكتو في جمهورية مالي
212	المركز الثاني: مدينة جيني في جمهورية مالي
216	المركز الثالث: مدينة أغاديس بجمهورية النيجر
221	الفصل الثاني: المسيحية والمسيحيون في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى
221	المبحث الأول: تاريخ المسيحية في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى
222	المطلب الأول: دخول المسيحية إلى ساحل شرق أفريقيا
222	الجانب الأول: دخول المسيحية إلى ساحل شرق أفريقيا
230	الجانب الثاني: الممالك المسيحية التي قامت في شرق أفريقيا
230	الأولى: مملكة مروى Marwi 270 ق م - 350م
249	الثانية: مملكة مقرة Makoura 500 - 1420م
254	الثالثة: مملكة علوة Alouwa 500-1500م
258	المطلب الثاني: دخول المسيحية إلى غرب أفريقيا
259	الجانب الأول: الاستكشاف الأوروبي

262	بعض المكتشفون الأوائل
262	مونغو بارك
266	رينيه كاييه
269	هاينريش بارت
276	الجنب الثاني: الاستعمار العسكري والتنصير في غرب أفريقيا
281	المبحث الثاني: المسلمون والحركة التنصيرية في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى
281	المطلب الأول: دعوى النصارى تحول أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى إلى النصرانية
283	المطلب الثاني: مراكز التنصير وجمعياته في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى
286	المبحث الثالث: أهداف ووسائل التنصير وأسباب نجاحه وسبل مواجهته
286	المطلب الأول: أهداف ووسائل التنصير في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى
287	الجنب الأول: أهداف التنصير في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى
291	الجنب الثاني: وسائل التنصير في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى
302	بعض المواقع التنصيرية المعلوماتية على الشبكة الإنترنت
315	المطلب الثاني: أسباب نجاح التنصير وسبل مواجهته في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى
315	الجنب الأول: أسباب نجاح التنصير في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى
318	الجنب الثاني: سبل مواجهة التنصير في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى
327	المبحث الرابع: بعض المراكز المسيحية في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى
327	المطلب الأول: بعض المراكز المسيحية في شرق أفريقيا
328	المركز الأول: مدينة دنقلا العجوز
332	المركز الثاني: مدينة سوبا
335	المركز الثالث: جزيرة صاي
338	المطلب الثاني: بعض المراكز المسيحية في غرب أفريقيا
338	المركز الأول: بعض أماكن في السنغال
340	المركز الثاني: مدينة ياموسوكرو في جمهورية كوت ديفور
342	الفصل الثالث: نماذج من التعايش واللاعاش بين المسلمين والمسيحيين في بعض دول

	أفريقيا والأسباب والتحليلات والانعكاسات على الفرد والمجتمع
342	المبحث الأول: نماذج من التعايش بين المسلمين والمسيحيين في بعض دول أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى
343	المطلب الأول: أسباب وتحليلات وانعكاسات التعايش بين المسلمين والمسيحيين في غينيا
351	المطلب الثاني: أسباب وتحليلات وانعكاسات التعايش بين المسلمين والمسيحيين في السنغال
363	المطلب الثالث: أسباب وتحليلات وانعكاسات التعايش بين المسلمين والمسيحيين في مالي
371	المبحث الثاني: نماذج من التعايش بين المسلمين والمسيحيين في بعض دول أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى
372	المطلب الأول: أسباب وتحليلات وانعكاسات التعايش بين المسلمين والمسيحيين في ليبيريا
378	المطلب الثاني: أسباب وتحليلات وانعكاسات التعايش بين المسلمين والمسيحيين في أفريقيا الوسطى
385	المطلب الثالث: أسباب وتحليلات وانعكاسات التعايش بين المسلمين والمسيحيين في أنغولا
388	خاتمة
398	توصيات
402	المصادر والمراجع
421	المراجع الأجنبية
427	فهرس الموضوعات

